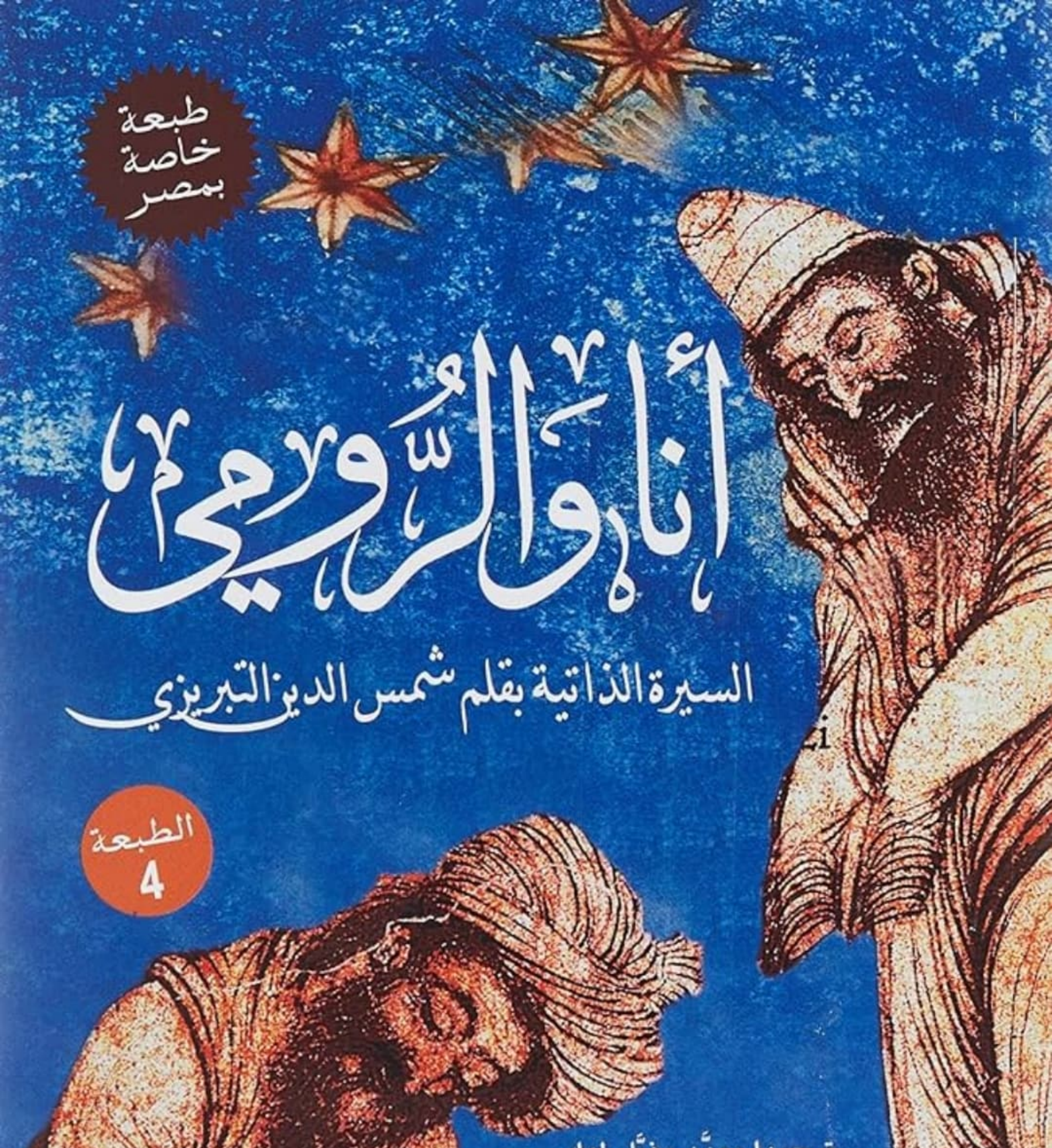
طبعة خاصة بمصر

أنا والرسول

السيرة الذاتية بقلم شمس الدين التبريزي

الطبعة 4



ترجمها ومهَّد وذيَّل لها:

ويليام س. شيتيك

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي

منال الخطيب

دار الخيال
DAR ALKHAYAL

ضائر
t.me/twinkling4

الكرمة

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَــاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

تأكد من أنك تقرأ هذه الرواية من قناة ضــاد الرسمية على تطبيق تيليجرام:

تمّ تجهيز هذا الكتاب الإلكتروني
بـواسـطـة:

مكتبة ضاد
t.me/twinkling4

لجميع الكتب، المجانية والمدفوعة،
وكل ما تشتهيه قريحتك الثقافية.

في ذكرى «آن ماري شيميل»

مقدمة

بات الرومي اليوم أحد الشعراء الأكثر مبيعًا في أمريكا الشمالية، فقد ازداد الاهتمام بزمانه وحياته على نحو ملحوظ. عمليًا، فكلّ مجموعة من شعره تُقدّم سيرة مصغرة، مسلّطة الضوء على لقاءه مع شمس الدين التبريزي، الصوفي المتجول الذي أصبح فيما بعد رفيقه الحبيب. كان الرومي عالمًا رزينًا، يدرّس القانون وعلم التوحيد لحلقة صغيرة من الطلاب، ولكنَّ مجيء شمس حوَّله إلى مُحبّ للموسيقى والرقص والشعر. بعد ثلاث سنوات من ظهور شمس من المجهول، اختفى فجأة، ولم يره أحد بعدها البتة. كان شوق الرومي إلى شمس الضائع هو الذي حوَّله إلى أحد أعظم الشعراء في العالم. لقد خلّد الرومي اسم شمس من خلال الإشادة به في شعره باستمرار باعتباره تجسيدًا للحُبّ المقدس.

في الحقيقة، لا يُعرف إلّا جزء بسيط من السيرة التاريخية لشمس، حتى أنَّ لدى البعض شكوك في أنَّه كان شخصية حقيقية. يمتلك كلّ مُهتمّ بشعر الرومي فضول حوله، ابتداء من ابن الرومي نفسه وكُتّاب سيرة آخرين، كان هناك الكثير من الأساطير التي نُسجت حوله. على مرّ القرون أصبح شمس تعبيرًا مجازيًا في الآداب الفارسية والتركية والأردية، ولم تُحرز المعرفة الحديثة سوى قليل من التقدم في تفسير هوية شمس أو كيف كان قادرًا على لعب دور حاسم كهذا في حياة الرومي، على الرغم من تقديم عدد كبير من النظريات.

يُمثّل كتاب «**أنا والرومي**» علامة بارزة حقيقية في دراسة هذه القامة اللغز. إنَّه يُتيح لأول مرة في أيّ لغة أوربية قصصًا مستقاة من المصدر الأصلي عن شمس والتي لم يسبق دراستها البتة من قِبل العلماء

الغربيين. عندما جلس الرومي وشمس وتحدثا قام أحد أفراد الحلقة أو أكثر بتدوين بعض الملاحظات. لم يتمّ أبدًا إعطاء تلك الملاحظات شكلها النهائي، إلا أنَّه تمّ حفظها ونسخها أحيانًا على يد أجيال لاحقة، وانتهى بها المطاف في مكتبات مختلفة مبعثرة في جميع أنحاء تركيا. قبل خمسة عشر عامًا أكمل باحث إيراني عملية طويلة من جمع وتحرير المخطوطات، وتمّت تسمية الكتاب الذي قام بنشره: «**محادثات شمس الدين التبريزي**». يُقدّم لنا «**محادثات شمس الدين التبريزي**» صورة استثنائية لشخصية عظيمة.

في كتاب «**أنا والرومي**»، قام «ويليام تشيتيك» بترجمة ما يُقارب من ثلثي «المحادثات» إلى الإنكليزية وترتيبها بطريقة تُوضّح معناها وسياقها. إنَّه يُزود بالملاحظات وبفهرس للكلمات الصعبة، الأمر الذي من شأنه الذهاب بعيدًا في مساعدة القراء على حل رموز المقاطع الأكثر غموضًا. كانت النتيجة النهائية كتابًا مثيرًا وجديرًا بالقراءة أعاد شمس إلى الحياة. للمرة الأولى في المصادر الغربية يتمّ إفساح المجال للوصول إليه دون وساطة الرومي وصانعي الأساطير. يظهر شمس هادئًا وصاخبًا، صريحًا وغامضًا، فظًا ودمثًا، عارفًا ومفتقدًا للوقار، وفوق كلّ ذلك تجسيدًا للحضور الحي للإله. يُدمّر الكتاب القوالب النمطية التي تمَّ وضعها من قبل الأدب الثانوي، كما أنَّه يُتيح لنا الوصول إلى شخصية أكثر روعة وحيوية ممَّا يجدر بنا توقّعه ممَّا كتبه بعض كتَّاب السيرة والعلماء.

أنيماري شيميل

مقدمة المترجم

أصبح الرومي اليوم مشهورًا في الغرب إلى درجة يبدو معها من غير الضروري التعريف عنه. لا بُدَّ أنَّ كلَّ مطلع على الرومي قد سمع على الأقل باسم رفيقه شمس الدين التبريزي. إنَّ العلاقة بينهما معروفة إلى درجة تُمكِّن مرجعًا في أهمية «هيوستن سميث» في كتابه الأحدث «مواضيع خلافية في الدين» Religion Matters من الإشارة إلى حُبّ الرومي لشمس إلى جانب حب «دانتي» «لبياتريس» في الجملة ذاتها.

يتردد اسم شمس باستمرار في شعر الرومي، ويفيض الأدب اللاحق بحكايات عنه. إلَّا أنَّ حقيقة العلاقة فيما بينهما قد حيّرَت الجميع تقريبًا منذ البداية. كيف لنا أن نُفسّر السبب الذي يجعل عالمًا عظيمًا ناجحًا، تقليديًا من جميع النواحي، يخسر فجأة استحسان المجتمع، وهو أمر ثمين للغاية في المجتمعات التقليدية، ويبدأ في خلق صلة على نحو شبه حصري مع من بدا في الظاهر واحدًا من الرعاع؟ أيُّ نوع من الناس كان شمس بحيث استطاع أن يمارس مثل هذا التأثير العميق على رجل الدين البارز والشاعر والمُعلّم الروحي هذا؟ عمليًا، فإنَّ كلَّ أولئك الذين كتبوا عن الرومي بداية بابنه ومريديه قد حاولوا تفسير ما حصل، بينما لم يتسنَّ لنا سماع رواية شمس الخاصة به للقصة، وهذا الكتاب يجسر تلك الفجوة.

كان الرومي هو من أعطى شمس هالته الأسطورية. لا تنسَ أنَّ أطول أعمال الرومي لم يكن كتابه المشهور «المثنوي» والذي هو عبارة عن ملحمة روحانية تقع في ستة كتب وخمس وعشرين ألف زوج من الأبيات، وإنَّما مجموعته المؤلفة من أربعين ألف بيت شعر، والتي هي عبارة عن قصائد حُبّ قصيرة ومعروفة باسم «**ديوان شمس**

الدين التبريزي»، أي مجموعة أشعار عن «شمس الدين التبريزي». على الرغم من أنَّ كتاب تراتيل الحُبّ العظيم هذا يحمل اسم شمس، ولكن لم يخطر في بال أحد أنَّه كان مؤلفه. لقد سُميَت المجموعة باسمه لأنَّ الرومي يطمس نفسه في شخص شمس ويجعله الغاية الواضحة والضمنية في التفاني. بالطبع فإنَّ «**ديوان شمس الدين التبريزي**» يتمحور بالكامل حول حُبّ الإله، ولكن في إعادة الرومي لرواية تجارب الحب والبهجة، لا يُمثِّل شمس محض إنسان، ولا حتى مرشد على طريقة الأنبياء. بل هو التجسيد الحيّ الصادق للمحبوب الحقيقي، الذي هو الإله نفسه.

تمّ إطلاق اسم شمس على «**الديوان**» لأنَّ الرومي وقَّع ما يُقارب ثلث قصائد الغزل الثلاثة آلاف ومئتين باسمه، تاركًا معظم ما تبقى دون توقيع «تمّ توقيع بعضها بأسماء أُخرى، مثل أسماء مريديه صلاح الدين وحسام الدين. في الغزل الفارسي عادة ما يُشير الشاعر إلى نفسه باسم مستعار في الزوج الأخير من الأبيات. يُعرف معظم الشعراء ـ كسعد الدين وحافظ ـ بأسمائهم المستعارة على وجه الخصوص، وليس بأسمائهم الشخصية. إنَّ إلقاء نظرة سريعة على نصوص «**الديوان**» قد تحمل المرء على الاعتقاد بأنَ شمس هو الكاتب نفسه، لأنَّ اسمه غالبًا ما يظهر في الأبيات الأخيرة.

إنَّ أفضل تحليل باللغة الانكليزية حتى يومنا هذا للدور الذي لعبه شمس في حياة الرومي وشعره قدَّمه «فرانكلين لويس» في فصل طويل من دراسته الرائعة «**الرومي، في الحاضر والماضي، في الشرق والغرب**»، وRumi: Past and Present، East and West، ولا حاجة بي لإعادة التفاصيل التي ذكرها تقرير «لويس»، إذ يُمكن الرجوع إلى عمله فيما يخصّ الخلفية الثقافية والتاريخية والدينية، ومن أجل التزوّد بالمعلومات عن الأدب الأساسي والثانوي الذي يتناول

الرومي وشمس. ليس الهدف من هذا الكتاب تكرار ما يمكن العثور عليه بسهولة في مصادر أُخرى، وإنَّما تقديم كلمات شمس نفسه. اِسمحوا لي إذن أن أعود إلى استعراض موجز لأسطورة شمس، ثمّ وصف «**المحادثات**»، والتي هي النص الفارسي لأقوال شمس، والتي أُسمّيها «سيرته الذاتية».

***

وُلد «جلال الدين الرومي» في بلخ والتي هي أفغانستان الحالية في عام ١٢٠٧. كان والده «بهاء ولد»، واعظًا وشيخًا عظيمًا. الكلمة العربية «شيخ» shaykh تعني «الأكبر سنًا» «كما هو الحال مع كلمة pir المرادفة في الفارسية، والتي تستخدم كمصطلح يُعبّر عن احترام المعلمين في العديد من مجالات التعلّم. في سياق الانضباط الروحاني المعروف باسم التصوّف، هو لقب معياري يُطلق على **المرشد**، أي الدليل الروحاني. كان «بهاء ولد» شيخًا في العلوم الظاهرية مثل القرآن والحديث «أقوال النبي»، والفقه «الشريعة أو القانون الظاهر»، وعلم العقيدة والعلوم الباطنية، مثل الكلام الرمزي، وعلم النفس الروحي المرتبط بالتصوّف.

عندما بدأ الغزو المغولي يقترب ببطء من «بلخ» من جهة الشرق، اصطحب «بهاء ولد» أسرته غربًا، مستقرًا في نهاية المطاف في الأناضول، حيث أصبح مُبجلًا كمُعلّم. درس ابنه «جلال الدين» كلًّا من العلوم الباطنية والظاهرية تحت إشرافه، وحينما وافى «بهاء ولد» الأجل في عام ١٢٣١، كان الرومي يُدرِّس ويعظ في «قونية». جذبت بلاغة الرومي واطلاعه كثيرين إلى حلقته، وسرعان ما أصبح أحد أشهر الشيوخ في المدينة، على الرغم من أنَّه لم يزل في العشرينيات من عمره. باعتباره عالمًا في العلوم الدينية كان يُلقّب باللقب

النموذجي «مولانا» أي «مُعلمنا»، في نهاية المطاف أصبح هذا اللقب، عند استخدامه دون اسم مصاحبًا له، يُشير إلى الرومي في حدّ ذاته. بالتالي فإنَّ الطريقة الصوفية التي تنسب نفسها إلى الرومي تُدعى «المولوية» Mevlevi في التركية، والتي تعني «منسوبة إلى مُعلمنا».

وصل شمس الدين التبريزي إلى قونية في الحادي عشر من تشرين الأول ١٢٤٤. إنَّ حقيقة أنَّ التاريخ المحدد قد تمّ حفظه يُشير إلى شيء من الأهمية التي مُنحَت لهذا الحدث في المصادر المولوية. تقول الروايات إنَّه كان في الستين من العمر، وبالتالي كان الرومي في السابعة والثلاثين. عندما قابل الرومي في السوق، سأله شمس عن المنزلة الروحانية للصوفي الكبير «أبو يزيد البسطامي»، صاحب المقولة الشهيرة «طوبى لي، لا أحد في عباءتي إلا الله» قال شمس الدين: كيف ذلك والنبي «محمد» أشار إلى نفسه بأنَّه «عبد» الله؟». حين سماعه للسؤال انتقل الرومي إلى «حال» آخر. بعبارة أُخرى، استحوذ عليه معرفة ووعي متدفقان من العالم الروحاني.

بالنسبة إلى **مولانا** كان هذا حبًا من النظرة الأولى، فكرَّس نفسه كليًا لشمس، وقلَّص واجباته التعليمية، وبدأ بإشغال نفسه بال « sama» أي الاستماع إلى الموسيقى والشعر والرقص المصاحب لهما. صُدِم العديد من مريديه بذاك التصرف، والذي كان غير لائق بعالم محترم مثله، واشتكى العديد منهم، إلَّا أنَّ الرومي لم يُلق لهم بالًا. بعد عامين، وعلى ما يبدو بسبب الغيرة والعداء من طرف مريدي الرومي، غادر شمس «قونية»، وترك الرومي مذهولًا. أرسل وراءه ابنه «سلطان ولد» إلى دمشق، ووجده في نهاية المطاف في حلب. أقنع «سلطان ولد» شمس بالعودة، واجتمع مجددًا هو والرومي عدة شهور. ثمَّ اختفى شمس في عام ١٢٤٧، تاركًا الرومي مدمَّرًا، واستغرقه

الأمر عدة سنوات حتى فقد الأمل بلقائه مجددًا. لجأ إلى «السماع»، وتحوّل خلال هذه الفترة إلى أحد أعظم الشعراء في اللغة الفارسية.

***

تُثير هذه الرواية المختصرة عدة أسئلة، وتُثير الحكايات العديدة حول شمس التي تمّ حفظها المزيد منها. كرّس كُتّاب السيرة والعلماء قدرًا كبيرًا من الجهد للإجابة على هذه الأسئلة. على سبيل المثال: ماذا حصل لشمس؟ لا أحد يعرف حقًا. يفيد خبر متأخر نوعًا ما أنّه قُتل على يد مريدين غيورين بتواطؤ مع ابن الرومي «علاء الدين»، والذي يبدو أنّ الرومي جافاه «على الأقل بعد رحيل شمس». يُحدد أولئك الذين يتبعون هذه النظرية موقع ضريحه في «قونية»، في مكان ليس ببعيد عن ضريح الرومي نفسه. يدّعي آخرون أنّه تُوفي عام ١٢٧٣، وأنّ ضريحه كان معروفًا على مدى قرون في «خوي» في إيران. ثمّة أضرحة أُخرى منسوبة إليه كذلك في بقاع أُخرى من العالم الإسلامي، معززة بذلك مكانته الأسطورية. لقد جادل «لويس» على نحو مقنع أنّه ما من أدلة كافية تُشير إلى أنّ شمس قد قُتل بالفعل.

إذا لم يكن قد قُتل، فلماذا غادر فجأة ولم يعُد؟ هنا يُمكن لشهادته في حد ذاتها أن تقدم لنا بعض المساعدة في إدراك الدافع. من الواضح أنّه اعتبر الفراق عن المحبوب، أحد أفضل الوسائل لتحقيق النضج الروحاني. حيث أشار في أكثر من مناسبة إلى أنّه من الأفضل له أن يُغادر، لأنّ الرومي لم يكن ناضجًا كفاية لتحصيل الفائدة الكاملة منه. حيث قال على سبيل المثال:، أنّه غادر إلى حلب لأنّ الرومي كان في حاجة إلى أن يُطهى بفعل الفراق ٣.٢٢٠. عندما عاد كانت ثمرة الفراق واضحة، لأنّ الرومي استفاد منه بقدر أكبر: «إنّ يومًا واحدًا من صحبتنا هذه تعدل سنة من تلك (السابقة)» ٣.٢٢٣

رُبّما كان الرومي يُلمّح إلى دور شمس في بيت مشهور غالبًا ما يُنسب إليه من قِبل علماء الفارسية:

لا تتجاوز ثمرة حياتي كلمات ثلاث: كنتُ نيئًا، طُهيتُ، ثمّ احترقتُ.

رُبّما غادر شمس لأنَّ الرومي قد طُهي الآن، وهو في حاجة إلى أن يحترق. لا ريب في أنَّ بلوغ الرومي الأربعين ليس محض صدفة، فهو العمر التقليدي للنضج الروحاني. سوف نرى كيف يذكر شمس عدة مرات أنَّ النبي «محمد» لم يبدأ بالتبليغ إلَّا في عمر الأربعين مقارنة مع المسيح، الذي تكلّم في المهد. يعتبر شمس هذا دلالة على كمال النبي. نظرًا إلى أنَّه يقول أنَّ هدفه الوحيد من القدوم إلى «قونية» كان تحقيق كمال الرومي، لا نستطيع استبعاد احتمال أنَّه غادر لأنَّه ببساطة قد أتمّ مهمته.

علاوة على ذلك، يُخبرنا شمس مرارًا أنَّ أعظم أولياء الإله يبقون دائمًا غير ظاهرين للعيان، ويتحدث عن بعض الجهود التي يبذلها لإبقاء مرتبته الروحانية محجوبة عن الآخرين. لدى مغادرته «قونية» للمرة الثانية، عاد على ما يبدو إلى البقاء بعيدًا عن الأنظار إلى أبعد حد. حتى أنَّه يُعرب عن دهشته من أنه يتوجّب عليه وعلى الرومي أن يظهرا علانية إلى هذه الدرجة: «لقد انتهى بنا الأمر بأن نكون شخصين رائعين. لقد مضى زمن طويل قبل أن يُخفق شخصان مثلنا سويًا. نحن صريحان وواضحان إلى حدّ كبير، وليس من عادة الأولياء أن يكونوا واضحين» ٣.٣٩

لماذا لاقى شمس هذا الكمّ من العداوة من حلقة الرومي؟ تُخبرنا الروايات المألوفة أنَّ المريدين كانوا غيورين. قبل قدوم شمس، كان الرومي يُمضي كلَّ وقته معهم، ولكنَّه الآن يُمضي معظم وقته مع

شمس. رُبّما يكون شمس قد أمضى بالفعل قدرًا كبيرًا من الوقت وحيدًا مع الرومي، ولكنَّ وجود «**المحادثات**» في حدّ ذاته يُبيّن حضور شخص واحد على الأقل معهما في الكثير من الحالات. علاوة على ذلك تُقدّم النصوص أدلة على أنَّ شمس أمضى الكثير من وقته ليس فقط في حلقة الرومي، بل كذلك في حلقات علماء وصوفيين آخرين.

رُبّما تكون لعداوة أصحاب الرومي علاقة بالغيرة، إلَّا أنَّ النصوص تُلمّح إلى أنَّها كانت تتعلّق أكثر بنهج شمس الخالي من القيود في التعليم، إذ لم يكن يتحلّى بكثير صبر مع السلوك الدمث المعتاد الذي يتمّ توظيفه لتجنب الاحتكاك بين أعضاء المجموعة. كان يُخبر الناس عن رأيه فيهم، وكانت أحكامه قاسية ومتأهبة. هناك الكثيرون الذين لا يُحبّون أن يُقال لهم إنَّهم حمقى، خاصة باللغة المباشرة والجارحة التي كان شمس يُوظفها. علاوة على ذلك، يُخبر شمس الحلقة كيف أنَّه يُمسك نفسه عن قول ما يظنَّه بهم بحق، ولو أطلعهم على ما في ذهنه، لطردوه حينها من «قونية». يقول في أحد المقاطع: «لو أنَّني قلتُ الحقيقة، فإنَّ كلَّ مَن في هذه المدرسة سوف يسعى إلى إنهاء حياتي، ولكنَّكم لن تتمكّنوا من فعل شيء، إذ سيعود وبال ذلك عليكم. حاولوا إن شئتم». ٣.٧٠

غالبًا ما تصف القصص والحكايات المرويَّة في الكتابات الأدبية اللاحقة شمس على غير وجه حق بنابغة روحاني، يزدري تعليم الكتب وجاهلًا بالعلوم الإسلامية، إلَّا أنَّ «**المحادثات**» تُبيّن أنه لا أساس لوجهة النظر هذه. في الحقيقة، كان شمس يحفظ القرآن عن ظهر قلب، وكان يكسب عيشه من عمله كمدرس. كان قد درس الفقه ـ علم الشريعة، أي القانون الديني ـ حتى في «قونية» أمضى الوقت بصحبة الفقهاء. اعتاد حضور جلسات العلماء لتعلم ما في جعبتهم حول مختلف فروع المعرفة. يبدو أنَّه كان لديه ولع خاص بعلم

الفلسفة، على الرغم من السخرية التي يكيلها للعديد من ممارسيها. لا ريب أنَّه كان ينظر بازدراء إلى التعلم السطحي وغطرسة العلماء الذين يُدرّسون في المساجد والمدارس. حيث أنهَّم كانوا من وجهة نظره خونة لدعوتهم لأنَّهم وظفوا التعليم الديني لكسب العيش بدلًا من العثور على الإله.

وفقا لكلٍّ من شمس والرومي، فإنَّ الغرض الوحيد من اكتساب المعرفة هو العثور على الطريق إلى الإله، الذي هو الحقيقة المطلقة، أي «**الحق**». ينبغي على الطلاب والباحثين السعي للوصول إلى «**التحقيق**»، بمعنى أن يعرف المرء حقيقة الإله بنفسه، ويرى كلَّ الأشياء على حقيقتها. كثيرًا ما كان شمس ينتقد أولئك الذين يحفظون كلمات الآخرين وحسب دون اكتشاف الحقيقة الكامنة في قلوبهم هم. على الرغم من أنَّ هذا النوع من «**التقليد**» هو خطوة أولى ضرورية في الطريق إلى الإله، إلَّا أنَّه ينبغي تجاوزها. إلى أن يتمكن الناس من التوصل إلى المعرفة بأنفسهم ـ أو بالأحرى إلى أن يروا الإله وجها لوجه، يبقى العلم ركيزة. ينبغي لهم أن يصلوا إلى مرحلة يستطيعون فيها رمي العكاز بعيدًا، وليس من خلال إبطال حقيقة المعرفة التي اكتسبوها بواسطة التقليد، وإنَّما من خلال العثور على الحقيقة داخل أنفسهم. طالما أنَّهم في حاجة إلى العكاز، فهم لا يعرفون الأشياء كما يجدر بهم. إنَّهم لم يتلقوا بعد الاستجابة للدعوة النبوية: اللهم، أرنا الأشياء كما هي حقيقة».

لماذا يرفع الرومي شمس تقريبًا إلى مرتبة مقدسة؟ ما الذي رآه في شمس؟ إنَّ أحد التفسيرات الشائعة يتعلّق بقصة العاشقين المشهورين «ليلى» ومجنونها. وحده المجنون يملك عينين تريان جمال «ليلى»، ووحده الرومي يملك عينين تريان جوهر شمس الروحاني. غير أنَّ «**المحادثات**» تُبيِّن أنَّ الرومي لم يكن الوحيد الذي أدرك هالة شمس

المقدسة، إذ يُحدثنا شمس ذاته مرارًا عن مكانته السامية، وهو يفعل ذلك بطرق تجعلنا نشعر بأن ثمَّة شيء جذاب وراء كلماته، حتى لو كانت تفضح معظم الناس الذين يسمعونها. كما ينبغي علينا أن نضع في الاعتبار أنَّ خداع رفيق ذكي وفطِن كالرومي ما كان ليكون بالأمر السهل.

باختصار، فإنَّ مقاطع عدة من «**المحادثات**» تُلقي الضوء على الأسئلة التي طُرحَت حول الرومي وشمس لقرون. إلَّا أنَّ تقديم تحليل شامل، يتجاوز بكثير نطاق المقدمة. يحدونا الأمل في أن يأخذنا هذا العمل لـ «أوميد صافي» في خطوة كبيرة نحو تحقيق ذلك. أنا لا أطرح هذه النصوص لتقديم أجوبة نهائية، وإنَّما ببساطة لفتح المجال للوصول مباشرة إلى شخصية كانت عظمتها المحفز الأساسي للكشف الخاص بالرومي. يُمكن للقراء الحكم بأنفسهم إذا ما كان شمس يستحقُّ مكانته الأسطورية أم لا، الأكيد هو أنَّ كلماته لا تخيِّب.

***

هناك مسألة تاريخية ينبغي أن أُعلّق عليها، نظرًا إلى معرفتي بكتابات شخصية مشهورة معاصرة لشمس، وهي «محي الدين بن عربي» الذي تُوفّي في دمشق في عام ١٢٤٠. في «**المحادثات**»، يذكر شمس اثنين من معارفه أكثر من غيرهما «باستثناء مولانا»، أحدهما «شهاب هروي»، والذي يدعوه أيضًا بـ «شهاب نيسابوري»، وهو على الأرجح «شهاب الدين نيسابوري»، أحد الطلاب البارزين للعالِم الفقيه والفيلسوف «فخر الدين الرازي» «المتوفى ١٢٠٩»، والذي كان شمس قد ذكره كذلك في بعض المناسبات(١). إنّ كلمة «هروي» أي من «هرات»، والتي قضى فيها «فخري الرازي سنواته الأخيرة القليلة في التدريس. أمَّا «نيسابور» فهي مدينة تبعد حوالي

مئتي ميل إلى الشمال الغربي من «الحيرة»، ومن المفترض أنَّ شهاب قد ترعرع فيها، لأنَّ شمس يذكر أنَّه كان يتحدّث لهجة أهل تلك المدينة.

اعتاد شمس حضور حلقات «شهاب الدين» في دمشق، وكان يصفه بانفعال كبير، فهو يعتبره «فيلسوفًا» وينتقد العديد من تعاليمه. يقول إنَّ جميع العلماء العظماء جاؤوا لرؤيته، إلَّا أنَّه لم يكن ليمدح حتى أشهر فلاسفة العصر. تُلمح إحدى الحكايات إلى أنَّه كان «شيعيًا»، بينما تروي لنا أُخرى أنَّ صديقه الشيخ محمد حلم به وفسّر الحلم بأنَّه قد تُوفي. في الصباح ذهب إلى منزله ووجد أنَّه قد خرَّ على كتبه.

كان «شيخ محمد» هو الشخصية الثانية التي غالبًا ما يذكرها شمس. يُعرِّف عنه أحد المقاطع على أنَّه «ابن عربي في دمشق». من المنطقي أن نتوقّع أنَّه إذا ما زار شمس العلماء في تلك المدينة، فلا بُدَّ أنَّه سعى وراء «ابن عربي»، والذي ظهر في وقت متأخر كواحد من أشهر العلماء والصوفيين في ذلك الزمن. قام شمس في مناسبتين بوصف «شيخ محمد» على أنه «جبل»، ونظرًا لأنَّ «ابن عربي» حُبي لاحقًا بلقب «الشيخ الأكبر»، فالأمر قد يدعم فكرة أنَّ هذا الشخص هو في الحقيقة «ابن عربي» المشهور. غير أنَّه يجب علينا أن نتذكّر أنَّه لم يكن مشهورًا للغاية في زمانه، ومضى دون أن يلحظه الكثير من المعاصرين المهمين، كما بيّن «الكسندر كنيش». إنَّ مصحح النص الفارسي «**المحادثات**» «محمد علي موحِّد»، شبه متأكد من أنَّ «شيخ محمد» و«ابن عربي» هما الشخص ذاته. كما كتب «أوميد صافي» مقالًا يدعم وجهة نظر «موحِّد». إلَّا أنَّ «فرانكلين لويس» أكثر ترددًا ويقول أنَّه «يرغب في تصديق» أنَّ «موحد» على حق.

من جهتي، لا أرى أدلة كافية للحكم لصالح هذا الرأي أو ذاك،

ولكن ينبغي ألَّا يغيب عن بالنا أنَّ «موحِّد» يرغب بشدة في أن يكون «شيخ محمد» هو «ابن عربي»، لأنَّ من شأن ذلك أن يزيد من أهمية هذه النصوص، على أقل تقدير. كما أنَّه سوف يُؤكِّد على النفور العام من «ابن عربي» الذي يبدو سمة ملازمة للمولويين الأوائل. على سبيل المثال يُخبرنا شمس أنَّه وعلى الرغم من أنَّ «شيخ محمد» كان «جبلًا»، إلَّا أنَّه إلى جانب «مولانا» كان كحصاة أمام لؤلؤة ١.٥٣. سوف يُسعد كثير من المحبين لـ «مولانا» أن يسمعوا من مُعلِّم الرومي ذاته أنَّ هذه الحصاة عديمة الأهمية هي «ابن عربي».

يروي شمس عددًا من المحادثات مع «شيخ محمد»، ومن السهل أن يكون العديد من العبارات التي يقتبسها قد قيل على لسان «ابن عربي»، كما أنَّها يُمكن أن تكون قد قيلَت من قِبل آخرين. أمَّا المقاطع الأُخرى فيبدو أنَّها لا تنتمي إلى «ابن عربي» الذي نعرفه من كتاباته. إنَّ الأدلة التي قدمتها روايات شمس ليست كافية بالنسبة إلينا لإصدار حكم قطعي بطريقة أو بأُخرى.

قد يسأل سائل: «إذن مَن تراه يكون «شيخ محمد»؟ أيُّ «جبل» كان في دمشق عدا «ابن عربي»؟ يستطيع المرء، اعتمادًا على «**المحادثات**»، أن يُجيب أنَّ شمس كان يعتبر «شهاب هروي» تقريبًا بأهمية شخصية مثل «شيخ محمد»، ولكن مَن كان «شهاب هروي»؟ لم يترك أثرًا تاريخيًا يذكر، على الرغم من كونه، في نظر شمس، أحد أعظم المفكرين في ذلك الزمن. علاوة على ذلك، كم «شيخ محمد» كان هناك في دمشق في عام ١٢٣٠؟ بالنظر إلى أنَّ «محمد» كان الاسم الأول الأكثر انتشارًا في العالم، لا ريب أنَّه كان هناك عدد لا بأس به. إنَّ حقيقة أنَّنا على هذه المسافة، نُفكِّر مباشرة في «ابن عربي»، لا تعني أنَّه كان «شيخ محمد» الوحيد الذي كان يُمكن أن يظهر بالنسبة إلى شمس بمثابة «جبل».

ما معايير العَظَمة في عيني شمس؟ يخبرنا مرارًا أنَّ الأولياء الأعظم يبقون مستترين، وكان يتعجب من أن تكون وظيفة الرومي تتمثل في الظهور علنًا. في أحد المقاطع، يُشير إلى أنَّه كان هناك أشخاص في مسقط رأسه «تبريز» جعلوه يبدو كأنَّه لا شيء: «كان هناك أشخاص أنا بينهم الأقل شأنًا، قاموا برمي محيطي بعيدًا مثل ركام سفينة مُلقى على شاطئ البحر. أنا كذلك ـ فكيف كانوا هم!». ٣.١٥٥

---

(1) كتب فيلسوف القرن الثالث عشر «الشهرزوري» عن الرازي: «كانت جلسته تتسم بالعظمة والفخامة. اعتاد أن يتصرف بزهو حتى تجاه الملوك. كان يجلس إليه «كاشي»، «مصري» و»شهاب الدين نيسابوري» وتلاميذ كبار آخرين. جلس بقية الناس في حلقات. كان يتحدث إلى التلاميذ الكبار وهم بدورهم يتحدثون إلى البقية». المرجع: «نزهة الأرواح».

النص والترجمة

طالما اعترفت الأدبيات العلمية حول الرومي بوجود «**المحادثات**». على الرغم من وجود عدة مخطوطات في «تركيا»، إلا أنَّها كانت عصيَّة إلى حدّ كبير معظم القرن العشرين، كما أنَّه من الصعوبة بمكان فك رموزها على وجه الخصوص. لقد تمَّ نشر طبعة هزيلة في «طهران» في عام ١٩٧٠، واستمرّ الوضع كذلك حتى عام ١٩٧٧حين بدأت طبعة جيدة في الظهور في المدينة نفسها والفضل يعود إلى الجهود الجبارة لـ «محمد علي موحِّد»، وقد نُشرت في مجلدين، صدر الثاني عام ١٩٩٠. يقع النص الأخير، باستثناء الملحقات، في حوالي ٥٥٠صفحة.

من بين علماء الغرب، كان «لويس» الوحيد الذي اطلع عن قرب على «**المحادثات**». في فصله الخاص بشمس، يُناقش الشخصيات الهامة المذكورة في النصّ، والضوء الذي يُلقيه الكتاب على العلاقة بين الرومي وشمس، من خلال ترجمته بعض المقاطع القصيرة. إلا أنه يبقى قسط كبير من الدراسة والتحليلات في انتظار القيام بها، أقلُّها لأنَّ «**المحادثات**» ليست كتابًا عاديًا. يطرح النصُّ الفارسي صعوبات من نوع نادرًا ما يعترضنا في النصوص المطبوعة.

أول ما ينبغي علينا أن نتذكّره عن «**المحادثات**» هو أنَّها لم تُكتب من قِبل شمس، وإنَّما قام شخص أو أكثر في حلقة الرومي المقربة بتدوين ملاحظات بينما كان شمس يتحدّث، وغالبًا وليس دائمًا، عندما كان الرومي حاضرًا. تمَّ حفظ المخطوطات التي سجلت هذه المحادثات، إلَّا أنَّه لم يتمّ تنقيحها كي تأخذ شكلها النهائي، فبقيَت مجموعات من الملاحظات العشوائية.

يُقدِّم كتاب «**فيه ما فيه**» للرومي والذي ترجمه «آي. جي. أربيري» على أنَّه محادثات الرومي the Discourses of Rumi ، نصًا مشابهًا إلى حدّ ما. إنَّها عبارة عن مجموعة من المناقشات التي تمَّ تسجيلها من قِبل واحد أو أكثر من جمهور الرومي، إلا أنَّ هذه المحادثات قد نُقِحت وقُدِّمت في نسخة منمقة، وأغلب الظنّ أنَّ النص عُرض على الرومي، الذي وافق على نشره. أمَّا بالنسبة إلى **محادثات** شمس، فالأكيد هو أنَّه لم يرَ قطّ نسخة نهائية، وحتى لو حصل، فلم يُكتب لها النجاة. رُبّما رأى بدايات نسخة منقحة، إذ يُخبرنا «موحِّد» أنَّ المخطوطات الست الأقدم تُقدّم نسختين. تُقدّم ثلاث من المخطوطات نسخة أطول إلى حدّ كبير وهي مجموعة من الملاحظات غير المنقحة، بينما تُقدّم الثلاث الأُخرى نسخة أقصر بكثير ومنقحة جزئيًا. شبه مؤكد أنَّ الطبعة الأقدم من النسخة القصيرة قد خُطَّت بيد ابن الرومي «سلطان ولد»، الذي يُحدِّثنا في كتبه عن حواراته مع شمس. يعتقد «موحِّد» أنَّ شمس قد رأى، وأقرَّ رُبّما أجزاء من النسخة القصيرة، على الرغم من أنَّها لم تكتمل قط. يعتقد كذلك أنَّ بعضًا من المقاطع المكتوبة بمنتهى السلاسة قد أملاها شمس رُبّما، ولم تُكتب ببساطة من قِبل شخص كان يستمع إلى المحادثة.

كرَّس «موحِّد» سنوات عدة للبحث عن المخطوطات القديمة الست، والعديد من المخطوطات الأحدث، ومصادر متنوعة أُخرى تقتبس من شمس، إلَّا أنَّ «**المحادثات**» لا تزال مجموعة مفككة من القصص والحكايات، وبضع نصائح تتراوح في الطول من جملة إلى أربع أو خمس صفحات. يُقرُّ «موحِّد» أنَّه قام بترتيب المقاطع عشوائيًا إلى حدّ كبير. نجد في معظم المقاطع ما لم يكن معظمها، مشكلات نصية، كما يصعب تفسير الكثير منها على كلِّ حال. تكمن الصعوبة إلى حدّ كبير في حقيقة أنَّ كلمات شمس عامية على نحو مثير للدهشة،

حتى مع استعماله قدرًا كبيرًا من اللغة الفنية المستمدة من القرآن، الحديث، الفقه، التصوف، الفلسفة، وعلم العقيدة. على نقيض الكتابة الرسمية، رُبّما لا تكون القواعد النحوية واضحة، أو قد تكون خاطئة ببساطة. الأهمُّ من ذلك، أنَّ السياق في العديد من المقاطع ضئيل أو حتى معدوم. غالبًا ما نجهل السؤال أو المسألة التي يُناقشها شمس، بالإضافة إلى أنَّ اللغة العامية أو الدعابة في بعض الأحيان قد تُصعِّب فهم ما يُحاول قوله، فهو يُحبُّ التحدّث في التلميحات والأمثال. ثمَّة قطع ناقصة واضحة وغير واضحة، نجهل أيَّها نابع من حقيقة أنَّ شمس كان يقفز من فكرة إلى أُخرى، وأيَّها نابع من حقيقة أنَّ كاتب الملاحظات عجز عن مواكبة المحادثة. في مقطع من المقاطع، على سبيل المثال، رُبّما كان هناك عدة دقائق من المناقشة تتخلل جملتين مدونتين، أو رُبّما حتى ساعات وأيام.

قام المحرِّر بتقسيم المقاطع مستخدمًا علامات الترقيم والفقرات، والتي هي أدوات غير معروفة في الفارسية السابقة للحداثة. عادة ما أحذو حذوه، ولكني أحيانًا لا أفعل، وخاصة في بنية الفقرة. يبدو لي أنَّ الجمل عادة ما تحتاج إلى أن تُقرأ باعتبارها رؤوس أقلام ضمن خطوط عريضة أكثر من كونها كلمات دقيقة ضمن النقاش. تُساعد الفقرات القصيرة في تسليط الضوء على حقيقة أنَّ هذه عبارة عن أفكار مختصرة.

يدور السؤال الأشد صعوبة في العديد من المقاطع حول مَن يُخاطب مَن على وجه التحديد. مع القليل من الاستثناءات، فأنا أتبع استخدام الضمائر كما هو مُبيّن في النص، دون محاولة استبدالها بالاسم المناسب. في بعض الأحيان، قد يتضمّن مقطع ما «قال» وأحيانًا «قلتُ». عادة ما يبدو أنَّ شمس هو المتكلم، ولكن حتى ضمير المُتكلّم يُمكن أن يُشير إلى شخص أخر. في بعض المقاطع هناك

متحدثين اثنين يُشار إليهما «هو»، يبدو أنَّ أحدهما هو الشخص الذي يتوجّه إليه شمس بالكلام، إلَّا أنَّه ليس من الواضح دائمًا هذا من ذاك. في كثير من الأحيان يُخاطب النص «أنت» وقد يكون ذاك هو الرومي وقد لا يكون. في بعض النصوص «المقطع الأخير في الكتاب، على سبيل المثال»، يُخاطب شمس صراحة أشخاصًا عدا الرومي. لا نستطيع التأكد من أنَّ المخاطب هو الرومي حتى وإن ذُكر اسمه في المقطع. ينبغي علينا كذلك أن نضع في الاعتبار، كما يُخبرنا المحرر، أنَّ المخطوطات تحوي الأحرف الأولى بدلًا من الأسماء الفعلية، وهذا يزيد من احتمال أن يكون المحرر قد أساء قراءة أو تفسير مقطع من المقاطع.

على الرغم من كلِّ الصعوبات النصية في «**المحادثات**»، سوف يتفق القراء على أنَّ طبعة «موحِّد» قد قدمت خدمة كبيرة لطلاب الرومي. للمرة الأولى نسمع صوت شمس. لا تُشِّع النصوص بالأصالة وحسب، بل كذلك بنار الحُبّ التي ألهمَت شعر الرومي. ما كان لأحد سوى الأسطورة «شمس» أن يقول الكثير من هذه الأمور، فالبعض منها أكثر من مثير للعجب. على أيِّ حال، ليس هدفي الدفاع عن صحتها. ذاك، على ما أعتقد، أمر تُثبته الكلمات في حدّ ذاتها، وليس فقط من خلال مصدر المخطوطات. إنَّني أُقدِّم هذه النصوص ليس تمامًا لأنَّنا حظينا أخيرًا بـشمس الدين التبريزي وهو يتحدّث عن نفسه، بل لأنَّ شمس الذي يتحدّث هو شخصية مذهلة. إنَّه يستحقُّ أن يُقرأ من قِبل كلِّ من يُقدِّر الرومي أو يتذوّق التصوف. في الحقيقة، كنتُ سأُسعد بترجمة «**المحادثات**» حتى لو كان الكاتب شخصا آخر، إذ لا تحتاج النصوص إلى ختم موافقة الرومي.

باشرتُ أعمال الترجمة في أيلول «سبتمبر» ٢٠٠١، في البداية دون فكرة واضحة عمَّا أنوي فعله بالمنتج النهائي. لفترة من الزمن

اعتقدتُ أنّني رُبّما أكتب مقالة أو اثنتين، أو أجمع كتابًا صغيرًا حول تعاليمه. في البداية لم يتبيّن لي أنَّ هناك مادة مترابطة بما يكفي لإصدار كتاب كبير. أصبحتُ في نهاية المطاف أكثر اعتيادًا على أسلوب وخصائص النص. فقد خضتُ في مجلدين وقمتُ بترجمة كلِّ مقطع داعب خيالي ـ والتي هي أغلب المقاطع. لم أُجرِّب مع بعض المقاطع لأنّني عجزتُ عن فهم ما يجري. بدأتُ بمقاطع أُخرى ثمّ تنحيّتُ في منتصف الطريق، مصطدمًا بجدار حجري. حافظتُ في معظم الأحيان على المقاطع مرتبة في الوحدات التي رتبها المحرر. في عدد ضئيل من الحالات لم أُدرج سوى جزء من المقطع أو قسَّمتُ المقطع إلى جزأين أو ثلاثة، واضعًا إياها في أجزاء مختلفة من الكتاب. تُقدّم لنا النتيجة النهائية حوالي ثلثي «**المحادثات**». يغصُّ معظم ما تبقى بمشاكل نصية جدية، لم أكن على استعداد لقضاء أشهر أو سنوات في محاولة حلها.

قمتُ بترتيب النصوص في ثلاثة أقسام: الأول: حياة شمس قبل لقائه مع الرومي، الثاني: تعاليمه، الثالث: الوقت الذي قضاه في «قونية». وضعتُ قسم التعاليم قبل قسم «قونية»، لأنَّ معظم ما يقوله شمس في المقاطع عن الطريق إلى الإله، والتي كان يُخاطب فيها «مولانا» أو حلقته، يتمّ توضيحها في مكان آخر، ولو وضعتُ المادة الأكثر شخصية قبل المادة العقائدية، لاحتجتُ إلى إضافة قدر كبير من الشرح الإضافي والإشارات المرجعية.

حاولتُ أن أجعل الترجمة حرفية ما أمكنني، ولكن دون إلحاق ضرر باللغة الانكليزية السهلة. إذا حاد الأسلوب عنه في المواد الأُخرى التي قمتُ بترجمتها، وخاصة في استخدامه للتعابير العامية، فذلك بسبب الطبيعة الشفوية للأصل، وليس لأنَّ فلسفتي في الترجمة قد تغيّرَت. إنَّ الفارسية لغة واقعية، إذ عادة ما تكون الجمل بسيطة

وأحيانًا غير مكتملة، والتكرار فيها أمر عادي، ومن الشائع وجود أوجه لعدم الاتساق.

غالبًا ما أُترجم المصطلحات العامية حرفيًا بدلًا ممَّا يُوازيها في الإنكليزية. خاصة عندما لا يكون واضحًا تمامًا ما يعنيه المصطلح، كما يحدث في كثير من الأحيان. قد تُوفّر القواميس تفسيرات وقد لا تُوفّر، كما أنَّ هناك العديد من التعابير والكلمات التي لا تُستخدم بالضرورة بالمعاني العادية. يُقدّم «محمد موحُّد» فهرسًا من ثلاثين صفحة «للكلمات والتعابير الاستثنائية. عندما تكون المشاكل النصية بسيطة نسبيًا، أكتفي بترجمتها بدقة قدر المستطاع، غير آبه إذا ما كانت النتيجة مترابطة تمامًا أم لا. نأمل ألَّا يفترض القراء أنَّ نقاط الإبهام هي ببساطة خطأي، على الرغم من أنَّها قد تكون كذلك في العديد من الحالات.

إنَّ بعض المقاطع في «**المحادثات**» أتت باللغة العربية، ووُجد بعضها في نسخ من اللغتين العربية والفارسية كلتيهما. يعتقد المحرر أنَّه في الحالة الثانية تمّ تسجيل المحادثات باللغة العربية، ثمَّ تمَّت ترجمتها إلى الفارسية، على ما يبدو من قِبل الشخص المسؤول عن النسخة شبه المنقحة للنص. على أيِّ حال، فإنَّ أسلوب المقاطع المترجمة مشابه تمامًا لأسلوب النصوص التي ليس لها نسخ عربية، فاللغة العربية في حد ذاتها تمتلك إشارة مرجعية عامية لها.

قمتُ بتحديد جميع الجمل العربية بالخط الغامق، وحين يكون المقطع من القرآن فإنَّني أُشير إلى الجزء والآية ضمن قوسين. بالنسبة إلى مصادر الاقتباسات الأُخرى فهي مُدرجة ضمن الملاحظات الخاصة بكلِّ فصل، أو في فهرس الأحاديث النبوية والأقوال. يتم شرح الأسماء الصحيحة والمصطلحات الفنية المهمة في فهرس

المصطلحات.

سوف يُلاحظ القارئ أبيات عَرَضية من الشعر، ومن غير المرجح أن يكون شمس هو المؤلف لأيّ منها، فبعضها أبيات شعر مشهورة لعبَت دور الأمثال، والكثير منها رباعيات فارسية، نموذجية عن «الرباعيات العائمة» المعروفة جيدًا من قبل العلماء، وهي قصائد مجهولة المصدر تظهر بنسخ مختلفة اختلافًا طفيفًا في دواوين شعرية لعدة شعراء. على الرغم من وجود العديد منها ضمن رباعيات الرومي في ديوان «**شمس الدين التبريزي**»، إلَّا أنَّ هذا لا يعني أنَّ أيّ من الرومي أو شمس كان المؤلف. لا ريب في أنَّها تُشير إلى أنَّ الرومي لم يكن كذلك، فهو سمع الأبيات من شمس، واستشهد بها فيما بعد في بعض المناسبات، ثمّ قام أحد مريديه قام بكتابتها حين نطقها فمه. إنّ معظم القصائد التي يُعرف مؤلفها هي لـ «سنائي الغزنوي» «توفي ١١٣١»، و الذي كان لدى شمس الكثير ليقوله عنه.

***

تعود بدايات إدراكي لوجود «المحادثات» إلى حوالي العام ١٩٦٨، عندما كنتُ طالب دراسات عليا في الأدب الفارسي في جامعة «طهران». تلقيّتُ دورة عن كتاب «المثنوي» للرومي لدى «بديع الزمان فوروزانفر» المتوفى ١٩٧٠، وهو محرر «ديوان الرومي» وكتاب «فيه ما فيه « وهو على الأرجح أعظم حجَّة معاصرة في مقامه التاريخي والأدبي. طرحتُ عليه ذات يوم سؤالًا في الفصل حول القراءة الصحيحة لبيت من الشعر. مع ملاحظته على لكنتي الأمريكية، سألني إذا ما كنتُ أرغب في إعطائه دروسًا باللغة الإنكليزية، فقبلتُ بسرور. كنتُ أذهب إلى منزله مرة أو مرتين لعدة أشهر وكنا نقوم بالتمارين الأساسية، تتخللها غالبًا محادثات طويلة.

حدّثني يومًا عن **محادثات** شمس، والتي يملك نسخة مخطوطة منها. قلتُ إنَّها تبدو كموضوع رائع لأطروحة دكتوراه. أخبرني بلطف أنَّه لم يكن عملًا يُناسب طالب دراسات عليا. بل يحتاج إلى عالم صوفي كبير وحائز على درجة الماجستير في الأدبين العربي والفارسي، وحتى هو نفسه لم يكن ينوي تكريس كلِّ السنوات التي قد يتطلّبها فرز المخطوطات وجعلها مفهومة.

عندما ظهر المجلد الأول من طبعة «موحِّد» عام ١٩٧٧، كنتُ لا أزال في طهران، سارعتُ على الفور إلى اقتناء نسخة. عندما عدتُ إلى «الولايات المتحدة»، استفدتُ منها في مقال كتبته عن الرومي والذي تمّ نشره أخيرًا عام ١٩٩٠، ولكن في السنوات القليلة الماضية، لم يكن لديّ أيُّ نية للعمل على الكتاب، ولم أُكلِّف نفسي عناء اقتناء المجلد الثاني من طبعة «موحِّد».

أنا مدين بقرار إقدامي على هذه الترجمة إلى «كاميل»، «كبير هيلمينسكي»، وأنا في غاية الامتنان لهما. في آب ٢٠٠١، قاما بدعوتي وزوجتي بمثابة أصحاب خبرة إلى «معتزل صوفي» في دير جميل في «سان خوان بوتيستا، كاليفورنيا»، وخلال إقامتنا لأسبوع واحد، عرضَت لي «كاميل» بضع صفحات من ترجمة إنكليزية «**للمحادثات**» نفذها د. «رفيق ألغان» وإيَّاها استنادًا إلى ترجمة تركية للكتاب. أدركتُ أنَّ هذا تفسير قيِّم للنص على أساس التقاليد المولوية الحيَّة. عندما طلبَت مني ترجمة بضع مقاطع من أجل المجموعة مباشرة من الفارسية، كنتُ مسرورًا بتلبية ذلك. بعد أن فعلتُ، أُسِرْت، ولولا تلك اللحظة المواتية عندما سلمتني «كاميل» النص الذي ترجمه د. «ألغان»، لما أصدرتُ الكتاب دون أدنى شك في هذا التاريخ.

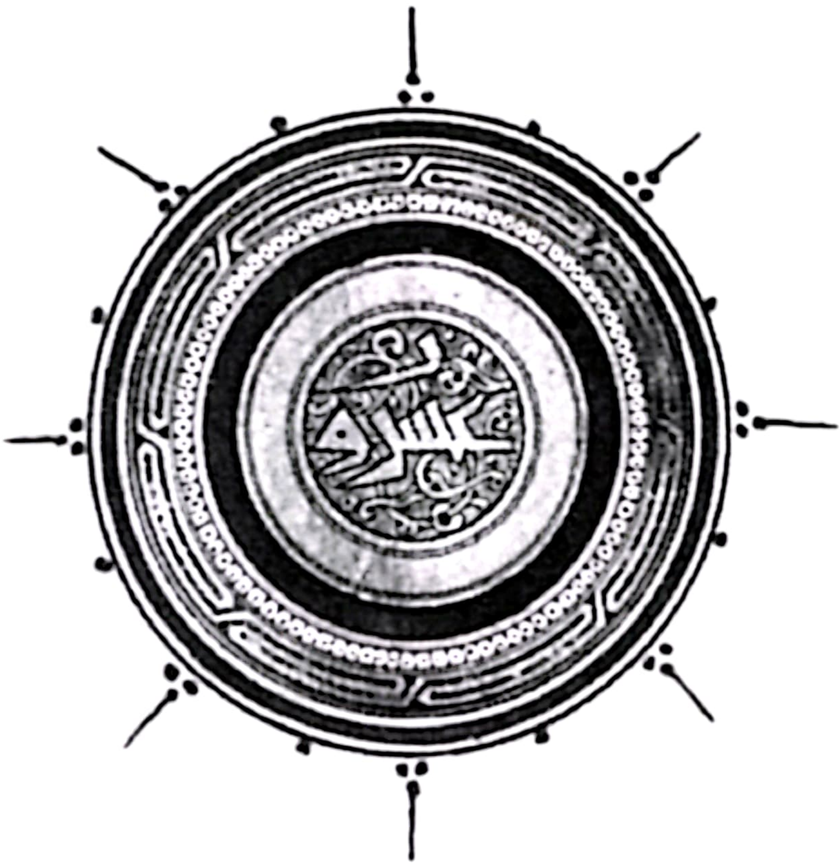
بينما كنتُ في مرحلة وضع اللمسات الأخيرة على هذا الكتاب،

تلقيّتُ خبر وفاة «آن ماري شيميل». خلال محادثتي الأخيرة معها في يوم عيد الميلاد في ٢٠٠٢، تحدّثنا كثيرًا عن شمس، وذلك لأنّها كانت قد أنهَت للتو قراءة مسودة هذا الكتاب. كانت البروفيسور «شيميل» من أكبر المعجبين **بمولانا**، وقد كانت دراستها المتميزة عن حياته وعمله معروفة لكلٍّ من لديه اهتمام جدي بالرومي، إذ يُشير عنوان كتابها «شمس المنتصر» The Triumphal Sun بطبيعة الحال إلى شمس. تجلّى انتصار شمس واضحًا في شخص الرومي، وتردد صداه على مدى القرون. إنَّ حياة البروفيسور «شيميل» هي الأشد وضوحًا من بين تجليات انتصاره المستجدة.

«ويليام سي تشيتيك»

جبل سيناء ـ نيويورك

٢شباط «فبراير»، ٢٠٠٣



ما هي الغاية القصوى من الحاجة؟

العثور على ما ليس له حاجة .

ما الغاية القصوى من الطلب؟

العثور على المطلوب.

ما الغاية القصوى من المطلوب؟

العثور على الطالب.

سنواتي دون مولانا

الطفولة

١

يقول بعض الحكماء: إنَّ الروح أبدية، ويقول آخرون: إنَّها «قادم حديث العهد»، أي أنَّها لم تكن في البداية، ثمّ ظهرَت إلى الوجود. مع ذلك، مضى زمن ليس بقصير منذ أن كان هناك التقاء للأرواح. إنَّ الأرواح جنود ذوي رتب، إلَّا أنَّ هذا الالتقاء يشمل جميع الفئات، فرواد الحانات لهم اجتماع كما لصانعي الفساد. إلَّا أنَّني هنا أتكلم عن الاجتماع بين الأرواح، فعلم الإله محيط بكلِّ شيء.

إلا أنّ هذا الاجتماع يكون مع الإله كذلك. لا ريب في «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا» «النحل ١٢٨». و»هو» يقول: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا «التوبة ٤٠» إذن في حال كانت روح التتري في بداية خلق طبيعته تألفنا في هذا الاجتماع، فسوف تألفنا اليوم، وتألف «عماد» كذلك.

خاطب الإله هذا الجمع قائلًا: «إنِّي جاعل خليفة من ماء وطين، وسأجعلكم من سلالته في عالم من ماء وطين».

قالوا: «إلهنا، نحن في راحة معك في هذا العالم من التآلف. نخشى أن نُصبح مشتتين ونبقى بعيدين عن هذا؟.

قال: «أعلم أنَّكم لا تقولون هذا بدافع الاحتجاج والفظاظة. إذن لوذوا بي، لا تخافوا من فقدان اجتماعكم. اعلموا أنَّني كامل السلطان، وسلطتي لا يشوبها ضعف. في سرِّكم وجهركم، سوف

أجمّعكم وأهبكم المودة والألفة فيما بينكم». ٧٠٣- ٤

٢

فيما وراء عالم الماء والطين، خلف تلال المجهول، كنَّا مندمجين فيما بيننا مثل يأجوج ومأجوج. فجأة، ارتفعنا من هناك وهبطنا لدى صدور الأمر»اهْبِطُوا» [البقرة:٣٦]! تراءى لنا من بعيد ملخص عالم الوجود. من بعيد، لم تكن ضواحي المدينة والأشجار واضحة. بالطريقة ذاتها لم نرَ خلال مرحلة الطفولة شيئًا من هذا العالم، بل تحقق ذلك رويدًا فرويدًا. بدأ أذى السُّمّ والفخّ في التسلل إلينا تدريجيًا، ثمّ غلبت نكهة الطُعم معاناة الفخ. وإلَّا لكان الوجود مستحيلًا.٢٤٧

٣

أتيتُ إلى هذا العالم لأتأمل من حولي، سمعتُ كلمات دون «ك ل م ا ت» وكان هناك كلام دون «ك ل ا م». كنتُ أسمع كلمات من هذا الاتجاه. قلتُ للكلام الخالي من الحروف: «إذا ما كنتَ أن الكلام، فما هذه؟».

قال: «بالنسبة إليّ هي بمثابة ألعاب».

قلتُ: «إذن أرسلتني إلي ألعاب؟».

قال: «كلا، أنت أردتها. أردتَ أن يكون لك بيت في الماء والطين، وظننتَ أنني لا أعرف ولا أرى؟».

بعدها سمعتُ كلَّ الكلمات، و كنت أتطلع إلى مستوى أعلى من كلِّ الكلام. ٧٠٢

٤

عندما كنتُ طفلًا، حدثت معي واقعة رائعة، لم يكن أحد يدري ما بي. لم يكن أبي يدري بحالي، بل كان يقول: «أولًا، أنت لستَ مجنونًا، و أنا لا أعرف ما الذي يحدث معك، إذ ليس لهذا علاقة بالتربية والانضباط، وهو ليس كذا أو كذا».

قلتُ: «اِستمع إلى كلمة واحدة مني، أنتم معي مثل بيضات بطة وُضعت تحت دجاجة(2)»، رعتها الدجاجة، ، ثم ظهرَت فراخ البطة. عندما أصبح فراخ البطة أكبر بقليل ذهبوا مع أمهم إلى حافة الجدول ونزلوا إلى الماء. كانت أمهم دجاجة. ركضت على حافة الجدول مع عجزها عن النزول إلى الماء. الآن يا أبي، إنِّي أرى المحيط وقد صار مطيتي، وأمسى موطني وبلدي. إذا كنتم مني أو أنا منكم، فادخلوا في المحيط، وإذا لم يكن كذلك، فعودوا إلى خمِّ الدجاج، هل ذاك هو المكان الذي أنتم عالقون فيه؟».

قال: «إذا كنت كذلك مع الأصدقاء، فكيف تكون إذا مع الأعداء؟». ٧٧

٥

لم أسمح لأبي البتة أن يرى ظاهر طاعاتي. كيف لي أن أرغب في إظهار جوهري ومكنوني كان رجلًا طيبًا وكان صاحب شهامة. إذا ما تحدثتَ أمامه ببضع كلمات، بللَت الدموع لحيته على الفور، ولكنَّه لم

يكن عاشقًا. الرجل الطيب شيء والعاشق شيء آخر. ١١٩

٦

كان خطأ أمي وأبي في تنشئتي على اللطف الشديد. عندما تُحدث القطة فوضى وتكسر الإناء، لم يكن والدي يضربها أمامي أو يقول أيَّ شيء، بل يقول ضاحكًا: «ماذا فعلتِ هذه المرة؟ حسنًا كان هذا قدرًا، وقد أُنفذ بهذه الطريقة. لولا ذلك، رُبّما سقط الإناء عليك، أو عليَّ، أو على أمك(3). قدَّر الرب علينا الأذى لكنَّه أجراه بلطف».

إنهم يصنعون بالتملُّق من القصب حلوى،

من دودة القز يصنعون الحرير على مدى الأيام.

اِجعل من التأني تجارة لك، تحلَّ بالصبر

فمن العنب يصنعون الحلاوة مع مرور الوقت(4). ٦٢٥- ٢٦

٧

كان هناك رجل مجنون يتحدّث عن أشياء غير مرئية. كلَّما حاولوا وضعه في منزل، وجدوه في الخارج. ذات يوم تولّى عني والدي وراح يتحدّث إلى بعض الناس. توجّه الرجل نحوه غاضبًا، وقد رفع قبضته إلى الوراء. قال وهو يُشير إلي: «لولا هذا الطفل، لأخذتُك ورميتُك في النهر». كان ذلك نهرًا يتدفّق في الصحراء المالحة وقادرًا على جرف فيل. ثمّ التفت نحوي وقال: « كُن سعيدًا!» ثم حيَّاني وذهب.

لم أخسر يومًا في لعبة النرد ـ ليس نتيجة المحاولة، بل بالفطرة.

لا تبقى يداي مشغولتين بأيِّ شيء. حيثما كان هناك وعظ ، كنتُ أذهب. ١٩٦

٨

في داخلي ثمَّة أنباء جيدة.

أتعجب من هؤلاء الناس كيف بلغوا سعادتهم دون هذه الأنباء الجيدة. حتى لو قُدِّمت لهم تيجان من ذهب لا ينبغي لذلك أن يُرضيهم: «ماذا ينبغي بنا أن نفعل مع هؤلاء؟ نحن في حاجة إلى الانفتاح من الداخل. فليأخذوا بعيدًا كلَّ ما نملك وليعطونا ما يخصّنا في الحقيقة».

عندما كنتُ طفلًا، كانوا يقولون لي: «لمَ أنت حزين؟».

هل تريد ملابس؟ مالًا؟».

كنت أقول: «ليتهم يأخذون حتى الملابس التي أملك، ثمَّ يُعيدوني إلى ذاتي؟». ٢٣٦

٩

خلال نشأتي، وأنا لم أصل بعد إلى سن البلوغ، ذهب الحُبّ بشهيتي للطعام لثلاثين أو أربعين يومًا. عندما كانوا يتحدثون عن الطعام، كنتُ أضع يدي على فمي هكذا، وأُبعد رأسي. نعم، عجيب ذاك

الأوان. كانوا يُقدّمون لي لقمة من الطعام، فأقبلها بكلِّ تهذيب، ثمّ أُخفيها في كمّي.

مع عشق كهذا، استولت رفقة حضرته النورانية عليّ في «سما». كان يُحرّكني مثل عصفور صغير. مثل شاب قوي لم يذق الطعام لثلاثة أيام، ثمَّ وجد رغيف خبز، يقبض عليه ويُقطّعه بسرعة وخفة. كنتُ مثل ذاك العصفور في يده. كانت عينيَّ كطبقين مليئين بالدم. كنتُ أسمع صوتًا يقول: «لا يزال غرًا. اتركوه في زاوية من مكان ما حتى يتمكّن من إحراق نفسه! الآن، لا سمح الله، إذا ما جلبتَ عاهرة من الحانة ـ لوجدتني أمهر منها في الرقص وأسرع مئة مرة. عندما يبدأ رجل مُخلص بالرقص، فإنَّ السموات السبع، والأرض، وجميع المخلوقات تبدأ بالرقص. إذا قام محمَّدي بالرقص في الشرق(5) وكان هناك محمَّدي آخر في الغرب، فسيرقص هو الآخر وباستمتاع. ٦٦٧ - ٧٨

١٠

كان الجدال يدور حول أنَّني فقدتُ شهيتي في الصغر. رُبّما تمضي ثلاث وأربع أيام دون أن أتناول أيَّ طعام، ليس بسبب كلام الناس، وإنَّما بسبب كلمات الإله الذي لا نعرفه من خلال كيف ولماذا. كان والدي يقول: «آه يا ولدي المسكين!»، وكانت أمي تقول: «إنَّه لا يأكل أيَّ شيء»

كنتُ أقول: «على الرغم من كلِّ ذلك، لم أضعُف. إنَّ قوتي تُمكنني إن شئتم من الطيران من النافذة كعصفور». كانت تغلبني كلَّ أربعة أيام حالة بسيطة من الخمول، ثمَّ تمضي. ولا لقمة طعام تدخل جوفي.

«ماذا حصل لك؟».

«لا شيء. هل أبدو لك مجنونًا؟ هل مزقتُ ثياب أحد؟ هل قفزتُ عليك؟ هل مزقتُ ثيابك؟».

«لكنَّك لا تأكل شيئًا».

«لن آكل شيئا اليوم».

«ماذا عن غد أو بعد غد، أو اليوم الذي بعده؟».

ماذا يعني «الولد التافه من مدينتك»؟ كان والدي يجهل كلَّ شيء عني. كنتُ غريبًا في بلدتي. كان والدي غريبًا عني، وكان قلبي يخشاه. كنتُ أتخيّل أنَّه سوف يقفز علي، وكان يُحدثني بكلمات لطيفة، وأنا أتخيل أنَّه سوف يضربني ويرميني خارج المنزل.

كنتُ أقول: إن كان معناي قد وُلد من معناه، فلا بُدَّ لهذا أن يكون نتيجة ذاك. لا بُدَّ أن يُصبح الأمر مألوفًا بالنسبة إليه، وأن يكتمل. بيضة بطة تحت دجاجة!»، فتنهمر الدموع من عينيه». ٧٤٠- ٤١

١١

رأيتُ المنزل والبلدة بأكملها يطوفان حوله، وفي داخل حدودها كان هناك نور مضيء، يعجز اللسان عن وصفه. نظرتُ إلى أعلى ولم أر سقف المنزل. في تلك الحالة، قال لي والدي:»علي، يا ولدي؟»، ومثل جدولين، فاضت عيناه بالدمع المختلط بالدم. لقد أراد في هذه الحالة أن يقول شيئًا آخر، ولكنَّه لم يقوَ على الكلام وزادَت الحمى، ثم مضى». ٢٦٨

(2) معي مثل بيضات بطة. قارن قصة الرومي عن فراخ البط التي ربتها دجاجة M It 3766 ff.

(3) رُبّما سقط الإناء عليك. يشرح الرومي كيف أنَّ الابتلاءات الصغيرة تمنع الابتلاءات الكبيرة في قصة الرجل الذي سأل موسى أن يعلمه لغة الجمادات. (MV 3266

(4) بالتملق يصنعون من القصب. الرباعيات #٦٨٩.

(5) قام محمّدي بالرقص في الشرق. قارن المقطع ٣. ١٨٠.

مهنتي في التعليم

١٢

كان لدي مجموعة من التلاميذ. كنتُ أحدثهم بغلظة، بدافع من اللطف والموعظة الحسنة. كانوا يقولون: «عندما كنَّا أطفالًا معه، لم يُنادينا قط بهذه الأسماء السيئة، لعله أصبح سوداويًا؟».

كنتُ أُدمّر كلَّ ذاك الجفاء. ٦١٥

١٣

كان هناك ولد يُصغي إلى كلامي. كان لا يزال فتيًا، وكان يترك أمه وأباه ويتشبث بي كامل اليوم. كان يقول: «فليكن إحساني هو تعلقي بك». كان والده والدته يبكيان ويرتجفان، وكان يخشى من أن أُدرك ذلك وأتجنبه.

ازداد الأمر سوءًا. كان يجلس نهاره كلَّه ورأسه فوق ركبتيه. كان يُهاجم والديه إلى درجة أنَّهما لم يجرؤا على إبداء أيِّ اعتراض .

كنتُ في بعض الأوقات أُنصِت لدى الباب لأسمع ما كان **لديه** ليقوله. سمعتُ هذه القصيدة:

في طريقك يأتي العشاق ويذهبون

يتدفق دم الكبد من عيونهم ويذهبون.

أنا ملازم لبابك دائمًا، كالتراب.

يأتي آخرون ويذهبون مثل الرياح(6).

قلت : «كرر ذلك. ما الذي قلته؟».

قال: «كلا».

تُوفي في الثامنة عشر من عمره. ٢٠٩-١٠

١٤

حسنًا، كم كنتُ جيدًا في تعليم الأولاد! عندما يأتيني ولد، أقول لوالده: «لماذا أحضرته؟ هل بسبب أنَّك تعاني معه في الحفظ، أم لأنَّك سئمتَ من مراقبته؟»

إذا قال: «نعم، إنَّه يلعب في الشوارع ومن الأفضل له أن يُجالس الأطفال»، لا يكون مني إلَّا أن أحبس قدميّ الولد، وأضربه أمام والده، ثمَّ أطرد كليهما خارج المدرسة.

إذا قال: «أحضرتُه لعلَّك تعلِّمه». فسأقول: «سوف يتحتم عليَّ ضربه. فإذا ما أتاك وقد فُجَّ رأسه أو كُسرَت قدمه، فهل ستقول له: لماذا ضربك؟».

إذا قال: «نعم» سأقول: «اذهب بعيدًا، الله معك، وخُذ الصبي»، أمَّا إذا قال: «الأمر لك، اِضرب واقتل كيفما شئت»، سوف يكون الولد

قد سمع ذلك، ويُدرك أنه لا مهرب له ولا مكان يلوذ به سوى إطاعة المعلم، وأنَّه لن يُجالس الفقراء أو يأكل الحشيش، ولن يفعل أيَّ شيء آخر ـ حينها إذا كان ولدًا بعمر ثمانية أو تسعة أعوام ممَّن لم تتفتح عيناه بعد، ولا يعرف سبيلًا للهرب، وممَّن ليس لديه فكرة عن الفرار أو السفر أو الشقاق، فسيتعلّم كلَّ ما أُمليه عليه. علّمتُ ولدًا القرآن كاملًا في ثلاثة أشهر في مدينة «إيرزيرم».

قلتُ: «سوف أُعلّمه في ثلاثة في أشهر»، وأخبرته أنَّه يجب أن يُعطيني مئتي درهم».

قال: «سأشتري لك عمامة بمئتين».

قلت: «كلا، أُريدك أن تُعطيني مئتي درهم». ٣٤٣

١٥

علَّمت ذلك الولد القرآن في غضون ثلاثة أشهر كما قلتُ. «قبل أن يُتمَّ الثلاثة أشهر، لا تسأله عن شيء ممَّا تعلمه. إذا سألته، سيكون ذلك خطؤك»، وكذلك فعل. كان الولد قد ذهب إلى المدرسة لسنتين، وكان قد تعلّم فقط الجزء الأخير، الثلاثين، من القرآن، ولكنه لم يتمكّن منه بعد.

في تلك الجلسة بدأ الولد بتلاوة القرآن. كان والده مندهشًا. كان يقول: «هل أنت ولدي؟».

قال: «نعم».

قال: «دعني أتأملك جيدًا».

قال: «اِنظُر بتمعن».

هناك على الجانب الآخر بدأت أمه بالبكاء، ثمّ سقطَت مغمى عليها. كانت قد أمضَت حياتها كخادمة، وأمسى لديها الآن عشر خادمات يقمنَ على خدمتها.

عوضًا عن مئتين، أعطاني خمسمئة درهم.

كان كثيرًا ما يقول: «نم هنا في منزلنا»، فأقول: «سوف يظن بنا الجيران الظنون، زوجة جميلة وولد جميل»، كما أخبرته بالطبع أنَّني لا أُريدهم أن يُثيروا أيَّ اتهامات.

قال: «أيُّ اتهامات؟ مَن هم هؤلاء الناس؟». ٣٤٠

١٦

بينما كنتُ أُدرِّس، أحضروا لي طفلًا مرحًا عيناه حمراوان، وكأنهما بقعتا دم متحركتان. دخل علينا وقال: «السلام عليكم، يا مُعلّم! هل أستطيع أن أُنادي للصلاة؟ إنَّني أملك صوتًا نديًا. هل يُمكنني أن أكون مساعدك؟ أجل؟. ثمّ جلس.

اشترطتُ على والده ووالدته ألَّا ينزعجا في حال أتاهما ويده مكسورة. قالا: «من رفقنا بولدنا، يمنعنا قلبنا من ضربه بأيدينا. لكن إذا فعلت أنت هذا، فلا لوم عليك على الإطلاق. سنكتب ذلك خطيًا. لقد طفح بنا الكيل من هذا الطفل.

أحنى كل الأطفال في مدرستي رؤوسهم. أمَّا هو فكان كشخص مشغول البال، يبحث في كلِّ مكان عمَّن يُشاركه اللعب والمزح، ولكنه لم يرَ أحدًا يُفسح له المجال. كان يقول في نفسه: «من أيِّ طينة هؤلاء البشر؟ سحب شعر أحدهم خفية، وعذب آخر سرًا كذلك. جلسوا بعيدًا عنه، ولكنهم لم يجرؤوا على توسيع نطاق الشجار.

تظاهرتُ أني جاهل تمامًا، قلتُ: «ما الأمر؟ لماذا تتحرك؟».

قال: «لا شيء يا مُعلّم. كان هناك شخص ما يُشير إليه من الخارج». صرختُ فخاف.

نهض قبل صلاة العصر: «سأذهب الآن يا مُعلّم، أبكر قليلًا، فأنا ما زلتُ جديدًا».

أتى في اليوم التالي. قلت: «ماذا قرأتَ؟».

«وصلتُ إلى سورة الطلاق».

قلت: «أحسنتَ. تعال واقرأ».

فتح المصحف أمامي، وبسبب عجلته تمزقَت الصفحة. قلتُ له: «كيف تحمل المصحف؟!»، ثمَّ صفعته، كانت ضربة أوقعته أرضًا، تبعتها أُخرى ثمَّ قمتُ بشدِّ شعره، كنتُ أشده إلى الأعلى، وخدشتُ يديه بحيث سال الدم: «دعوني آخذه إلى عمود التشهير!».

اتصلتُ سرًا بالمدير، وكان فيما بيننا إشارات خاصة. أتى ليكون بمثابة واسطة. حيَّاني إلَّا أنَّني لم أعره اهتمامًا. كان الطفل يُحدّق: «يا

إلهي! أهكذا يُعامل المدير!».

قلتُ: «لماذا أتيتَ؟».

قال: «أردتُ رؤيتك، ولذلك أتيتُ»، بينما راح يتحدث كان الطفل يختنق في سرِّه. أومأت للمدير بما يعني «تشفَّع له!»، عضَّ على شفتيه بمعنى: «عندما أجد الفرصة المناسبة».

ثمّ قال: «أنا هنا. لا تخف بعد الآن. انتظر قليلًا». ثمّ قال: «اِسمح لي أن أُطلق سراحه»، إلا أنَّني بقيتُ صامتًا. أتى حمال وأخذه إلى منزله، ولم يخرج من منزله لمدة أسبوع.

باكرًا في اليوم التالي، وبينما كنتُ أُصلي. أتى والده ووالدته. انطرحا عند قدماي وقالا: «كيف لنا أن نشكرك؟ لقد عدنا إلى الحياة».

قلتُ: «رُبّما لن يأتي مجددًا».

باختصار، أتى بعد أسبوع. أغلق الباب، ثمّ انسلّ خلسة ليجلس بعيدًا مرتجفًا من الخوف. ناديتُ عليه ليقترب: «اِجلس في مكانك». هذه المرة حمل المصحف بأدب، فقد تعلّم الدرس جيدًا، وقام بالتلاوة باحترام أكثر من أيِّ شخص آخر.

بعد عدة أيام كان قد نسي، قال أحدهم أنه رآه يلعب النرد في الخارج. ويا ليت الواشي لم يش!. ذهبتُ إليه وتبعني الصبي الذي وشى. التقطت عصا لأرهبه وليس لأضربه بها.

كان الصبية قد ملئوا المكان وانشغلوا باللعب. كان ظهره في اتجاهي، وكنتُ أقول: «ليته يراني ويهرب؟». كان جميع الأطفال غرباء، وكانوا يجهلون تمامًا وضعه بالنسبة إلي، وإلّا لأخبروه أن يهرب. كادت روح الطفل الذي يتبعني أن تخرج وقد تلوّن بألف لون. كان يأمل أن يلتفت الصبي نحوه حتى يُومئ له بالهرب. كان ظهره في اتجاهنا، وكان مستغرقًا في اللعب. وقفتُ مقابله وقلتُ: «السلام عليكم»، سقط أرضًا، وكانت يداه ترتجفان، وشحب لونه. ثمّ تجمد. قلتُ: «هيا، اِنهض، فلنذهب».

أتينا فأخذته إلى المدرسة. ثمّ وضعتُ العصا في الماء. كانت ليّنة أصلًا، فأصبحت شيئًا رُبّما لا تودون معرفته. أخذوه إلى عمود التشهير. قال الشخص هناك وكان قد ضرب اثني عشر طفلًا: «أهلًا بالمُعلّم»، وقام بوضع الطفل الضعيف على عمود التشهير وقيّده.

قلتُ للمساعد: «اِضربه أنت لأن يداي تؤلمانني من الضرب». ضربه المساعد لفترة من الوقت، ثمّ قلتُ للمساعد: «أمسكه، أهكذا يكون الضرب؟ فجلس يُراقب. رفعتُ العصا وضربتُه بنفسي. مع رابع ضربة، نُزع جلد قدميه. كان هناك شيء ما يقطر من قلبه. صرخ لدى الضربة الأولى والثانية، ثمّ ما عاد يصرخ أبدًا.

باختصار ، أخذوه إلى المنزل. ولم يخرج لشهر، وحين خرج سألته أمه: «إلى أين أنت ذاهب؟».

قال: «إلى المُعلّم».

قالت: «كيف هذا؟».

قال: «هو إلهي ـ يا لها من منزلة للمعلم! لن أبرحه حتى الموت. إنّ الإله وحده يعرف ما كان مصيري، وأيُّ مشنقة أُعدَّت لي، لقد أعاد لي قيمتي».

دعا لأمه وأبيه لأنَّهما أحضراه إلي. كان الأم والأب يدعوان لي أيضًا، وحتى الجيران رفعوا أيديهم بالدعاء لي: «لقد كان شقيًا، لم يسلم صغير ولا كبير من شره، لو تحدث ملك المدينة إليه، لرد عليه باللعن ورماه بالحجارة. كان جريئًا كما لو أنَّه قتل مئة نفس، و لم يُبالِ».

على أيِّ حال، فقد أتانا أكثر تهذيبًا وذكاء من كلِّ من سواه. إذا ما أشار إليه أحدهم، يُبادره بوضع يده على فمه بمعنى «إلزم الهدوء». باختصار، استطعتُ في فترة قصيرة أن أنقل إليه القرآن بأكمله، وكان يُنادي للصلاة بصوته الجميل. لم يحتج الأمر أكثر من هاتين الواقعتين، وبعدها أصبح مساعدي.

١٧

أنت عبد للإله، فلم علي أن ألغي هذا وأنافق؟ أنا ولي، ولم تُلوثني الذنوب. كنتُ مسيطرًا على نفسي، جديرًا بالثقة، ولم يكن لدي ميل نحو هذه الأشياء. إذن، عشت لفترة في «إرزيرم». حتى النساك الذين لزموا الدرب مئة سنة كانوا يذهبون إليها ويضلّون طريقهم. كنتُ ساذجًا جدًا، فحتى الصبي الذي قمتُ بتعليمه، والذي كان يُشبه مئات الآلاف من الصور، اندفع مشتتًا من سذاجتي. قام في أحد المرات بإلقاء نفسه علي عمدًا، وتعلق برقبتي بطريقة لا تُوصف. صفعتُه بقوة. كانت الرغبة ميتة في داخلي إلى درجة أنَّ العضو قد جفّ، فقد هجرَت الرغبة العضو تمامًا.

استمررتُ على هذه الحال حتى رأيتُ مرة منامًا. **قال** لي: «يكفي إنّ **لنفسك عليك حقًا**، فوفِّها حقها»(7).

هناك بوابة في تلك المدينة تُدعى «الوجوه الجميلة». كنتُ مارًا من هناك، وأنا أُفكّر في هذه الأشياء، عندما قامَت حسناء بعينين «قفجاقيتين»(8) بسحبي من يدي. أخذتني إلى غرفة، أعطيتُها بعض الدراهم وأمضيتُ الليلة معها. كان ذلك بناء على أوامر الإله وتوجيهه، أما أنا فقد كنتُ بلا رغبة وبعيدًا عن هذا النوع من الأشياء. ٧٧٦

---

(6) في طريقك. الرباعيات #٧٣١.

(7) **إنّ لنفسك**. يُمكن توضيح مقصد شمس بمساعدة الحديث الكامل، في إحدى الروايات يُخبرنا الراوي أنّ النبي خاطب عثمان بن مظعون «الذي كان أحد أولئك الذين اعتزلوا النساء» بالكلام التالي. قال. «يا عثمان! لم أؤمر بالرهبنة. هل توليتَ عن سنّتي؟». إنّ من سنّتي أنّني أُصلّي وأنام, أصوم وأفطر, أتزوج وأطلّق. من رغب عن سنّتي فليس منّا. يا عثمان! إنّ لزوجك عليك حقًا, وإنّ لنفسك عليك حقًا «**داريرني**، نكاح ٣». في كثير من الروايات ينتهي الحديث «فاعطِ كلّ ذي حق حقه!». في المفردات الصوفية يُفهم عادة من كلمة «نفس» النفس الحيوانية أو الشهوانية. من الجدير بالذكر أنّ «ابن عربي» أخبرنا أنّه لم تكن له رغبة في النساء ولا في المعاشرة في الثمانية عشرة سنة التي تلت دخوله طريق التصوف. ثمّ جعله الله يُحبّ النساء, تمامًا كما جعل الرسول يُحبّهن. «شاهد **موراتا**، الطاوية، ص١٨٦».

(8) قفجاق. منطقة في تركستان. كانت النساء التركيات عمومًا مشهورات بجمالهن.

أسفاري

١٨

أصبح مجموعة من الصوفيين رفقاء طريقي إلى «إرزينكان». عينوني أميرًا عليهم، ثمّ قالوا: «لن نتوقّف عند أيِّ محطة على الطريق إلَّا بأمرك، ولن نمدَّ البساط لتناول وجبات الطعام إلَّا بأمرك، ودون أمرك لن نتسبب في أيِّ تعكير، حتى لو قام أحدنا بإزعاج الآخر».

مرَّت عدة أيام، لم يجدوا فيها ما يملئون به بطونهم. كان موسم البطيخ، نادى علينا أحد الأشخاص من بقعة مزروعة بالخيار، وأشار لنا من بعيد بيديه: «أيها الدراويش، تعالوا إلى هنا، تفضلوا!».

همُّوا بالذهاب إلَّا أنَّني قلتُ: «لا تستعجلوا». قالوا: «لكنَّنا جائعون، لا تأخذ الجياع في مَهمَّة! لا ينبغي أن نردَّ دعوة الكريم».

قلت: « هذا لن يبرح إلى أيِّ مكان، إنَّه في متناول أيدينا. كالصوفي الذي التفت نحو رغيف خبزه وقال: « إذا ما وجدتُ أفضل منك، فسأستغني عنك، وإلَّا فأنت في متناول يدي»(٩).

تظاهرنا أنَّ سمعنا ثقيل: «نحن لا نفهم ما تقول»، لوحنا بأيدينا: «ماذا تقول؟ «، اقترب منا وأظهر نفسه بمظهر جدِّي. قلتُ: «في حال قدمتَ طعامك للدراويش، ماذا أبقيتَ لنفسك؟».

ارتمى عند أقدامي وكان غارقًا في اللحظة، لأنَّ تلك كانت حالته الحقيقية. كان قد جمع القُلامة للدراويش. قلتُ: «ليس من اللائق

أن تأكل أفضل الأجزاء، وتُقدّم أسوأ الأجزاء في سبيل الله. صرخ، ثمّ ارتمى أرضًا. بعدها استضاف الدراويش ثلاثة أيام. ذبح بعض الخرفان. قلتُ: «هذا هو الحد، لقد استضفتَ الأعزاء ثلاثة أيام، والآن حان وقت اهتمامك بنفسك».

ذهبنا إلى «إرزينكان»، وافترقتُ عن أصحابي. طالما أنَّهم لا يُميزونني كان الأمر لطيفًا. كنتُ ألهو وكنَّا نتصارع. عندما يتعرّفون عليّ يأتون ويقولون: «حقًا، كان هذا أنت؟".

خرجتُ لثلاثة أيام لكسب الرزق كعامل، ولكن لم يرغب بي أحد لأنَّني كنتُ هزيلًا. أخذوا الجميع وتركوني واقفًا هناك. رآني رجل نبيل أقف في الطريق فأرسل لي الخادم ليسألني عن سبب وقوفي.

قلتُ: «هل لديك سندات ملكية قانونية لهذا الطريق؟ إذا كنتَ تملك حقوق ملكية المدينة والطريق أخبرني؟ بالمختصر، توجّه نحوي بكل تواضع واصطحبني إلى داره، ووضعني في مكان جيد. جلب الطعام، وجلس بأدب على ركبتيه على مسافة مني. عندما كنتُ آكل قال: «طالما أنت في هذه المدينة، ستأتي هنا كلَّ يوم وتتناول الطعام؟»، منعتني كلماته هذه من الذهاب.

رآني يومًا وقال: «تعال حالًا وخلصني من هذا الإشكال. فالصداقة لا تكون من طرف واحد أبدًا. **ثمَّة نافذة من القلب إلى القلب**. هناك مشاعر ينبض بها قلبي تجاهك، وأعرف ما يشعر به قلبك تجاهي. إلَّا أنَّك تضع حجابًا بيننا، ألن تُخبرني لمَ الحال هكذا؟».

قلتُ: «تلك هي عادتي حينما أُحبّ أحدهم، فإنَّ جُلَّ ما أُظهره له هو القسوة، كي أنتمي إليه كليًا ـ في الجلد واللحم، في القسوة

واللطف».

ذلك لأنَّ السمة التي تُميّز اللطف هي أنَّك إذا ما أظهرته لطفل ذي خمس سنوات فسيتعلّق بك(10). ولكنَّ الوضع مع الرجل مختلف، عندما يرى مدى صبر مرشده معه، ومقدار الشدة التي تُصيبه، وأنَّ وراء تلك الشدة هناك بركة تُطلُّ بوجهها، وحين يرى أين يأخذه مرشده، وكيف يجعل منه أمينًا على السر، يُصبح جريئًا ولا يخشى الفناء، لأنَّه لن يفنى، وإنَّما هو بقاء فوق بقاء، بل وحتى ألف بقاء. ٢٧٨-٧٩

١٩(11)

قال: «هناك أشرار في الطريق، والفرنجة كذلك، أخاف عليك إن ذهبت».

حسنًا، ماذا تعرف عني؟ خضتُ الأجمة التي لا تجرؤ الأسود على دخولها. كانت الرياح تهبُّ بصخب من خلال الأشجار. أقبل عليّ شاب فظ وهو يقول: «الويل لك»، إلَّا أنَّني لم أُعره اهتمامًا، ولم أنظر إليه. صرخ عدة مرات، في النهاية أصابني الذهول. كان يحمل فأسًا للقتال كفيلة بسحق صخرة. بعد ذلك، عندما قال مرة أُخرى: «الويل لك»، أدرتُ وجهي نحوه.

لم أكن قد وصلتُ إلى أيِّ سلاح، إلا أنَّه وقع على ظهره. أشار بيده: «لا شأن لي معك، اِذهب!». ٢٢٢

٢٠

كنتُ مقيمًا في زاوية خان القوافل ذاك. قال أحدهم: «ألن تذهب إلى الزاوية «الخانقاه»؟».

قلتُ: «لا أعتبر نفسي أهلا للزاوية. لقد شيدوا الزاوية لتلك الجماعة حتى لا يضطروا إلى القلق بشأن طهي الطعام والكسب. إنَّ أيامهم قيِّمة، ولذلك لا وقت لديهم لذلك. أنا لستُ واحدًا منهم».

قال: « ألن تأتي إلى المدرسة؟».

قلتُ: «لستُ ممَّن يستطيعون النقاش. إذا ما فهمتُ المعنى الحرفي، فليس هناك ما يُمكن مناقشته. وإذا ما ناقشتُ بلغتي الخاصة، فسوف يسخرون مني، ويُلقبونني بالكافر، وينسبون ما أقول إلى الكفر. أنا غريب وخان القوافل يُناسب الغرباء».

هل تريد مفتاحًا لتفتح الباب؟ يجب أن يُعطى المفتاح إلى لص. أمَّا أنت فأمين. إنَّ رفقة اللصوص ممتعة. إنَّ الأمين سوف يترك الدار سائبة. أمَّا اللص فهو ذكي ويتمتع بصفات الرجولة. سوف يحرس الدار. إنَّ رفقة الكفار ممتعة، لأنَّهم يعتبرونني كافرًا». ١٤٠- ٤١

٢١

كان هناك شخص يتكلم عني فيقول: «إنَّه متمنطق!»، ثمّ يضحك. أصبح غاضبًا. أصبح متحمسًا، ثمّ بدأ في التعرق. هزّ رأسه. كان يضحك: «ما الذي يقوله؟ متمنطق! متمنطق!»،

كنتُ أقول: «لازلت أفترض أنَّني لستُ كذلك».

قال: «إنَّ الحرب بأسرها تدور حول هذا، لماذا عليك ألَّا تكون؟»، توسّل إليّ كي أذهب معه: «لأنَّ الأطفال اعتادوا عليك وألِفوك».

«بالطبع، نعم»، لم يجعل مني الأمر محظوظًا. كانت أماكن كهذه بسبب العجز والقسوة لتبدو لي الثروة والراحة. مُجددًا، فررتُ من هذا العجز، ورميتُه بعيدًا.

رضيتُ بتلك الحجيرة، حيث اعتاد الناس قضاء حاجتهم عند الباب. كنتُ أخرج في الصباح الباكر وأُنظّف وأمسح النجاسات والأوساخ التي خلّفها هؤلاء السكارى والثمالى أمام الباب، دون أن أنطق بكلمة.

فجأة سمعوا شيئًا ما، وأحنوا رؤوسهم تعبيرًا عن الاعتذار. كنتُ أقول: «كلا، كلا!» لو كنتُ وليًا، هل كنتُ لأسكن هنا؟».

كنت أذهب في المساء إلى بائع رؤوس الضأن، وآكل الخبز والحساء. تتبَّع أثري وأمرهم أن يُقدّموا لي الجزء الجيد. لم أعد أبتاع من ذلك المكان، ورحلتُ. كنتُ أتحدث بألفاظ لاذعة للغاية. كنتَ لتقول عني: «إنَّه مجنون».

خلال شهر رمضان ما انفكّ مئة شخص يدعونني ويطلبون أن أُشاركهم الفطور ولو ليلة واحدة. رفضتُ بعضهم، وطلبتُ من القائم على خان القوافل أن يقول لكلّ مَن يأتي في وقت معين: «لقد اصطحبه أحدهم». ٦٢٦- ٢٧

٢٢

تأمل هذا العالم. إنَّه يجعل من الحال الذي دام سنة كاملة باردًا بالنسبة إليهم. اعتاد المسيح أن يهرب من هذا العالم كما يهرب الفأر من القط. على الإنسان أن يكون أسدًا ذا سبعة رؤوس، وعليه أن يتخلى عن ذلك كلّه، وألّا يقلق، وأن يُضحّي بكلّ شيء.

في خان القوافل ذلك كان هناك واحد من أولئك التجار، يمتلك سبعين رزمة من الحرير، وعدة خدم وإماء. لم يكن يدري مَن خالقه، كان الجميع يُقدّمون الذبائح. لم يكن لديهم من الخبز اليومي ما يكفي لأُشاركهم بلقمة واحدة. كنتُ أؤمهم للصلاة طوال شهر رمضان. حينما قلتُ له: «لمَن تُقدّم الذبيحة؟ أنا «الإمام» لم أشهد شيئًا منها؟».

قال: «والله، خطر في بالي أن أدعوكم لنأكل سويًا، ولكن قام آخرون بدعوتي، وكنتُ مشغولًا».

لماذا لم ينصبوا له كمينًا على طريق «حمص»، ولماذا لم يهرب الحارس الشخصي؟ كان قد وضع جميع ممتلكاته في المقدمة، في أول القافلة، ومع ذلك فقد أوقعوا به أولًا.

إنَّ العلماء العظماء بعيدون جدًا، أموات بالكامل، نائمون تمامًا، ويتكلّمون في أحلامهم.

قلتُ: «سأقطف زهرة بلا أشواك،

أو أُصبح رفيق من لا رفيق له «. ٧٤٤

٢٣

كان يشكو: « «لقد نهبوا ممتلكاتي».

قلتُ: «تلك قصة العبد الهندي. كان سيده البقال يأخذ من إناء كلِّ شخص مقدار إصبع من الزيت أو العسل، بعد أن يقوم بوزنه. أنكر

العبد الهندي هذا الأمر في قلبه إلَّا أنَّه لم يجرؤ على البوح بشيء. ذات يوم انفجر جِراب جلدي كبير وسال العسل خارجه. حينها وجد العبد الهندي فرصته. قال: نعم، أنت تأخذها إصبعًا بإصبع، وهي تذهب جرابًا وراء جِراب. **من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.**

لا تفعل السوء حتى لا تقع في الأسوأ. لا تحفر حفرًا لئلا تسقط فيها». ٢٨٣

٢٤

كان الجميع يتحدث عن تاريخ الفتوات: عندما تحدثوا عن «آدم»، كان كذا وكذا، وعندما وصلوا إلى «إبراهيم» كان كذا وكذا، وعندما وصلوا إلى «علي» أمير المؤمنين، كان كذا وكذا. كلٌّ تحدث بدوره حسب قدره. عندما حان دوري، ورغم إصرارهم، لم أقُل أيَّ شيء، بل قلتُ: « لن أتكلّم».

كان هناك درويش، رأسه مطأطأ إلى الأسفل، لم يتفوّه بكلمة. راودتني الرغبة في الكلام. قلتُ: «لا بُدّ أن تزل قدم ابن آدم مرة في حياته(12)، وإذا كان لا بد منها، عليه أن يُمضي بقية حياته في طلب الغفران على ذلك، على سنة أبيه. **من شابه أباه فما ظلم،** ثمّ رحت أتكلم عن زلة ابن آدم وتوبته. ١٦٦- ٦٧

المُعلّمون والمشايخ الذين التقيتُ معهم

٢٥

على الرغم من مدى إيمان القاضي «شمس الدين الخانجي(13)»

بي، قلتُ له أنَّني سوف أُغادر وأعمل، بما أنَّني لن أتلقى منه أيَّ دروس. قال: «ولكن هذه هي الطريقة التي نشَّأتك عليها».

قلتُ: «كلا، سوف أجد لي عملًا ما».

قال: «يا ولدي، كيف لك أن تعمل مع هذا الاستغراق والحال المرهف الذي أنت فيه؟». كان يعرض حالتي على الفقهاء بذهول: «اِنظروا إليه، إنَّه يعمل وهو في هذا الحال والسَّلطَنة».

قلتُ في نفسي: «لقد فرَّطتَ بي، وجعلتني نشيطًا في العمل». كان صباح جديد قد اقترب، ولكنَّه عاد، ليس الصباح الذي يتحدث عنه المتسولون. ٢٤١

٢٦

كان السبب من وراء مفارقتي للقاضي شمس الدين هو عدم تعليمه لي. قال: «لا أريد أن أستحيي من الله. أنت تمامًا كما خلقك الله، تراب وإنسان، ولقد صوّرك على أحسن وجه، ولا يُمكنني أن أجعل خلق الله بشعًا. إنَّني أرى لؤلؤة ثمينة. لا أستطيع أن أشوبها بنقش صغير». ٢٢١

٢٧

كنت أقول له: «لا تشرب حينما أكون في الأرجاء».

كان الآخرون يقولون: «نحن فقهاء في المدارس والمساجد، ولا نخاف. أنت تعمل بكدّ يمينك. ما الذي يبعث على الخوف من أن

تشرب وسط السوق؟».

لم أهرب لدى سماع كلماتهم هذه. إذا ما دخلت إلى الراقود وجلستُ هناك، فسأحافظ على ثيابي من النجس من أجل الصلاة. كيف لذلك أن يُؤذيني؟ على كلٍّ، لم أقُم بأيّ من ذلك منذ كنتُ طفلًا، كنتُ أتجنبها. عندما كنتُ أرى السُّكر من بعيد، كنتُ أبغضه خشية أن يحلَّ بي.

اعتاد ذاك العالِم الشرب أيضًا، واعتاد القاضي «الخانجي» أن يُجلّه كثيرًا، كان يقول: «إنَّ منشأه أكرم من منشأي، فنسبه رفيع». مهما قيل له أنَّه فعل كذا وكذا، لم يكُن يُلقي بالًا. ذات يوم قال: «أعلم أنَّني عاجز تجاهه، إلَّا أنَّ ذلك يُبقي القليل من الاحترام».

قال لي: «قال لي القاضي كذا وكذا، و شعرتُ بالعار». كان يضحك: «منذ الطفولة كنا من أبناء الطبقة النبيلة. اعتدنا الشرب، وهي الآن عادة قديمة. إذا لم أشرب ليومين أو ثلاثة، تُصيبني رعشة في أطرافي، شيء يشبه المرض أو الشلل».

بما أن حكم القانون هو أنَّ «النبيذ مسموح» في وقت الضرورة، ولأنه إذا امتنع عن ذلك، فسينهار، فليس للمسلمين حقٌّ في دمه.

كان الوضع كذلك في مدينتنا. مرض أحد الزهَّاد. أخبروه بوجوب شرب الدواء. فلم يشربه بسبب زهده، وتُوفي. رآه أحدهم في المنام. كان وجهه مصروفًا عن القبلة. قال: «في المنام، فُوجئتُ إلى درجة أنَّني ذهبتُ وحفرتُ قبره بأصابعي، نظرتُ إلى داخله، وإذا ببعض الدخان يرتفع قليلًا، فهربتُ. قال لي الرجل: «أتهرب من هذه القدر البسيط الذي تراه؟»، فعدتُ ونظرتُ، فرأيته وقد أصبح أسود

بالكامل، نظرتُ بروية، وإذا وجهه مصروف عن القبلة».

يُجبر السلطان أحدهم على ارتكاب الفحشاء، و إذا لم يفعل، فسيقتله. إذا ما ارتكبها سوف يموت ميتة مسلم. هذه الحالة مثل تلك، فالمرض سلطان مستبد. حقًا، إنَّ هذا جزء من القانون.

في الواقع، فإنَّ الشرب لا يُشكّل فارقًا بالنسبة إلى «سيد»، فقد كان مسموحًا له، خصوصًا أنَّه كان يُعاني من أمراض صعبة، وخاصة أيضًا أنَّ وجوده كان ضروريًا للناس. كان حتمًا عليه أن يُنمّي دماغه وخاصة في فترة مرضه.

إلا أنّ «رشيد» لو فعل ذلك، لأصبح زنديقًا وكافرًا، وأصبح من الضروري دفنه في المقبرة اليهودية.

لم أُنكر ذلك فيه، باستثناء أنَّه لم يكن يُؤدّي صلواته. هل تعرف يا مولانا الفرق بيني وبينه؟ تكلَّم قليلًا. والله العظيم، أكون سعيدًا وفرحًا في اليوم الذي أُؤدّي فيه صلواتي. أنا أعتبر الأمر كما لو أنه «عليه السلام» يقول لي ذلك. على الرغم من كلِّ شيء، قال أحد الدراويش: **الفقر عزّي**(14). ألا يسعد المرء بالامتثال لذلك الدرويش؟

لم يقتصر على ذلك فقط، بل راح يتكلم بأمور ضدّ الصلاة، وضدّ الذين يُؤدّون صلاتهم، بل ويستهزأ بهم. هذا تمامًا هو ما دفع «رشيد» بعيدًا، كما أنَّه السبب الذي دفعني كي أنأى بنفسي عنه، ولأن أكون قلقًا للغاية.

كنتُ أقول: «يا «سيد» استغرقتَ وقتًا طويلًا في الكلام، هل باتَت هذه الصلاة بمثابة حجاب بالنسبة إليك؟».

كنتُ أقول: «هل سبق وجامعتَ تلك الأَمَة؟».

كان يقول: «أجل، أجل. لا يُشكّل ذلك حجابًا».

إذا ما توجب علي أن أنام على جنبي هكذا حتى يوم البعث، فلن يُضيرني ذلك البتة، بل سيكون كلُّ يوم أفضل وأعظم. مع هذا، فإنَّه في اليوم الذي أُفوِّت فيه الصلاة، أُعاني، وأبقى تعِسًا حتى الليل. أمَّا في اليوم الذي أؤدي فيه الصلاة، فأكون سعيد القلب ومبتهجًا.

في داخل الكعبة من اللائق ألَّا يكون هناك قبلة،

خارج الكعبة، لا مفرّ من التوجه إلى القبلة. ٧٥٣- ٥٥

قد تُصبح في بعض الأحيان ودودًا تجاه صديق، ويبدو لك أنَّه محبوبك. تقول: «أُحبّه»، ثمّ تُغيّر نظرتك وتقول: «أكرهه». لو تسنى لك أن تبقى في هذا الحال، لبقي على الدوام مرغوبًا ومحبوبًا». ٢٠٤- ٥

٢٨

لو أنَّني أطلقت لنفسي العنان مع ذاك القاضي **شمس الدين الخوئي**، قاضي دمشق، لخُتم عمله بالصلاح في نهاية حياته، إلا أنَّني تصرّفتُ بمكر، وهو اعتاد على استيعاب ذلك المكر. تعسًا لذلك اليوم الذي بدأتُ فيه أتصرف بمكر! ما عملي سوى المكر؟ هذا هو عمل الله: المكر(15).

إن اشتريتُ حصانًا كي أغادر، ما أهمية ذلك؟ تقول: «لا أُريدك أن

تذهب. ليس الأمر هكذا. سأشتري حصانًا، ولكن إبقَ، لا تذهب». أنت تقول هذا وهو مكر أيضًا. ذلك ليس عملي. ٨٣١

٢٩

عارض أحدهم **شمس الدين الخوئي** وكان هدفه أن ينتقد فقيهًا: «لقد حفظ فلان الفلاني الكثير في كلِّ مجال وأجره كبير جدًا، ولكنَّ ذلك الآخر، والذي لم يحفظ شيئًا، يتلقّى أيضًا ذاك القدر من الأجر!».

قال: «على الرغم من أنَّه لم يقُم بأيِّ مذاكرة، فهو ليس مُولعًا بالكتب. إلَّا أنَّه يمتلك سلطانًا على كلامه، كما أنَّ لديه خبرة. ألا ترى كيف يُناقش عندما يحين وقت النقاش؟ أمَّا بالنسبة إلى فلان الفلاني، على الرغم من أنَّه يتمتع بالذاكرة إلَّا أنَّه يفتقر إلى الخبرة. ألا ترى أنَّه يعجز عن التعبير عن نفسه أثناء النقاش؟». ٦٠٨

٣٠

واجبٌ على المؤمن أن يُقدّم الشكر على أنَّه ليس بكافر، وواجب على الكافر أن يُقدّم الشكر على أنَّه على الأقل ليس بمنافق.

من بين الأحاديث غير المألوفة وغير المعروفة، حديث يقول إنَّه عندما تكون النار خالية من أهل النار ويكون قاعها فارغًا، سوف يأتي قوم لإلقاء نظرة، وعندما يقتربون من القاع، سيرون كيف أنَّ الأبواب تصفق، تُفتح وتُغلق، وأنَّها فارغة كالدار الخربة. سيسمعون صراخ المنافقين فيقولون: «هل لا زلتم هنا؟».

فيقولون: «نحن عشيرة أهل النفاق الذين ليس لديهم إمكانية

للنجاة، ولا إمكانية لحسم أمرنا».

روى شمس الدين الخوئي هذا الحديث في الدرس العمومي، إلَّا أنَّه لم يُصبح معروفًا جدًا. على كلِّ حال، فإنَّ أولئك الذي يُدركون معنى الحديث، سيأخذون المعنى منه.

وهكذا، فإنَّ النفاق إمَّا صريح أو خفي. إنَّ النفاق الصريح بعيد عنا وعن أصحابنا، ولكن على المرء أن يُجاهد النفاق الخفي علَّه يهجر التكوين الإنساني.

المؤمن مرآة المؤمن. هذا يعني إما أنَّ الله هو مرآة العبد، أو أنّ العبد مرآة الله(16). إنّ كلمات الكامل كاملة كذلك. ٦٠٧- ٨

٣١

كان هناك شخص يبكي ويقول: «قتل التتار أخي. لقد كان رجل علم».

قلتُ: «لو كان لديك علم، لعرفتَ أنَّ التتار قد منحوا أخاك حياةً أبدية بضربة من ذلك السيف. ولكن ما الذي يعرفه الأموات، أو الدعاة الأموات عن تلك الحياة؟ إنَّهم يعتلون المنبر ويبدؤون في النواح. أعني أنَّ النبي يقول: **الدنيا سجن المؤمن**، يهرب أحدهم من السجن، فتبكون عليه؟ «واأسفاه على هروبه من السجن!». قام التتار، أو سبب ما آخر، بإحداث ثغرة في السجن، فهرب منها. **لقد انتقل من دار إلى دار.** فتبكون. «يا للأسف لقد أصابوا جدار السجن بذلك السهم! لماذا أصابوا ذلك الحجر؟ ألم يندموا على ذلك الرخام الجميل؟».

«أو كان هناك سلاسل حول ساقيه، قاموا بفكها فهرب، وأنتم تصرخون وتضربون رؤوسكم وتنوحون: «يا للأسف، لقد حطموا السلاسل!». لو حطموا القفص لبكيتم حزنًا: «لماذا حطموا القفص! لماذا تركوا الطير يذهب!»، أو لو شقوا دمّلًا وخرج القيح والقذارة منه، لبدأتم في النواح: «يا للأسف، خرج القيح».

كان **شمس الدين خوجندي**(17) يبكي آل البيت «آل بيت النبي»، وأنا كنتُ أبكيه: « لماذا تبكي آل البيت؟ هل تبكي من التحق بالله ولا تبكي نفسك؟ لو كنتَ تعي حالك، لبكيتَ على نفسك. كان حريًا بك أن تجمع كلَّ أهلك وأقربائك، فتبكون بحرقة على نفسك!».

ليس التغيير عند الله. التغيير موجود فيك. أحيانًا تحب الخبز وتطلبه، وأحيانًا تهرب بعيدًا.

٣٢

يقول «الخوجندي»: « أنا أُراقب مأساة أهل البيت». كان قد نسي مأساته الخاصة!

كان «شهاب الدين هروي(18)» القاطن في «دمشق»، والذي كان الأكبر سنًا في أسرته، يقول: «إنَّ الموت بالنسبة إليّ هو كالتالي: قامت الشرطة تعسفًا بوضع كيس ثقيل على ظهر رجل ضعيف. كان يغرز في الوحل أو يصعد أعالي الجبل، موقعًا نفسه أرضًا ألف مرة ومرة. يأتي أحدهم ليحلّ عقدة الحبل الذي يربط الكيس برقبة الرجل، فيسقط حينها الكيس من على ظهره. كم يُصبح خفيفًا؟ لقد سلِم وتجددت روحه.

الآن، إن كانت حالة شخص مثله، وهو خادم أهل البيت، هكذا، فما بالك بحال أهل البيت؟

إذا كان لديه إيمان، فسينظر إلى الموت على هذا النحو، وإن لم يكن، فهو يرثي لحال أهل البيت أولئك، وينظر إلى أنوار أهل البيت، الذين هم عبيد لله، بازدراء وحسد!

لماذا لا تتضرع إلى الله؟ اِستيقظ في قلب الليل، اِنهض، وخُرَّ ساجدًا مرتين. اِسأل الله حاجتك ثلاثًا. ضَع جبهتك على الأرض، واسكُب العبرات وقُل: «يا رب، إذا كنت لا تُريد أن يبقى الأنبياء والأولياء ينبهونني مثل مطرقة على الباب، وبما أنَّك الآن قد أظهرت لي الرجل العظيم فلانًا، اِفتح عينيّ من خلاله!».

سعيد من رآني ، وسعيد من رأى من رآني!». ٢٨٦-٨٧

٣٣

«شهاب هروي» من علماء المنطق في «دمشق»، كان مقبولًا من جميع المتمنطقين. بالطبع، إنَّه يعتبر انشغال المرء بالنساء والشهوات ضعفًا، إلَّا أنَّه كان يقول أنَّ هذه فتوى العقل.

ردَّ عليه «محمد غوياني» قائلًا: «هل يرتكب الفكر أخطاء في فتاواه؟».

أجاب: «كلا، لا يرتكب الفكر أيُّ أخطاء. إنَّ الأشياء الأُخرى هي التي ترتكب الأخطاء». ٨٢

٣٤

كان «هروي» هذا من «خراسان»، وقد لقبوه بـ «شهاب». لم يكن يُثني على أحد، وقد اعتاد أن يقول «عني»: «إنَّ هذا الرجل منسجم روحًا و طبعًا». كنتُ أشعر براحة عند مجالسته، وأجد السكينة».
٦٤١

٣٥

فيما يتعلق بالإله يقول «شهاب هروي»: «إنَّه واجب الوجود، إلَّا أنَّه ليس مطلق الحرية، ولو اتفق جميع الأنبياء على **أنه** كذلك، لما قبلتُ ذلك».

أمَّا أنا فأقول: «أنا لا أرغب في ذاك الإله. أُريد إلهًا يتصرّف بحرية مطلقة، أنا أبحث عن ذاك الإله. **النار، دون خجل**». كنتُ لأخبره أن يُدمّر ذلك الإله الذي يتحدّث عنه. سأقول: «حتى ولو لم يملك حرية التصرف، فأنت على أيِّ حال تملك حرية اتخاذ القرار. دمرِّ ذاك الإله. إنَّ أقل العباد شأنًا الذي يعيشون في ظلِّه يتصرف بإرادة حرة، فلماذا يُبقى نفسه عاجزًا».

«إنه يُهلك آلاف العوالم في كلِّ لحظة. مَن أكثر عجزًا ممَّن يقوم بشيء ما، ويُصبح عاجزًا أمام ذلك الشيء، وغير قادر على تغييره؟ ثمّ يقول ذلك الشيء نفسه إنَّ **خالقه** لا يملك حرية الاختيار، ويُسمّيه فاقدًا لحرية الاختيار. لقد كان لفرعون تأثيرًا سلبيًا مستمرًا عليك».

لو قبِل العالم بأكمله ذلك من «شهاب»، لما قبلته أنا. ٦٣٥-٣٦

٣٦

في «دمشق» كان «شهاب» يقول: «بالنسبة إليّ إنَّها حقيقة فكرية واضحة أنَّه واجب الوجود. ولكنَّه ليس «فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ» «هود ١٠٧». كان السلطان «خوارزم شاه» يُقدّم طعامًا وفيرًا، أُثوابًا فخرية، وأحذية ذهبية لـ «فخر الدين الرازي» إلى أن يقول: «فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ».

قال: «بالنسبة إليّ ما الحياة إلا كمن أثقل كاهله حمل ثقيل، فترى قدميه في الطين، وهو عجوز وضعيف. فجأة، يأتي أحدهم ويقطع الحبل. فيُحرره من ذلك الحمل الثقيل من على رقبته».

كانوا يأتون إلى «شهاب» هذا ويسمعون ألاف الحقائق الفكرية، كانوا يستفيدون ويخرّون أمامه، ويقولون حين يخرجون: «إنَّه فيلسوف، والفيلسوف هو العالم بكلِّ شيء».

عمدتُ إلى مسح ذلك من الكتاب، وقلتُ: «إنَّ العالم بكلِّ شيء هو الله»، وكتبتُ بدلًا من ذلك: الفيلسوف هو العالم بالكثير من الأشياء».

لقد أنكر البعث، وقال: «إذًا سيتمّ تقييد الأفلاك في مسارها». قلتُ: «إذًا كيف يبقى الكون قائمًا؟».

كان دائمًا ما يقول عن الأنبياء أنَّهم كانوا حكماء، ولكنهم قالوا الأشياء التي قالوها لما فيه مصلحة الناس.

كما أنَّه أنكر حادثة انشقاق القمر(19).

هناك قول مأثور «لعلي»: «إذا كان هذا ما تقوله، فإنَّنا جميعًا نُسلِّم»(20)، فهناك عجز عن النقاش وهروب منه. ينبغي على المرء أن يختصر النقاش.

«يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» «إبراهيم٤٨» وما أشبه ذلك بما شهده في نفسه(21)، فقد حقق في نفسه آية: «يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ» «الأنبياء١٠٤».

بعد كل هذا، لماذا سوف تُطوى السماء والأرض، ويحدث البعث؟ ليتلقى كلٌّ منهم حسابه. فهو ليس بالأمر المطلوب في حدّ ذاته.

٣٧

سيكون البعث للأجساد فقط. بينما يقول الفيلسوف أنَّه سوف يكون هناك بعث للأرواح. إنَّه غبي. إنَّه يقرأ صفحته هو(22)، ولا يقرأ صفحة صحابي. إنَّه يقول إنَّ كلَّ ما لا يعرفه لن يكون. لو كان يعرف كلَّ ما يُمكن معرفته، لكان «أبا يزيد» يحمل سرجه. ٦٩٧

٣٨

قيل إنَّ «للنور اثنان وسبعون حجابًا»(23)، ولكنَّ هذا الكلام مضلِّل. إنَّ حُجُب النور لا متناهية. ها هي كلماته تقول: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» «الكهف ١٠٩». ما لم يصل الساعي إلى هذه الحُجب، فلن يُفتح الطريق أمامه. على المرء أن يتجاوز هذه الحجب اللامتناهية حتى يصل إلى المعنى. كيف للكلمات أن تُقارن بالمعنى؟ إذا ما كنتَ تعلم عمَّا أتحدّث فأنا بالنسبة إليك ملحد!

«يفتقر الجيل إلى شجرة كبيرة»، على سبيل المثال، هناك شجرة كبيرة مليئة بالفواكه تنشر ظلها على العالم بأكمله في وسط الصحراء. الشمس دافئة، وتحت الشجرة هناك مئة ينبوع بكلٍّ ما تتمتع به من صفات. ألا يسأل أحد عن الشجرة التي أنتجَت هذا الفرع؟ من أيِّ شجرة قُطع هذا الغصن الذي قدّم هكذا نتائج؟

عندما كنتُ في «حلب»، كنت منشغلا بالدعاء لمولانا. كنتُ أتضرّع مئة مرة، وأجلب إلى ذهني ما يُثير فيه اللطف والإحسان. لم أجلب إلى ذهني ما قد يُخمد ذلك اللطف. إلا أنَّه لم تكن لدي رغبة في القدوم.

لو سمع «شهاب»، حكيم «هرات»، ما أقوله عن بكاء الأشياء الجمادات وضحك الجمادات(24)، لقال بلهجة أهل «نيسابور»: «ما هذا؟». إنَّ فكر الفيلسوف لا يبلغ ذلك.

هل لديك أدنى فكرة في أيِّ مكان من جسمك أو قلبك يكمن مركز الغضب، الراحة، المشقة، وأشياء أُخرى كهذه؟(25). حسنًا، أنت هو ذلك المركز، غير المرئي وغير المعيَّن. إنَّ اللسان والمفردات والأعضاء والأجزاء الأُخرى تُمثّل أدواتك. حينما يبلغ الإنسان مكانًا ما، من هناك يُعلن أنَّه لفترة من الزمن كان إنسانًا هنا. ما علاقة هذا بمقولة **يكون الإنسان محجوبًا حين يُمسك عليه لسانه**؟». ١١٨-١٩

٣٩

هناك، على سبيل المثال، دوامة في المحيط. إنَّ الدوامة مخيفة خاصة في المحيط، إذ يفرُّ الجميع منها. إلَّا أنَّ هذا الرجل لا يتجنبها. يقول: «لا شكّ أنَّني سأتجاوزها».

أتكلّم عن الحديث مع الجمادات وعن أفعالها. إلّا أنَّ الحكماء يُنكرون هذا. إذن ماذا يُمكنني أن أفعل بعيني؟ وهناك الحديث عن حنين الجذع(26).

حسنًا. أين من ذلك **يكون الإنسان محجوبًا حين يمسك عليه لسانه؟** وكذلك كلماته: «إذا تكلّم الرجل أعرفه على الفور، وإذا لم يتكلم أعرفه في ثلاثة أيام(27).

لكن رُبّما لم يكن ذلك حاله، فقد تحدّث على قدر فهم المستمعين وبما يتماشى معه. لأنّه هو نفسه، وأعني عليًا الذي قال: «لو كُشف الحجاب فلن يزيد ذلك في يقيني». إذا كان ذلك حاله، فالقول الثاني لا يُعبّر عن حاله». ١١٠-١١

٤٠

إنَّ «شهاب هروي» في دمشق، والذي ذاب تمامًا في أدب الزهد، كان ينظر إلى جميع الأنبياء بطرفة عين، كان يقول: «بسبب غيرة الملائكة(28)، حُمِل الأنبياء على تولية وجههم شطر الناس، وبهذا يشغلون أنفسهم بالمخلوقات».

لم يكن «شهاب» يسمح لأحد أن يجلس معه في خلوته. كان يقول إنّ «جبريل» يُشكّل إزعاجًا بالنسبة إليه، حتى أنّه كان يقول إنَّ وجوده في حدّ ذاته كان إزعاجًا.

على الرغم من كلِّ هذا التبرم، كان يقول لي: «أنت، تعال، لأنَّ قلبي يشعر معك بالراحة».

ذات يوم قلتُ: «بما أنه يتحدّث عني لمَ لا أساله سؤالًا؟»، قلتُ: «هذه الكلمات تسبب لي الازدواجية؟».

أسدل يده لبرهة من الوقت ثمّ بدأ يقول: «ما الداعي لهذه الازدواجية؟ هناك مئة ألف من الأشياء تدخل إلى الباطن، فهل تُوزَّع، يتمّ محوها، أو تثبيتها. خلال كلامه عن هذا وشرحه راح يتحدّث ويتحدّث ويتحدّث، وفي النهاية قال: «هناك بعض الناس مثل هذا، ممَّن يلقاهم «هو» بوجهه، إلَّا أنَّهم نادرون».

قلتُ في نفسي: «بالنتيجة، أنا أسألك عن هؤلاء القلة. إبدأ من هناك. لقد جلت أنحاء العالم في الوجهة التي لا يُمكن العثور فيها على حياة. لقد كان حريًّا بك أن تُجيب على السؤال». إلا أنه لم يملك ما يقوله فيما يتعلق بذلك الاتجاه. ٢٧١-٧٢

٤١

فضَّل فريق من الفلاسفة، الملائكة على الأنبياء. فقد نسبوا النقص إلى «محمد» والأنبياء لأنَّهم شغلوا أنفسهم بالناس. يقولون: إنَّ الملائكة كانوا يغارون من الأنبياء، فجعلوهم يلتفتون إلى هذا العالم. لقد خدعوهم بحيث حملوهم على إسداء النصح للناس: «أليس الغرض الابتعاد عن الله أو الاحتجاب؟"

أمَّا عن معجزات الأنبياء فيقولون: «نحن نقبل حقائق الفكر، ولكنَّنا لا نقبل ما ليس من حقائق الفكر، لأنَّه بالفكر نُبرهن على الله، **فهل براهين الله لا تتناقض فيما بينها؟**».

أقول إنَّ «المعجزة» هي بالضبط ذلك الشيء الذي يتعذر

إدراك صفاته بفكرك. **إنَّ المعجزة هي ذاك الذي يعجز الفكر عن إدراكه**(29). بالفكر نستدلُّ على الله، ولكن عندما لا تُوظِّفه بالطريقة الصحيحة، فإنَّه يخرج بمتناقضات. من أجل هذا هناك «اثنان وسبعون» نحلة(30)، إذ تختلف الأذهان وتتناقض فيما بينها.

على سبيل المثال، عندما تسأل شخصين: «ما ناتج ضرب اثنان في اثنين؟»، فكلاهما سيُعطي الجواب نفسه دون خلاف، لأنَّ التفكير في ذلك السؤال سهل، ولكن عندما تسأل: «كم ناتج ضرب سبعة في سبعة؟» أو «سبعة عشر في سبعة عشر»، فإنَّ أيَّ شخصين ذكيين سوف يختلفان لأنَّ التفكير في هذا السؤال أصعب.

عندما يكون أحدهم كسولًا ولا يستخدم ذهنه، فسيكون كمن يُمسك المرآة على نحو مائل. أمَّا اذا أمسكتَ مئة ألف مرآة على نحو مستقيم فستُخبرك الشيء ذاته. «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ» «المائدة ٤٨». إنَّ الأنوار جميعها أصدقاء فيما بينها.

على سبيل المثال، لو وقف مئة شخص في الشمس، بعيون صافية، وأقبل نحوهم شخص واحد من بعيد، يعزف على الطبل ويرقص، فإنَّهم لن يختلفوا، ولكن لو كان ذلك في ليلة مظلمة وغائمة، ومع صوت الطبل القادم، فستنشب مئات الخلافات بينهم. سوف يقول أحدهم إنَّه جيش، وآخر إنَّه حفل ختان، وهكذا.

باختصار، فإنَّ الفلاسفة ينسبون النقص إلى الأنبياء لأنَّهم شغلوا أنفسهم بالناس، وعلى الطريق تمَّ إيقاعهم في شرك عشق المنصب والنبوة، إلَّا أنَّهم لم يُضيِّعوا الطريق بالكامل، ولم يتمّ إغلاق الطريق نحو العوالم السماوية تمامًا أمامهم. مع ذلك، فقد تم حجبهم عن درجات الخلوة وفك التعلق، كما أنَّهم يقولون إنَّ حقيقة أنَّ الأنبياء

اتخذوا زوجات هي نقيصة ووصمة. ١٩٢-٩٣

٤٢

يقول الفيلسوف السخيف إنَّ أنواع الفكر عشرة (31)، وهي تشمل كلَّ الأمور الممكنة». اعتدتُ أن أستمع الى عظيمهم، الذي اعتبر «ابن الأثير» والآخرين لا شيء، لأرى ما لديه يقوله. بالنسبة إليه فإنَّ «ابن الأثير» والآخرين ومئة من أمثالهم لا يُمثِّلون شيئًا. كان ينظر باتجاه الأنبياء بنوع من الغمز، وكان قد أصبح انحرافًا عن النور. لم يكن يأكل شيئًا، ولكن طوال حياته لم ينظر في الحلال والحرام(32)، ولم يكن يُثني على «ابن سينا»، إذ كان العظماء يُقبلون عليه ويتواضعون ويستفيدون. كنتُ أطرح عليه أسئلة في النهاية. فيُصبح منزعجًا ومنطمسًا وتعِسًا، وكان يقول: «أتمنى لو ينام «التبريزي» ليلة واحدة».

أمَّا طالبه الصغير فكان يقول: «ألم تُصب بالملل حتى مع النبي؟».

فيقول «اِسكت، إنَّه فتى صالح». ٣٣٩

٤٣

كان «شهاب» كافرًا لطيفًا، وكان يقول بلهجة أهل» نيسابور»: «اِفعل شيئًا كي لا يُصيبك الضجر، لأنَّك منعزل عن الرجال والنساء؟».

أما بالنسبة لشيخنا «محمد» فقد كان رجلًا عظيمًا. كان يعتدل في جلسته ويقول: «في جوهره هو واجب الوجود بذاته(33)»، ثمّ يضحك:

«الله؟ أيُّ اسم أعطوه إيَّاه!».

لم يبق تفصيل من تفاصيل حياة «شهاب» لم أره بوضوح، عاريًا: إيمانه، سعادته، ما كان يصدُّه عن الطعام، أمَّا هو فلم يتوصّل إلى معرفة طرف شعرة واحدة مني، وبقي يبحث.

أمَّا تلميذه ذاك والذي كان يُروِّج لأفكاره التافهة فلم يكن يُعير انتباهًا لأحد. عندما رآني، حياني. قلتُ: «هل كلُّ شيء على ما يرام؟».

قال: «ماذا تفعل لجعل هؤلاء الناس يُؤمنون بك؟ أعني بذلك سيدي، الذي يقول: «لو أنَّ «محمدًا»، رسول الله، أتاني في الليل، فسأشعر بالملل؟».

قال له: «اِصمت، إنَّه رجل لطيف؟». ٦٩٧

٤٤

اِعتاد أولئك الأوغاد تسمية «شهاب» بالكافر صراحة. قلتُ: «اِحذروا!، كيف يُمكن أن يكون «شهاب» كافرًا؟ إنَّه مستنير. حقًا، أمام الشمس، «شهاب» كافر، ولكن عندما يظهر في دائرة الشمس أيُصبح بدر التمام ويُصبح مثاليًا؟». ٢٧٥

٤٥

نتيجة لغليان محيط كلام الحق، فقد تمّ رسم «**ألف**» على اللوح. جاء الأمر: «يا «جبريل الروحي، اِقرأ الحرف المجيد من اللوح

المحفوظ». لم أكُن قد أنهيت الكلام، عندما غادر «شهاب». قال: «لا أستطيع أن أتحمّل النظر إلى وجهك؟» وغادر.

قلتُ: «أعني، ما الخطب؟».

كان يُغادر وهو يقول: «أمر رائع، أمر رائع!».

على الرغم من أنَّ «شهاب» كان ينطق بكلمات الكفر، فقد كان شفافًا وروحانيًا. لقد أصبح روحًا خالصة، فلم يعُد يأكل الطعام.

في أحد الأيام كنتُ أتحدّث بالرموز وأعرض رفع الحجب. لم أكن أريد للمعنى ألَّا ينكشف له.

أنت تقول: «إنَّه لا يعرف الجزئيات، بل يعرف الحقائق الكليَّة(34) ماذا تقصد بهذه الحقائق الكليَّة؟ عندما أقول «الكل» فأنا أعرف أنه لا جزء خارج عنه. نعم، إذا قالوا «جزء»، فإنَّ الكلَّ ليس في داخله. لا يُمكن القول أبدًا إنّ هناك بستان، ولكنَّ الأشجار ليست من ضمنه، لكنَّك تستطيع حقًا أن تقول العكس. إذا لم يكن هناك أشجار، فليس هناك بستان، إنَّ هذا تقييد.

قال «شهاب»: «لا أقول إنَّه من النقص ألا يعرف الجزئيات. على سبيل المثال، هناك دودة في معدتي تستلقي في القذارة، أنا لا أعرف تلك الدودة، ما العيب في عدم معرفتها أو في معرفتها؟ .”

الآن أنا لا أعرف اللغة الهندية، ليس بسبب العجز، ولكن ماذا عن اللغة العربية نفسها؟ لو سمعها ذلك الهندي لقال إنَّها أفضل. ماذا عن اللغة الفارسية مع هذه الدقة والجمال؟ إنَّ تلك الدقة والمعاني

التي تتدفّق من الفارسية لا تتدفّق من العربية. ٢٢٥- ٢٦

٤٦

كان الشيخ «محمد» يسخر من حال «سيد» والآخرين: «أيُّ نوع من الكلمات هذه، كقولهم «لقد رفع الله جسمي كله؟»، كنتُ أضحك أنا الآخر. خُيِّل إليه أنَّني اتفق معه، ولكنَّني في الحقيقة كنتُ أسخر من حاله هو: «ألا ترى ذلك في نفسك؟».

رأى حلمًا عن «شهاب نيسابوري»، لأنَّهما كانا مقربين. وكان «شهاب» هذا أفضل بكثير من الشيخ «شهاب الدين».

رآه في الحلم وهو يركض إلى أعلى الجبل، وكان هناك امرأة تركض خلفه. وصل إلى قمة الجبل وهبط إلى الجانب الآخر. وضعت المرأة إصبعها في فمها: «لقد أنقذتَ نفسك!». في صباح اليوم التالي جاء إلى المدرسة وطرق الباب:» لقد تُوفي شهاب الدين!». انزعج الجميع، واختفى الشيخ «محمد»، فقالوا: «كان ذلك الحُلم من الشيطان».

طلع النهار، وبحث عنه بين الكتب. كان قد وضع رأسه على يديه وأسلم روحه مبتسمًا. قبّل الشيخ محمد عينيه ووجهه مودعًا، وذهب. كان الناس هناك يقولون: «كلا، كان ذلك الذي **ذهب** هو «الخضر»، أو أنَّه كان ملاكًا؟». ٦٩٧- ٩٨

٤٧

يُصبح الفيلسوف ملحدًا. يُخبره فكره أنَّ كلَّ ما لا يعرفه غير

موجود، وأنّه يملك الفكر الكلِّي. دعونا نفترض أنَّ لديه الفكر الكلِّي ـ كيف يُمكن للفكر الكلِّي أن يُحيط بخالقه، والذي هو انبثاق عنه؟ كيف له أن يضع عالم الله الواسع في صندوق؟ إنه يقرأ صفحته(35) الخاصة. لم يقرأ صفحة أكبر ولم يفهم خالقه.

كان يقول: «دعونا نتصالح؟"

قال: «مهما كان ما تفعله فإنَّه يجعل الأمر أسوأ. بدلًا من ذلك دَع الأمور تسير تدريجيًا، من خلال تضافر التسامح والمداراة سوف يزول عنه ذلك، تمامًا كما زال، من خلال التآزر، عن جمهور المريدين. إنَّ هؤلاء الناس يُحطّمون أرواح المريدين(36). إنَّ صحبتهم تقتل الساعي على طريق الله. نعم، وإنَّ الصحبة الحقيقية تقتل(37) هي الأُخرى، ولكنَّ هذا القتل يُسفر عن ألف حياة».

ذات يوم كان الشيخ «محمد» يقول أنَّ المعرفة المدروسة أفضل(38)، لأنَّ المعرفة المكتسبة دون دراسة هي مثل الطفل الذي يقول بعفوية شيئًا يعجز عنه الراشد. كيف يُمكن أن يكون لهذا أيُّ قيمة؟

قلت: «**ربَّ رمية من غير رام**. لأنَّه عندما تسأل الطفل، لا يعرف رأس تلك الكلمات من ذيلها، إنَّه أنت مَن يعرف لأنَّك راشد. يختلف ذلك عن شخص يمنح حياة للكلمات، وعندما تدعوه إلى تقديم تفسير، يسوق مئة ألف من الإثباتات والبراهين تأييدًا لهذه الكلمات؟».

نظر إلى الأرض، بمعنى أنَّه اتهم العديد من العظماء، مثل «فخر الدين الرازي»، «شهاب مقتول»(39)، موضحًا أخطائهم، قائلًا: «اتلُ

«لَا أُقْسِمُ» «سورة البلد»!».

تلوتها، فراح يبكي بصوت عال. كنتُ أضحك، ولكن سرًا، حتى لا تفتر عاطفته.

الآن، أنت أيضًا تعظ، ولكن ليس لديك بصيرة. لقد وُلد تصوري منك ولكن دون قصد منك. فهو يمرُّ من خلالك وأنت غير مُدرك. ٣٣٨

٤٨

كان الشيخ محمد كثيرًا ما يقول إنَّ فلانًا كان مخطئًا، وأنَّ علانًا كان مخطئًا، ولكن بعد ذلك رأيتُ أنَّه كان يرتكب أخطاء هو الآخر. في بعض الأحيان كنتُ ألفتُ انتباهه إلى ذلك. كان يُطرق برأسه قائلًا: «يا بني، إنَّك تضرب بسوط قاس؟».

كان جبلًا، جبلًا! ليس لديّ أيُّ غرض هنا، ولكن في كلِّ مرة كان يُبدد فيها الوقت بالكلام، تحدث مئة ألف من هذه السقطات وتتكشَّف.

على سبيل المثال، كان في حال، وراح يتحدث عن حاله هذا. فبيّنتُ له كيف كان في ذلك الموقف.

على سبيل المثال، ذات يوم، مثلًا، كنا قد أسهبنا في الكلام ووصلنا إلى ما مفاده أنَّه إذا كان للحديث النبوي ما يُقابله في القرآن، فالحديث صحيح. روى حديثًا وقال: «أين ما يُعادل هذا الحديث في القرآن؟".

أيقنتُ في تلك اللحظة، أنَّه كان في حال. أردتُ أن أجعله يخرج من تشتته ويستجمع أفكاره من خلال اختيار الكلمات المناسبة للردّ على سؤاله. فقلتُ: «هناك خلاف حول ما إذا كان الذي ذكرته هو حديث أم لا، ولكن أين ما يُعادل نص حديث: «مثل العارفين كنفس واحدة» في القرآن؟"

ظنَّ أنَّني أسأله وسرعان ما أجاب: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» «الحجرات١٠»، «مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» «لقمان ٢٨». ثمّ عاد إلى رشده، وفهم أنَّ غرضي لم يكن السؤال، بل كان شيئًا آخر. قال: «يا بنيّ، إنَّك تضرب بسوط قاس». في البداية كان يقول: «يا بنيّ»، وفي النهاية «يا بني». ثمّ يضحك، بمعنى: «أيُّ منزلة لهذا الولد؟!». ٢٣٩-٤٠

٤٩

قال الشيخ «محمد»: «إنَّ مجال الكلام واسع جدًا، فكلٌّ يقول ما يشاء».

قلتُ: «إنَّ مجال الكلام محدود جدًا، أمَّا مجال المعنى فواسع. اِترك الكلام كي تُبصر الرحابة والوضوح. اِنظر إن كنتَ البعيد القريب، أم القريب البعيد؟».

قال: «أنت تعرف أفضل».

قال: مهما يكن، أنت ما أنت. ولكن، اِترك الظاهر، **فالاختلاف رحمة**. إن لم تكن الكلمات قد قيلت لك، فلا تخف ولا تهرب. إنَّ أسرار **الطريق** والتي تتجاوز المعنى الظاهر لا تُقال لي عندما يكون

هناك جماعة من الآخرين، سواء خارج أو داخل وجودك الخاص، فقط عندما تكون هناك خلوة.

على الرغم من أنَّه لديك صفات شخصية جيدة في كينونتك، ومن أنَّك نقي من صفات الحقد، والغدر، والسرقة، ولكن هناك خونة ولصوص في هذا الوجود. كذلك، في زمن داوود(40) حين أدبرت سلسلة العدالة إلى السماء بسبب سرقة خفية، ولم يكن أحد على علم بتلك السرقة، ولكن، عندما نظروا في إدبار السلسلة، علموا جميعًا أن ثمَّة سبب لذلك.

حسنًا، إنَّ سلسلة العدالة هي الطيبة والشفافية والذوق. عندما يتمّ سحبها من الساعي وراء السر، لا يكون ذلك دون سبب، «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» «الأنفال٥٣». إن لم تشغل نفسك بالنظر إلى النقاء والخير فيك، وإذا عزمت على التخلّص من تلك الشوائب الخفية فإنَّ النقاء والخير اللذين لديك سوف يزيدان. ٩٦- ٧

٥٠

إنَّ حقيقة هذا الكلام لم تصل إليهم، ولكنَّ المعنى وصل إليهم فتغيّر لونهم. عندما يتغيّر الرجل، فهناك سبب.

في الواقع، لقد كررتُ الكلام لجعلهم يفهمون. انتقدوني: «إنَّه يُكرر كلامه لأنَّه يفتقر إلى المحتوى».

فقلتُ: «أنتم الذين تفتقرون إلى المضمون، وكلماتي جميلة وصيغت جيدًا، ولو تسنى لي أن أقولها مئة مرة، ففي كلِّ مرة سوف يُفهم منها

معنى جديد، ويظل المعنى الأصيل بكرًا».

عندما كان يقول إنَّ مجال الكلام واسع للغاية، أردتُ الإجابة: «كلا، بل مجال المعنى هو الواسع جدًا، أمَّا مجال الكلام فضيق للغاية». مع ذلك، لعبتُ معه دور المرائي. على الرغم من أنَّه كان كالجبل، إلَّا أنَّه كان يعرف النفاق. قلتُ له: «استمع إلى هذه الكلمات بأذن أُخرى. لا تستمع بالأذن التي سمعتَ بها كلام الشيوخ. في المكان الذي تُوجد فيه هذه الكلمات، كيف يُمكن أن يكون هناك «أبو يزيد» وقوله «سبحاني؟»». ١٦٨

٥١

كان الشيخ «محمد» يقول: «إذا قلتُ لو أنَّ شيئًا ما كان كذا أو كان كذا، فإنَّ ذلك كفر بالنسبة إليّ".

تحليتُ بالصبر إلى أن جاء يوم كان يُقدّم فيه مشورة لأحدهم. فقلتُ له: «إذن، بهذه النصيحة، أنت تقول:» يجب أن تكون كذا، ولكن بالنسبة إليك فهذا كفر».

لو قال: «هذه حالة وتلك حالة أُخرى»، فسيكون ذلك تباينًا، ففي العبارة «لديّ لحظة مع الله»، لا تكون اللحظة مستمرة، والمعنى الحرفي يتطلّب عدم ديمومتها ـ وإلا فإنَّ كلام «عائشة» سيكون صحيحًا: «**مَن حدثك أنَّ محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية**»، لأنَّه عندما يرى أحدهم ربه، لا يبقى تباين، ويبقى هذا الحال مستمرًا معه، لا انقطاع فيه. كذلك قوله «**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**» «الكهف ١١٠». إنَّ هذا الـ «أحدًا» هو

الإنسان نفسه. ٧٧٧

٥٢

بالطريقة نفسها، كان الشيخ «محمد بن عربي» في دمشق يقول: «محمد يُبقي على ستاري". أمَّا أنا فأقول: «لماذا لا ترى في «محمد» ما تراه في نفسك؟ الجميع يُبقي على ستاره».

كما قال: «هناك حيث حقيقة العرفان، أين الادعاءات؟ أين ‹افعل!› و»لا تفعل!»؟ ".

قلتُ: «بالنتيجة كان يملك هذا المعنى، وعلاوة على ذلك كان لديه هذه الفضيلة الإضافية. إنَّ هذا الإنكار له والذي هو فيكم، وهذا التولي للمسؤولية، أليس ادعاءً؟ دعوتي بالأخ والابن، أليس ادعاءً؟ إذن تُقدّمون الحجج، وتقولون إنَّ الآخر ينبغي ألا يكون لديه حجج».

كان شفوقًا وأنيسًا جيدًا. كان الشيخ «محمد» رجلًا رائعًا، ولكنَّه لم يُحسن الإتباع.

قال عنه أحدهم: «لم يكن سوى الإتباع في حد ذاته»(41).

قلتُ: «كلا، لم يتبع. ٢٩٩

٥٣

كان الشيخ «محمد» في كثير من الأحيان ينحني ويركع ويقول: «أنا خادم لأهل الشريعة»، ولكن كان ينقصه الإتباع. لقد استفدتُ منه

كثيرًا، ولكن ليس بقدر ما استفدتُ منك. ما يأتي منك لا يُشبه ما يأتي منه. **فلا يُمكن للحصاة أن تُشبه اللؤلؤة!**

مع ذلك، فإنَّ الأولاد(42) لم يفهموك على الإطلاق، وذاك أمر غريب. قد يفهمونك في النهاية. أنت لم تُلزم نفسك بإظهار نفسك للأولاد أو لغير الأولاد.

يبذل أحدهم ألف جهد وجهد لإظهار شيء من نفسه، وهناك آخر يُخفي نفسه بمئة حيلة وحيلة. كلَّما جعلتُ نفسي جليًا، زادت متاعبي. يجتمع الشخصي والعام، ولا أستطيع العيش كما ينبغي. ٣٠٤ - ٥

إنَّ قلبًا كهذا، والذي هو أعظم مني في جميع العلوم، يطرح نفسه مئة مرة. أنا لن أعتبر الأمر سيَّان، فلو اعتليتُ المنبر ونطقت كلمة واحدة، لسخر مني الجميع.

أنا أتحدّث عن هذه الأمور كثيرًا، ولكن متى سوف تقبل ذلك؟ مئة ألف رحمة على هذا الوجه! عسى أن يجعلني الله جديرًا بتقبيل هذا الوجه! عسى الله أن يجعلني مستحقًا لذلك!

كان الشيخ محمد، الذي كان يسعى إلى **الحقّ**، يأمل أن يحدث هذا بيني وبينه، ولكن لم يكن متاحًا. لقد تمنيتُ أن يحدث بيني وبينك، ما كان يأمل أن يحدث بيني وبينه. إذن، ما منزلتك؟». ١٤٤

٥٤

إنَّ لله عبادًا يُدخلهم في الحجاب ويتحدّث إليهم عن الأسرار.

أخذني الشيخ «أوحد» إلى رقصة «سما»، وأبدى تقديره لي. ذات يوم قال: «لماذا لا نكون معًا؟».

قلتُ: «بشرط أن تجلس في العراء وتشرب أمام التلاميذ ولا أشرب أنا؟».

قال: «لماذا لا تشرب؟».

قلتُ: «كي تكون فاسقًا ومحظوظًا، وأكون أنا فاسقًا وغير محظوظ؟ (43)».

قال: «لا أستطيع؟".

بعد ذلك قلتُ كلمة، فراح يضرب كفًا بكف ثلاثًا. ٢٩٤

٥٥

إنَّ الرغبة في هذه الدنيا، على الرغم من أنَّها قد تكون ضرورية، تملأ كبدي أسى. هذا ليس بسبب أيِّ قصور من طرفك. إنَّما الرغبة في الجنة، حيث لا حزن. أُريد شخصًا مستعدًا للدخول عبر هذا الباب مائة ألف مرة، مرة تلو أُخرى. أعوذ بالله من أن يكون العكس!

بعض الناس يُحصِّلون كلَّ ما يتعلق بهذه الدنيا بسهولة وسرعة، وآخرون يرغبون في هذه الدنيا مع آلاف الآهات، التوسلات، الدموع، وأدعية الثناء، وبين الفينة والأُخرى تأتيهم قطرة بعد ألاف الحيل. الآن، هذا هو أقلُّ شيء بالنسبة إليّ، كلّ مَن يلتفت إليّ، لا يبتغي إلَّا وجه الله، يجب أن يشمئز منها. هذه أول خطوة.

قال لي «أوحد الدين»: «لماذا لا تأتينا كي نكون معًا؟".

قلتُ: «فلنأخذ الكؤوس، واحدًا لي، وآخر لك، ونمررها على الجميع حيث يجتمعون من أجل «سما»؟».

قال: «لا أستطيع».

قلت: «إذن فرفقتي ليست من نصيبك. يجب أن تبيع مريديك والجنة كلُّهم بكأس؟». ٢١٧- ١٨

أتساءل عمَّا يظنه هؤلاء الناس

حول ولاية الله.

ذاك الإله الذي خلق السماوات،

والذي خلق الأرض،

الذي أظهر الكون للوجود،

هل تُكتسب ولايته بسهولة بالغة

بحيث تدخل وتجلس أمامه،

تتحدث وتستمع إليه؟

هل تتوهم أنَّ هذا حساء يُعدُّ في المطبخ؟

تأتي وتحتسيه؟

ثمّ ترحل هكذا ببساطة؟

---

(9) كالصوفي الذي التفت نحو رغيف خبزه. للنسخة الكاملة من هذه القصة انظر ٢.٢٢٧.

(10) ـ الطفل ذو خمس سنوات. يُشير شمس إلى هذه النقطة أيضًا في ٣. ١٨٧

(11) وضعتُ المقاطع ١٩-٢٢ في قسم السنوات الأولى، ولكنَّ واحدًا أو أكثر منها قد يتبع إلى الفترة التي قضاها في حلب إثر الرحيل الأولي عن الرومي. يذكر المقطع ١- ٢٢ على سبيل المثال «الطريق إلى حمص», والتي هي مدينة قريبة نوعًا ما من حلب.

(12) لا بُدّ أن تزلّ قدم ابن آدم مرة في حياته. ينبغي التذكير أنَّه لا يتمّ النظر إلى «آدم» في الإسلام على أنَّه مذنب, إنَّما كأول نبي وكنموذج للكمال البشري. إنَّ «زلته» هي أنَّه أكل من الشجرة. قبل ذلك، وبعده كان عبدًا مخلصًا لله. قارن مقطع ٣- ٢٥

(13) شمس الدين خونجي. النسخة المطبوعة ـ كما في المقاطع ١- ٢٨ و ١- ٣٠ « يُوردها «الخوئي» الأمر الذي يجعله عالِمَ دمشق الذي كان تلميذًا لفخر الدين الرازي, والذي كان على وفاق مع ابن عربي, ومات في ١٢٣٩- ٤٠، ولكنَّ محرر النص يُقدّم دليلًا في ST (٥٤) على أنَّ النص يجب أن يُقرأ «خونجي» وليس «خوئي», ولقد تتبعتُ تنقيحه. إذا صحّ هذا, فهو أحد أساتذة شمس غير المعروفين. يُخبرنا المحرر أنَّه لا يُمكن الاعتماد على المخطوطات بما يكفي لمعرفة ما إذا كان «خونجي» أو «خوئي» اسمين مختلفين، أم الاسم نفسه وتمّت كتابته على نحو خاطئ.

(14) قالها أحد الدراويش. أي النبي. عن النبي كدرويش أو كإنسان فقير قارن ٣-١٤٠.

(15) هذا هو عمل الله ـ المكر. إنَّ هذه العبارة ليست فظة كما تبدو. ذكر القرآن في سورتين عن الكفار: «**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**» «آل عمران٥٤, الأنفال٣٠»

من الناحية الغيبية, فإنَّ العمل الخلَّاق لله يستر ويكشف, يخدع ويُرشد. يُناقش الصوفيون مكر الله فيما يتعلق بالـ «حجاب» راجع **التصوف** الفصل ١٠.

(16) **المؤمن** هو أحد أسماء الله الواردة في القرآن, غالبًا ما يُؤول الصوفيون هذا الحديث بما معناه أنَّ المؤمن مرآة لله «على سبيل المثال «شيتيك» و»ويلسون» و»فخر الدين عراقي»، ص٨٦. في رواية أخرى «المُؤمن مرآة لأخيه المسلم». عادة ما يُؤوله الرومي هكذا. (M i 1328, 3147, II 30)

(17) شمس الدين خوجندي. إنَّ البكاء على آل بيت النبي, وخاصة على استشهاد الإمام الحسين, هو طقس نموذجي عند الشيعة. يُعبّر الرومي عن نظرة مماثلة في حكايته عن شيعة حلب MVI 777 ff.. :»إن كنت غير واعي, إذهب وابكِ على نفسك, إندب على قلبك ودينك الخربين». MVI 2-801.

(18) عن **شهاب هروي** راجع المقدمة.

(19) انشقاق القمر. معجزة منسوبة للنبي. يُقال إنَّها ذُكرت في القرآن «القمر ١».

(20) علي. النص بالفارسية, ممَّا يُصعّب تتبع الأصل العربي. ربما في ذهن شمس شيء مماثل لقول الإمام الشيعي الثامن «علي الرضا», أثناء جداله مع ملحد: «إن كانت وجهة النظر الصحيحة هي وجهة نظرك....، ألسنا متعادلين؟ إنَّ كلُّ ما صلیناه وصمناه، وتصدقنا به وأعلناه من قناعاتنا لن يُؤذينا». «شيتيك» **مختارات شيعية**

ص٤٩».

(21) شهده في نفسه. بعبارة أُخرى, فهم شهاب هكذا آيات عن القيامة ليس كإشارات لأحداث كونية خارجية، وإنَّما لتجارب داخلية للروح. يقوم الموقف النموذجي للفلاسفة اللاحقين على اتخاذ هكذا آيات كإشارات على التحولين الداخلي والخارجي كليهما، والحديث عن القيامتين, الكبرى والصغرى.

(22) إنَّه يقرأ صفحته هو. قارن في ١- ٤٧، ٢-٦٩، ٣- ١٦٤، ٣-٢٠٧. إنَّ أفضل قصة معروفة للرومي لوصف خطأ الحكم على الآخرين انطلاقًا من وجهة نظر المرء المحدودة هي قصة بائع الخضار والببغاء التي يرويها في بداية **المثنوي** (I247 ff.)..

(23) «اثنان وسبعون حجابًا من نور». على الأرجح إشارة للحديث الشائع روايته: «إنَّ لله سبعين حجابا من نور وظلمة.... «.

(24) « بكاء الجمادات». عادة ما يتحدث الصوفيون مثل ابن عربي عن خطاب جميع الأشياء الحيَّة أو الجامدة. «البكاء» إشارة على الأرجح إلى بكاء الجذع المذكور في الاختيار التالي.

(25) هل لديك أدنى فكرة في أيِّ مكان من جسمك أو قلبك. غالبًا ما يعرض الرومي هذا النوع من المجادلة. كما في (Arb 19-218; SPL 12-111) fih 212

(26) الجذع الباكي. بدأ جذع شجرة بالبكاء عندما كفَّ النبي عن استعماله كمنبر. يروي الرومي القصة في المثنوي «إنظُر تحديدًا في IM ٣٢٨٠».

(27) كلماته. «إذا تكلَّم الرجل... « في M VI 4900 ، يضع الرومي هذه العبارة على لسان شخصية ضمن حكاية دون اقتراح أنَّها تعود إلى قول سابق.

(28) غيرة الملائكة. كما يقترح المقطع التالي, المقصود هو أنَّ الملائكة أرادت أن يكون الله لها وحدها, ولذلك صرفوا انتباه الرسل إلى الدنيا.

(29) المعجزة: خلال تفسيره للمعجزة «يُعجز» أو ما يسمى بـ«إعجاز» العقل ينظر «شمس» في المعنى الاشتقاقي للكلمة.

(30) اثنان وسبعون نِحلة. إشارة إلى حديث. «تنقسم أمتي إلى اثنتين وسبعين فرقة».

(31) العقول عشرة. كان هذا الموقف الذي اتخذه على سبيل المثال الفارابي, ابن سينا والسهروردي.

(32) الحلال والحرام. النقاش النمطي عند الفقهاء.

(33) واجب الوجود بذاته. يتمّ تقديم الشيخ محمد كمنتقد لهذا التعبير, والذي يتمّ ذكره على الأرجح لأنّه نمطي عن اللغة التي يستخدمها شهاب «انظُر ١-٣٦ « من الجدير بالذكر أنَّ ابن عربي غالبًا ما يستخدم هذا التعبير في كتابته دون أي تلميح إلى رفضه له.

(34) إنَّه لا يعرف الجزئيات. موقف فلسفي تمَّ انتقاده بشدة من قِبل علماء الأصول والصوفيين. قارن النقاش المشابه في ٢- ١٩٨

(35) إنه يقرأ صفحته هو. راجع الملاحظة في ١- ٣٧.

(36) هؤلاء الناس يحطمون أرواح. بعض ملاحظات الرومي على المدرسين المزيفين, راجع ((SPL ١٤٥-٤٧

(37) الصحبة الحقيقية تقتل. أي أنَّ كون المرء مريدًا لشيخ حقيقي يُسفر عن موت النفس الدنيا «الفناء» وعن الحياة في الله «البقاء». راجع (SPL ١٨٣-٨٦)

(38) المعرفة المدروسة «علم التعلم», بالنسبة إلى ابن عربي فهو حتمًا لم يعتبر «التعلم» أفضل من الكشف والشهادة. لقد استحوذ عليه, مثل شمس إلى حد كبير, حضور الله في سن مبكرة «"SPK xiii-xiv. كان موقفه هو أنَّ التعلم حجاب يمنع التجلي المطلق للحقيقة, راجع مثلًا نقده للغزالي في "SPK 37.2 "

(39) شهاب مقتول. هو الفيلسوف شهاب الدين السهروردي مؤسس مدرسة التنوير. على حد علمي, لا يُشير إليه ابن عربي أبدًا في كتاباته, كما أنَّه لا ينتقد فخر الدين الرازي على الرغم من أنَّه كتب له رسالة يوضح فيها قصور النهج العقلاني المُجرّد تجاه المعرفة.

(40) داوود.»سلسلة العدالة تهرب إلى السماء». وفقًا لرواية هذه القصة الموجودة في الكسائي «٢٨٦-٨٨», أمر الله داوود أن يُعلّق جرسًا بسلسلة لتسوية النزاعات بين المتقاضين. سوف يتمكّن أولئك الذين يقولون الصدق من قرع الجرس, أمَّا الكاذبون فلن يتمكنوا من بلوغ السلسلة. سرق رجل بعض الحلي من أحدهم, بعد ذلك ومن خلال إخفائه الحلي ضمن متاعه وجعل الخصم يحمل المتاع، تمكن من قرع الجرس وخدع داوود لفترة. بعد هذه القضية ارتفعت السلسلة عاليًا ولم تعُد أبدًا.

(41) لم يكن سوى الإتباع في حد ذاته». من شأن هذا رُبّما أن يكون ردًا على نقد «شمس» في حال كان هذا حقًا هو ابن عربي المشهور, بالنظر إلى تشديد «ابن عربي» الكبير على إتباع «النبي في كتاباته.

(42) الأولاد: أي حلقة مريدي الرومي.

(43) فاسقًا ومحظوظًا. بعبارة أُخرى سيكون «أوحد» فاسقًا، لأنَّه أخلّ بالشرع ومحظوظًا، لأنَّه كسب صحبة «شمس». أمَّا بالنسبة إلى «شمس» فإنَّ ما يعنيه بعبارة «فاسقًا وغير محظوظ»، فليس واضحًا بالدرجة ذاتها. رُبّما يقصد أنَّه سوف يكون فاسقًا لجلوسه مع شيخ يحتسي الخمر وغير محظوظ لأنَّه يحمل وزرًا إضافيًا لأنَّه دلَّ الشيخ على هذا الطريق. انظر إلى تعليقاته في ٣-١٦٩



أتساءل عمَّا يظنه هؤلاء الناس

حول ولاية الله. ذاك الإله الذي خلق السماوات، والذي خلق الأرض، الذي أظهر الكون للوجود، هل تُكتسب ولايته بسهولة بالغة بحيث تدخل وتجلس أمامه، تتحدث وتستمع إليه؟ هل تتوهم أنَّ هذا حساء يُعدُّ في المطبخ؟ تأتي وتحتسيه؟ ثمّ ترحل هكذا ببساطة؟

طريقي إلى الله
الربح والخسارة من الدراسة

١

إنَّ هذه الدنيا كنز، وهي ثعبان كذلك. بعض الناس يلهون بالكنز، وبعضهم يلهو مع الثعبان. أولئك الذين يلهون مع الثعبان يجب أن يُهيئوا قلوبهم لتلقي عضة من ذلك الثعبان. إنَّه يلدغ الذيل، والرأس. إذا قام بلدغ الذيل ولم تنتبه، فسيلدغ الرأس.

أولئك الذين انصرفوا عن الثعبان ولم ينخدعوا بجواهره ولطفه، يضعون الشيخ صاحب البصيرة في المقدمة، لأنَّ الشيخ صاحب البصيرة هو الزمردة التي تُعمي نظرة الثعبان. عندما يرى الثعبان الشبيه بالتنين أنَّ الشيخ صاحب البصيرة هو زعيم القافلة، يُصبح بائسًا، وصاغرًا، وضعيفًا. في تلك المياه اعتاد أن يكون مثل سمك القرش، ولكن تحت قدم البصيرة يُصبح جسرًا، ويُصبح سمّه سكرًا، وأشواكه ورودًا. لقد اعتاد أن يكون قاطع الطريق، ولكنَّه يغدو الآن حارسه. لقد اعتاد أن يكون مصدر الخوف، ولكنَّه بات الآن مصدر الأمان. ٣١٣

٢

إنَّ الفكر يأخذك إلى عتبة الدار(44)، ولكنَّه لا يأخذك إلى داخلها.

إنَّ الفكر حجاب(45) والقلب حجاب والسر(46) حجاب. ١٨٠

٣

إنَّ الفكر هو سيد مَن رمى بالسهم. بإمكانه سحب وتر القوس إلى محاذاة الأذن. ومع ذلك، فإنَّ هذا الفكر الدنيوي منهَك بطبيعته. يستطيع سحب الوتر، ولكن ليس حتى الأذن. بألف حيلة سيجعله يصل إلى محاذاة الفم. ما الفعل الذي سيُؤدّيه إذا تركتَ القوس بعدما سحبتَ الوتر لغاية الفمّ؟ إنَّه لا يُسفر عن جروح إلَّا إذا أطلقته من محاذاة الأذن، ولذلك، فإنَّ الكلمات التي تخرج من الفم ليست بشيء ذي قيمة، إلا إذا أتت فقط من الفعل والممارسة. **أنا الأقلّ شأنًا بين الناس، والله يعرف نفسي أفضل مني، وأنا أعرف نفسي أفضل منك.**

إنَّ كلمات هذا الفكر الدنيوي تنطلق من الفم، أمَّا كلمات ذاك الفكر الدنيوي فهي سهم مصوَّب من أعماق الروح، لذلك «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ» «الرعد ٣١».

إنَّ الكلمات التي لا تنبع من الفكر

ليست مناسبة للكلام أو الكتابة.

ينبغي للمرء أن ينظر من بين يديه ومن خلفه، بحيث لا يُصبح حُبّ هذه الدنيا حاجزًا،لأنَّ حبك لشيء ما يجعلك أعمى وأصمًا. عندما يهيمن حُبّ هذه الدنيا على حُبّ الدين، فإنَّه **يجعلك أعمى** وأصمًا. والنتيجة هي: «**وجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**» «يس ٩». رُبّما يتوبون أو يصحون من غفلتهم. حينها سوف يضعف ذلك الحُبّ، وسيُصبح الحاجز أوهى. في معظم الأحيان، يتحقق هذا من خلال الصحبة والأصحاب الصالحين. تدوم الصحبة الجيدة مع الصبورين وجميلي المعشر. ٣١٣- ١٤

٤

كان لأحد الملوك اثنين من الأبناء، أحدهم مهذب وطَموح، والآخر لا يُعتمد عليه، غبي، جبان، ومخنث. بدافع الحميَّة قام الملك بتعيين رجل يتحلى بصفات الرجولة من شجاعة وتضحية، وأشبه ما يكون بـ «رستم»، وجعله مرافقًا وصاحبًا لهذا الولد.

راح يروي عليه ليلًا ونهارًا قصصًا عن سمات الرجال ويُظهرها له. علَّمه كيف يستخدم الأسلحة وكيف يتحرّك كرجل. في مدة شهرين، ليلًا ونهارًا، روى له هذا الأشوس قصص الرجال وسيرهم، ولكن لا جدوى. بقي الصبي يصنع اللعب والدمى ويلهو بها مثل الفتيات.

بعد شهرين، طلب منه الملك إحضار الصبي كي يراه. كان الصبي يضع حجابًا على رأسه ويحمل ألعابه. كان المُعلّم مرتبكًا بحيث جعل عمامته قناعًا له وجلس بجواره.

نزل الملك. «أين المُعلّم؟»، بقي يسأل هو يتلفت يمنة ويسرة: «أين المُعلّم؟».

أزال المُعلّم حجابه وقدم له تحياته. وقال بصوت مخنث: «مرحبا، أنا المُعلّم».

قال الملك: «ما هذا؟».

قال: «يا ملك الدنيا! خلال هذين الشهرين، مهما ضربته أو دفعته لجعله مثلي، لم أُفلح أبدًا في ذلك. على العكس أنا أصبحتُ مثله».

لكنَّه كان رجلًا. كيف يُمكن لجعله نفسه مشابهًا من تلك الناحية أن يضره؟ «٣١٠- ١١

٥

في البداية لم أُجالس الفقهاء، بل جالستُ الدراويش. كنتُ أقول: «إنَّهم غريبون عن كونهم دراويش». ثمّ توصّلتُ إلى معرفة ماذا يعني أن تكون درويشًا وأين مكانهم، والآن أُفضّل الجلوس مع الفقهاء على الجلوس مع هؤلاء الدراويش. على الأقل فقد أخذ الفقهاء المتاعب على عاتقهم، في حين يتباهى أولئك ببساطة بكونهم دراويش. أعني، أين تجد درويشًا؟

اكتوى جميع الأنبياء العظماء بعشقهم لكونهم دراويش، فحتى «موسى» نادى: «**اجعلني واحدًا من أمة محمد!**»، بينما المحمديون هم أولئك الذين منحوا هذا.

لكلِّ قصة مغزى. ساق العظماء القصة من أجل الجوهر، وليس لدفع الملل. لقد ساقوها في شكل قصة لإظهار الغاية منها. مع ذلك، مَن **يسكت ينجو** في خدمة العظماء، خصوصًا أنَّه:

أيًّ كان ما يراه الشاب في مرآة

يراه الرجل العجوز في القرميد.٢٤٩

٦

في النتيجة، كنتُ فقيهًا. قرأتُ التنبيه(47) وغيره عدة مرات.

الآن، لا شيء منها يخطر في البال. لا يُوجد شيء. إلَّا إذا كان علينا أن نمضي قُدمًا على هذا النحو، فستُطل برأسها أمام وجهي، ثمّ تسقط أمامي. بخلاف ذلك، ليس في رأسي أيَّ حكايات. كلا، أنتِ اذهبي! أنتِ تعالي! **أحلى من سنّ الشباب ومخالطة رجال الفكر!** ٦٧٦

٧

قال أحدهم للآخر: «سيدي، هل أنت يهودي؟».

قال: «لا، أنا فقيه».

قال: «آه، مؤسف أنَّك لستَ يهوديًا».

قال:»لماذا؟».

قال: «أنا بحاجة إلى بعض الكبريت؟»

في تلك المنطقة كان العرف لدى اليهود عدم الخروج في الصباح، خشية تعذيبهم على يد المسلمين، الذين اعتبروا تعذيبهم عملًا صالحًا. كانوا هم مَن يبيعون الكبريت وأشياء من ذاك القبيل.

قال: «لهذا السبب تريد مني أن أكون يهوديًا؟».

قال: «نعم».

قال: «سيدي، سوف أجلب لك بعض الكبريت، لكن لا تتمنى لي اليهودية، سوف أفعل ما تُريد». ١٣٤

٨

إنَّ ساقَي الفكر ضعيفتان، ولا فائدة تُرجى منه. مع ذلك، فإنَّه لا يُترك دون أن ينال نصيبه. إنَّه قادم جديد، والقادم الجديد يتمّ إيصاله إلى باب الدار، ولكنَّه لا يملك الجرأة للدخول إلى جناح الحريم.

تمّت كتابة «**ألف**» على **اللوح**. في بعض الأحيان نقول إنَّها كُتبت على **اللوح**، وأحيانا أُخرى على الأرض، وأحيانًا على القلب. إنَّ نورها يملأ الأرجاء. أين المُتكلّم؟ حقًا أين هي العين؟ أين هي الرؤية كي ترى؟ ٣٠٧

٩

ثمّ يقولون، كلُّ شيء هو **الحق**، ليس هناك خلق. إذا لم يكن هناك خلق، سوف يكون هناك كلام الله دون حروف ولا صوت.

حيث يكون **الحق**، لا تُوجد أحرف ولا أصوات. ٦٤٨

١٠

عندما يُصبح كلُّ شيء معروفًا من الـ «**ألف**»، ما من حاجة لأيِّ شيء آخر. عندما لا تُصبح معروفة بالنسبة إلى شخص ما، يجب على الآخر أن يُفسّرها له. رُبّما لا يفهم «باء» أو «تاء»، وهكذا حتى نهاية أحرف الأبجدية. أحدهم لم يفهم، وبالنسبة إليه جاء القرآن بمثابة تفسير.

إنَّ الـ «**ألف**»حرة. إنَّها تتربع أمام الإلوهية. تُكنُّ لها «باء» العشق في قلبها، وتُلقي برأسها عند أقدامها. ٦٥٩

١١

أخبرني أولًا ما هي الـ «**ألف**»، فأُخبرك عن الـ «باء». سيكون ذلك طويلًا. حسنًا، إلَّا أنَّ طويل وقصير سيَّان لديّ، ولذلك اِسمح لي أن أكون طويلًا أو قصيرًا. إنَّ القصر والطول هما من سمات الجسم، وهذه السمات هي أمر مستحدث. إنَّ الأول والآخر ينشآن من ذاك. من دونه، ليس هناك أول ولا آخر، ولا ظاهر ولا باطن. ١٨٨

١٢

من بين جميع الأسرار، لم يتناثر شيء بقدر الـ «**ألف**». كان كلُّما قالوه في سبيل تفسير الـ «**ألف**» وبالطبع لم تُفهم الـ «ألف».

يا من مات في محاولة لفك العقد!

ولدتَ في الاتحاد، وتوفيت في الفراق.

ذهبتَ إلى النوم ظمآن، وأنت على حافة المحيط!

لقد متَ فقيرًا وأنت على قمة كنز! (48) ٢٤١

١٣

يا من مات في محاولة لفك العقد!

خُلق الإنسان لغرض ما، ولذلك يجب أن يعرف من أين جاء والى

أين سيعود. لقد أُعطي الحواس الظاهرة والباطنة بحيث تكون أدوات يستخدمها في سعيه. عندما يُوظّفها لشيء آخر، فإنَّه لا يكسب الطمأنينة لنفسه بحيث تكون حياته سعيدة ومبهجة، ولا يُدرك أين بدايتها ونهايتها. عندما يشغل نفسه بالعلوم، التي هي أفضل شغل لأهل هذه الدنيا، تمرُّ أيامه ويتمّ إبعاده عن هدفه.

في نهاية حياته، أفضل المحققين في هذا المجال سيقول: «**لم نلقَ في هذه الدنيا سوى العذاب والأذى**». إنَّ هذه نصيحة للدنيا بأكملها. لم يكن ذلك أوان التمسك بالشكليات، ولم يكن أوان تفسير الكلمات.

إنَّ أرواحنا في فزع من أجسادنا،

من هذه الدنيا لم نكسب سوى العذاب والأذى(49). ٦٧٨

١٤

دع الأيام تتبارك بك(50). أنت هو المبارك! تأتي الأيام علَّها تتبارك بك.

لقد أعدَّ **ليلة القدر**(51) في غير ذات القدر. أليس كذلك.

إنَّ العارف بالكلام(52) شيء، والمتكلم العارف شيء آخر تمامًا.

لقد قال ألف كلمة. فقال: «أين البقية؟» كان يجلس خاملا. كان «موسى»عارفًا بالكلام، «موسى كليم الله»(53).

«لَن تَرَانِي» «الأعراف ١٤٣»، كان «موسى» متحمسًا للغاية، وكان هناك تقدم، ولكنَّه مُنع: «مهلًا، رُبّما في وقت آخر! **الأيام بيننا**».

«لَنَفِدَ الْبَحْرُ» «الكهف ١٠٩»، ولكن معنى الـ «ألف» لن ينتهي.

لقد قفزَت من البلاط الإلهي. ما الحكمة من ذلك؟ إنَّه يعلم سرّ **حكمته**.

قال: «إنَّ الفكر لا يُخطئ»، ولكنَّه كانت مخطئًا حين قال:»لا يُخطئ؟».

سقطَت الـ «باء» على خطى الـ «ألف»! فقال: «لماذا جئت؟».

فأجابت: «سأكون تفسيرًا لك، ولدي نقطة واحدة، وهذا هو العشق الذي أُكنُّه لك في نفسي، أنا معنى الـ «**ألف**».أنا أحكي سر التجرُّد».

جاءت «الـتاء»: «لدي نقطتان على رأسي حتى أُطيح بهذه الدنيا وبالآخرة».

وجدت «الثاء» لنفسها مكانًا. كانت أبعد، تمامًا كما كانت التوراة أسبق وفسّرَت معنى القرآن.

لدى «الجيم» قسمان زيادة عن الـ «**ألف**»، لكنَّها ربطت حزام الخدمة حول وسطها. تملك «الدال» أيضًا «ألفين». ٦٣٦

١٥

هناك قصة «سعيد بن المسيب»، الذي كان يشغل منصب أستاذ في بغداد، وكان له ابنة، وقد وصلَت أخبار رقتها وجمالها إلى مسامع الخليفة، فاستعمل كلَّ الحيل والمناشدات بالإضافة إلى القمع والضغط والإيذاء لجعل الفتاة زوجة له، ولكنه بالطبع، لم يُفلح في ذلك.

كان هناك فقيه في درس «سعيد»، وكان الأكثر فقرًا من الباقين وقد اعتاد الجلوس بالقرب من الأحذية. كانت والدته فقيرة. وقعَت عين الرجل العظيم عليه. عندما انتهى الدرس، فطلب منه أن يدنو. حيّاه وقال: «سوف أُزوجك ابنتي، وسوف تكون نائبي؟».

روى هذه القصة لأمه. خشيت والدته أن يكون قد فقد صوابه بسبب الحفظ المستمر في الليل، والدراسة في النهار، والتفكير، والفقر: «يا بني، هل حلمتَ بكلِّ هذا؟ هل تخيّلتَ ذلك؟ لا أملك ثروة كي أُعالجك».

قال: «أماه، هذا ليس حلمًا، ولا خيالًا، ولا نتيجة الإرهاق. ما رأيتُ في الأمس كان حقيقيًا».

أصبحَت الأُمّ أسوأ. تشاورَت مع نساء الحي: «هذا الولد يُفقدني صوابي». قُلنَ لها أنَّه عليها أن تُخيفه حتى يكفّ عن الحديث عن هذه الخيالات. لو سمعه الناس،لشهدوا على جنونه.

عندما ذهب إلى الدرس في اليوم التالي، دعاه مرة أُخرى، وكان أكثر إصرارًا من السابق. كان هذا الرجل المتعلم، الباحث عن المعرفة يفرك عينيه. قال: «عجبًا! رُبّما هذا خيال أو حلم.أجمعت والدتي وكلُّ النسوة على أنَّه «بسبب كلِّ هذا التفكير والأسى، فقد فقدتَ إدراكك،

وغلبتك السوداوية». نظر مرة أُخرى إلى المدرسة وإلى نفسه، وإلى الأستاذ، وقال: «لا، والله، أنا لا أتخيّل الأشياء، وليس هناك سوداوية ولا حلم ولا جنون».

ذهب مرة أُخرى إلى البيت وقصّ القصة. قُلنَ: «لقد أطبق عليه الأسى.سوف يُفقدنا ويُفقد نفسه الصواب!». باختصار، كلَّما أصر أكثر،أنكرنَ أكثر. حتى عندما اقترب موعد الزفاف، وارتدى أثوابه، ودخل الدار معطيًا إياها الذهب والفضة، وقعت الأم في الحيرة وبقيت تشكك.

في الليل أحضروا الفتاة. نظرَت نساء الحي والأُمّ في استغراب. دنَت مجموعة من النساء اللاتي كنَّ يعرفنَ الفتاة منها، وعبَّرن عن سخافة الموقف. صاحت الفتاة فيهنَّ: «ما السخيف في ذلك؟ إنه واحد من أهل العلم والتعلم، ونحن أيضًا من أهل العلم والتعلم، بل هو متفوق علينا، لأنَّنا أهل هذه الدنيا، أمَّا هو فلا يملك شيئًا من متاعها، ولذلك هو أنبل وأفضل منا. نحن في حاجة إلى هجر هذه الدنيا وأن نكون مثله؟» ٦٦٩-٧٠

١٦

اعلم أنَّ الدراسة هي كذلك حجاب عظيم. إنّ الرجل يذهب إليها، كما لو أنَّه ذاهب إلى بئر أو خندق، ثمّ يندم على ذلك في النهاية، لأنَّه يكتشف أنَّه قد تمَّ إشغاله بلعق الوعاء في سبيل إلهائه عن الطعام الدائم الخالد. في النتيجة، فإنَّ الكلمات والأصوات هي عبارة عن وعاء. ٢٠٢

١٧

في ساعة الوفاة، كان «سنائي» يُتمتم شيئًا. عندما وضعوا آذانهم جوار فمه سمعوا التالي:

لقد تحولتُ عن كلِّ ما قلتُ-

ليس هناك معنى في الكلام، ولا كلام في المعنى(54). ٦٦٨

١٨

يا عبد الجسد! كم تسعى لخدمته؟

يقولون أنَّ هذه القصيدة لـ «أبو العلاء المعري»(55) . إنَّ كلماته ليست كثيرة، ولكنّ الأمر ليس كما يقولون: إنَّه كان قويًا. اِنظُر إلى ما يقوله الحكيم:

وصلَت معرفتي إلى نقطة

أدركتُ فيها أنَّني جاهل.

من هذه الكلمة الواحدة تشمّ رائحة شيء ما. لقد كشفوا له أمرًا فقال: «تبيّن لي أنَّ ما قلتُ من البداية إلى النهاية لم يكن شيئًا». ٢٢٧

١٩

كلَّما كان الإنسان أكثر تعلمًا، كان أبعد عن الهدف، وكلَّما كان

تفكيره أكثر تعقيدًا، ابتعد أكثر. إنَّ هذا عمل القلب، وليس الرأس.

تلك قصة ذاك الذي وجد خطوات للوصول إلى كنز: «اِذهب إلى بوابة كذا وكذا.هناك قبة، ليكن ظهرك نحو القبة، وجهك في اتجاه القبلة، اِترك السهم يذهب، حيثما يسقط السهم، فهناك الكنز».

ذهب وأطلق سهمه، ولكن بغضّ النظر عن عدد محاولاته، لم يجده. وصل الخبر إلى الملك. لقد قام أمهر الرماة بالمحاولة، وبالطبع لم يظهر أيُّ أثر.

عندما تاب إلى الله، تلقى إلهامًا: «لم نقل أنَّه يجب سحب القوس». ذهب ووضع السهم في القوس، وتركه يسقط أمامه. عندما تأتي العناية، **يصل الإنسان بخطوتين**.

إذن، ما علاقة هذا بالممارسة؟ ما علاقته بآداب الزهد؟ إنَّ كلَّ مَن يرمي السهم أبعد يُحرم أكثر. هذا لأنَّك تحتاج إلى «خطوة» للوصول إلى الكنز. يا لها من خطوة! ما تلك الخطوة؟ **مَن يعرف نفسه يعرف ربه**. إنَّ التي أسموها «الأمَّارة بالسوء(56) « هي نفسها «المطمئنة». ٧٥- ٧٦

٢٠

على الرغم من أنَّ هذه المعاني تُصبح عندما يتمّ التعبير عنها، مثل الماء في إناء، وأنا لا أجد أيَّ ماء دون إناء. أُريد أن أستوعب تلك المعاني التي في الكتابات العربية، في الملابس العربية، وما من سبب آخر لتعلم اللغة العربية.

غايتي في الكعبة ومعبد الوثن هو أنت.

إنَّ غايتي في معبد الوثن هو صورة وجهك وجماله. إذا أردتُ وثن الكلمات من أجل تلك المعاني، فلن يحدث ذلك دون **الصاحب**. يجب أن يكون **الصاحب** موجودًا. ٦٧٦

٢١

كان ينبغي أن أُحدّثهم عن تلك العلوم والمعارف العربية، لأنَّه من المؤسف أن أُحدّثهم عن معرفتي المُتفرّدة. كيف يُمكنك الابتعاد عن هذه المعرفة وتشغل نفسك بتلك؟ يجب أن يُبقوا أنفسهم منشغلين بتلك وحسب، لأنَّهم ليسوا أهلًا لهذه.

إنَّهم جميعًا يسعون إلى الاستفادة من المعرفة. يجب أن تسعى وراء الأعمال الصالحة، علَّك تحظى بالخير من **الصاحب**. هذا هو الجوهر، وذلك هو القشر. ١٨٥

٢٢

يعظ الواعظ من أجل تبيان الغاية والطريق والمسافر. عندما يُلقي الشيخ المختل والشاعر الشعر بغرض التفسير والتبيان، يُصبح مذمومًا أكثر في نظر العارف.

كان أحدهم يتحدّث عن السمك. قال له آخر: «اِسكت. ماذا تعرف عن السمك؟ لماذا تُفسّر شيئًا لا تعرفه؟».

قال: «ماذا؟ أنا لا أعرف ما السمك؟».

قال: «هذا صحيح. إن كنتَ تعلم، قُل لي ما أمارة السمكة؟».

قال: «أمارة السمكة هي أنَّها تملك قرنين، تمامًا مثل الجمل».

قال: «حسنًا، كنت أعرف مسبقًا أنَّك لا تعرف ما هي السمكة، والآن بعد أن أعطيتَ الأمارة، تبيّن لي أمر آخر: أنت تعجز عن التمييز بين البقرة والجمل».

لو لم تضحك الخزامى ببلاهة هكذا،

من كان ليُظهر سواد قلبها؟

حتى لو كان يجري في عروقها،

فإنَّ وجهها يستحقُّ سواد القلب.

نعم، ولكن هناك أيضًا قوله: «**خاطبوا الناس على قدر عقولهم**». إنَّ «قدر عقولهم» هو آفتهم.

الفكر هو أصفاد الرجال،

العشق يفكُّ الأصفاد.

الفكر يقول: «لا تسرف فيه»،

يقول العشق:»لا يهمّني». ٧٦- ٧٧

٢٣

قلتُ له: «لا تشتري الطاحونة، ولا تجعلها وقفًا. أعطني الألفي درهم، وسوف ألتفت إليك، وعندما ألتفت، سوف أُعطي طحينًا يفوق الوصف».

هل ترى ما يفعله رجل مريض؟ لو قام بمئة من أنواع الرياضة الروحية، فإنَّه لن يفعل ذلك باختياره.

قال: «بهذا القدر من الهوان، ما الذي سيصل إليه؟».

قال: «أنا لن أتحدث عن الهوان. بدلًا من ذلك: ماذا لو أنَّ كافرًا أخذ وعاء من الماء معه على الطريق، وكان أحدهم في حاجة إليه، فأعطاه الماء. لم ينظر إليه نظرة لطف، إلا أنَّ دواخل نفسه ارتاحت بسبب الماء. في يوم القيامة سوف يأخذ الكافر بيد مئة ألف مسلم. إنَّ فعل الله ليس له علل(57) قد يُنفق أحدهم مئتي درهم على الدراويش، ولا تبلغ قيمة خمسة دراهم يُنفقها آخر».

إذا كان من المناسب فهم هذه المعاني من خلال الدراسة والمناقشة، فلزام على»أبي يزيد» و»الجنيد» أن يُمرغا رأسيهما في الوحل أمام»فخر الدين الرازي»، ولاحتاجا أن يكونا من طلابه مئة عام .

يقولون إنَّ «فخر الدين الرازي» ألَّف ألف ورقة في تفسير القرآن. يقول البعض خمسمئة ورقة. إنَّ مئة ألف من»فخر الدين الرازي»ما كانوا ليصلوا إلى غبار طريق «أبو يزيد». إنَّه مثل الطارق على الباب، وليس الباب الخاص داخل المنزل، وإنَّما الباب الخارجي. إنَّ هذه الغرفة الخاصة هي أمر مختلف تمامًا، حيث يتربع السلطان وحده

مع النخبة، وليس مع الطارق على ذاك الباب، الطارق على البوابة الخارجية.

إنَّ هذا الكفاح في الجدال هو بالضبط ما كنتَ تُريد أن تجعله معروفًا من خلال المعرفة، ولكن من أجل ذاك، يجب أن تخرج وتُكافح. على سبيل المثال، لو رحتَ تُجادل حول الطريق إلى دمشق وحلب(58) مع مولانا مئة سنة، هل كنتُ لآتي إلى هنا من حلب؟ كلا، ليس قبل أن ينفق هو أربعمئة درهم وتعرض أنت نفسك وثروتك للمخاطر. تقول:»حتى لو كان هناك أشرار؟». هيا، قُلها. فليكُن خطرًا، أو تهورًا. في النهاية، سوف يتمّ إنجاز العمل.

سأل: «أولا، لا بُدّ للمرء من المناقشة حول معرفة الطريق، ثمّ يُمكنك أن تسلك الطريق».

فأجاب: «قصصتُ قصة الطريق والذهاب إلى «أكسراي»(59). أوضحتُ أنَّك لم تذهب، إلَّا أنَّك تسأل عن الجهة الأُخرى. فقلتُ: «اذهب بعيدًا، وسوف أكون معك. بعد ذلك، حسنًا، اِنظُر أيّ الجانبين أكثر أمنًا من اللصوص والذئاب والأشرار، وما إلى هنالك، هل هو الطريق إلى «ملطية»، أم إلى «إبليستان»(60)؟ «. ١٢٧- ٢٨

٢٤

كان هناك سبعة من الصوفيين الذين مكثوا معًا لبضعة أيام. كانوا في حاجة إلى الطعام، ولكن بسبب فرحتهم بلقائهم بعضهم البعض، لم يشاءوا أن يتبعثروا بحثًا عن طعام. علم السيد النبيل بحالهم، فجاء من بعيد وتواضع لهم. قال: «ماذا يخطر على بالكم؟».

قال أحدهم: «اِذهب، أعدَّ لنا طعامًا كافيًا، والكثير منه دون تأخير، أفرغ البيت من الصغار والكبار، بمن فيهم أنت، فلا يطرق أحد الباب».

فعل ذلك. قال: «إنَّ هؤلاء سبعة أشخاص، وسوف أُعدُّ الطعام لعشرين رجلًا من باب الاحتياط، وسوف أُرسل جميع أفراد الأسرة إلى منازل الأقارب، وسوف آمرهم «إياكم والاقتراب من المنزل اليوم». ملأ أطباق الطعام ووضع أرغفة الخبز على الطاولة. أدخلهم وأجلسهم. قال: «لقد خدمتكم، وأنتم في حلٍّ مني، ولن تروني حتى الليلة».

صفق الباب وأغلقه بسرعة. تظاهر بالمغادرة، لكنَّه ذهب إلى الطابق العلوي ونظر من فتحة خفية ليرى كيف سيأكلون. وضعوا الأطباق واحدًا تلو الآخر أمامهم وأكلوا. كلَّما فرغ طبق أخذوا الذي يليه. فجأة، انتفخ أحدهم وسقط أرضًا. التحق بـ «**مَقْعَدِ صِدْقٍ**» «القمر٥٥»، لأنَّ **كلَّ إنسان يعود إلى أصله**، ولأنَّه سمع النداء «**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ**» «الفجر٢٨». كان، في الواقع، في **مقعد صدق** هنا وهناك. بقي ستار رقيق حتى، وبسبب هذا الستار، كان يُمكن أن يُرى هنا.

أمَّا الستة الآخرون فقد وقفوا هناك يأكلون. بعد زمن، انتفخ آخر وسقط. واستمر هذا بالحدوث، حتى لم يبق سوى السابع مع الطعام.

فقد سيد المنزل صبره. نزل وفتح الباب، متظاهرًا أنَّه قادم من الخارج. دخل وقال: «يا شيخ، كيف كانت الأمور، هل كان هناك ما يكفي من الطعام كما أمرتم، أم لا؟».

قال: « لا».

قال: «كيف ذلك؟».

قال: «لو كان كافيًا، هل كنتُ لأبقى على قيد الحياة؟ بما أنَّني ما زلتُ أتنفّس، فالطعام لم يكن كافيًا».

إنَّ الإجابة الكافية الوافية هي التي لا تدع في دواخل نفسك أيَّ إثارة للسؤال والجواب. طالما كان هناك طلب للأسئلة والأجوبة، فهي لم تكن كافية. طالما كان أحدهم سعيدًا بالمزيد من الكلام والمزيد من الإجابات، فهذا دليل على أنَّه لا يزال في دواخل نفسه شكوك وأنَّه يطلب إجابات. ١٩٠- ٩١

٢٥

إنَّ الكلام هو من أجل الممارسة. أمَّا الممارسة فهي ليست من أجل الكلام. إنَّ الأمر كذلك كي تعلم أنَّ الراحة هي في معية الدراويش. ١٣١

٢٦

تُستخدم ثلاث أدوات في حلف اليمين: «وَ»، «بِ»، «تَ»، وبالتالي لدينا «وَالله»، «بِالله»، «تَالله».

إنَّ السبب الذي يدفع هؤلاء الناس إلى الدرس في مدرسة هو تفكيرهم: «سوف نُصبح مُعلّمين، وسوف نُدير هذه المدارس». يقولون: «**العمل الصالح**، يجب أن يتصرف المرء على نحو لطيف!». يتحدثون في هذه المجالس عن أمور معينة كي يحصلوا على المناصب.

لماذا تُدرّس المعرفة من أجل بضع لقيمات دنيوية؟ إنَّ هذا الحبل وُجد كي يخرج الناس من البئر، لا لينتقلوا من هذا البئر إلى آخر.

يجب أن تربط نفسك بمعرفة التالي: «مَن أنا؟ ممَّ خُلقت؟ لماذا أتيتُ؟ أين أذهب؟ أين جوهري؟ في هذا الوقت ماذا أفعل؟ إلى ماذا وجهتُ وجهي؟». ١٧٨

٢٧

يتعلق هذا التمايز والتفاوت بالمعرفة الظاهرية للأمور الحسية والحقائق الفكرية التي تنتمي إلى فكر هذه الدنيا، وحواس هذه الدنيا. فما بالك إذن بمستويات الفكر في الجنة!

إلا أنَّ هذا خداع أيضًا. أقول لك: «اِنزع القطن من أذنيك حتى لا تكون حبيس كلام اللسان.حينها لن تكون سجين المتملقين الظاهريين ولن تفتتن بكلِّ عرض. اِفتح عينيك وأذنيك حتى تُحيط علمًا بالتجربة الداخلية، لأنه لا أحد يُحيط بها إلَّا الله، أو «إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» «الجن ٢٧». ٦٠٨

٢٨

كان هناك ثلاثة أصدقاء يهودي ومسيحي، ومسلم(61). وجدوا بعض المال فأعدوا الحلاوة. كان الوقت متأخرًا: «سوف نأكلها غدًا، ولكنَّها ليست بالكثير. مَن يرى حلمًا جيدًا سوف يأكلها». كانت غايتهما عدم إعطاء شيء منها للمسلم.

استيقظ المسلم في منتصف الليل: «ما النوم؟ عاشق ولهان، ثمّ

نوم؟»، قام وأكل الحلاوة.

قال المسيحي: «نزل المسيح وسحبني».

قال اليهودي: «اصطحبني»موسى»لرؤية الجنة. كان «مسيحك» في السماء الرابعة(62). ما عجائبها مقارنة مع عجائب الجنة؟».

قال المسلم: «جاء «محمد» فقال لي: 'أيُّها الفتى المسكين! لقد أخذ المسيح أحدهم إلى السماء الرابعة، وأخذ «موسى» الآخر إلى الجنة، أمَّا أنت فمحروم ومن غير حول ولا قوة، على الأقل قُم وكُلّ الحلاوة» فقمتُ وأكلت الحلاوة».

قالوا: «إنَّ الحلم الذي رأيته ـ كان هو الحلم! أمَّا ما رأيناه نحن فكان مُجرّد خيال ووهم».

كُن حذرًا مع هذه القصة! راقِب ما تتخيّله. لا تُفكّر في النهاية: «أنت خرجت إلى البستان، فأكلتُ أنا العسل والدواء سرًا». ٦٥٢

٢٩

تحلُّ البركة من خلال تواجدك مع الأكابر. هناك خلاف حول ما يُقصد من **الأكابر**. هل هم الأكابر من جهة العمر؟ هل الأكابر من جهة المعاني التي تتبع للصورة، مقيدون، وليسوا خالدين؟ أم الأكابر من خلال معنى باق؟

يقول البعض أنَّ المقصود هو الأكابر في العمر، أي من خلال مرور الزمن، وهذا صورة وأشياء تابعة للصورة. يقول البعض إنَّ المقصود

هو الأكابر من حيث المعنى.ينطلق الجميع من حيث هو، وكلّ **إناء بما فيه ينضح**، ولكنّ الإنسان لا يطرح أسئلة على ذاك «الكبير».

أنت تقول: «إنَّهم يهزّون الشجرة كي تسقط الفاكهة؟». في بعض الأحيان، قد تهزّها فلا تسقط الثمرات. يبدو أنَّها لن تأتي أكلُها. لا فائدة سوى في الصمت والتسليم. ليست كلُّ الأشجار موجودة في عالم الصورة. هنا لا سبيل سوى الصمت والتسليم «**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**» «الأعراف٢٠٤».

على سبيل المثال، يبدأ المتكلم الأصولي في التحدّث حول موضوع يتحدّث عنه من البداية إلى النهاية. لا تُوجد اعتراضات بينما يروي الموضوع كاملًا إلى النهاية. بعد أن تكون قد فهمتَ ذلك وحفظته، بحيث تستطيع تكرار كلَّ ذلك من البداية إلى النهاية، تستثني منه في قلبك. رُبّما كنتَ تقوله، ولكن ليس كما هو تمامًا، ولكن كأن تُكرر نصف الموضوع وليس النصف الآخر.

أنت تقول: «هذا ليس العرف؟".

أقول: «إنَّ العرف معوج. إنَّه ليس صحيحًا".

أنت تقول: «ولكنّ هذا ليس كمالًا، الكمال هو أنَّه حتى لو تفوّه بألف من ذلك، فلا تقوم أنت بأيِّ إغفال أو تخطٍّ؟».

أقول: «إنَّ ذاك الكمال له شكل آخر، الكمال هو أن تأخذ الخلل على عاتقك: لم أفهمه تمامًا أو لم أحفظه». في هذه المسألة، قد يتمّ التعبير عن نقاط معينة، ولكنَّ الكلمات الأولى ذهبَت، وهكذا قال: «**عندما قيل للفقير: «لماذا اختفَت البركة من المجالس؟»**»،

بعبارة أُخرى، إنَّ بركة الكلمات الأولى، والتي كانت البداية، هي التي اختفت.

نار الحُبّ أحرقَت قلبي، دم كبدي لطخ وجهي، وبلسم شفاه **المحبوب** أصبح خمري ـ فماذا تنفعني **الذخيرة واللباب**؟(63)

تكمن الفائدة في تناول اللقمة. تنتظر لوهلة حتى تُعطيك اللقمة فائدتها، ثمّ تأكل لقمة أُخرى. إنَّ الحكمة موجودة في هذا، وهذه هي الطريقة في الاستماع والحكمة، ولكن، إن كان أحدهم بلغ درجة من التحرق والمعاناة تدفعه إلى الأكل بسرعة كبيرة، فهذا شيء آخر. إنه نفسه يعرف، ولكن لا ينبغي أن يُجرّب ذلك مع طعامي.

لو شرعتُ في هذه العلوم الظاهرية، فطالما أنَّني لم أُتقن درسًا، فلم أكُن لأبدأ بآخر، مثل شخص يقرأ شيئًا عدة مرات بحيث لا ينطق بأيِّ استثناء أو إضافة. هذا لأنَّ هذه الدروس لم تُهضم(64). بالتالي، لن أبدأ درسًا جديدًا غدًا، ما لم أكُن قادرًا على إعادة جميع النقاط والاستثناءات التي تكرم بها مولانا. سأقوم بمُراجعة الدرس نفسه. إذا استوعب أحدهم مسألة ما كما ينبغي، فذلك أفضل من قراءة ألف مسألة تبقى غير ناضجة. ١٣٦- ٣٨

٣٠

إنَّ «تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»(65) «يوسف١٠١» هو عمل عظيم. إنَّها رتبة عظيمة، معرفة نية المتكلم من كلامه. كان يُوسف الصديق نبيًا عظيمًا. كان فخورًا بعلم تأويل الأحاديث، وشاكرًا على ذلك. ٦٨٤

٣١

سألتُ سؤالين من أجل الاستفادة. لم يُجب الشيخ. أتساءل عمَّا إذا رأى أنَّني غير مؤتمن على الجواب أو أنَّني لم أكُن مستعدًا لذلك، أو أنَّه لم يكن يملك الاحتياط المسبق؟ قال: إنَّه ليس من عادته أن يبدأ الإجابة هكذا ببساطة. فقط عندما ينبع الكلام من التذوق فإنَّه يتكلّم.

قال: «هل رأيت؟ هل كنت متفرجًا؟ إنَّ كلَّ هذا نقل وتقليد، أو حديث شريف، أو قصص، أو شعر شاعر(66)».

لم يكن يبدأ في إثارة أيِّ مناقشة. قلتُ: «أين رأيك الخاص؟ هيا، أجب!».

كان لسان حاله ينطق تمامًا مثلما ينطق هذا الجدار: «لماذا تُريد جوابًا مني؟ هل يطلب أحد إجابات وأسئلة من هذا الجدار؟".

قال: «إنَّ المعنى واضح». إذن لماذا لا تقول هذا المعنى الواضح في القاعة؟ سوف أُغلق أذني، لا أُريد أن أسمع، إن كان حيًا، فأنا لم أسمعه منه.

فماذا تنفعني **الذخيرة واللباب**(67)؟ ٧٤٤- ٤٥

٣٢

على الرغم من أنَّ لديهم بعض العلم، لا ينفكون عن التحوّل من حال إلى حال. بالتالي فإنَّك تُدرك أنَّ هذه العلوم لا علاقة لها بالباطن، لأنَّ القوة الباطنية هي التي تدفع المرء إلى قول: «كلا، سأبحث بنفسي». لا يقبل المرء أي حديث كان. لقد باتت كلمات مثل «المعرفة» و«الدروشة» تُستخدم من قبل أيِّ أحد، ولكنَّ الشيء الوحيد الذي

يعرفونه هو ما سمعوه. ٦٨٧

٣٣

إنَّ «محمد غوياني» رجل مؤمن.، وهو عامر بالإيمان. إنَّه ليس خاليًا من النفس مثلي. لو كان لهذه الكلمات أن تُلازمه، فإنَّها سوف تكفيه حياته كلها، وحتى يوم القيامة، والصراط المستقيم، وحتى الوصل مع الله، وإذا لم تُلازمه، سيعود إلى أساسه، وستعود هذه الكلمات هي الأُخرى إلى المكان الخاص بها.

ذات ليلة أمسك الحارس الليلي بأحدهم. قال: «آه، إن ضربوني، فلن أتحمّل ذلك، وإن أخذوا أيَّ شيء مني، فذلك سيكون أسوأ». لو أخذوا درهمًا واحدًا من متسول، فكأنَّهم قتلوه.

قال: «سأقودك إلى تجمّع يجلس فيه خمسون من أولئك الذين تبحثون عنهم»، أي المشتبه بهم.

قالوا: «إنَّه محق، ماذا يُمكننا أن نأخذ من هذا المتسول؟ هيا، أرنا أين هم؟"

حتى الآن، كان أسيرهم. في هذه اللحظة، ثمّ أصبحوا أسرى لديه. لقد أصبحوا صحبة وأصدقاء. اصطحبهم إلى باب. ثمّ قال: «أنتم تجلسون هنا، وسوف أذهب لأراهم، ولكن لا تقولوا أيَّ شيء».

ارتابوا في الأمر: «إن كان ينبغي ألَّا يكون هناك كلام، فلماذا يتكلم هو؟».

باختصار، أغلق الباب، وصعد إلى السطح وجلس. رأى أنَّهم لن يذهبوا. قال: «لم أجدهم».

قالوا: «أيُّها الحقير، لقد فعلتَ ما فعلته، وسنفعل ما نفعل».

قال: «اضربوا رؤوسكم بالجدار، لا منزل لديّ، إن شئتم اذهبوا من هذا الطريق، أو ذاك».

عندما لا يفهم متلقي الكلامِ الكلامَ، فإنَّه يعود إلى البيت. ينظر من على السطح، وذاك ما يقوله.

إذا استقبل الكلام، فلماذا هو عاجز عن الإجابة على كلام الآخرين؟».

قال: «إنَّه ليس عاجزًا».

فقال: «عندما أقول «عاجز»، فأنا أعني أنَّه لا يُعطي إجابة».

لا يُحبّ الناس سماع الحديث عن النجاة. بل يُحبّون سماع الحديث عن أهل جهنم. إنَّ الكلام الذي يتناول النجاة صحيح.

لذلك، سوف أجعل أنا الآخر، جهنّم شديدة الحر كي يموتوا خوفًا.

لم تكن فاطمة رضي الله عنها عارفة، بل كانت زاهدة، ولهذا السبب بقيت تطلب من النبي أن يتحدث عن جهنم. ١٤١- ٤٢

٣٤

كان أحدهم يطرق على الباب.

«مَن هناك؟»

قال: «ابن أخ الله».

خرج صاحب الدار ليكون في خدمته: «أعطني يدك، لديّ عمل معك؟»، أخذه إلى المسجد: «هنا منزل عمك، كما تعلم. هيا اِدخُل، ولن تضطرّ إلى الخروج مرة أُخرى».

لا بُدَّ أنَّه قال: «هيا الآن، إنَّه يقول أحجية. إنَّه لا يعني ذلك».

إنَّ نقاشك هذا كفيل بجعل فخر الدين الرازي عاجزًا. ما أعجب ألا تُعجزك كلُّ هذه الإجابات! ٣٤٩

٣٥

حسنًا، تلك هي صفات الكريم ذو الجلال، وذلك هو كلامه المبارك. مَن أنت؟ أيُّها يخصك؟ إنَّ هذه الأحاديث صحيحة ومليئة بالحكمة. وتلك هي إشارات الأكابر. نعم إنَّها كذلك. اِستحضر شيئًا. أيُّها يخصك؟

أنا أتكلم انطلاقًا من حالي المتفرد. لا علاقة لي بتلك. أنت أيضًا، تحدّث إلي، إن كان لديك كلام، أفصح عنه! إذا ذكر أحدهم أحيانًا كلمات بعينها بقصد الاستشهاد بها، فإنَّهم ،كما يقول مولانا، يمهرونها بالقرآن والأحاديث كي يتمّ شرحها، هذا جائز. ٧٢

٣٦

في الواقع، إذا تحمستَ بفعل كلامك وشعرك المتفردين، وأتى كلام الآخرين متماشيًا مع ذلك، فانَّ الحماسة ستزيد. إنَّه أمر جيد.

مع ذلك، كنتَ تقول إنَّ الخرقة تتكلّم أحيانًا(68) على كلٍّ، يجب أن يكون حالك أفضل من حال عباءة. لستَ قادرًا على التكلم إلا اقتباسًا عن الآخرين والاستشهاد بالشعر، فمن أين للعباءة بالكلام؟ فالكلام مستحيل بالنسبة إليها. من بين الأشياء الجامدة، جاء الكلام من عجل السامري(69)، ولم يعُد عرفًا منذ ذلك الحين. مع ذلك، كيف لمن اتخذ العجل إلهًا أن يقبل نبوة موسى؟ لقد اعتبرَ حال موسى مثل حال متشرد.

في النتيجة، كان مريد لدى أحدهم يقول إنَّه يرى الله وجها لوجه سبعين مرة في اليوم. قال شيخه: «لو رأيتَ «أبا يزيد» مرة واحدة، لكان ذلك أفضل من رؤية الله سبعين مرة». كان «أبو يزيد»(70) عائدًا من الغابة. أتى ورآه، فوقع أرضًا، ومات، لأنَّه كان عاشقًا وطالبًا، لقد مات. بعبارة أُخرى، فقد بقي جزء من النفس معه، ولكنَّها الآن لم تعُد موجودة، فمع رؤيته العاجزة ، رؤيته غير الكافية، كان قد رآه حسب تصوره الخاص، ولكنه لم يرَ الله بقوة «أبي يزيد».

حسنًا، إنَّ مئة ألف «أبو يزيد» لن يصل إلى غبار نعل موسى.(71) أنت تقول، من باب التقليد، إنَّ آلاف الأولياء لا يصلون إلى غبار الأنبياء. إذن، كيف تعتبره مسموحًا أن يراه متشرد ألف مرة في اليوم، في حين أنَّ موسى، كليم الله لم يره؟

إذا كان يجب على أحدهم أن يُفسّر كلام الله كما هو ، فإنَّك تقول إنَّ

المرء يجب أن يُعطي فتوى. إنّ المناقشة تأتي مع التفسير. حتى لو استُدعي للمحاسبة، فهو مُحقّ في التفسير.

ليس معنى هذا **أنا الحق**، بل مذموم ومفضوح، غير قادر على التفسير، ومن ثمَّ لا بُدَّ لرأسه أن يزول. ٧٦١- ٦٢

٣٧

إنَّ كلَّ فساد ظهر في الدنيا إنَّما ظهر لأنَّ أحدهم آمن بآخر على أساس التقليد، أو أنكر على أساس التقليد.

شعر ذلك الشخص الجليل بالألم. لم يعرف أنَّه لم يُعظَّم إلَّا على أساس التقليد، ولكنَّ التقليد في تغيّر دائم، تارة يسخن وتارة يبرد. هل من المسموح اعتبار المُقلّد مسلمًا؟

عندما عانى، وعندما تمَّ تبجيله على أرض الواقع أكثر فأكثر، أصبح هذا هو سبب الخراب في العالم. «**فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً**» «الحاقة١٠».

قال: «هذا جيد حقًا. لكن إليك هذا: في البدء إذا آمن بأحدهم من باب التقليد، فقد وقع ضمن ستار الظنّ، وفي النهاية تمّ رفع الستار. أو بدا أنَّ الستار قد رُفع، ولكنَّه زاد في حقيقة الأمر. ثمّ انقلب على ذاك الاعتقاد، ولكنَّه لا يسمح بأن يظهر ذلك عليه. حتى لا يسوء ظنُّ الناس به ولا يفقدوا الثقة في أنَّه نال رضا الله».

قال: «ولكن، إذا لم يسمح لذلك بأن يظهر، فقد أضل الناس».

قال: «كيف له أن يُظهر ذلك فيفقد ثقته بنفسه؟».

خلاصة القول هي: إذا أظهر أنَّه عاد أدراجه، فلذلك تفسيره، وإذا لم يظهره فلذلك تفسير أيضًا. هكذا قال أحد الدراويش، ويعلم مولانا أنَّ هذا الدرويش ليس بالذي يتحدث بباطل. انتهى.

عندما تبدأ الحديث بحضور مثل هذا العارف بالكلام، تجد أنَّ صلاحك في ظاهرك وليس في باطنك. وإلا، لبادرتَ إلى شنق نفسك في ذلك المقام، لأنَّ الكلام يدور حول الوفاق مع رجل ذي دين هو الأفضل من بين الأديان. إذا سألتَ يهوديًا، «مَن أفضل، النصراني أم المسلم؟»، سيقول: «المسلم؟» وإذا سألت نصرانيًا فسيقول الشيء نفسه. إنَّ هذا يستلزم أن يزيد المحظوظُ إيمانه بهذا الدين الحق. «**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**» «البقرة٦٠

في طلب الصديق، أنا أتعجل.

حياتي وصلت إلى نهايتها، ولكنَّني نائم.

أفهم أنَّني سوف أجد الاتحاد مع الصديق،

ولكن كيف يُمكنني فهم الحياة التي انصرمت؟(72) ١٦١- ٦٢

٣٨

إن كان لا بُدَّ من أن تحثو نفسك بالتراب

فخُذ التراب من أعظم الكثبان.

إن كان لا بُدَّ من أن تكون مقلدًا، فقلّد القرآن. مثل ذاك الحكيم المعروف. قال: كان هناك حكيم لا مثيل له في علم الطبّ والتجريب في المعمورة. كان له عبيد شعر رأسهم يُعادل مئة مثله. كان قبيح المظهر وبشع الصورة إلى أبعد حد، قليلة هي المدن التي فيها من يفوقه قبحًا. كان رأسه ووجهه مجعدين للغاية بحيث لا يظهر شيء من ملامحه، لا فم، ولا عينين.

نزل به مرض لا علاج له سوى تناول القذارة البشرية، ومن ثمّ وضعه في بساط ودحرجته. كان العديد من الأطباء يجلسون حوله، ينظرون إلى بعضهم البعض، عاجزين عن الكلام. لقد فهم، وعلم، لأنَّه كان معلمهم كلَّهم. قال: «أعرف، أعرف، يجب أن آكل كذا وكذا، حسنًا، بما أنَّه لا بُدَّ لي من أن آكل ذلك، فليكن من «قيماز»، التي كان يُحبّها كثيرًا. ٢٠٧- ٨

٣٩

يقولون إنَّ المسيح الدجال سيقتل الماعز والأغنام، وسيقتل الطيور، ويقتلع ريشها وأجنحتها، ثمّ يفركها بيديه فتعود إلى مكانها الصحيح وتدبُّ فيها الحياة، وسيضع يديه على الماعز الذاوية، فتلد. سوف يشطر الماعز إلى شطرين، ثمّ يفركها بيديه، فتعود كما كانت. إنَّ عباد **الحق** وأتباع محمد لن يُخدعوا بذلك، على الرغم من أنَّه يأتي بما يُشبه المعجزة.

إنَّ هذا الشخص مقلد. مع ذلك، فهو يُقلّد الاعتقاد بالحماية المفرطة من حراسه. عندما يصل في بعض الأحيان أثر من تلك العناية إلى نفسه بطريقة خفية مستترة، فإنَّ تقليده يُصبح قويًا بحيث لا يتنازل عن تلك الإفادة حتى لو رأى بأُمّ عينيه ألفًا من هذه الأشياء من

المسيح الدجال.

حسنًا، عندما يكون شخص ما لديه ذلك الحال باستمرار، فإنَّه لا ينقطع عنه أبدًا، لا في وقت الأكل، ولا وقت النوم، ولا في المرحاض. يجلس في المرحاض وذلك الحال قائم. ما نوع حاله؟ في النهاية، هو مُعتلٍ المرحاض.

بطبيعة الحال، إنَّ لحيته هي بالحجم المناسب لأيّ لحية. قُل إنَّك سوف تُريه مريدين مخلصين على قدر لحيته، وبما أنهم لم ينالوا الباطن، دعهم على الأقل ينالوا الظاهر. ٢١٣- ١٤

٤٠

إنَّهم مقلدون. إنَّ «هو» الذي يكون محققًا أكثر يكون مقلدًا أكثر. هناك جماعة تتبع القلب، وأُخرى تتبع الشفافية، وأُخرى تتبع محمد، وأُخرى تتبع الله. إنَّهم يروون عن الله. هناك جماعة أُخرى لا تتبع الله ولا تروي عنه بل يتكلّمون من تلقاء أنفسهم. قُل: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي}[الكهف١٠٩]. يقول «**لكلمات ربي**».

الآن، إنَّ «**هو يقول**» نوعان: الأول «هو»، والثاني «حقيقة هو». يقول آخر «هو». فيقول **هو نفسه**: «من هذا «هو» الذي تقول؟».

يقول: «هكذا، يمتلك الأمر مزيدًا من النكهة». ٦٧٤- ٧٥

٤١

كان هناك رجل أصمّ آتيًا من الطاحونة(73). رأى أحدهم قادمًا إلى

الطاحونة. راح يُحدّث نفسه أنَّ الرجل سوف يسأله من أين أتى؟ لكنَّه نسي أمر التحية. عندما أخطأ في البداية، توالت الأخطاء من البداية إلى النهاية.

خمّن: «سوف يقول: من أين أنت قادم؟، فأقول: «من الطاحونة». سيقول: «كم أعددتَ من الدقيق؟»، فأقول، «مكيال ونصف». سيقول: «هل كانت المياه جيدة؟ «، فأقول،» كانت تصل إلى المنتصف».

جاء الرجل وقال: «السلام عليكم؟".

قال: «من الطاحونة؟".

قال الرجل، «أوساخ على رأسك!».

قال: «مكيال ونصف؟".

وقال: «فوق مؤخرة زوجتك!".

قال وهو يُشير: «تمامًا حتى المنتصف".

كان الرجل قد أدرك أنَّه أصمّ، راح يقول كلَّ ما يخطر في باله بعدها، ولكن، لو كان أعطاه الإجابة الصحيحة، لقال: «ينبغي ألَّا أتكلم معه كلامًا تافهًا. لا يستطيع المرء أن يفعل ببساطة أيَّ شيء». ٦٦٦- ٦٧

٤٢

ذهب أحدهم إلى مجلس وعظ في «همدان»، حيث كانوا جميعًا

يُصرّحون بتشبيه الله سبحانه بمخلوقاته. جاء داعية المدينة وجلس على مقعده. بدأ القارئون يتلون أمامه على نحو هادف الآيات التي ترتبط بالتشبيه(74). مثل «الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ» «طه ٥»، وقوله: «أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ» «الملك ١٦». «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» «الفجر ٢٢»، و «يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ» «النحل٥٠». بما أنَّ الواعظ كان من المشبِّهة، راح يتحدّث عن معنى الآيات فيما يخصُّ التشبيه، كما اقتبس من الأحاديث الشريفة: «**إنّكم سترون ربكم عيانًا كما ترون القمر ليلة البدر**»، و«**خلق الله آدم على صورته**»، و«**رأيتُ ربي في رداء أحمر**». وعرض شروحًا جيدة وفق أسلوب المشبِّهة. قال: «الويل لمن لا يُعلن تشبيه الله في هذه الصفات، مَن الذي لا يعرف الله في هذه الصورة! إنَّ عاقبته ستكون جهنم حتى لو أدى العبادات، لأنَّه يُنكر صورة الله. فكيف يُمكن أن تكون طاعته مقبولة؟».

كان السائلون يقفون ويستشهدون بالآيات والأحاديث المتصلة بأنَّ الله منزه عن كيف وأين، من قبيل «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ»»الحديد ٤» و «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» «الشورى ١١»، فيقوم بتفسيرها بأسلوب التشبيه. جعل الجمع بأكمله يتحمّس لفكرة التشبيه، وخوَّفهم من التنزيه. ذهبوا إلى بيوتهم وحدّثوا أبناءهم وزوجاتهم. لقد نصحوهم جميعًا: «يجب أن تعرف أن الله على **العرش**، في صورة جميلة، قدماه متدليتان إلى الأسفل ووضعتا على **الكرسي**، والملائكة حافين من حول **العرش**! قال واعظ المدينة: «إنَّ مَن يُنكر هذه الصور، فإيمانه مرفوض. الويل له عند وفاته! ويل له في قبره! الويل له من عاقبته!».

في الأسبوع التالي، وصل الواعظ الذي كان غريبًا ومن المذهب السني. تلا القراء الآيات التي تعرض تنزيه الله: قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ

شَيْءٌ» «الشورى ١١» و «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ» «الصمد ٣و «وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» «الزمر ٦٧»، وراح يُقرِّع أولئك المشبهة، الذين يُعلنون أنَّ لله شبيه: "إنَّ كلَّ مَن يُصرّح بتشبيه الله بمخلوقاته، ملحد. إنَّ كلَّ مَن يقول إنَّ له صورة فلن يُعتق من جهنم. إنَّ كلَّ من يقول (نَّ له حيِّز، فاللعنة على دينه ! اللعنة على قبره!).

راح يُفسّر كلَّ الآيات التي تبدو كأنَّها تُشبّه الله بمخلوقاته، وبقي يتحدث بالتهديد والوعيد: «إنَّ كلَّ مَن يتحدّث عن الصورة، فإنَّ طاعته ليست طاعة، وإيمانه ليس إيمانًا. يقول إنَّ الله يحتاج حيزًا! ويل لمَن يسمع هذا الكلام!»، ذُعر الناس للغاية ، وعادوا إلى بيوتهم باكين ومذعورين.

عاد رجل إلى منزله ولم يتناول العشاء. ذهب إلى زاوية من المنزل ووضع رأسه على ركبتيه. كعادتهم، تجمّع الأطفال حوله، فأبعدهم وصاح بهم. تجمّعوا حول أمهم خائفين. جاءت زوجته وجلسَت أمامه. فقالت: «هل سيدي بخير؟ لقد أصبح الطعام باردًا، ألن تأكل؟ لقد ضربتَ الأطفال ودفعتهم بعيدًا، وكلُّهم يبكون».

قال: "إليكِ عني، ليس لدي ما أقول. سقطَت جهنم عليّ ".

قالت: «بالله الذي تدعوه، ألن تُخبرني ما هذا الحال الذي سيطر عليك؟ أنت رجل صبور. مررتَ بالكثير من الأحداث الصعبة، وكنتَ صبورًا وأخذتَ الأمور بيُسر. أنت تثق بالله. أعانك الله على تجاوزها وأسعدك. بالامتنان لكلِّ ذلك، أوكل هذه المعاناة إلى الله كذلك، خذها بيسر، وسوف تتنزل الرحمة».

أسف الرجل لحالها وقال: «ماذا عليّ أن أفعل؟ لقد أربكوني، لقد

دفعوا بي إلى الحافة. في الأسبوع الماضي قال ذاك العالِم: «يجب أن تعتقد أنَّ الله على **العرش**، ومَن لا يفعل فهو ملحد وسيموت ملحدًا؟»، هذا الأسبوع جلس عالِم آخر على المقعد: «إذا قال أحدهم أنَّ الله على **العرش**، أو يعتقد عن قصد أنَّه على **العرش** أو في السماء، لن يُقبل عمله، ولن يُقبل إيمانه. إنَّ الله منزَّه عن المكان. والآن، أيُّهما أتبع؟ وفق أيِّ اعتقاد يجب أن أعيش؟ وعلى أيِّهما يجب أن أموت؟ أنا محتار!».

قالت المرأة: «يا زوجي، لا ترتبك. ولا تحتار، سواء كان على **العرش** أو بلا عرش، سواء كان في مكان أو بلا مكان، أينما كان، فليعش طويلًا! وليدُم توفيقه!».

يجب أن تشغل نفسك بأن تكون درويشًا، والتفكير في أن تكون درويشًا. ١٧٦- ٧٨

---

(44) إنَّ الفكر يأخذك إلى عتبة الدار. انظر في SPL ٢٢٠- ٢٦ .

(45) الفكر حجاب: قارن بهذه الأبيات للرومي:

إنَّ الفكر وَثاق المسافر, يا بني,

حطم قيودك ـ الطريق سالك.

الفكر قيد, القلب شَرَك, النفس حجاب

الطريق مستتر عن الثلاثة, بني.

(46) «السر» أنا أقرؤها «سر» على الرغم من أنَّ المحرر ضبطها بالشكل على أنَّها «سار» أي «رأس».

(47) تنبيه. على الأرجح هذا كتاب **تنبيه في فروع الشافعية** لأبي إسحاق شيرازي «تُوفي ١٠٨٣»، أحد أوائل المدرسين في المدرسة النظامية في بغداد. كان يُعتبر واحدًا من أهم خمسة كتب في الفقه الشافعي.

(48) يا من مات. عطّار, **مختار نما** ص٧٤.

(49) إنَّ أرواحنا في فزع. من قصيدة لـ «فخر الرازي» «المزيد من الأشعار في كتاب **مقالات ٩٣٣**»، يُشير الرومي إلى القصيدة وينسبها إلى فيلسوف فيM IV 56-3353 .

(50) دع الأيام تتبارك بك. المقاطع ٣. ٢٠٧و ٢٠٨ تُوضّح أنَّ شمس يُشير هنا إلى فكرة أنَّ الأعياد تجلب البركات إلى الناس. في الواقع, هو يقول: إنه على الناس أن يجعلوا الأعياد مباركة.

(51) ليلة القدر. إشارة إلى الآيّة ١ من سورة القدر. «**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**». يتمّ تأويل كلمة القدر بطرق مختلفة من قِبل مفسري القرآن, مثل القوة, القَدَر, والقضاء. يُقال إنَّ هذه الليلة هي إحدى الليالي الوترية من العشر الأخير من رمضان, كما تُعتبر واحدة من أكثر أيام السنة بركة. ما يقصده شمس رُبّما هو أنَّ ليلة القدر الحقيقية موجودة في نفس الإنسان.

(52) العارف بالكلام. بالنظر إلى الإشارة إلى ليلة القدر, رُبّما يقصد شمس أنَّ القرآن المُجسّد في الوليّ هو القرآن الحقيقي، وليس القرآن المكتوب على الورق. رُوي عن علي قوله عن القرآن: «أنا كتاب الله الناطق, وذاك كتاب الله الصامت» «**التصوف** ٨٤».

(53) كليم الله. لقب نموذجي أُطلق على موسى, الذي كلمه الله من خلال شجيرة مشتعلة. في الآيات القرآنية التي يُشير إليها شمس هنا « وكذلك في المقاطع ٢-١٤٥, ٢٢٩ و ٢٤٩» يقول موسى لله: «أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ», أجابه الله: «لَنْ تَرَانِي».... ثمَّ تجلّى الله للجبل, فأصبح ترابًا, فخرَّ موسى مغشيًا عليه. المقطع مُهمّ للمناقشة في علم الأصول حول «رؤية» الله. كما أنَّه المصدر لمصطلح «التجلّي», والذي يلعب دورًا رئيسيًا في نقاشات الصوفيين عن طبيعة الآيات الربانية المعروضة في الكون, نفس الإنسان, والكتاب المقدس.

(54) بيت الشعر غير موجود في **ديوان** «سنائي».

(55) يا عبد الجسد. يعتقد المحرر أنَّ القصيدة ليست في الحقيقة, للمعرّي، ويُورد مصدرًا لاحقًا «مقالات ٥٢٦-٢٧.

(56) النفس الأمّارة بالسوء. راجع معجم الألفاظ الصعبة تحت «نفس».

(57) فعل الله ليس له علل. بعبارة أخرى, إنَّ أفعال الإنسان ليست سببًا للثواب أو العقاب, لأنَّه ليس للأمور الحادثة تأثير على **القديم**. إنَّ هذا موقف شائع اتخذه علماء الأصول المسلمون. من أجل بعض تعاليم الرومي ذات الصلة راجع SPL 18-113

(58) لو رحت تُجادل حول الطريق إلى دمشق وحلب. تُبيّن هذه الجملة أنَّ المخاطب هو سلطان ولد ابن الرومي, الذي ذهب إلى حلب بحثًا عن شمس, «قارن ٢- ٢٢٣».

(59) أكساراي. أول مدينة بعد «قونية» على الطريق إلى حلب. استخدمها شمس كي يرمز إلى غاية طريق الصوفي.

(60) إيليستان. لا يبدو اسمًا لمكان معروف. ربما كان مزاحًا, نظرًا إلى أنَّ من الممكن فهمه بمعنى «أرض الإبل» وقد يشير إلى صحراء واسعة.

(61) يسوق الرومي رواية مسهبة عن هذه القصة في M VI 509- 2376 , مستخدمًا إياها للتأكيد على الادعاءات الفارغة لأولئك الذين لا ينهلون من مصدر العلم الحقيقي. يُنهي روايته بهذه السطور: «أنت يا مَن برهانه كالعصا في يده تُظهر عماه, تتنحنح وتتخذ مظاهر تفيد «أنا آسف, لا أستطيع أن أرى».

(62) السماء الرابعة. في معراجه قابل النبي في كلٍّ واحدة من السماوات السبع واحدًا من الأنبياء, تقول عدة روايات أنَّ عيسى كان في السماء الثانية، ولكن في الشعر الفارسي عادة ما يتمّ ربطه بالسماء الرابعة, فلك الشمس. «من أجل أمثلة من الرومي إنظُر SPL 73 «.

(63) نار الحبّ. عن هذه الأبيات انظر للملاحظة حول ٢-٢١١

(64) الدروس لم تُهضم. قارن نقاش الرومي حول كيفية حفظ الناس للقرآن وعدم نيل أي فائدة من ذلك، لأنَّهم لا يهضمون الكلام. على النقيض, لم يحفظ صحابة الرسول إلَّا بضع سور، ولكنَّهم حصلوا الكثير من الفائدة.Arb٩٤.٨٢-Fih٨١. في M III1386ff, يقول شيئًا مشابهًا يتلخص في بيت شعر «باختصار,عندما يقع الإنسان في الوصل, فالوسيط فاتر في عينيه».

(65) تأويل الأحاديث. يُنظر نموذجيًا إلى هذه الآية القرآنية كإشارة إلى قدرة يوسف على تفسير الأحلام. ما يقوله شمس في ٣-٧٤ يُلمح إلى أنَّه يفهم التعبير كإشارة إلى بصيرة قدسية ونبوية.

(66) يبدو أنَّ المقطع الأول هو قصة لقاء شمس مع شيخ ما, من المحتمل أنَّها محادثة مع الرومي. في المقطع الثاني, تُشير كلمة «قال» على ما يبدو إلى كلام شمس, الذي ينتقد الشيخ لاقتباسه كلام الآخرين وعدم امتلاكه شيئًا خاصًا به يقوله، من هذا المقطع و حتى ٢-٤١ يُشير شمس إلى نوعين من العلم، واللذين يُسميان عادة «التقليد» و«التحقيق», وإن كان شمس لا يستخدم المصطلحين معًا إلَّا في ٢-٤٠. «التقليد» هو معرفة الأشياء قيلًا عن قال, أمَّا «التحقيق» فهو معرفة الأشياء وجهًا لوجه من خلال التجربة المباشرة, أو الكشف. من أجل بعض المقاطع التي يُقارن فيها الرومي بين الاثنين انظر SPL ١٢٥-٣٥

(67) فماذا تنفعني. انظر ملاحظة ٢- ٢١١.

(68) الخرقة تتكلم أحيانًا. قارن ٣- ١٤٠.

(69) عِجل السامري. في النسخة القرآنية عن قصة العجل الذهبي «الأعراف١٤٨»، «طه٨٨»، فإنَّ «السامري» هو من صنع العجل وليس هارون «سفر الخروج ٣٢» وكان العجل يُصدر صوت خوار.

(70) أبو يزيد ورؤية الله. يروي ابن عربي القصة نفسها في عدد من المناسبات, اِنظُر إلى SDG ٤٠٣-٤.

(71) موسى وأبو يزيد. قارن الرواية المشهورة للقاء الرائع بين شمس **ومولانا**, والتي يسرد شمس قصته المتفردة عنها في ٣- ٦٢.

(72) في طلب الصديق. الرباعيات # ١١١٩

(73) يروي الرومي نسخته عن هذه القصة في المثنوي I SPL 33-132". ""95-3360»

(74) التشبيه والتنزيه, يعادلان على وجه التقريب الحلول وتأكيد سموه. رُبّما كان ابن عربي أول من زاوج بين هذين التعبيرين "لكلٍّ منهما تاريخ طويل في النصوص الفقهية", لوصف الصفات الكاملة لله والمتضمَّنة في **التوحيد**. عن الجمع بين التنزيه والتشبيه من أجل الوصول إلى فهم صحيح للتوحيد, انظر «موراتا **الرؤية** ٧٧ff.

الفلسفة

٤٣

إنَّ أسهل العلوم هو علم طقوس الطهارة وفروع الفقه، والأكثر صعوبة من ذلك هو مبادئ الفقه. لا يزال هناك الأكثر صعوبة هو مبادئ الأصول، بل والأكثر صعوبة هو علم الفلسفة والماورائيات. إنَّ أولئك الذين يتحدّثون بها يتبادلون اللكمات مع الأنبياء: «لولا مخافة السيف، لأسسنا طريقتنا الخاصة»، ثمَّ يقولون سخفًا. إنَّ ما يقوله «أفلاطون» وأتباعه: «لو كان الجميع مثلنا، لما كان هناك داع للأنبياء»، هو هراء.

لنفترض أنَّ «أفلاطون» سمع أنَّ أحدهم يُحوّل القذارة إلى ذهب دون أيِّ معالجة: «إذا كنتَ تفعل ما يُشبه ذلك، سوف تكون أخاه. حسنًا، بما أنَّك لا تستطيع فعل ذلك، وترى أنَّه متفوق عليك، لماذا لا ترى أنَّ من الضروري إتباعه؟».

في الوقت الحاضر، إنَّ كلَّ الأذكياء والفلاسفة «حكماء»، ولكنّ سيد الكرامات أقرب إلى أن يكون فيلسوفًا منهم، لأنَّ هؤلاء الناس يخسرون أنفسهم في خضم ذلك ويشرعون في الإنكار، ولا يُدركون ذلك. كما أنَّ المعجزات أقوى من الكرامات، لأنَّ النبي يستطيع الإتيان بمعجزة متى شاء، على النقيض من سيد الكرامات. لماذا لا يكون العبد الذي يتمنى الأنبياء أنفسهم أن يحظوا برؤيته: **إجعلني واحدًا من أمة محمد!، ويكون** أكثر ذكاء وأكثر فلسفة من كلّ أولئك؟

لذلك، كُن رفيق شخص مثل هذا(75) الذي لا يأخذ في الاعتبار

هذه الأقوال الذكية التي تجعل فكرك شقيًا.

إنَّ علمك من النوع الذي لا يحملك على الندم على أفعالك، فلا تقل البتة: «يا ليتني لم أفعل ذلك!». إذن، كيف تستطيع كسب نصيبك من هذه الرفقة؟ أنت لم تستفد شيئًا ممَّا هو أقل من رفقته، فكيف لك أن ترغب فيما هو أكثر؟ أخبر الجماعة أنَّ الوضع هنا: **تشييد المنزل أولًا، ثم الطلاء.** ٧١١- ١٢

٤٤

إنَّ مدرسة السنة أقرب إلى العمل من مدرسة المعتزلة(76) . تلك الأخيرة أقرب إلى الفلسفة. **مَن حفر حفرة لأخيه وقع فيها.** ٧٣٩- ٤٠

٤٥

من أيِّ نوع هم «**أُولِي الْأَلْبَابِ**»»البقرة١٧٩؟ (77) إنَّ الله لا يقصد هنا الفكر الذي لدى الجميع. يقول الفيلسوف، «أنا أتكلم عن حقائق فكرية»، ولكنه لم ينل نفحة من الفكر الرباني. ٦٤٦- ٤٧

٤٦

في الواقع، إنَّ عمل الله هكذا. إنَّه يجعل المستحيل والمحال ممكنين. يجعل الأصمّ منذ الولادة يسمع. عندما تبيضُّ العين(78) تمامًا، لا ريب سوف ينكر الفلاسفة إمكانية البصر. إلا أنَّ هذا يجد حيزًا في فكر الأنبياء. إذا أعطى الفيلسوف المسألة اعتبارها، يقول: «هذا ليس عملي، لا أملك تلك القدرة؟»، ولكن، لو أنَّه قال ذلك، لكان إذن مسلمًا حقًا. ٧٥٣

٤٧

ليس غريبًا ألا يرى أحد جوهرة وُضعَت في علبة ثقيلة، وملفوفة في قطعة قماش سوداء، مخبأة تحت عشر طبقات، ودُسَّت داخل كمّ أو جلد الغنم. وهكذا، فإنَّ رائحة الروح وحلاوة الروح وصلت إلى «سيد»، ولكنه لم يرَ الروح نفسها. هناك مسافة كبيرة بين مستوى الوصول إلى الروح ومستوى رؤية الروح. بمُجرّد أن تُصبح الروح منظورة، يتحتم على المرء أن يمضي قدمًا على طريق الله من هناك، كي يتمكّن من رؤية الله بوضوح في هذه الحياة. لا أقول «بالفعل في هذه الدنيا».

على الرغم من أنَّ تلك الجوهرة موجودة داخل تلك الستائر، إلا أنها تمتلك توهجًا صارخًا. يعرفها صاحب النظرة الكاملة دون أن يتمّ إخراجها. ليس غريبًا أن المرء لا يعلم بها إن لم يتمّ إخراجها، بل الغريب هو أن يتمّ إخراجها من أجل أحدهم، عرضها أمامه، فلا يرى شيئًا. وإلَّا، مَن يتحدّث عن «سقراط»، «أبقراط»، «إخوان الصفا»، «اليونان»، بحضور محمد وآل محمد وأولاد روح محمد وقلبه؟ وليس أولاد الماء والطين، وعندما يكون الله حاضرًا أيضًا!

كان عمر رضي الله عنه يدرس جزءًا من التوراة. انتزعه محمد من يده: «لو كان ذلك الشخص الذي تنزلَت عليه التوراة حيًا، لاتبعني؟ (79) ٨٤- ٨٣

٤٨

كان ابن سينا نصف فيلسوف. كان «أفلاطون» الفيلسوف المثالي.

إنَّه يُخمد الدعوى إلى العشق. في النتيجة، إنصاف هذه المسألة. أنت مقبول، أنت عاشق. هل هذا كلام المقبولين؟ يجب أن تأتي النار على رأسك ووجهك. ٢٣١

٤٩

قرأ محمد الغزالي رحمه الله «الإشارات» لابن سينا، مع عمر الخيام(80). كان متعلمًا، ولهذا السبب ينتقدون كتابه «**الإحياء**» ـ لأنَّه قام باستنتاجات من «**الإشارات**»

قرأه مرتين. قال الخيام: «لم تفهم ذلك بعد». قرأه ثالثة، ثمّ استدعى الخيام سرًا المغنين والطبالين، حتى يعزفوا عندما بخرج الغزالي من عنده. ثمّ أصبح مشهورًا لأنَّه قرأ معه، ومن شأن ذلك أن يفيده.

هذا الرفيق الذي ما انفك يتبجح، أنا الحق

بما يكفي لأن يشنق نفسه بهذا الحبل. ٦٤٩

٥٠

كان شهاب سهروردي، الذي يُدعى «المقتول»، مقبولا جدًا وعزيزًا على ملك حلب. حسده الناس، فقالوا: «لنكتب جميعًا رسالة إلى الملك حتى نتمكّن من وضعه في المنجنيق». عندما قرأ الرسالة، نزع عمامته وقطع رأسه. سرعان ما ندم على هذا، عندما أصبح خداع الأعداء واضحًا «ظاهرًا» له. بعد كلِّ هذا، أطلقوا عليه اسم «الملك الظاهر؟». لقد أمر بأن يلعقوا دمه مثل الكلاب. قتل اثنين أو ثلاثة

منهم: «أنتم من آثار هذا الأمر».

استدعى ذلك الرجل المتعلم وباعه في المزاد. اشتروه سرًا بأربعين دينارًا، والقرآن الرائع بخمسة دراهم، لأنّهم لم يفهموا القرآن.

أراد شهاب الدين هذا الاستغناء عن الدرهم والدينار، لأنّها سبب الاضطرابات وقطع الأيدي والرؤوس. يجب أن تكون معاملات الناس بشيء آخر.

لقد هجر إتباع «النبي». لقد قتله محمد، إذا سألتني إن كان لديه هو نفسه إتباع، كلا، إنّ شهاب الدين لم يفعل.

ذات يوم كان الملك الظاهر يصف الجيش له، فقال له: «كيف تعرف ما هو الجيش؟»، راح الملك ينظر إلى أعلى وأسفل. رأى الجنود يقفون وسيوفهم مسلولة. كانت الأبواب والسقف والقاعة والممرات مليئة بعناصر رائعين. قفز وذهب إلى الخزنة. بسبب أثر هذا في قلبه، استهدف حياته قبل التحقق.

هيمن علم «شهاب الدين» على تفكيره. ينبغي أن يُهيمن الفكر على العلم، وينبغي أن يحكمه. لقد أصبح الدماغ، الذي هو محل الفكر، ضعيفًا.

ابتلعت كلماته كلام شهاب السهروردي(81) ثمّ لعنه «أسد» عالم المنطق ذاك. يا له من ظالم! ٢٩٦-٩٧

٥١

كان «فخر الدين الرازي» واحدًا من الفلاسفة، أو شيئًا من ذاك القبيل. حدث أن التقى به «خوارزم شاه». راح يقول: «هكذا تعمّقتُ في النقاط الدقيقة من الأصول والفروع، وتبحرت في كلِّ كتب القدماء والمعاصرين من زمن «أفلاطون» حتى الآن، ورصدتُ ووضحتُ وحفظتُ مستوى كلِّ مؤلف حسن الصيت، وخضتُ في دفاتر جميع القدماء، وخلُصت إلى معرفة أبعاد كلٍّ منها. بحثتُ في أقوام تلك الأزمنة بالكامل، ورأيتُ ماذا اكتسب كلٌّ منهم. تعلّمتُ هذا المذهب، وذاك المذهب» وقام باستعراضها: «وأخذتهم إلى مكان لا يُمكن تخيله».

قال أحد القادة المحبوبين، على سبيل انتقاده: «وذلك العلم الآخر أيضًا، أنا أعرف، فهل أنت تعرف؟».

قال: «حقًا، رأيتُ أناسًا يخافون ويهربون. أمَّا أنا فمضيتُ قُدمًا، لقد حاولوا إخافتي وحذروني: «اِحذر، لقد ظهر التنين الذي يلتهم العالم بلقمة واحدة؟» لم أخف، مضيتُ إلى الأمام، رأيتُ بابًا حديديًا أطول وأعرض من أن أصف، وقد وُضع عليه قفل يزن خمسين منًّا. قيل لي أنَّ تنينًا بسبعة رؤوس موجود داخله: «حذار، لا تحُم حول الباب». ضربت القفل وكسرته، دخلتُ فوجدت دودة، دستُها بقدمي ودفنتها تحتها، هل قتلتها؟». الله أعلم بالخير.

حسنًا، كيف لكلامه كلُّه أن يدور حول تلك الدودة، وكيف لجميع الكتب والمؤلفات أن تكون مليئة بتلك الدودة؟ ٦٥٨- ٥٩

٥٢

يا لجرأة فخر الدين الرازي! قال: «يقول محمد تازي «العربي»(82)

هذا، ويقول محمد الرازي ذاك». أليس مرتد زمانه؟! أليس ملحدًا غير مؤهل؟ إلَّا إذا تاب.

لماذا يُورّطون أنفسهم في المشاكل؟ لماذا يضربون أعناقهم بسيف حاد؟ يا له من سيف! يُشفق عبد الله على حالهم، ولكنَّهم لا يُشفقون على أنفسهم. ٢٨٨

٥٣

من هو «سيف زانجاني» ذاك حتى يطعن في فخر الدين الرازي؟ إذا كان لفخر أن يُصدر ريحًا، لظهر مئة من مثل سيف إلى الوجود واختفوا. سوف أدنس قبره وفمه. رفيق بلدي؟ أيُّ نوع من رفقاء البلد هذا! اللعنة عليه! ٦٤١

٥٤

قدَّم مدعو الفلسفة(83) تفسيرًا لـ «عذاب القبر». إنَّهم يُقدّمون الشروح عن طريق الحقائق الفكرية. يقولون هذا: لقد جاءت الروح إلى هنا كي تُكمِّل نفسها، إنَّها تأخذ حسنات كمالها من هذه الدنيا. ثمَّ، حين تترك هذه الدنيا، فلن تندم. الآن، على المرء أن يهجر الصورة «ويدخل» في المعنى، ويجعل الجسد يعتاد على الروح، إذا أشغل نفسه بالصورة وجعل الروح تعتاد على الجسد، فإنَّ الباب العلوي سوف يُغلق، ولن يتبقَّ للروح أيُّ رحابة أو اتساع.

على سبيل المثال، يرى الممتلكات، النساء، والشرف على هذا الجانب. يحظى بالرفاق، والأصحاب ومختلف أنواع الملذات على هذا الجانب، ولذلك فهو يميل إلى هذا الجانب. ثمّ، إذا ذكَّره أحدهم

«بالموت»، مات ألف ميتة.

لو تسنى له رؤية رغباته كما لو أنها آتية من الجنة، لتشوَّق للذهاب إلى هناك. إذ أنَّ ذلك الموت ليس بموت، بل حياة. هكذا قال النبي: «**المؤمنون لا يموتون. بل يُنقلون**». بالتالي نجد أنَّ «النقل» شيء، و»الموت» شيء آخر.

على سبيل المثال، إذا كنت في غرفة مظلمة وضيقة، تعجز فيها عن التمتع بالضوء، أو تمديد ساقيك. ثم «تُنقل» من تلك الغرفة إلى غرفة كبيرة ومنزل واسع، حيث الحدائق والينابيع المتدفقة، فلا يُسمّى ذلك «موتًا».

هكذا، فإنَّ هذا الكلام أشبه ما يكون بمرآة صافية(84). إذا كان لديك أيُّ نورانية وتذوّق، سوف تتوق إلى الموت، **بارك الله فيك!** فليبارك لك! و لا تنسني من دعائك.

إذا لم يكن لديك مثل هذا النور ومثل هذا التذوق، فباشر في طلبه. اِطلب وجاهد، فالقرآن يُخبرنا أنَّك إذا كنت تطلب هذا الحال، فستجده. من أجل ذلك، اِسعَ! «**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**» «البقرة ٩٤». كما إنَّ هناك بين الرجال مَن هم صادقون ومؤمنون يطلبون الموت، هناك بين النساء مَن هنَّ صادقات ومؤمنات.

إنَّ هذه مرآة صافية تجد فيها تفسير حالك. في كلِّ مرة يكون هناك حال أو عمل يُحببك بالموت، فهو عمل صالح. لذلك كلَّما ترددتَ بين عملين، اِنظُر في هذه المرآة: أيُّ العملين أكثر ملاءمة للموت؟ يجب أن تمكث مثل مصباح خافت، مستعد ومنتظر الموت. أو، كُن مثل مجاهد وجاهِد من أجل تحقيق هذا الحال.

هل تتخيّل أنَّ الشخص الذي يستمتع إلى أقصى حد سيكون أقل ندمًا؟ في الحقيقة، سوف يكون ندمه أشد، لأنَّه جعل نفسه أكثر اعتيادًا على هذه الدنيا.

إنَّ ما قالوه فيما يتعلق بعذاب القبر من حيث الشكل والصورة، قد أوضحته لكم من حيث المعنى. ٨٧- ٨٦

٥٥

يستطيع عبد واحد من عباد الله إفراغ «أفلاطون» من كلِّ تلك العلوم، ويستطيع أن يفعل ذلك في لحظة. مع ذلك، فإنَّه سيُظهر له الاحترام ويدخل رويدًا رويدًا، إذ سيقول أنَّ هذا الرجل كان ذكيًا وفيلسوفًا، لأنَّه كان فيلسوفا وعارفًا. في النهاية، فإنَّ تبادل اللكمات مع هؤلاء الأنبياء ليست مُهمّة تافهة. لقد وجدوا بالفعل متعة، وجدوا سعادة، وقاموا بذلك بثبات.

اعتاد سليمان الترمذي القول: «حسنًا، على الأقل تكلّم بكلام أهل الدين. إنَّ الذين يتحدّثون على المنابر، ويجلسون على سجاد الصلاة في عصرنا هذا هم قطاع الطريق إلى دين محمد. على سجادة صلاة أبي يزيد! على منبر شقيق البلخي! «. ٧١٦

---

(75) أصبح رفيق شخص مثل هذا. الظاهر أنَّ شمس يُخاطب حلقة الرومي. وإن كان كذلك, فإنَّ «أصبح» تُشير إلى الرومي و»شخص مثل هذا», تعني شمسًا نفسه, في المقطع التالي يُخبر شمس المريدين أنَّهم لا يستحقّون أن يكونوا مريدي الرومي, ولا مريديه هو بدرجة أقل.

(76) عادة ما تتمّ المقارنة بين السنة والشيعة, ولكن هنا رُبّما كان في ذهن شمس الأشعرية, الذين يُمثّلون التيار الأساس في علم الأصول, في مقابل مدرسة المعتزلة المنافسة.

(77) أولي الألباب. يُقدّم شمس مزيدًا من الشرح لهذا التعبير القرآني في ٢-١٩٢. تعني كلمة «لبّ» حرفيًا «النواة» ممّا يعني ضمنًا وجود «قشرة», قد يكون «الفكر» تأويلًا نموذجيًا. إنّ فهم شمس يتماشى مع فهم ابن عربي، "انظر SPK ٢٣٠, ٢٣٨-٣٩".

(78) عندما تبيضُّ العين. هذه على الأرجح إشارة إلى قصة يعقوب في القرآن «يوسف ٩٦», الذي ارتدّ إليه بصره عندما أُلقي على وجهه قميص يوسف.

(79) لو كان ذلك الشخص. الترجمة الفارسية للحديث: «لو كان موسى حيًّا, ما وسعه إلّا أن يتبعني».

(80) الغزالي والخيام. تُروى نسخة أُخرى من هذه القصة من قِبل مؤرخ من القرن الثالث عشر هو القزويني, ولكن في تلك الحالة فإنّ تلميذ الخيام هو فقيه غير مُسمّى, كان يدرس معه سرًا، ثُمّ ينتقده أمام قومه على كونه فيلسوفًا "مقالات ٨٩٨". «**الإشارات**» أي «الإشارات والتنبيهات» هو أحد أفضل كتب ابن سينا المعروفة.

(81) ابتلع كلامه. يُؤول المحرر هذا بمعنى أنّ كلمات شهاب الفيلسوف أعظم قيمة من كلمات شهاب الدين سهروردي الصوفي.

(82) محمد العربي. النبي محمد.

(83) قدّم مدعو الفلسفة. «فلسفي»، رُبّما كان في ذهن شمس شهاب هروي, والذي يتناسب موقفه من الموت تمامًا مع هذه الرواية.

(84) مرآة صافية. قارن أشعار الرومي المثنوي 3439-40" III":

موت كلّ امرئ, أيُّها الشباب, يتخذ لونه هو،

للعدوّ عدوّ, للصديق صديق.

للمرآة الموضوعة أمام تركيّ لون صافي,

فيما تُظهر مرآة أمام رجل أسود العتمة.

إتباع محمد

٥٦

إذا اشتغل خياط بالحدادة، فسيحرق لحيته(85). ينبغي أن يقوم بالعمل الخاص به، أو يقصد الحداد ويقول: «أيُّها الحداد، علّمني الحدادة»، علَّه يُعلّ مه الحدادة. حينها لن تحترق لحيته، تمامًا كما تسلم لحية الحداد من الحرق.

إذا أنفقتَ مئة درهم على الطعام، ولكنَّك لم تُضف إليه ملحًا بفلسين، فسيذهب سُدى، ولن ينزل في حلقك. أمَّا إذا قمتَ بإضافة ملح بفلسين، فإنَّ كلَّ ما تلتقطه سيكون مالحًا.

قد يقول أحدهم «مالح»، إلَّا أنَّ معنى ذلك وحاله غير موجودين. إلى أن يكونا، لا جدوى من أنواع رياضة الزهد، وإنَّما سيُفضي إلى العتمة، لأنَّ المادة ليست هناك.

جاء النبي، بلا ريب، لإعلام من ليس لديه علم. بدلًا من ذلك، قال لمن لديه علم: «أنت أيضًا لديك علم». «مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» «الإسراء ١٠٥»، سوف يتبيّن مَن لديه علم ومَن ليس كذلك. ٦٤٠

٥٧

عندما يملك أحدهم حقيقة، فإنَّ الرسول والنبي يدفعونها إلى المضي قدمًا ويضعونها على الطريق. عندما لا يكون هناك حقيقة، ماذا عساهم أن يضعوا على الطريق؟ ٢٦٨

٥٨

جميع الأنبياء يعرِّفون عن بعضهم. يقول عيسى: «أيها اليهودي، لم تتعرف على موسى حق المعرفة، تعال وانظُر إليّ حتى تعرف موسى». يقول محمد: «أيها المسيحي، أيها اليهودي، لم تتعرفا على موسى وعيسى حقّ المعرفة، تعالا وانظرا إليّ حتى يتسنى لكما معرفتهما». إنّ جميع الأنبياء يُعرِّفون عن بعضهم. إنَّ كلام الأنبياء يشرح ويُوضّح بعضه البعض.

فيما بعد، قال الصحابة: «يا رسول الله! كلّ نبي يُعرِّف عن الذي كان قبله، أنت خاتم الأنبياء، من سيُخبر عنك؟».

قال: «**مَن يعرف نفسه يعرف ربه**». بعبارة أُخرى، **مَن يعرف روحي يعرف ربي**. ٧٥

٥٩

يمتلك الإله شذى حسيًا. يفوح ويصل إلى الأنف كالمسك والعنبر، ولكن كيف له أن يُشبه المسك والعنبر! عندما **يكون** على وشك التجلي، فإنَّ ذلك الشذى يأتي بشيرًا، ويُصبح الإنسان ثملًا تمامًا.

كذلك، لم تنتهِ هذه الكلمات: يقول محمد: «أنت لم تعرف عيسى، أيُّها المسيحي! تعرّف عليّ، وستعرفه، وتعرفني أيضًا».

الآن، عندما بات محمد معروفًا، بات خاتم الأنبياء. قالوا: «ماذا علينا أن نفعل؟».

استحيا أن يقول: **مَن يعرف روحي يعرف ربي**، فقال: **مَن يعرف نفسه يعرف ربه.**

هنا، صنع كل شخص التفسير مع الجهل، ثمّ قال العقلاء لأنفسهم: «عندما نعرف هذه النفس القذرة المظلمة الوضيعة، سوف نحظى بمعرفة الله؟». بينما فهم أصحاب السر ما قاله.

قلتُ: «كيف يكون مقامي هو تناول الطعام والنوم؟ طالما أنَّ الله الذي خلقني على هذا النحو لا يتكلّم معي دون وسيط، وإلى أن أطلب **منه** أشياء فيستجيب، من أين لي أن أنام وآكل؟ هل جئتُ لأتناول الطعام في العتمة؟ بما أنَّ الوضع هكذا، فلن آكل وأنام حتى أتحدّث إليه وأُنصت وجهًا لوجه وشفويًا. أنا أعرف كيف أتيتُ والى أين أذهب، ما ملاذي وما هي خاتمتي. أعيش حرًا».

حسنًا، منذ الطفولة وجهّتُ وجهي إلى الجذور.

كما لو أنَّ أمًا لديها ولد وحيد في هذه الدنيا، والولد صالح وجميل. يضع الولد يده في النار المستعرة. كيف ستقفز الأم وتسحبه إلى الوراء! بالنسبة إليّ، كان شذى الله هكذا. ٧٣٤- ٣٥

٦٠

طعام الواحد يكفي اثنين. ذلك يعتمد على مَن هو هذا **الواحد**. لو كان محمدًا، فطعامه يكفي للعَالمين كليهما. ٦٤٢

٦١

ما حققه الأنبياء الآخرون في ألف سنة، حققه محمد خلال فترة وجيزة، لأن «**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**» «النمل ٦»، فقد بُعث من أجل هذا العمل. مثل عيسى. على الرغم من أنَّ عيسى قال مثل هذا الكلام في بداية طفولته، إلَّا أنَّ ذلك لم يكن باختياره. **رُبَّ رمية من غير رام**. كما لو أنَّ طفلًا قام بكتابة حرف الألف فجأة وبإتقان.

على الرغم من أنَّ محمدًا بلَّغ متأخرًا وبعد سنّ الأربعين، كان كلامه أكثر كمالًا. أعني، أصاب كلام كلٌّ منهما الهدف.

"هو سيد الأولين والآخرين»(86) «**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**» «البقرة ١٤٦». ١٩٦- ٩٧

٦٢

إنَّ الملك لا يُمسك شيئًا من الذهب والمملكة والمال، ولكنَّه يُمسك شيئين: أولًا، لا يُطلع أحدًا على حرمته الداخلية. وثانيًا، جوهرة فريدة من نوعها، فهو لا يضعها في مكان يُتيح النظر إليها، حتى من قِبل حارس الخزانة. بين حين وآخر، قد يُصيب ضياؤها أقرب أصدقائه، إلَّا أنَّ الغيرة تجعله يمنعها عنه، ولكن، لا يُصيب شعاع من حرمه الداخلي أحدًا.

إن كان لضياء محمد أن يُصيب، فقد تحترق، ويحترق الشخص الذي تعتقد به.

إنّ الجوهرة تُشعُّ نورًا. تستطيع أن تقفز إلى أعلى أو إلى أسفل. مَن أنت؟ مُجرّد دودة صغيرة. إذا أظهر أحدهم شيئًا، ثّم استعاده، يجب ألَّا

تُنكر. ضَع هذا الاحتمال. هذه تذكِرة حسنة، تذكِرة.

أنا لا أُعظِّم القرآن لأنَّه كلام الله. أنا أُعظمه لأنَّ محمدًا نطق به.
٦٩١

٦٣

دخل رجل فقير إلى مجلس النبي. راح رجل غني يجرُّ ثوبه خيلاءً وغرورًا أمام الفقير، فغضب رسول الله ، ونظر إليه نظرة غاضب، قال الغني: «سأُعطيه نصف مالي إذا عفوتَ عني»، فعفا عنه.

أنا لن أُقايض أقل كلام قاله محمد بمئة ألف من رسائل القريشي، والقشيري، والآخرين(87). لا طعم لهم ولا نكهة. لم يجدوا حلاوة ذلك.

لا يعطون رشفة واحدة إلى عبَّاد النفس(88) ٢٠٩

٦٤

إنّ الفقر مفخرتي. إنَّ المُعلّم لا يتلاءم مع الدنيا كلِّها، أيُّ فقر ذاك الذي ينبغي له أن يفتخر به؟ إنَّه فقير ومحتاج وبلا حول ولا قوة أمام نور الله، يحترق قلبه بنور الله، يقول: «أتمنى لو كان لدي مئة قلب، فيحترقون كلَّ يوم في هذا النور. يتساقطون ويتعفنون، فينمو لي آخر».

هو يعلم من أين تأتي راحته وأين يجد طعمًا. «**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**»»الحشر ٢١». إنَّ

ذاك النور الذي **يُلقيه** على الجبل فيعجز عن تحمّله، هو ذلك النور الذي يُشعُّ على محمد. ٢٨٠- ٨١

٦٥

إنَّ الله هو الله. كلُّ ما هو مخلوق ليس الله، سواء كان محمد أو غير محمد. ٣٠٣

٦٦

هناك فقير من دراويش الطعام، و فقير من دراويش الله. ما دخل العباءة الممزقة بكونك درويشًا؟ إنَّ تكلفة تكية الدراويش في كلِّ عام تسعمئة ألف دينار، كلّ يوم عشرة أغنام، وكانت كلفة الطيور في الواقع خارج الحسبان. كان يقول: «**لي لحظة مع الله**»، وكانت تبلغه.

أسألُ هؤلاء الشيوخ عن «**لي لحظة مع الله**»: هل هذه اللحظة مستمرة؟ يقول هؤلاء الشيوخ الأغبياء: «كلا، ليست ثابتة».

قلت: «كان درويش من أمة محمد يدعو الله ويطلب أن تُصبحوا جمعًا واحدًا».

قال: «مهلًا، لا تتركه يدعو لي بذلك، بل يدعو لي أن «يا رب، أبعد هذا الجمع عنه! يا الله، فرِّق بينه وبينهم!»، لأنّني أصبحتُ عاجزًا، لقد ضعتُ في الجمع». ٢٨١

٦٧

هناك الخيالات الأوحدية(89) قبل العلم، تقود إلى الضلال. بعد ذلك، ثمَّة علم. بعد العلم، هناك خيالات صحيحة وصالحة. بعد ذلك، تكون العيون مفتوحة.

إنَّ المُقلّد المُخلص أفضل من الإنسان الذكي الذي يُريد أن يشقَّ مساره وطريقه المُتفرّدين. لأنَّنا رأينا ضريرًا يضع يده على ظهر مبصر ويذهب إلى «أكسراي»(90) . وهناك ضرير آخر يُبعد يده عن ظهر الرجل المبصر، مع أنه لا يرى. إنَّه يسلك الطريق دون دليل ويمضي نحو العدم. يعيش حياته في العدم، ويتخلّى عن نفسه في العدم. إمَّا أن يموت جوعًا وعطشًا، أو ينقضَّ عليه حيوان مفترس ويلتهمه.

يسلَم العامَّة الذين يُؤدون الصلوات الخمس من العذاب. الويل لأولئك الذين تركوا إتباع محمد!

قال أعرابي: «يا رسول الله ما الفرض؟».

قال: «خمس صلوات».

قال: «لن أزيد ركعة واحدة، والصوم؟" .

قال: «ثلاثون يومًا».

«والزكاة؟».

"كذا وكذا؟».

قال: «هل هناك شيء آخر يجب أن أفعله؟».

قال: «لا.»

قال: «لن أزيد شيئًا على هذه»، ومضى.

عندما غادر، قال رسول، «أفلح إن صدق».

قالوا: «حسنًا، هل يجب أن نقنع بهذا القدر؟»، لقد غسلوا أيديهم من الإتباع، ولم يُبصروا. ٢١٧

٦٨

وحده العاشق يعرف أحوال محبوبه، خاصة العشاق من النوع الذي يمضي قُدمًا في الإتباع. إذا تسنى لي أن أُظهر إتباعي، حتى الأكابر سوف يختفون.

إنَّ «الإتباع» هو ألَّا يتذمر المرء من الأوامر. وحتى لو اشتكى، يجب ألَّا يتخلى عن الإتباع.

من أجل ذلك، قال الرسول: «**شيبتني هود**»(91) . إذا قلتَ، **شيبتني هود**، فسأضعك جانب النبي.

ما من سبب لقول «**شيبتني**» ما لم تكن الأوامر ثقيلة. اِنظُروا كيف أصدر الرسول الأمين آهة عندما نزلت آية «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ» «هود ١١٢» من سورة هود. نستطيع أن نُناقش معنى تلك الآهة.

هناك العديد من أنواع النقاش، والعديد من أنواع الامتناع عن

النقاش. لن نُناقش إذا لم يكن هناك سوى المغزى، أو عندما تعتبرني أقوى في النقاش. أو رُبّما تشعر بالملل، أو لست راغبًا في النقاش. أيٌّ من هذه هو؟

استسلم الشيخ محمد هو الآخر. ما كان ليُناقش. لو ناقش، لكان هناك المزيد من الفائدة، لأنَّه بالنسبة إليّ كان من الضروري أن يُناقش.

قلت: «**المعنى هو الله**»(92) .

فقال: «حقًا».

لو تناقش الصحابة مع الرسول، لاستفادوا منه أكثر. إنَّ فائدة المعنى توصل نفسها. مع ذلك، عندما يتمّ تحصيل شيء من خلال النقاش، إن كان هناك نقاش، فستجني الفوائد.

أُفكّر بك على هذا النحو، ولكنَّك تتصرف معي على ذاك النحو. إذا كنتَ تشعر بالملل، لا بُدَّ من تجديدك. إذا كنتَ كهلًا، يجب أن تُصبح شابًا. يجب أن تفتح عقلك، أذنيك، ووعيك علَّك تنال نصيبك ـ علّك تسمع عن المعنى، والأكل «منه» كذلك(93). أنت تقول: «في هذا الوقت، أنا مشغول بعمل آخر، كيف يُمكن لأحد القيام بعملين في آن معًا؟». يجب عليك القيام بعملين في آنٍ معًا.

أتاح لي الله القيام بسبع أو ثمان أعمال متنوعة وواجبة دفعة واحدة. إنّ الله مهيمن على كلِّ شيء. يُظهر بعض الأولياء حدة فتبدو لك تسلطًا، ولكنَّهم ليسوا متسلطين. يُظهر أولياء آخرون الرفق واللين، ولكنَّهم غاية في الفعالية والسيطرة، إذ لا يحدث إلَّا ما يُريدون.

سوف يمضي زمن طويل قبل أن يُصبح «شرف الهواري» مترفعًا عن أيِّ ادعاءات، وعلامة ذلك أنَّه ليس لديه أيُّ معرفة روحانية. إنَّه غير قادر على التحدّث عن المعرفة الروحانية. عندما يختلق أحدهم كلامًا من كلامنا، مثل «شرف الهواري»، فذلك أشبه بالغرق في مياه مظلمة، ولهذا رأى في المنام أنَّه يغرق في ماء عظيم مظلم. كان يُحرك أصبعين ليلفت انتباهي: «يا مولانا شمس الدين، خذ بيدي، خذ بيدي!»، ولكنه لم يتعلّم شيئًا من ذلك. مرة أُخرى، في حضوري، راح يُميّز بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. كان يشرح أنَّ الأنبياء يجترحون المعجزات وقتما يشاءون.

ما شأنك أنت بالحديث عن الأولياء؟

بدأ يقول إنَّه بالنسبة إلى البعض هناك فيض مستمر، بينما يكون الفيض متقطّع لدى البعض. يحظى البعض بالفيض باختياره، والبعض دون اختيار منه. تحدّثَ عن تصوّره للأولياء وأحوالهم في مخيلته. عندما ابتعدتُ عن كلامه من أجل مصلحته الخاصة، قال: «إنَّه يحسدني ويحقد عليّ».

من طبعي الدعاء لليهود. أقول: «اللهمَّ اهديهم!» عندما يلعنني أحدهم، أدعو له: «يا ربِّ، جُد عليه بما هو أفضل وأكثر متعة من كيل اللعنات للناس!»، علَّه يُسبّح الخالق، بدلًا من ذلك، ويلفظ الشهادة، شاغلًا نفسه بعالم **الحق**.

كيف أمكنه أن يُهاجمني: «هل هو ولي أم تراه ليس وليًا؟». ما شأنك إن كنتُ وليًا أم لا؟

قالوا لجحا: «اِنظُر هناك، إنَّهم يأخذون الصواني؟».

قال جحا: «وما شأني أنا؟".

قالوا: «إنَّهم يأخذونها إلى بيتك".

قال: «وما شأنكم أنتم؟".

لذلك، الآن، ما شأنك أنت؟ لهذا السبب أتجنّبُ الناس. ١١٩- ٢١

٦٩

قال: «هل ترى كم الأمر ثقيل؟ كان هناك رجال يسحبون جبالًا بجذورها. فعلوا ذلك، إلَّا أنَّهم لم يذهبوا بعيدًا فيما يخصُّ الأوامر. اِنظُر إلى محمد الذي اشتكى من الأمر القرآني: **شيبتني هود**. في النتيجة، كانت شكوى، أمَّا بالنسبة إلى «عياض»، فلم يكن الأمر ثقيلًا بل خفيفًا».

قلتُ: «حسنًا، كان طموح «عياض» هو الذي جعل الأمر خفيفًا».

فقال: «كان «عياض» لطيفًا مع الكلاب ومحبًا، ناهيك عن النور في عينيه، فلماذا لا يكون؟».

حسنًا، إذا كانت كلماتنا مردها إلى السخرية، فهل سيجني أحدٌ ثمرة من هذا العمل؟

لم يقبل محمود شخصًا فظًا وأتى دون استحمام: «لقد أتاني برائحة

العرق والقذارة؟»، فكيف يُمكن لـ «محمد»، الذي هو صورة مكثفة من «محمود» قبول ذلك، بعد كلِّ شيء، إنَّ روح الأكابر حاضرة، تنظر، وتُقدّم المساعدة. كيف يُمكن لأحد التصرّف بفظاظة والتفوّه بكلام عن النبي لا يليق بمقامه؟

هذا أمر سخيف، لأنَّك تقرأ صفحتك الخاصة، ولا تقرأ صفحة النبي. بعبارة أُخرى، أنت تحكم بناء على حالك أنت، ولا تحكم بناء على حاله هو. كان ما قاله: «خُلقَت نفسي الظاهرة ممَّا خُلقَت منه النفس الباطنة لدى الآخرين»، يقصد بهؤلاء «الآخرين» الأولياء والأنبياء، بعبارة أُخرى: «ما كانوا يعرفونه في قلوبهم وفي صميم أذهانهم، أنا أعرفه ظاهرًا هكذا ببساطة». رأى ذلك ظاهرًا!

هذا الشخص يتحدّث مع نفسه. لقد خرج من نفسه ويتحدّث مع نفسه من أجل دعوة الآخرين للتذكر. إنَّه المفتش الذي خرج من منزله.

يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على ديني! هذا دعاء من أجل الآخرين. إذا امتُحِنوا بأحداث كهذه، فينبغي لهم اللجوء إلى الله هكذا. بخلاف ذلك، فإنَّ رأيك يقول إنَّ النبي المرسل، ولي العزم، كان أسير النفس بالطريقة التي تخشاها؟ هل كان يبكي بسبب المتاعب التي تُثيرها النفس؟ كلا، كان مراقبًا في بيته، بحيث يعرف الملحد أنَّه لن ينال أيَّ اعتبار(94). كان يُكلّم نفسه، فلن يبرح الكلام إلى أيِّ مكان.

أنا سعيد مع نفسي – بعد هذا أصبحنا أنا وأنا.

كان هذا سرًا بحق، سرٌ آخر قاله الرسول، ولكنه أبقاه خافيًا على

عمر. ليس لأنَّه يُريد منعه عنه، ولكن لم يحِن وقته بعد. لو حدَّثه به، لحُرم الخلافة نتيجة الارتباك، ولما كان قادرًا على إبقاء العالم الظاهر مضبوطًا، ولما نشر الشريعة ظاهرًا في الدنيا. ٧٦٤- ٦٥

٧٠

قال: «**هذا ليس ما يقوله الشيخ، كما أنَّه ليس نقلًا صحيحًا**».

كانت طاعة الرسول وإتباع سنته استغراقًا في النفس. لأنَّ العمل هو عمل القلب، والخدمة هي خدمة القلب، والعبودية هي عبودية القلب. إنَّه الانغماس في مراد المرء من عبادته.

مع ذلك، بما أنَّه كان يعلم أنه ليس الكل يملك سبيلًا إلى ذلك العمل الحقيقي، وأنَّ قلة هم مَن يُعطون هذا الانغماس، فلذلك أمر بالصلوات الخمس، وصيام ثلاثين يومًا، وشعائر الحج، حتى لا يكونوا محرومين وكي يتمّ تمييزهم عن غيرهم، وكي ينجوا. علَّهم يلتقطون عبقًا من هذا الانغماس. وإلا، فما شأن الجوع بكونك عبدًا لله؟ ما شأن هذا التكاليف الظاهرة من الشرع بالعبادة؟ ٦١٢- ١٣

٧١

قال: «يدور بحثنا حول هذا الكلام المنقول، بغض النظر عمَّا إذا كان النقل صحيحًا أم لا».

قال الطالب: «يا مطلوبي! لا تُكلِّفني بشيء، لأنَّني أعبدك أكثر بكثير ممَّا كلَّفتني، تحببًا، فالتكليف مروع وثقيل».

قال المطلوب: «إنَّ تحملك لقدر من التكليف(95) أفضل ألف ألف مرة من العبادة دون تكليف. إنَّ درهمًا تُنفقه في طلب المطلوب، أفضل من ألف درهم تدفعها طوعًا. «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» «الأنعام ٩١»، لقد تمتعوا قليلًا في هذه الحياة الدنيا، ولم يفرحوا بألف ألف حكمة من شأنها أن تُقرّبهم إلى الحياة الأبدية. فكانوا يبتهجون بالدرهم بمُجرّد أن يجدوه، فذلوا أنفسهم وأهانوها. لقد مرَّغوا أنفسهم في التراب: «يا كلَّ ما هو تافه، تعال، عسى أن تحظى علاقاتنا بشكلها الصحيح في كلِّ شيء، حتى في الطعام. لن نكون منافقين، ولا حتى في الطعام».

قال الطالب: «طلبتُ من نفسي الطاعة، لكنَّها لم تُجب، نتيجة الغفلة والعداوة».

قال المطلوب: «إنشُد من نفسك المياه الحمراء «الدم»، أو المياه البيضاء «الدمع»، أو الدخان التي تستحق الحياة، ولكن لا تسألها الطاعة، لأنَّها لم تنشأ منشأ الرجال». لهذا قال: «لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ» «الممتحنة ١». ٦٧٩- ٨٠

٧٢

كيف قال النبي: «**خلق الله الأرواح قبل الأجساد**»؟ لنفترض أنَّ ذلك كان قبل مئة ألف سنة من الأجساد. فإنَّها تبقى حجابًا، لأنَّها قادم جديد»حادث». وبالطبع يجب على المرء أن يتوضأ بعد «وصول جديد» «الحَدَث»(96) . أبعد القادم الجديد كي تجد سبيلًا إلى الصلاة والعبادة.

لا أدري كيف أدرك الوصول الجديد لكلام الله الأبدي الخالص.

كلا، يجب أن يسافر متخفيًا تمامًا، متخفيًا في الإتباع. ثمّ سترجع روحه خالية الوفاض وتهلك، فلا يبقى شيء. من أجل ذلك قال الحكيم، حتى لو قالها على نحو واهن وغير كامل:

على الرغم من أنَّ محمد كان هناك،

أيُّ نوع من الحياة حظي به؟

فيما خلا الله، كلُّ ما هناك

قد ولّى بفعل النهب والاندثار.(97)

عندما فني، لا بُدَّ **أنَّه** قال له: «لقد أتيتُ، **السلام عليكم**، وجدتك في عزلة، كان الجميع مشغولًا بأمر ما، سعيدًا وراضيًا به. كانوا مشغولين بأنفسهم هم، إنشغل البعض بأذهانهم، والبعض بنفوسهم. لقد وجدتك دون أيِّ أحد. ذهب جميع الصحابة بحثًا عن مطلوبهم، وتركوك وحيدًا. أنا صاحب مَن لا صاحب له».

ممَّا حدث بينهما، لم يشتهر سوى «**فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ**» «النجم ١٠». من بداية سورة النجم(98) إلى هنا طرحت المسألة ـ على الرغم من أنَّها لم تُطرح.

يسألون: «ماذا أوحى؟".

يقول: «قال ما قال؟».

تأتي روحه مباشرة وتسأل: «ماذا قالوا؟".

يُجيب النبي عليها: «قلنا ما قلناه».

يأتي الفكر مباشرة هكذا ويسأل. قيل: «الآن رُسم خط على جبهته». ٢٨٢- ٨٣

٧٣

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا صلاة دون تلاوة «من القرآن»**»، وقال كذلك: «**لا صلاة دون حضور القلب**».

تفترض فئة من الناس أنَّهم عندما يجدون حضور القلب، فلا حاجة بهم إلى ظاهر الصلاة. ويقولون: «**إنَّ طلب الوسائل بعد بلوغ الغاية هو أمر قبيح؟**» في رأيهم أنَّهم اتخذوا المقام الصحيح لأنَّ حالهم قد أظهر نفسه تمامًا، جنبًا إلى جنب مع الولاية وحضور القلب، ولكن مع ذلك، فإنَّ إسقاط الصلاة هو نقصان لديهم.

"هل حقق رسول الله «عليه صلاة الله» هذا الكمال الذي حققتموه، أم لا؟".

إذا قال أنَّه لم يفعل ذلك، فيجب قطع رأسه وقتله. وإذا قال: «نعم، فعل»، أقول له: «إذن لم لا تتبع هذا الرسول الكريم، البشير النذير و«**سِرَاجًا مُّنِيرًا**» «الأحزاب ٤٦» ؟».

إذا حدث أنَّ هناك واحدًا من أولياء الله، الذين تأكّدت ولايتهم على نحو لا يقبل الشك على الإطلاق، وهناك أيضًا «رشيد الدين»، الذي لم تتجلَّ ولايته، فإذا تخلّى الولي عن الصورة الظاهرة، في حين أنّ

رشيد الدين مواظب في الصورة الظاهرة، سأمضي وراء رشيد الدين ولن أُلقي حتى السلام على الآخر.

ثمّ تحوّل إلى مولانا صلاح الدين وقال: «كيف حديثي؟»، قال مولانا صلاح الدين: «الحكم عائد إليك، مهما قلتَ، لا جواب ولا سبيل حوله». ١٤٠

٧٤

قال: «هل أديتم الصلوات؟»(99) .

قال:» نعم."

قال: «آه!».

قال أحدهم: «سأعطيك كلَّ صلوات عمري، وتُعطيني تلك الـ « آه».

قال: «حسنًا هذا يُناسبني أنا كذلك" .

اِنظُروا إلى هذا التلميح، إنَّه يقول إنَّه الحبيب. ذاك درويش .

إنَّ اتباع محمد في معراجه، يستلزم منك كذلك أن تحذو حذوه. جاهد لنيل مكان مستقر في القلب. عندما تطلب هذه الدنيا، لا يكون ذلك بالكلام، وإنَّما بالانشغال بالمسائل الثانوية. يجب أن تطلب الدين، وليس بالكلام أيضًا، وإنَّما بعدم ترك الطاعة البتة.

يجب أن تطلب الله من خلال عدم ترك خدمة **الرجال** أبدًا.

يجب أن يكون جليسك أفضل منك،

ليرتقي مقامك ومنزلتك. ٦٤٥

٧٥

تفكُّر ساعة أفضل من عبادة ستين عامًا. المقصود بهذا «التفكر» هو حضور الدرويش المخلص، أي عبادة لا رياء فيها على الإطلاق. لا ريب أنَّ هذه أفضل من العبادة الظاهرية دون حضور. من الممكن قضاء الصلاة، ولكن لا تعويض عن غياب الحضور.

يُجاهد أتباع محمد من الفقراء في هذا: **لا صلاة دون حضور**. ليس أنَّهم يتخلون عن صورتها بحيث تسعد النفس. في الشرع الظاهر، **لا صلاة دون فاتحة**.

إذا جاء جبريل أثناء الحضور، سوف يتلقى صفعة. لم يكن النبي قد وصل بعد إلى الحضور عندما قال لجبريل، «هيا!» فأجاب جبريل: «كلا، **إذا اقتربتُ شبرًا، سوف أُحرق حتى أُصبح رمادًا**». ٢٠٨- ٩

٧٦

لولا صندوق الخبز هذا، لما عثر جبريل على غبار هذه الجماعة. ٦٣٨

٧٧

هناك ملك في المنزل. الوصول إلى الملك هو عن طريق الباب،

أي الطاعة، لأنَّ الجدران عالية جدًا. **أعوذ بالله!** مَن يسقط، هم الفاسقون. فقط من الباب!

لا يزال هناك الاعتراض التالي: كيف يكون هناك مَن لا يُؤدّون العبادات، ولكنهم مع ذلك عظماء؟ جوابنا: ذلك نقصان، ومع ذلك، هذا كلام خطير. اِنتبه إلى هذا: عندما يتوجّب على أحدهم الدخول من الباب، فهو خارج الباب. أمَّا الخواص الذين هم في خدمة الملك، فهم داخل الباب. إلا أنّ هذا أمر حرج، وخطير للغاية.

لا يزال هناك اعتراض: محمد كان واحدًا من الخواص وأدى العبودية.

الجواب: كان لديه القوة الكاملة وفي عبوديته لم يذهب شيء من ذاك المعنى. في معنى العبودية لا شيء يفوته. كان قد تذوّق حلاوة العبودية. عندما كان في الباطن، رأى نفسه باطنًا. مع ذلك، كان هناك ضعف عند الآخرين، وكان المعنى في تناقص. هكذا قال أبو سعيد عن ابن سينا: «أيُّ نوع من الرجال هذا؟ لقد أنجز الأمر، ولكنه اعتبر أنَّه لم يُنجز»(100).

إذا فاتني «وقت العبادة» أنا ومولانا دون قصد عندما نكون مشغولين، لا نكون راضين عن ذلك، فنقضي ما فاتنا. عندما لا أذهب إلى صلاة الجمعة، أحزن: «لماذا لم أنضمّ إليهم من أجل هذا المعنى؟». على الرغم من أنَّه ليس حزنًا حقيقيًا، فهو موجود. ٧٤٢-٤٣

قال: «لقد وضع عصا العبادة في أيدي العُمي: لن يصل هؤلاء إلى حقيقة العبودية، علّهم يشمون عبيرها من خلال الدعاء والصلاة».

لماذا ينبغي أن يكون هذا هو الحال؟ إنَّ النبي نفسه، بكماله، أقام الصلاة. إذا اعتقد أحدهم أنَّه صلّى من أجل تعليم عامة الناس، فهو جاحد لا يفقه شيئًا، وليس له نصيب، ولا يعرف شيئًا! على النقيض من ذلك، لقد قام النبي بذلك عشقًا، **حتى تفطرت قدماه**، لأنَّه، عندما يقول: «**الله أكبر**» فإنَّه يترك هذه الدنيا.

على سبيل المثال، كان هناك صحابي سُلبت منه مئة من الإبل المحملة بالقمح. من شدة حزنه نسي أول تكبيرة «**الله أكبر**». عندما حيّاه محمد، لم ينتبه وهو في ذلك الحال. تكدَّر وجهه. اعتذر من النبي، ولكنَّ وجهه ظل متكدرًا، على الرغم من أنَّه كان من بين العشرة المبشرين، إلى أن توقّف عن تقديم الأعذار، وقال: «أتوب».

قال: «ذاك وحده لا يكفي، أرسل ألفين من الإبل لإحضار القمح وتوزيعه.» بعد ذلك، نظر إليه بإحسان. ٦٩٦- ٩٧

٧٩

إنّ الأقوال مقتبسة من «عين القضاة» التي تقطر جليدًا. قال: «فليتهشم فمي إذا تحدثتُ عن بعض ما جاء، 'آه، ليته لم يكن!». كان شيئًا من هذا القبيل منسوبًا لابن عباس، ولكن من محمد، عكس ذلك.

لم يصلوا إلى سرِّ محمد، ولن يصلوا لذلك. كان موسى وعيسى يقولان: «**إجعلني من أُمّة محمد!**». أنهكوا أنفسهم بكلِّ الطرق سعيًا

إلى حاله، ولكن لم يحدث.

«**كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**»(101) «الانفطار ١١/١٢».
عندما تنوي شيئًا، فهناك مَلَك على الكتف الأيمن، ومَلَك على الأيسر. يتلقى الملك على اليمين الأمر: «عندما يضع تلك النية موضع التنفيذ، اِكتب حتى سبع مئة»، «**بِغَيْرِ حِسَابٍ**» «البقرة ٢١٢»»، لدينا آيات لكلٍّ منهما.

«**قُلْ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**» «الكهف ١١٠». ذلك الـ «أحدا» هو الإنسان نفسه. ينبغي ألَّا يتخذ وجوده صاحبًا له.

«**يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**»»النور ٣٥». لقد قدم القرآن لنا الترغيب، أمَّا الترهيب فهو حصة الآخرين. لقد قسّمها **المُوزِّع المطلق**.

قال: «لماذا لا تُؤدّي الصلاة؟".

قال: «بسبب كلام الله».

قال: «أين قال ذلك؟".

قال: «**لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ**» «النساء٤٣»».

قال: «اِقرأ ذلك. لقد مُنح الجميع كلَّ شيء، والعمل قسمة، وفي القرآن الكريم، هناك آية من أجل حال المؤمنين، وبعد ذلك هناك آية من أجل الكافرين، ولكن في عالم العشق، كلُّ الأمر لطف، ولا قهر،

لقد مرَّ وقت لا بأس به منذ أن تخلّصتُ من القهر. لكن هنا، القهر وشيك. إنّ الجحيم على هذا الجانب.عندما تجتاز الجحيم، تكون الجنة على الجانب الآخر من الصراط المستقيم. إنّ عالم اللطف لا شاطئ له ولا نهاية». ٦٦٣- ٦٤

٨٠

أفادوا أنَّ «أبا يزيد» لم يكن يأكل البطيخ الفارسي. قال: «لم أُدرك بعد كيف أكل النبي البطيخ الفارسي؟» أعني، أنَّ الإتباع صورة ومعنى، لقد حافظ على صورة الإتباع، فلماذا أفسد حقيقة الإتباع ومعناه. لأنَّ محمد قال: «**سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك!**». أمَّا أبو يزيد فقال: «**سبحاني! ما أعظم شأني!**». إنَّ كلَّ مَن يظن أنَّ حاله أقوى من حال محمد، فهو غبي وجاهل للغاية(102) ٧٤١

٨١

كان فلان(103) يقول: «**ما عرفناك**». بعبارة أُخرى: «**ما عرفتُ نفسي**»، «**ما عبدناك**»، بعبارة أُخرى، «**ما عبدتُ نفسي**".

خرج إلى المقبرة. وضع هذه القبة الكبيرة للأنا خلفه. أطلق سهمًا. خطوة واحدة **ويصل**.

إنَّ سبب هذه السعادة هو أنَّه في العام الماضي لم يكن المتسول يملك خبزًا، وهو في هذا العام يموت من الجوع. مضحك، أليس كذلك؟ هذا العام، وجد مئة دينار، فحلّت السعادة. ولكن ذلك الأمير العزيز اللطيف الذي وُلد بطالع حسن ومال ونشأ غنيًا يضحك من سعادته. ٢٢٧- ٢٨

٨٢

إنَّ الذي قال: «**سبحاني! ما أعظم شأني!**» قد ضلّ. هل هذا يعني أنَّ **الحق** كان يتكلم؟ كيف يُمكن **للحق** أن يتعجّب من مملكته الخاصة؟ كيف يكون العجب مسموحًا؟ كان المتكلم هو نفسه، ولكن، لن يُحاسب عليه، لأنَّه أصبح ناكرًا للذات. عندما عاد إلى نفسه، طلب الغفران. (٦٥٧

٨٣

كيف لي أن أُسمّيه «ملك العارفين»(104)؟ إنَّه ليس أميرًا حتى، أين إتباع محمد «عليه السلام»؟ أين الإتباع صورة ومعنى؟ أعني أنَّ النور والبريق ذاتهما اللذين كانا في عيني محمد يجب أن يكونا في عينيه، وعيناه يجب أن تُصبحا عينيه. يجب أن يتحلّى بكلِّ صفاته، مثل الصبر والبقية، كلَّ سمة دون حدود. ٧٣٨- ٣٩

٨٤

يا مَن مات في محاولة لفكّ العُقد!(105)

هذا هو حال «أثير أبهري» وكلّ مَن مثله. كلّما فاتت تلك النقاط الجميلة أحدهم، تُوفي في حل العقد.

هناك رجل يعدل الدنيا بأسرها، **إنَّ إيمان أبي بكر لو وُزن بإيمان الأمّة لرجح به.**

ولكن ما معنى آمن الرسول؟(106) في النتيجة، كان هذا حالًا آخر

أعلى. **علماء أمتي كمثل أنبياء بني إسرائيل**. لم يقُل: «**فقراء أمتي**». ذاك الذي لا يألفه الأنبياء – هو مدعاة لفخره(107) . من أين لهم أن يألفوه؟

إنَّ التدين أمر لطيف عندما يراه المرء ببراعة ويؤمن - وليس عندما لا يرى شيئًا، ثمَّ يُؤمن.

أحيانًا يجب أن يكون المرء في الصحراء، وأحيانا أمام السيف، وأحيانا مسافرًا في الشتاء.

بعد كلِّ شيء، لقد أمر بالصلاة في اتجاه القبلة. أينما كنتَ، يجب أن تُصلّي نحو القبلة. لنفترض أن جُمعت آفاق الدنيا معًا، وشكَّل الجميع دوائر حول الكعبة وسجدوا. عند إزالة الكعبة من وسط الدائرة، ألن يكون الجميع ساجدين قبالة بعضهم؟ إنَّهم ساجدون لقلوبهم.

أوصلَ الرسالة وشرحها: «رأيتُ، رأيتُ أنَّ الكل هو. لا، ليس الكل، أُسقط قناعًا حتى لا أكون كالحلاج». كلا، لقد تخطى الأمر بكثير ألَّا تكون كالحلاج.

كذلك، قال المعلِّم للخطاط: «لقد فات أوان اختلاسي فنّ الخط منك. لقد مضى، لقد فات».

من شأن هذا أن يكون نقصانًا. مع كلِّ تلك النبوة، هل يليق وضعه جنبًا إلى جنب مع أبي يزيد وزاهد التبريزي، بكلِّ ما فيهم من نقائص؟

ذات يوم، كان ذاهبًا هو ومريدوه إلى الينابيع الساخنة، وكانوا قد

أخذوا معهم الكثير من الطعام. في المحطة الأولى على الطريق ، التهم «زاهد» كلَّ شيء، ولم يترك شيئًا. توقّفوا في المحطة الثانية على الطريق. كان «زاهد» جائعًا، وكان سكان القرية مشغولون بذبح الأغنام. دخل أحد الدراويش إلى المنازل. جلب كلَّ ما كان هناك من لبن الزبادي والخبز، وما شابه. أكل «زاهد» وقضى عليه. في الليل بقي دون خبز، ولم يُعر بالًا. قال: «خلّصوا أنفسكم من الفُرقة، دعوها تذهب». ٦٥٣- ٥٤

٨٥

قال: «نريد ذِكرًا».

قال: «يجب أن يكون لديك ذِكر لا يمنعك عن المذكور. ألا وهو ذكر القلب، ولا يكفي ذكر اللسان. أراد أبو يزيد جلب الذِكر الذي في قلبه إلى لسانه. لأنَّه كان ثملًا، فقال: «**سبحاني!**» إذا كان أحدهم ثملًا، فلا يُمكنه إتباع محمد، والذي هو على الجانب الآخر من الشمالة. لا يستطيع المرء أن يتبع الرصين في الشمالة. إنَّ «**سبحاني**» جَبْرٌ. لقد غرقوا جميعهم في الجَبر». ٦٩٠

٨٦

ما الذي يفعله هؤلاء الجبريون؟ كيف يُمكن لرجل قوي ألَّا يعرف أنَّ كلَّ هذا من **الحق**؟ إذا قلتَ لطفل: «مَن خلقنا؟»، سيقول: «**الحق**». إذا قلتَ له: «هل تدور العجلة دون أحد يُديرها؟»، يقول: «ما الذي تقوله؟ هل أنت مجنون؟»، إذا قلتَ: «هل **الذي** صنعنا وأعطانا خلقنا وعدمه، أقوى وأكثر سيطرة، أم نحن؟»، يقول: «بالتأكيد **هو**. إذا لم يكن أقوى، فمن أين **له** أن يُعطينا الوجود أو عدمه؟ لا ريب أنَّه

المهيمن».

إنّ الرجل هو الذي يرى هذا **المهيمن**، والذي يرى **خالق الوجود**، والذي يراه وهو **يخلق الوجود**. يفتح عينيه ويرى الخالق دون تقليد ودون حجاب. يرى **الله**. ثمّ قيل له:» اِذهب وشاهِد محمدًا. شاهِد نور محمد، قد يُصيب الوهن هذه الشمس وهذا القمر، ولكن لا يُصيب نوره، إذ لا عيب فيه. يسودُّ وجه هذه الشمس، ولا يسود وجه تلك الشمس، لقد اقتبسَت الشمس من نور جلالته، ولكنَّ هذه الشمس تقف في حال «**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**» «التكوير ١» ٢٩٩- ٣٠٠

٨٧

قد يكون هناك عيب واحد في الرجل يُخفي ألفًا من الصفات المتميزة، وقد يكون هناك تميُّز يُخفي ألفًا من العيوب. لم يكن لدى إبليس أيُّ عيوب، سوى أنَّه كان حقودًا، كان ذلك كفيلًا بإخفاء صفاته الممتازة. ماذا حدث في النهاية؟ «**وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ**» «الحجر ٣٥».

إلا أنه حقيقة، كيف يُمكن لرجل ولي أن يُحوّل نظره نحو العيوب؟ مرَّ شيخ بجثة(108) . كلُّ الناس أبقوا أيديهم على أنوفهم، وأداروا وجوههم إلى الجهة الأُخرى، وأسرعوا الخطى، ولكنّ الشيخ لم يغطِّ أنفه، ولم يُحوّل وجهه، كما أنَّه لم يُسرع خطوته، فقالوا : «لماذا تنظر؟».

فأجاب: «كم هي بيضاء وحسنة أسنانه! إنَّ تلك الجثة تُجيبك بلسان حالها».

إنَّ كتاب أعمالك متلون. يأتي هذا التلوُّن من الجَبْر. لا تكتب كتابًا متلونًا. في النتيجة، تعرف هذه الطائفة ما هو أفضل من الجبر. إذا حاولتَ التعامل بالجبر، سوف تُمنع عنك العديد من الفوائد. ليس الأمر أن تقول: «فلنخلد إلى النوم، وسوف نرى ما يأمر به الله».

ليس لدى الرجل الولي أيُّ شكوى من أحد. إنَّه لا ينظر إلى العيوب.

عندما يتذمّر أحدهم، فهو السيئ. أمسك بخناقه ـ بالتأكيد سيتضح أنَّ العيب فيه. إنَّه يشتكي من هذا الجانب، والآخر يشتكي من ذلك الجانب. كلاهما متلون. إنَّهما جبريان من جهة صاحبهما، ولكنَّهما حرا الإرادة من جانبهما(109).

إنَّ هذه الطائفة هي التي تعرف الجبر. ما الذي يعرفه أولئك عن الجبر؟ في النتيجة، إنَّ للجبر تحقيق، وله تقليد أيضًا. لماذا تنظرون إلى التقليد؟ لماذا لا تنظرون إلى التحقيق؟ زد من خدمتك، نزد من ذكرنا «**الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ. فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**» «الأعراف ٨». ٩٠- ٩١

٨٨

قال: «لقد مزق الصوفي ملابسه(110). قال له أحدهم: «هل ورد تمزيق الملابس في كتاب الله؟»

«قال له الصوفي: «هل هناك في كتاب الله «**فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ**» «ص٣٣».

هؤلاء الأكابر، سقطوا جميعًا في الجَبْر، هؤلاء العارفون، ولكنَّ **الطريق** هو شيء غير ذلك. هناك غموض في ظاهر الجبرية. إنّ الله يدعوك «مخيرًا»، لماذا تُسمّي نفسك «مسيرًا»، **هو** يدعوك «القوي» ويدعوك «مخيرًا»، لأنَّ الأوامر والمحظورات والترغيب والوعيد، وإرسال الرسل كلُّها تتطلب حرية الاختيار. هناك قليل من الآيات عن الجبر، ولكن ليس الكثير .

يتقرب من العبد، فيُسرع العبد نحو **الحق**(111). ٢٤٥- ٤٦

٨٩

إلى أن تُكرّس نفسك كليًا لأمر ما، سوف يبدو صعبًا وقاسيًا. عندما تُكرّس نفسك بالكامل لشيء ما، فلن يبدو صعبًا أبدًا.

ما معنى **الولاية** «السلطان والحرمة»؟ هل ينبغي أن يكون لدى أحدهم جيوش ومدن وحصون؟ كلا! إنَّما **الولاية** هي أن يكون للشخص **ولاية** على نفسه، على حاله هو، صفاته هو، كلامه هو، وصمته هو. وينبغي أن تكون الشدة في محلها، والرفق في محله. يجب أن يبدأ ادعاء الجبرية كالعارفين: «أنا عاجز، وهو قوي». كلا، يجب أن تملك سلطانًا على كلِّ صفاتك، سلطان على الصمت في محل الصمت، على الرد في محل الرد، على القسوة في مكان القسوة، وعلى الرفق في مكان الرفق. وإلَّا فإنَّ صفات الشخص ستكون عذابه وابتلاءه، لأنه لا سلطان له عليها. بل هي التي لها سلطان عليه. ٨٦- ٨٥

٩٠

«**يجب أن تلزم الإجماع**(112)،» أي خدمة العارف المثالي. «**ويجب**

أن تتجنب القرى «أي صحبة الفاسدين.

الناس مناجم، كمناجم الذهب.

أراد درويش شيئًا. فصدَّه صاحب المحل: «لا يُوجد شيء جاهز».

قلتُ له: «كان هذا درويش شريفًا، لماذا لم تُعطه شيئًا؟».

قال: «إنَّ الله لم يجعل له نصيبًا اليوم».

قلت: «لقد قسم الله له نصيبًا، ولكنَّك منعته. رأيتُ الأمر بنفسي، كيف لي أن أقول إنَّك صادق؟ لو وضعتَ يدك في الكيس، فقام أعلى الكيس بجذب يدك بقوة وجرحها، بناء على شهادة عيان، لا على تفسير، حينها سوف أقول إنَّ الله لم يشأ ذلك». ٢٠٥

٩١

كان العيب في الأكابر، أنَّهم قالوا كلامًا عن عجز: «**أنا الحق**». تركوا الإتباع. ثمّ تتناثر أشياء من هذا القبيل من أفواههم. وإلَّا، فأيُّ نوع من الكلاب هم ليقولوا هذه الأمور؟ لو كان أمرهم بيدي ـ فالقتل أو التوبة. ٢١٠- ١١

٩٢

قالت رابعة: «أرسلتُ قلبي إلى هذه الدنيا لرؤية هذه الدنيا، ثمّ أرسلته لرؤية الآخرة، ثمّ أرسلته لرؤية عالم المعنى، ولكنَّه لم يعُد إليّ».

كنتُ أرغب في طرح هذا الكلام للنقاش، والإفصاح عن أسرار في المناقشة، ولكنَّك تحمّست ودخلت في حال.

كنتُ في أغلب الأحيان أُثير اعتراضات على كلام الأكابر، إلَّا أنَّني لم أعترض قط على كلام محمد. ٦٤٣

٩٣

وجدَت طائفة من الناس حلاوة في عالم الروح. لقد ترجلوا هناك وطاب لهم المقام، يتحدّثون في الأمور الربانية، وعلى الرغم من أنَّ هذا هو عالم الروح نفسه، إلا أنهم يتخيلونه.

قد يأتي الفضل الرباني، أو تحصل جذبات من الله، أو قد يضعهم رجل ما تحت إبطه ويسحبهم من عالم الروح إلى العالم الرباني: «اِدخُل في الإتباع، لأنَّ هناك غموضًا آخر. لماذا ترجلتَ هنا؟».

إنَّ جمال الروح لم يظهر بعد تمامًا للحلاج. وإلَّا كيف أمكنه أن يقول: «**أنا الحق**»؟ ما شأن «أنا» بالله؟ ما الأنا؟ ما الكلام؟ حتى لو كان مستغرقًا فقط في عالم الروح، فما محل الحروف هناك؟ ما محل «الأنا» هناك؟ ما محل «أنا أكون» هناك؟ ٢٨٠

---

(85) إذا اشتغل خياط بالحدادة. قارن D vss. 2-21291,98 .

أيُّها الخياط, الحدادة ليست صنعتك.

لا تعرف عمل النار, لا تفعل ذلك!

أولًا خذ التعليمات من الحدادين ـ

وإلَّا فلا تفعلها بدون تعليمات...

شمس الدين تبريزي مقيم في الحضور

لا تجعل مقامك في أيِّ مكان آخر.

(86) هو سيد. إشارة إلى الحديث : «نحن الآخرون والأولون». قارن المثنوي IV٣٧٦٤,III١١٢٨ ,II٣٠٥٦.

(87) القشيري. بحث الرسالة للقشيري "توفي ١٠٧٢" هو كتاب تقليدي للتصوف. إذا لم تكن كلمة «القريشي» مجرد كلمة مقفاة بهدف التأثير البلاغي, فقد تشير إلى أبو سعيد القرشي الصوفي من نيسابور "توفي ٩٩٢".

(88) لا يعطون. كامل الرباعية #٧٣٨ مقتبسة في ٣- ٨٥.

(89) أوحدي. تبدو هذه إشارة نقدية إلى أوحد الدين الكرماني, الذي قابلناه في المقطع ٥٤,١ و ٥٥

(90) أكسراي, إنظُر للملاحظة حول ٢- ٢٣

(91) شيبتني هود. يشرح ابن عربي لماذا شيِّبت الأوامر المنزلة في هذه السورة شعر النبي. في «فتوحات» الجزء الرابع ١٨٢ "SPK ٣٠٠".

(92) المعنى هو الله. يُكرر شمس العبارة في ٣- ١٧. لا شيء في كتابات ابن

عربي يقترح أنَّه كان يعترض عليها. يذكرها الرومي في المثنوي I ٣٣٣٨ :»المعنى هو الله», هكذا قال شيخ الملة, المحيط بمعاني رب العالمين», حتى وقت نشر **المقالات لشمس**, بقيت هوية «شيخ الملة» لغزًا. في ملاحظته حول هذا المقطع, اتفق «نيكلسون» مع المعلقين الأوائل على **المثنوي** أنَّه كان على الأرجح «صدر الدين قونوي», أهمّ مريدي ابن عربي.

(93) علَّك تسمع عن المعنى، وتأكل منه كذلك. قارن كلمات الرومي: «إنَّ علمي راسخ وليس عارضًا, أنا منجم حلويات, تنمو مزرعة قصب سكر في داخلي، وآكل منها بنفسي» المثنوي SPL,٢٨-II٢٤٢٧ ١٣١».

(94) إنَّه لن ينال أيَّ اعتبار. من أجل قصة موازية انظر ٣- ١٧٨ .

(95) إنَّ تحملك لقدر من التكليف, يُخبرنا ابن عربي مرارًا أنَّ العبادات التي فرضها الشرع تجلب كمالًا أعظم للنفس من العبادات الطوعية, اِنظُر مثلًا إلىSPK ٣١-٣٢٩.

(96) حَدَث. تعبير فقهي لكلِّ ما ينقض الطهارة, كالذهاب إلى المرحاض.

(97) على الرغم من أنَّ محمد كان هناك. غير موجود في **ديوان** سنائي.

(98) النجم السورة الرقم ٥٣ من القرآن.

(99) قال: «هل أديتم الصلوات؟». يُعاود الرومي سرد القصة في المثنوي II٢٧٧١ff.

(100) أبو سعيد وابن سينا. السيرة الذاتية لأبي سعيد أبي الخير «توفي ١٠٤٩» وهو شيخ صوفي معروف, تروي لقاءاته مع الفيلسوف العظيم ابن سينا, ولكنَّها لا تذكر الحادثة التي يُشير إليها شمس. اِنظُر ابن المنوّر, **أسرار** pp. ٣٠٠-٢.

(101) **كِرَامًا كَاتِبِينَ**. للمزيد عن هذين المَلَكَين, اِنظُر ملاحظات ابن عربي في SDG ١٢٣.

(102) يُذكّر هذا المقطع برواية شمس عن كلامه الأولي مع الرومي.»انظر ٣-٦٢.

(103) فلان. هذه إشارة واضحة للرسول, "ربما اختزل كاتب الملاحظات لتجنّب صيغة الصلاة الإلزامية بعد اسم النبي", المقولتان: «**ما عرفناك**», و»**ما عبدناك**», تلمحان ضمنًا إلى «**حق معرفتك**» و»**حق عبادتك**». قارن بيت شعر السنائي في سير العباد "٢١٦"، «**ما عبدناك**, هو سعي الجميع, **ما عرفناك**, هو اعتقاد الجميع».

(104) ملك العارفين. لقب يُطلق عادة على أبي يزيد.

(105) يا من مات. من أجل الرباعية الكاملة، اِنظُر للمقاطع ٢- ١٢.

(106) آمن الرسول. إشارة إلى آيات قرآنية مثل «البقرة١٤» و»البقرة٢٨٥».

(107) مدعاة لفخره. إشارة إلى الحديث: «الفقر فخري». الفقراء هم من يعيشون في فقر.

(108) مرّ شيخ بجثّة. تبدو هذه رواية عن قصة معروفة عن عيسى وجثّة كلب "Khalidi 122"

(109) إنّهما جبريان من جهة **صاحبهما**. أُتابع قراءة هذه الجملة الموجودة في الهامش. يُثير الرومي النقطة نفسها في شعره «أيّ كان ما ترغبه نفسك, فأنت حر تمامًا في ذلك, أيّ كان ما يرغبه فكرك,تدّعي أنّك مُكره» "المثنوي IV١٤٠١". أو مجددًا: «الأنبياء جبريون في شأن هذه الدنيا, الكفار جبريون في شأن الآخرة. للأنبياء إرادة حرة

في شأن الآخرة, للجاهلين إرادة حرة في شأن هذه الدنيا».»المثنوي ١٦٣٨-٣٨».

(110) مزّق الصوفي ملابسه. يروي ابن الجوزي قصة مطوّلة عن هذه الحادثة في نقده للتصوف «**تلبيس إبليس**» «٢٠٣». وفقًا له, فإنَّ «الصوفي» هو شبلي, امّا «أحدهم» فهو «ابن مجاهد»»تُوفي ٩٣٦" وهو معلم مشهور في تلاوة القرآن , يُبيّن ابن الجوزي أنّه كان من عادة شبلي أن يُمزّق أيّة قطعة جديدة من الثياب قد يقتنيها «علامة على الفقر على ما يبدو», اعترض ابن مجاهد بأنَّ تلك الممارسة لم تكن مذكورة في القرآن. ردّ شبلي بآية كان تفسيرها موضع نزاع بين الفقهاء.بحسب التفسير الشائع الذي يبدو أنّه في ظنّ كلٌّ من شبلي وابن مجاهد, أنَّ سليمان أُعطي عددًا كبيرًا من الخيول, وبعد ذلك ولكونه نسي وقت الصلاة لأنّه انشغل بتفقدّها, راح يذبحها. لا بُدَّ لأولئك الذين يُفسّرون الآية على هذا النحو من أن يشرحوا كيف كان لسليمان أن يقوم بهذا الفعل المحرّم في شرع الله. يبدو أنَّ شبلي يقول لابن مجاهد أنَّ لدينا هنا فعل محرم يقوم به نبي عمل محرّم من الله, على الرغم من أنَّ الرسل معصومون عن الخطأ. في تعليقه على الحادثة, يُشكك ابن الجوزي أولًا في مصداقية مصدرها, ثمّ يُشير إلى أنّها إن كانت صحيحة, فهي تعرض جهل كلٌّ من شبلي وابن مجاهد. كان يتحتم على الأخير أن يبقي صامتًا لأنّه كان جاهلًا بشرح مفسري القرآن عن سبب كون عمل سليمان مبررًا ضمن تلك الظروف, أمّا شبلي فلأنه لا عذر له في تخريب قطعة جيدة من الثياب.

(111) يتقرب من العبد. يُلمح شمس إلى أسبقية فضل الله, رُبّما لمواجهة أي تلميح بأنَّ العبد يستطيع الوصول إلى الله باختياره الحرّ. من أجل بعض مناقشات الرومي عن العلاقة بين الفضل الإلهي و جهد الإنسان إنظُر SPL ١٦٠-٦٣.

(112) الإجماع. في الحديث, يُشير التعبير إلى رأي الأغلبية من المجتمع, ولكنّه شائع الاستخدام لوصف مدينة كبيرة. للشاعر الحاقّاني تفسير مماثل في "ديوان ٨": «هذا هو الإجماع, تأمل في مقام الفهم, هذا هو الجهاد الأكبر, تحطيم مراتب الهوى!».

إيمان العجائز

٩٤

إنَّ **الطريق** هو أحد اثنين: إما عن طريق انفتاح الباطن، كحال الأنبياء والأولياء، أو عن طريق اكتساب العلم، وهذا مجاهدة أيضًا وتصفية النفس، إذا وضعتَ هذين جانبًا، ماذا يبقى غير جهنم؟

«**مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**» «لقمان ٢٨». أين ما يعدل هذا في الأحاديث؟ **مثل المؤمنين كنفس واحدة** .

هكذا، فإنَّ دعوة الأنبياء هي ببساطة: «يا غريب الصورة، أنت جزء مني، لماذا أنت غافل **عني**؟ تعال، يا جزءًا مني، لا تكُن غافلًا عن الكل، كُن مدركًا، واستأنس **بي**.”

يقول: «أقتل نفسي على أن أستأنس بك وأُخالطك».

باختصار، في تلك الخلوات الظاهرة، كلَّما مضوا قدمًا، زاد تخيلهم ووقف أمامهم. ولكن في طريق الإتباع هذا، كلَّما تقدموا أكثر، فحقيقة فوق حقيقة ، وتجلٍّي فوق تجلي! ١٦٢- ٦٣

٩٥

إذا كنت تطلب حقيقة الشرع، فهو **الشريعة، الطريق، والحقيقة**(113). إنَّ **الشريعة** كالشمعة، ومعنى الشمعة وغايتها هو أن تقصد مكانًا ما. عندما يكون هناك شمعة، فأنت مُحقّ في أن تكون

راضيًا بها.

ولكن إذا بقيتَ تصنع لها الفتائل، تُغيّرها، وتُحدّق فيها فلن تبرح مكانك، وما نفع ذلك؟ كيف ستبلغ **الحقيقة** بفعلك هذا؟ من أجل الوصول إلى **الحقيقة** يجب أن تسير مع الطريق.

على سبيل المثال، هذا وعاء مليء بالماء المالح. أقول لك: «هناك مياه النهر».

أنت تقول: «أعطني القليل».

أقول: «أفرغ الوعاء تمامًا من ذلك المالح، سخنه ثمَّ برده، برده ثمَّ سخنه. طالما أنَّ تلك الأمور التي تعرفها لم تبرد، لن يكون الأمر ممكنًا».

لم ينتهِ هذا الكلام. النوم لا يأتي. سأضع رأسي عليك علَّ النوم يأتي. ٦٤١- ٤٢

٩٦

«**قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**»(114).الكهف٧٨». قلت بعض الكلام، لكن ليس الحقيقة. حتى لو أردتُ ذلك، لم أستطع الذهاب. كلا، ينبغي ألَّا ينخدع أحد بهذا الكلام. «**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**» «الأعراف ٩٩».

شكوت إلى وكيع سوء حفظي،

فأرشدني إلى ترك المعاصي.

الأمر الذي يعني التخلي عن الوجود(115)
وأخبرني أنَّ العلم نور،

ونور الله لا يُهدى لعاصي.

إذن، كما لو أنَّه يقول أنَّ الحفظ يكمن في التخلّي عن الحفظ.

«**وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**» «الجمعة ١٠». **الفضل** يعني أخذ زيادة، أي، زيادة في كلِّ شيء. لا تقنع بكونك فقيهًا. قُل: «أريد زيادة»، زيادة على كوني صوفيًا، زيادة على كوني عارفًا، زيادة على كلِّ ما يأتيك. زيادة على السماء.

يقولون: «إنَّ كلَّ ما في الدنيا موجود في ابن آدم»(116). ما هي الأفلاك السبعة التي في ابن آدم؟ أيُّها النجوم، الشمس، والقمر؟ ٢٢٠- ٢١

٩٧

«**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ**» «محمد ١٩». هذا أمر بالعلم. «**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**» «محمد ١٩». هذا أمر بإنكار هذا الوجود، لأنَّه «حادث». كيف يُمكن لهذا الوجود، الحادث، أن يرى مَن يعرف القديمة؟ لم يأتِ جسدك إلى الوجود إلَّا البارحة. اعتبر الروح بمثابة يومين أو ثلاثة، اعتبرها ألف سنة. إنَّها صغيرة جدًا. ٢١٨- ١٩

٩٨

إنَّ ما يعرفه ابن آدم هو **لا إله إلا الله**. مَن لديه القدرة؟ ماذا يرى ابن آدم؟ هو مضطر للحديث عن «الضفائر» و«الشامات»، ويُشبّه الله بمخلوقاته، وإلَّا كيف يُمكن أن يكون هناك خصل وشامات؟

إذا استطعتُ إمساك ضفائرك في الجحيم

سوف أزهد في تلك الحال التي في الجنة(117)
ما الذي تفعله «الضفائر» في الجحيم؟

يجب أن يتوب إلى الله. يجب أن يفتح عينيه، ويفتح أذنيه، ويُوجّه وجهه نحو أهل الله. يجب أن يترك عبادة النفس، لأنَّ عبادة الله هي التخلّي عن عبادة النفس. إنَّه لا مبالي في الدين. يجب أن يُصبح أكثر حماسًا. ١٩٥- ٩٦

٩٩

قال أحدهم: «الله أحد» أجبتُ: «إذن، ما شأنك أنت؟ أنت في عالم التشتت، مئات الآلاف من ذرات التراب، كلُّ ذرة من التراب مبعثرة، ذابلة، ومجمدة في العالَمَين. إنَّه حقًا **أحد**. هو الوجود القديم. ما شأنك أنت؟ أنت لستَ كذلك « ٢٨٠

١٠٠

"**لا إله إلا الله» حصني، ومَن يدخل حصني يأمن عذابي**. كلُّ من يدخل هذا الحصن، لم يقُل «مَن ذكر اسم هذا الحصن». إنَّ ذكر اسم الحصن أمر سهل للغاية، إذ تقول بلسانك: «دخلتُ الحصن» أو تقول:

«ذهبتُ إلى دمشق». لو كان الأمر باللسان، لذهبتُ في طرفة عين إلى السماء والأرض، ولذهبتُ إلى **العرش والكرسي**.

قال: «**مَن قال: «لا إله إلا الله صادقًا مخلصًا من قلبه دخل الجنة»**. إذا جلستَ الآن وقلتها، سوف يجفُّ دماغك. إنَّه أحد. مَن أنت؟ أنت أكثر من ستة آلاف! كُن أحدًا أنت بنفسك، وإلَّا فما شأن وحدانيته بك؟ أنت مئة ألف ذرة تراب، كلُّ ذرة تراب استحوذ عليها هوى، كلُّ ذرة غبار استحوذ عليها خيال.

«صادقًا» في نيَّته. «مخلصًا» في عمله. ما من حاجة للوعد بدخول الجنة. عندما يفعل ذلك، سيكون في الجنة ذاتها.

إنَّ كلام العراف(118) هذا يجعلهم مُتحمّسين بعض الشيء. إنَّه لا يجعلهم أكثر فتورًا. أنا العرَّاف.

إذا كان من الممكن إنجاز العمل ببساطة عبر الكلام أو بعباءة ذات سبعة ألوان(119)، فإذًا يجب أن ترثي لحال المحققين.

هل رأيت الخرقة ذات السبعة ألوان! أيُّها الشيخ، قيل لك أن تترك الألوان وراء ظهرك. ٢٥٨- ٥٩

١٠١

عندما لا يكون الشادي عاشقًا، أو النائح متألمًا، فإنَّهما يجعلان الآخرين فاترين. إنَّهم هنا لتحميسهم.

إنَّ كلَّ تفكك في تآزر الصحبة إنَّما هو لأنَّهم لا يُراعون بعضهم.

ينبغي أن يعيشوا مدركين أنَّهم متلازمون.

إنَّ «**لا أحد يعرفهم إلَّا أنا**» لها معنيان. المعنى الأول واضح، والثاني هو أنَّ بـ «إلَّا» يُقصد به الغريب.

من عالم المعاني خرجت **ألف**(120): «إنَّ كلَّ من فهم هذه **الألف**، قد فهم كلَّ شيء، وكلُّ من لا يفهم هذه **الألف**،لم يفهم شيئًا». يرتجف هؤلاء الطالبون مثل أشجار الصفصاف في محاولة فهم تلك **الألف**.

لقد تحدّثوا مطولًا للطالبين عن تلك الحجب: «هناك سبعمئة حجاب من نور وسبعمئة حجاب من عتمة(121)». في الواقع، هم لم يُرشدوهم على الطريق، وإنَّما باتوا قطاع طرق، وقادوهم إلى القنوط: «من أين لنا أن نعبر كلَّ هذه الحجب؟».

إنَّ جميع الحجب حجاب واحد. فيما عدا ذاك الحجاب الواحد، لا حجاب. ذاك الحجاب هو هذا الوجود. ٩٩

١٠٢

إنَّ أحلام عباد الله ليست «النوم». كلا، إنَّما مثلها مثل الأحداث التي تحدث في اليقظة. هناك أشياء لا تحصل لهم في اليقظة بسبب هشاشتهم وضعفهم، يرونها في النوم كي يكونوا قادرين على تحمّلها. عندما يُصبح كاملًا، سوف يُرى دون حجاب.

سأل: «كم طول الطريق بين العبد وربه؟».

قال: «بقدر ذاك الذي بين الله والعبد، إذا قالوا «ثلاثون ألف

سنة»، فهذا ليس صحيحًا، لأنه لا نهاية له ولا قياس. إنَّ التحدّث عن قياس ما لا يُقاس ونهاية ما لا نهاية له، هو أمر سخيف وكاذب. فليعلم المرء أنَّ ما لا نهاية له بعيدٌ كلَّ البعد عمَّا له نهاية، ولكن هذا كلُّه ظاهر الكلام، ولا علاقة له باللانهائية. ما شأن الكلام بالله؟ إنَّ الكلام هو «**إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**» «الحجر ٣٨» ١٧٥

١٠٣

طالما أنَّ القلعة بيد للمتمردين، فإنَّ تدميرها حتمي وسيُفضي إلى ارتداء جلابيب الشرف، كما أنَّ مساعدة القلعة على الازدهار هو خيانة وعصيان. بمُجرّد أخذ القلعة من المتمردين ورفع رايات الملك، أو بالأحرى، بمُجرّد مجيء الملك إلى القلعة، يغدو تدمير القلعة وهدمها غدرًا وخيانة، وازدهارها واجبًا، وطاعةً، وخدمة.

التسبيح، الدين، والصومعة هي دليل الزهد،

أمَّا الزنار، الكفر، الحانة فهي أساس العشق.

إلى أن يصبح الإيمان كفرًا والكفر إيمانًا

لن يُصبح عبد الله مسلمًا بحق. (122) ١٦٠

١٠٤

الله أكبر. ما هو الأصغر؟ بعبارة أُخرى، في قرارة نفسه يتصوّر أحدهم أنَّ شيئًا ما هو خالق السماوات، **العرش، الكرسي، الأنوار**، والجنة. إنَّها تعني **أنَّه** أكبر ممَّا قد تصوّرتَ. بعبارة أُخرى، لا تقف

عند ذلك، بل تقدّم واشهَد شيئًا عظيمًا. اِطلب كي تجد. ٦٥٥

١٠٥

عندما وجدتَ حلاوة الطاعة، فقد نلتَ أجرك. كان من الأفضل لو لم تجدها ولم تستوعبها، لغرقتَ في العالم الرباني، بل وأعظم من ذلك. يجب أن تطلب أعلى وأعلى وأعلى، لأنَّ هذا هو المعنى من **الله أكبر**: ترفَّع بأفكارك عن كلِّ ما يخطر في بالك وتفكيرك. أبقِ نظرك إلى الأعلى، **لأنَّه** أكبر من كلِّ تلك التصوّرات. حتى لو كان تصوّر الأنبياء، المرسلين، وأولو العزم(123)، **فهو** أكبر من ذلك. ٦٤٧-٤٨

١٠٦

هو الذي يعرف نفسه. عندما يروض نفسه، فذاك هو **مَن يعرف**. ذاك هو الذي **يعرف**.

يجب أن تتمسّك بدين العجائز(124). بعبارة أُخرى، تقول المرأة العجوز: «**يا أنت! آهٍ، الكلُّ هو أنت!**» بما أنَّها قالت، «الكلّ»، فالعجائز مشمولات أيضًا. هذا أفضل من قول «**أنا الحق**». على الرغم من وصوله إلى الله، لكنَّه لم يصل إلى حقيقة الله، لو أنَّه أحاط بحقيقة الله، لما قال: **أنا الحق**.

يا دليلي، خذ بيدي! يقول: «**لذلك، يجب أن تتمسّك بدين النساء العجائز**، تعلّم من العجوز».

إنّ الآخر يُقدّم براهين على وجود الله، وعلى أنَّ الله موجود. لقد

تحوّل إلى واعظ جيد. تلك قصة طويلة. ٢٦٢

١٠٧

مَن يعرف نفسه يعرف ربه. لماذا لم يقُل: «**مَن يعرف فكره؟ مَن يعرف روحه؟**».

قلتُ: «لأنَّ النفس تشمل كلَّ شيء، **النفس** هي وجود الشيء(125)».

يجب على المرء أن يحصل على هذا الاستعداد عندما يكون صغيرًا. «**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**» (126) «المائدة ١١٦». ٣٠٩ -١٠

١٠٨

إنَّ معنى التحدث إلى أحدهم هو كأن يكون حجابٌ مثل هذا أمام عينيك وقلبك، فأرفع أنا ذلك الحجاب.

يجب أن يكون لدى المرء حاجة إلى حضور الأكابر. **إيمان كإيمان العجائز.** إنَّ الحاجة إليهم أفضل من أيِّ شيء. حريٌّ بفخر الدين الرازي ومئة مثله أن يفخروا برفع طرف خمار الوجه عن تلك المرأة المحتاجة الصادقة كي يتباركوا بها. مع ذلك، مسكين غطاء الوجه ذلك! ٢٤٩- ٥٠

١٠٩

ليس هناك كبير فرق بين **أحد** وأحمد،

الميم في الدنيا تحجب المعنى.

اِحسب **الميم** بمثابة الدنيا. عندما تختفي،

يكون لأحمد صفات **أحد**(127).

استمع إلى بعض الكلام: «كلُّ «جيم» هي «باء»، وكلُّ «باء» هي «جيم»، وبالتالي من الضروري أنَّ **بسم الله** تُصبح **جسم الله**». يا له من عبث!

"تلك **ميم** إنكار، وهي تحجب الحال. وعندما لا تبقى **الميم** موجودة، فذاك هو الحال، ولا يبقى عبث « اِحسب **الميم** بمثابة الدنيا، عندما تختفي»، يا له من كلام تافه! يا له من كلام مبتذل!

تعلَّم من تلك المرأة العجوز الضئيلة. تقول: «**يا أنت**، الكل **أنت**! **يا أنت**، الكل **أنت**!». في النتيجة، هي في الوسط، سواء كانت امرأة عجوزًا ضئيلة، شابًا، أو رجلًا. أين هي؟ جبريل لا يجد ترابها. أيَّ مكان هناك لميكائيل؟ إنَّ فكرها لا يجد السبيل. كيف يكون هناك مكان لفكر شخص آخر؟

لقد أُتي بك من أجل هذا العمل. لم يؤتَ بك للإنكار، لا مجال هنا للكلام. إنَّه محدود. ٦٤١- ٤٢

إذا كنت تتخطى الجسد وتصل إلى الروح، فقد وصلت إلى حادث. إنَّ **الحق** قديم. كيف يُمكن للحادث العثور على **القديم**؟ ما شأن التراب بالله؟

من وجهة نظرك، فإنَّ ذاك الذي تقفز من خلاله وتصبح حرًا هي الروح. ولكن، إذا كنت تجود بالروح، ماذا تكون قد فعلتَ؟

إذا جلب **عشاقك** هدية الروح **إليك**،

ورأسك، فكأنَّهم جلبوا الكمون إلى كرمان! (128)

إذا تسنى لك أخذ الكمون إلى «كرمان»، ما السعر، ما القيمة، ما الشرف الذي سيحظى به؟ بما أنَّ هناك **بلاطًا** بهذه العظمة، وبما أنَّه ليس **له** حاجة، خُذ الحاجة **إليه**. «هو» الذي ليس له حاجات يُحبّ الحاجة. من خلال هذه الحاجة، سوف تقفز مرة واحدة من بين هذه الحادثات. سوف تكون في معية شيء من **القديم**، ألا وهو العشق. سوف يأتي شَرَك العشق، وسوف تقع فيه، لأنَّ حُبّهم له هو علامة حُبّه لهم: «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» (129) «المائدة ٥٤». من خلال **القديم** سوف ترى **القديم**، «وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» «الأنعام ١٠٣». هذا تمام الكلام التي لا يُمكن أن يتمّ. حتى يوم القيامة لن يتمّ إتمامه. ٦٩

١١١

يجب أن يكون لدى الدرويش دروشة وصمت.

ما الأفضل لبائع التين؟

بيع التين، يا أخي.(130) «٦٦٨-٦٩

١١٢

اِطلب شخصًا محبوبًا علَّك تُصبح عاشقًا(131). إن لم تُصبح عاشقًا بالكامل لهذا المحبوب الواحد، ستكون كذلك لآخر. هناك العديد من المفاتن الراقية تحت الخمار. هناك دائمًا مَن تأسر قلبك، يُمكنك أن تُصبح خادمها وترتاح.

هل أنت حر؟ عليك أن تقلق بشأن الخبز. يجب أن يكون لديك ملابس. أعني أنَّ الخادم لا يملك أيَّ من هذه المخاوف. إنَّ ربه يُدبّر له أمر الخبز والملابس(132). كيف يُمكنه أن يُكنَّ حبًا للخبز؟ ٦٥١

١١٣

يموج بحر العطاء، فيُعطيك ما تشاء منه. كلُّ إنسان يعبدُ شيئًا(133)، أحدهم النساء الجميلات، وآخر الذهب، وآخر المنصب. يقولون: «**هَذَا رَبِّي**» «الأنعام ٧٦»، إلَّا أنَّهم لا يقولون: «**لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**»(134) «الأنعام ٧٦».

يقول إبراهيم: «**لا أُحبّ الآفلين**». أين مَن يملك سمة إبراهيم بحيث يقول، «**لا أُحبّ الآفلين**»؟ السر هنا يرجع إلى كرة سماوية أُخرى، لأنَّ هناك كرات سماوية في عالم الروح. في داخل عالم الأرواح هناك شموس وأقمار ونجوم.

عندما يتخطّى أحدهم تلك الخيالات، يعرف أنَّه لكلٍّ منها **خالق** وهي تُكابد الاندثار. عندما ينبثق خيال **الولي** من عالم الباطن، يتحقق التجلي، ثمَّ يقول: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ**

وَالْأَرْضَ»»الأنعام٧٩».

«**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**» «الشعراء٨٠». هو يعزو المرض إلى نفسه كي يُعلّمنا. «**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**» «الأعراف ٢٣». وبعبارة أُخرى: «أنا مريض، وعافيتي هي حقًا **منه**» هذا هو نكران النفس، نكران الفردية. عندما تُنكر نفسك، فقد **أكّدته**(135). ٣٠٨- ٩

١١٤

إنَّ الحديث أمام عارف بالكلام هو قلة أدب، إلا إذا كان على سبيل التقدمة. إذ أنَّهم يأخذون النقود إلى خبير يفحصها: «اِلتقط المزور منها»، ولكن إذا كان الفاحص عاشقًا ومُعجبًا بالمتكلم، أو مريدَه، فإنَّ كلَّ قبيح منه سيبدو جميلًا، ويظهر زيفه كالأصلي. **إنَّ حبك لشيء يجعلك أعمى أصمًا**. هو في الحقيقة واقع في حُبّ معسول كلامه.

أجبتُ بالتالي: ليس الأمر أنَّ كلَّ العشاق يرون السيئ حسنًا. من العشاق مَن يرى كلَّ شيء تمامًا كما هو، لأنَّه يرى بنور **الحق**، لأنَّ **المؤمن يرى بنور الله**. في الواقع، إنَّهم ما كانوا ليقعوا أبدًا في حُبّ العيوب. من أجل هذا قال: «**لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**» «الأنعام ٧٦».

إذا كان جمال ما جديرًا بالتبدد

فانَّ **الرجال** لن يقعوا قطّ في حُبّه. ١٦٠- ٦١

١١٥

قلتَ أنَّهم لا يُنصتون إلى عاشق يُخبِّر ويشهد، لأنَّ من سمات الحب

إظهار العيوب محاسن. **إنَّ حبك لشيء يجعلك أعمى أصمًا**. يستحيل على أحدهم أن يكون عاشقًا وتبقى لديه القدرة على الرؤية والتمييز؟ يقولون: نقصد «بالمُحبّ»، الذي استُلب واستُحوذ عليه بالكامل».

قلتُ: «لا يُمكن إنكار الاحتمالية».

في هذه المسألة، دعونا نأخذ بكلام علماء الأصول بأنَّ هناك ثلاث فرضيات. الأول ضروري، مثل عالم **الحق وصفاته**. الثاني مستحيل، مثل الجمع بين متناقضين. الثالث مسموح، لأنَّه يحتمل الوجهين كليهما. قد يكون وقد لا يكون. كلُّ من يتبنى هذا الفرز ينجو.

يقولون إنَّ الجنة التي هبط منها آدم كانت مُجرّد تلة، هضبة، على الأرض تمامًا. إنَّها ليست الجنة التي وُعد بها المؤمنين، والتي يُبينون أنَّها فوق كلِّ الأفلاك.

قلتُ: « قلتَ أنَّك تتحدث بالفلسفة، حسنًا، أنت نفسك من أسس الفلسفة!». ١٦٤- ٦٥

١١٦

أتساءل عمَّا يظنه هؤلاء الناس حول ولاية الله. ذاك الإله الذي خلق السماوات، والذي خلق الأرض، والذي أظهر العالَم للوجود، هل تُكتسب **ولايته** بسهولة بالغة بحيث تدخل وتجلس أمامه، تتحدّث وتستمع **إليه**؟ هل تتوهم أنَّ هذا حساء يُعدُّ في المطبخ؟ تأتي وتحتسيه؟ ثمّ ترحل هكذا ببساطة؟ ٢٣٦-٣٧

١١٧

جافِ الناس، شيئًا فشيئًا. ليس لله صحبة مع الناس، **إنَّه** لا يتعلّق بهم. لا أعرف ما الذي يجنيه المرء منهم. من ماذا يُمكنهم أن يُحرروك؟ إلى ماذا يمكن أن يُقرِّبوك؟ في النتيجة، لديك سيرة الأنبياء. أنت تسير على نهجهم. لم يكن الأنبياء يُخالطون كثيرًا. كانوا متعلقين بالله، حتى لو تجمّع الناس ظاهرًا حولهم.

إنَّ لكلام الأنبياء تأويله. قد يحدث أن يقولوا: «اِذهب!»، وتكون «اِذهب» تلك، في الواقع، «لا تذهب؟». ٢٣١

١١٨

"أنا أحترق! لا قدرة لي على احتمال هذه المعاناة».

يقول **الحضور**: «أنا أُبقيك من أجل هذا وحسب».

يقول: « يا ربِّ، لكنَّني أحترق! ما الذي **تُريده** من هذا العبد؟».

يقول: «هذا بالضبط، أن تحترق».

هذه القصة مماثلة تمامًا لقصة كسر الجوهرة(136)قال الحبيب: «حتى تقول «لماذا كسرتها؟». إنَّ الحكمة من هذا النواح، أنَّه لا بُدَّ لبحر الرحمة ذاك أن يبلغ ذروته، وإنَّ نواحك يُفضي إلى ذلك. طالما أنَّ غيوم أسى قلبك لا ترتفع، فإنَّ محيط الرحمة لن يغلي.

إنَّ الشفقة لن تدفع الأم إلى إرضاع طفلها

طالما بقي الطفل ساكتًا. ٦٢٤

١١٩

قال الوزير: «كيف يُمكنني كسر هذه الجوهرة؟(137)».

قال الملك: «أنت تقول الصدق، كيف يُمكنك تحطيمها؟» قبّله على العينين. مع حركة التقبيل هذه كان يبحث عن رجل ذكي. مع هذا الاختبار كان يبحث عن رجل ذكي.

أعطى الملك محمود الجوهرة إلى الحاجب، وقام الحاجب بتقليد الوزير، خاصة أنَّه رأى القبلة والثناء للوزير. قال للحاجب: «هل هذه الجوهرة جيدة؟".

قال: «إنَّها ليست جيدة وحسب!». مجددًا، قلة ذوق. «هل هي جيدة؟ إنَّها جيدة مئة ألف مرة؟». بالغ في مدح الملك، قلة ذوق، مرة أُخرى.

"اِكسرها الآن."

"كيف يُمكنني كسرها؟ يقول الوزير إنَّه ليس في مملكة الملك بأسرها ربع قيمة هذه الجوهرة».

"إذن، هل تُناسب الخزنة؟".

"نعم، والله، إنَّها مناسبة للخزنة».

قال: «أحسنت.» أعطاه ثوبًا، ثمَّ ثوبًا آخر، وزاد له أجره. كان هذا

كذلك اختبارًا لمعرفة ما إذا كان سيظهر أحد ما.

انتقلَت الجوهرة من يد إلى أُخرى وصولًا إلى «عياض». باطنًا كان الملك يقول: «يا عياضي!» كان يرتعش من أجله: «ليته لا يقول ذلك!»، ثمّ يقول: «حسنًا، وإن قال ذلك بالفعل، هو الحبيب، فليقُل ما يشاء».

وصلَت الجوهرة إلى تلك الجهة، وعلى الجهة الأُخرى وضِعَ لوح بحيث لا يكون هناك أحد إلى جانب عياض. مدّ الملك يده لأخذ الجوهرة، مخافة أن يفعل عياض كما فعل الآخرون. نظر عياض إلى الملك: «لماذا ترتعش من أجلي؟ هل عياض شخص ترتعش من أجله؟». في الباطن كان قد نضج، وكان قلبه قد اكتمل، وقد تمرّسَت حقيقته على الأدب.

قال السلطان لعياض: «أيُّها السلطان، خُذ الجوهرة»، كلا. بالأحرى قال: «أيُّها الخادم، خُذها»، إلَّا أنَّه وراء قوله «خادم» كان هناك أكثر من ألف «سلطان». كان أسعد بألف مرة ممَّا لو أبقاها مخفية. لو أنَّه قال: «سلطان»، لوقع في المتاعب -

"اذهب، لقد بعتني في المزاد!»، أخذ الجوهرة.

قال «هل هي جيدة؟".

قال: «إنَّها جيدة». لم يزد على ذلك.

قال: « هل هي جميلة؟"..

"والله إنَّها جميلة». لم يزد على ذلك..

قال: «اكسرها".

كان قد رأى حلمًا، وجلب معه حجرين، مخبئين في كُمّه. ضرب الجوهرة بهما وحطمها إلى أجزاء. راح الجميع يصرخون ويتنهدون.

قال: «ما هذا التنهد؟ ما هذا النحيب؟».

قال أحدهم: «لقد كسرت تلك الجوهرة الثمينة!».

قال: «هل أمر الملك أثمن، أم الجوهرة؟"

أطرقوا جميعًا برؤوسهم. هذه المرة تنهد الجميع مئة ألف تنهيدة من قلوبهم: «ما الذي فعلناه!».

أمر الملك برؤساء السيافين: «خذوهم جميعًا، من هذا الجانب إلى ذاك! خلِّصونا من هؤلاء الحمقى!".

قال عياض: «أيُّها الملك الرحيم! **الصفح أفضل!**».

زارني خيالك يومًا في المنام

وسمح لي بشرب ماء وصالنا.

بقي حبيبي طوال الليل

وغادر عندما لاح وجه الصباح.

كلّي مُنح إلى كلّك، كلّي مشغول بكلّك(138). ٨٧- ٨٩

١٢٠

الوضوء على الوضوء، نور على نور. بمُجرّد أن يكتمل الباطن، يتخلّى أناس بعينهم عن الظاهر. يعتقد البعض أنّهم مُنحوا ذلك، والبعض يعتقد أنّهم لم يُمنحوه. يقولون: «**الوضوء على الوضوء نور على نور**». إنّهم ليسوا أهلًا للقيادة. غير أنّ هؤلاء الآخرين هم دعم وملاذ لأهل الدنيا.

لا ريب أنّ القذارة الداخلية يجب تطهيرها، لأنّ ذرة غبار من القذارة الداخلية تفعل ما تعجز عن فعله مئة ألف ذرة من الخارجية. أيُّ ماء يسعه تطهير تلك القذارة؟ ثلاثة أو أربعة من القُرب المليئة بماء العين، وليس أيُّ ماء عين، وإنّما ماء العين الذي يأتي من الإخلاص. من ثمَّ، ستبلغه رائحة النجاة والأمن. قُل له: «نَم قرير العين!»، ولكن من أين له أن ينام؟ إنّ النوم شيء، والغفوة شيء آخر.

أمّا بالنسبة إلى ماء العين دون تلك الحاجة، والصلاة دون حاجة، فليس من شأنهما إلّا أخذك إلى حافة القبر. من حافة القبر سيعود مع العائدين. ما قام به بناء على الحاجة يظهر داخل القبر. إنّه يُبعث معه يوم القيامة، وصولًا إلى الجنة، ثمَّ إلى حضرة **الحق**، ويبقى يتقدمه أنّى ذهب.

إذا كان لديه هذا النوع من اليقظة في القلب، دعه ينم. وإذا لم يكن كذلك، حذارِ! فهو نوم في قناة من السيل. حتى لو كان نائمًا، سيكون

الأمر سهلًا. سوف يلكزه أحدهم على جنبه فيستيقظ. إذا لم يستيقظ، سيضربه آخر على رأسه. إذا بقي على حاله، فإنَّهم سيشدون لحيته، ويبقون كذلك حتى يفتح عينيه. عندما يستيقظ، سيُرونه السيل من بعيد. إنَّ الخوف من السيل سوف يُحوّل ألم لحيته، الى قدميه. ولكن إذا كان نوم أحدهم ثقيلًا، فإنَّ العدو سوف يقطع نصف عنقه بينما لا تزال عيناه مغمضتين. عندما يفتح عينيه، سيكون الباقي قد قُطع.
١٣١- ٣٢

١٢١

كان هناك رجل اعتاد أن يُغلب كلَّما نازله أحد، حتى اليهودي. ذات يوم، بقدرة الله، صرع أحدهم. ذلك المسكين جاء إلى هناك هكذا، وسقط، لم يُنازل أبدًا. عندما ألقى به، قفز عليه وأمسك بخناقه: «سوف أقتله».

"لماذا؟ ماذا فعل لك؟ في كلِّ مرة نازلتَ فيها، كان الجميع يهزمك، أمَّا هذا المسكين فقد وقع، لماذا تقتله؟».

"كلا، حتمًا سأقتله».

"ولكن لماذا؟».

قال: «أيعقل أن أهزم أحدهم مرة واحدة في حياتي كلِّها، ثمّ لا أقتله؟».

ذهبوا إلى الملك، لأنَّه كان للملك فضل عليه. قالوا: «حبًا بالله، أبعده عن رأس الرجل المسكين».

قال: «أحضروهما».

أحضروهما. قال: «خُذ مائة دينار ودعه يذهب».

قال: «إنَّ كلَّ عضو في جسد هذا الإنسان يستحق ألف دينار، الآن، كم عضوًا لديه؟».

عندما يأتي الإنسان من باب الحاجة، فإنَّ سعره لن ينكشف أبدًا.

للإنسان سمتين اثنين: أولًا الحاجة. ومن خلال هذه السمة، هو يأمل ويتطلع إلى تحقيق غايته. السمة الأُخرى هو أن يكون بلا حاجة. ما الأمل الذي يُمكن أن يكون لديك دون الحاجة؟

ما الغاية القصوى من الحاجة؟ العثور على ما ليس له حاجة. ما الغاية القصوى من الطلب؟ العثور على المطلوب. ما الغاية القصوى من المطلوب؟ العثور على الطالب(139).

قال: «أنا كافر وأنت مسلم. المسلم مشمول بالكافر. أين أجد في الدنيا كافرًا أستطيع أن أسجد أمامه وأُعطيه مئة قبلة؟ قُل لي إنَّك كافر، حتى أُقبِّلك». ١٤٢- ٤٣

١٢٢

سوف ترى ربك. ما هذه «سوف» هنا؟ هل تُشير «سوف» تلك إلى التعجيل؟ هل ستقول لهم؟

الآن؛ أين هو ذاك الذي وصل؟

أقول: يعتمد ذلك على ما يفهمه أحدهم من هذا. إنّ «الواصل» هو الذي يرى وجهًا لوجه. «**وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ**» «الإسراء ٧٢». في النتيجة، إنَّه لا يعني مَن هو أعمى ظاهرًا.

يجب أن يرى وجهًا لوجه تمامًا كما يرى بهاتين العينين. أين هذا من ذاك الذي يتفاخر، «**عسى قلبي أن يرى ربي؟**".

قد يصل أحدهم ولا يعرف أنَّه وصل. يصل إلى «أكسراي»، ولكنَّه لا يعلم أنَّه «أكسراي». طالما أنَّه لم يصلها، فهو بين خوف ورجاء: متى يعرف أنَّه قد وصل أم لا؟ إنَّه في شك، لم يصل بعد إلى اليقين.

يقولون «طالما أنَّنا لم نرَ ذاك الشيء، لن ننطلق».

فيقول ذلك الشيء: «طالما أنَّهم لم يمضوا قُدمًا ويُنفقوا بسخاء، لن أظهر لهم، وطالما أنَّهم هكذا، وطالما أنَّهم لا يُبادرون أولًا، فلن يكون ذلك». ٢٠٧

١٢٣

ألزم نفسك بأن تكون جنديًا، وليس قائدًا، لأنَّ القادة لا يستطيعون القتال كثيرًا، ويجب ألَّا يرتكبوا أخطاء مخافة أن يتفرّق الجيش. اِسمح لقيادتك أن تكون جنديًا. في الحرب كُن جنديًا يستطيع أن يهزم عشرة من أولئك القادة بإصبع واحد. ٢٠٦

١٢٤

أيُّها الطالب المخلص، امتلك قلبًا سعيدًا، لأنَّ **ذاك** الذي يُسعد القلوب مشغول بعملك وبإتمام عملك. «**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**» «الرحمن ٢٩». هو إمَّا أن يكون الطالب في العمل، أو يكون «**هو**» المطلوب في العمل. إنَّ كلَّ من يقول **إنَّه** غير هذين فكلامه حماقة وغباء، على الرغم من أنَّه لا يُدرك غباءه. أولئك الذين يملكون تمييزًا مقدسًا، لأنَّهم يرون بنور الله، يعرفون أنَّه في الرؤية، التي تستمرّ بعد فناء جميع الرؤى الأُخرى، فإنَّ ما يراه الآن بمثابة رؤية ممتازة ودقيقة، سوف يغدو غباءً وحجابًا.

الآن، أيُّها المخلص، إنَّ **الحق** جلَّ جلاله، منشغل بعملك، ظاهرًا وباطنًا. كلُّه من أجلك. لن تخسر شيئًا. هذا دقيق، لأنَّه «**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**» «التكوير ٢٩». ولن تشاء، يا **محمد!** لن تشاء إلَّا ما قد شئناه. إنَّها ليست النفس ولا الهوى.

يقول البعض أنَّ «**وَمَا تَشَاءُونَ**» تُشير إلى الصحابة والمجتمع: «لن تشاؤوا ولن تسعوا إلى الطريق طالما أنَّني، أنا وكيل الله، لم أشأ».

فقط من أجل يد **محمد** وقلبه يُفتح مخزن الأسرار ويُغلق. ٩٧

١٢٥

لم يكن نتيجة الحماس. لقد شربه ساخنًا، عن قصد، ليفتح المسام، حتى يخرج شيء ما منه. إنّ الثقل يخرج من خلال المسام. هذا دواء.

لولا أنَّه «**مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**» «النمل ٦»، ماذا سيحدث لعمل الأولياء؟ لن يتمّ تقييم عملهم في أربعين ألف سنة، ولو عاشوا عشرين عمرًا واحدًا تلو الآخر، فلن يكون كافيًا. ٢٣٥

(113) إذا كنت تطلب حقيقة. قارن المقدمة النثرية في المثنوي V.

(114) هذا فراق. هذه كلمات الخضِر إلى موسى عندما اعترض موسى على سلوكه للمرة الثالثة، اِنظُر مقطع ٢- ١٣٣.

(115) التخلّي عن الوجود. يُذكّر هذا بالبيت المشهور لجنيد: «وجودك هو الخطيئة التي لا تُقارن بها خطيئة أُخرى», لبعض رؤى الرومي عن التخلّي عن الوجود، اِنظُر إلى SPL ١٧٥-٧٨.

(116) إنَّ كلَّ ما في الدنيا موجود. للمزيد عن الإنسان كعالم مصغّر، اِنظُر ٢- ١٩٤ ٩٨

(117) إذا استطعت إمساك. الرباعيات #٨٢١ «كذلك FP105» نقرأ في البيت الثاني من الرباعية: «لكن لو أني دُعيتُ إلى رحاب الجنة دونك, لكانت رحاب الجنة ضيقة جدًا على قلبي».

(118) العرَّاف. مَن يروي الأحداث قبل وقوعها. ليس واضحًا ما الذي في بال شمس.

(119) خرقة ذات سبعة ألوان. راجع خرقة في معجم الألفاظ الصعبة. تقليديًا تُوجد سبعة ألوان رئيسية, بالتالي فإنَّ «سبعة ألوان» تعني «الكثير من الألوان», حول الحاجة إلى تجاوز الألوان, انظر كلمة «تلوُّن».

(120) ألف. قارن ٢- ٨.

(121) سبعمئة حجاب. إنظُر للملاحظة حول ١- ٣٨.

(122) . التسبيح. البيت الثاني من هذه الرباعية موجود في الرباعيات # ٨٠٤

(123) أولو العزم. لقب يُطلق على أعظم الأنبياء استنادًا إلى القرآن «الأحقاف ٣٥».

(124) **يجب أن تتمسك بدين العجائز.** إحدى التفسيرات الشائعة هو أنَّ النبي نصح صحابته بعد أن سأل امرأة عجوزًا إن كانت تؤمن بالله. أجابت أنَّها طبعًا تُؤمن, كيف يمكن لعجلة الغزل أن تدور دون يد؟ يُطبِّق الغزالي "٣:١١٨" الحديث على حالة المريدين على طريق التصوف. قد تكون لديهم أحيانًا رؤى تقودهم إلى تخيّلات خاطئة وإلى تجاهل الشريعة. عليهم أن يتمسّكوا بدين العجائز, والذي هو «القبول بأصل الإيمان والمعنى الظاهر للعقيدة على سبيل التقليد، وأن يشغل المرء نفسه بالأعمال الصالحة, لأنَّ هناك خطرًا كبيرًا في التولي عن هذا».

(125) النفس هي وجود الشيء. تُعطي المعاجم العربية معاني متنوعة لكلمة «نفس», تتضمن الروح, الجسد, الحقيقة, المطمح, الرغبة, والشيء ذاته. يقول شمس إنّ **نفس** الشيء هي الشيء نفسه, وجوده ذاته, مستوعبًا كلَّ أبعاده, بما في ذلك جسمه, روحه، وحقيقته.

(126) **تعلم ما في نفسي.** هذه كلمات عيسى كجزء من رده على الله، عندما سأله الله إن كان أخبر الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله.

(127) ليس هناك كبير. يأخذ شمس هذه الأبيات كنموذج للغة غير المناسبة لبعض الصوفيين، رُبّما تكون هذه الرباعية قد ألهمت البيت المشهور من "حديقة الورود السرية" لـ «شابيستاري»: «الفرق بين أحمد وأحد هو ميم واحدة, الدنيا غارقة في تلك الميم».

(128) كرمان. جلب الكمون إلى كرمان يُعادل بيع الماء في حارة السقائين/جلب

الفحم إلى «نيوكاسل».

(129) علامة حبه لهم: «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ». قارن ملاحظات الرومي على هذه الآية SPL ١٩٦.

(130) ما هو الأفضل. يبدأ الرومي قصيدة غزلية بهذا البيت «D#1056» و يدمجه أيضًا مع رباعية "رباعيات#٥٥».

(131) إطلب شخصًا محبوبًا. الحُبّ هو الرد على الجمال, نقطة مضمّنة في حديث معروف جدًا: «إنَّ الله جميل يُحبّ الجمال». من تعاليم الرومي الأساسية أنَّ الحب «سواء من هذه الجهة أو تلك, يقود إلى الله في النهاية» المثنوي I 111» عندما يصل الطريق إلى نهايته, سوف يكون المحبوب هو الرحمن»»D vs338». انظر «SPL6-205».

(132) إنَّ ربه يُدبّر. ربما يُلمح شمس إلى الحديث: «لستُ كالواحد منكم. أقوم الليل مع ربي, يُطعمني ويسقيني».

(133) كلُّ إنسان يعبدُ شيئًا. قارن ملاحظات الرومي عن الحبّ الحقيقي والحُبّ الثانوي SPL 201ff

(134) لا أُحبّ الآفلين. قارن المثنوي III 1430.

(135) عندما تُنكر نفسك. حول هذا النوع من النفي والإثبات, الذي يُشير إلى شطري الشهادة الأولى: ««لا إله» و«إلا الله»», إنظُر SPL ١٨١-٨٣

(136) كسر الجوهرة. إنظُر المقطع التالي.

(137) قال الوزير. رويتُ القصة المعروفة جيدًا عن محمود، عياض واللؤلؤة من

قِبل الرومي في المثنوي ٧ ٤٠٣٧ -١١٩ حيث تعكس الصياغة هذه النسخة.

(138) كلّي. الجملتان العربيتان مشتقتان من حكاية غالبًا ما تُروى وتُوجد نسختها العربية في **شرح التعرّف** "لأبي ابراهيم البخاري», وهو من أوائل الكتب الفارسية عن التصوف. «رأيت امرأة جميلة, وانشغل قلبي بها. قلتُ لها: كلّي منشغل بكلّك, قالت: إن كان كلّك منشغلًا بكلّي, فإنَّ كلّي أُعطي إلى كلّك، ولكن عندي أخت, لو رأيتَ جمالها وحُسنها لما تذكرتَ جمالي وحسني. قلت: أين هي؟ قالت: وراءك. التفتُ ورائي فصفعتني وقالت: أيُّها المخادع, إذا كان كلّك منشغلًا بكلّي فلماذا التفتَ إلى أُخرى».

(139) ما هي الغاية القصوى للمطلوب. إنَّ التبادلية في العلاقة بين الطالب والمطلوب"العبد والربّ, المخلوق والله", هي مفتاح لفهم تعليقات شمس التلميحية حول علاقته الخاصة بالله. انظر للملاحظة حول المقطع ٣- ٢.

هدي الشيخ

١٢٦

إذا دخلت في ظل الله ستكون في مأمن من قسوة القلب أو الموت. ستُوصف بأنَّك من أتباع الله وستُدرك الحيّ القيوم. سوف ينظر إليك الموت من بعيد ويموت. سوف تعثر على الحياة المقدسة. هكذا في البداية، خشية أن يسمع أحد، فإنّ هذا العلم لن يُحصَّل في المدرسة، ولو درستَ ستة ألاف سنة، ستة أضعاف عمر «نوح»، فلن يُصبح في متناول اليد. قد يدرس العبد مئة ألف سنة ولكنَّ هذا لا يعدل التنفس مع ذكر الله ليوم واحد. ٧١٦

١٢٧

ذات يوم صحا عالِم من نومه ليجد أنَّ كل ما لديه من ملابس ومقتنيات قد سُلبت. راح يطوف ويتحسر: «**لقد أمضيتُ عمري في دراسة أحكام الطلاق**(140)، **ووضعتُ كتاب الله وراء ظهري. بماذا سأُجيب الربّ عندما يسألني عن عمري فيما أفنيته، وعن قلبي فيما شغلته، وعن نعمتي البصر والسمع ماذا فعلتُ بهما** ؟!».

عندما تحدّث عن ***كتاب الله*** لم يكن يقصد أبدًا هذا المصحف. إنَّه يقصد الإنسان الخليفة، إنَّه كتاب الله، إنَّه الآيّة والسورة. في تلك السورة كم هناك آيات!

في النتيجة، كان ما تعلمه ذلك اليهودي هو السِّفر الظاهري والكتاب الظاهري. كان يعمل قاضيًا في «بغداد» لمدة طويلة، وقد

تمكّن من جمع الثروة وبناء الغرف السرية. ثمّ جهز الرجال الأشداء وزوّدهم بالأسلحة ودربهم على نصب الشرك للإطاحة بالخليفة والاستيلاء على «بغداد». كانت قصة طويلة ولكن في النهاية كشف الخليفة خطته، واطلع على أسراره، وقبض عليه. هكذا وعلى الرغم من أنَّه قد درس القانون وتعلّم القرآن إلى درجة أنَّه أصبح قاضي «بغداد»، ولكنَّه من الداخل كان يهوديًا وغدًا.

هكذا أصبحنا نعلم أنَّ من ينقذك هو عبد الله وليس ببساطة ذلك الكتاب المكتوب. **فمن يتبع سواد الحبر فقد ضلّ.**

إنَّ ليلة القدر(141) مستترة بين الليالي وعبد الله مستتر بين المدَّعين. إنَّه مخفي بسبب ازدرائه أو بالأحرى بسبب تجليه إلى أبعد حد، تمامًا كما الشمس مخفية عن الخفاش. يجلس إلى جانبه ولكنَّه غافل عنه، لأنَّ حجاب حُبّ الدنيا جعله أعمى وأصمّ(142). عندما يكون حُبّ الدنيا مستحكمًا فإنَّه يكون مغناطيسًا يجذب هذه الدنيا. أمَّا حين يكون ضعيفًا فإنَّه يجذب خيال المحبوب، والذي هو هذه الدنيا. إنَّ خيال المحبوب يحجب كلّ ما سوى المحبوب، هذا ما لم تتنزل الرحمة «**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**» «القدر ١».

في «السور»هناك العديد من آيات « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ».

«**خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**» «القدر ٣»: إنَّ نوره يفوق نور ألف بدر، وهو مستتر بين البدور. إنَّه مخفي نتيجة التجلي إلى أبعد حد.

ذات يوم سوف يُدرك ويصرخ: «**يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**»»الزمر٥٦»، في جنب الله. يا له من جنب لا يُضاهى! يا له من جنب ليس له جنب! ٣١٦- ١٧

١٢٨

من يتبع سواد «الحبر» فقد ضل. *سيكون جسده كلُّه عبارة عن لسان وأسئلة أجوبة وبلاغة، ولكنَّه لا يعلم شيئًا عن دنيا* ***الحق!*** ٦٢٤

١٢٩

عندما يقول هذا الشخص: «لقد حصلتُ على الإيمان» فمعنى ذلك أنَّ الهوى قد مات وأنَّ النفس قد ماتت. إنّ الموت يعني أنَّه ينبغي للظلمة ألَّا تعود، وأنَّه ينبغي لحلاوة الإيمان أن تكون باقية. لم لا تكون باقية؟

من أجل كلِّ هذا أقول: «حسنًا، لقد اعتبرت النفس ميتة كي تموت ببطء بالفعل. حسنًا، إنَّ هذا يعتمد على صحبة أحدهم. لقد جعل الله لهذا سببًا».

إذن، يعتمد الأمر على هذا الشخص الذي أتى. كان هناك جدار من السماء إلى الأرض يعترض دربك. لقد ركل الجدار وقام بهدمه، وعلَّمك كيف تهدم الجدران التي تنتظرك. الآن يعتمد عملك عليه إن كان له أن ينتهي. فقط من خلال مساعدته سوف تحظى بالجذب الإلهي.

وهكذا فما نفع الرضا بقضاء الله؟(143) ينبغي أن تكون راضيًا بفعله. ينبغي أن تكون راضيًا بكلِّ ما يقول ويفعل. ينبغي ألَّا تفعل شيئًا يدفع المُعين إلى التراجع عن عونه. يجدر بك أن تفعل ما من شأنه أن يزيد عونه وما يزيد حُبّه ورضاه. ٧٤٥

١٣٠

مَن هو الشيخ؟ إنَّه الوجود. وما المريد ؟إنَّه العدم(144). لن يكون المريد مريدًا حتى يُصبح عدمًا. ٧٣٩

١٣١

عندما يسقط في المحيط(145)، إذا بدأ يُحرّك يديه وقدميه فسوف يهزمه المحيط، حتى لو كان بقوة أسد، ما لم يجعل نفسه ميتًا. تلك عادة المحيط، طالما أنَّ الشخص حيّ، سيقوم المحيط بابتلاعه إلى أن يغرق ويموت. عندما يغرق ويموت ينتشله المحيط ويُصبح حامله. إذن، كُن ميتًا منذ البداية وامضِ سعيدًا على وجه الماء.

من أراد منكم أن ينظر إلى رجل ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى «أبي بكر الصديق». لقد تجاوز القاع المظلم وهو يُقيم في معيَّة المياه الرقيقة التي تُغذّي الروح.

إنَّ المحيط عبد من عباد الله.

في النتيجة، إن لم يُصبك كلُّ هذا فاعلم أنَّه قد أصابك بعضه، وأنَّ بعضه قد أصاب باقي الأصحاب. إن لم يُصبك الآن سيُصيبك في المستقبل. ١٤٨

١٣٢

طالما أنَّ الماء بعيد عن الرأس والفم والأنف فالمرء آمن، وطالما أنَّ

فمه وأنفه فوق الماء يبقى معتمدًا على نفسه وحيًا بنفسه. أمَّا عندما يُصبح مغمورًا تمامًا بالماء ويُصبح فمه وأنفه تحت الماء، فسيقولون إنَّه ميت. يقول آخرون إنَّه عاد إلى الحياة، والفريقان كلاهما على حق. لقد ذهبت تلك الحياة المستعارة، وأقبلت الحياة الباقية والدائمة. ٢١٠

١٣٣

قال موسى: «مَن في هذه الدنيا أكثر علمًا مني؟»(146)

قال «يوشع بن نون»: «لقد خُدعتَ، لقد خُدعتَ! هناك في الدنيا مَن هو أكثر علما منك».

لم يغضب ولم يكن عنيفًا تجاهه. فقط قال:» حسنًا كيف تقول هذا؟»، هذا لأنَّه كان يبحث عن الأجوبة.

كان «يوشع» نبيًا هو الآخر، ولكنَّه لم يُصدر الأحكام. في ذلك الأوان كان «موسى» هو الذي يصدر الأحكام. أمَّا عن نفسي فأقول: أنا أيضًا كنتُ لأفعل مثله وأعثر على الشخص المقصود. سوف أتمسّك به ما أمكنني حتى لا يغشاني أيُّ حجاب.

«**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**»»الكهف ٦٠» تقول رواية أربعين سنة، وتقول أُخرى أربعين ألف سنة، وأُخرى تقول ثمانين سنة، وتقول غيرها أُخرى ثمانين ألف سنة. بكلِّ برود يروون قصة «موسى» الذي تحمّس إلى درجة أنَّ حماسه كاد يحرق السماء.

عندما بلغ **مجمع البحرين**، حسب أهل المعنى الظاهر هي بالقرب

من «حلب» أو «أنطاكية»، رأى «الخضر»(147) يُؤدّي صلاته على جبل. حسب إحدى الروايات، كان يعتلي حصانًا، وكان يقود الجواد عبر الماء. رآه من بعيد.

الآن يمدحه الله فيقول: «**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا** «ولم تؤتَ لأحد سواه «**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**»»الكهف ٦٥»، بالتالي لا يُمكن اكتسابه في أيِّ مدرسة أو «خانقاه» ولا من أيِّ معلم، كتاب، أو عن طريق أيِّ مخلوق.

حينها قال «يوشع»: «أعلم غموض صنيع «الخضر». لم أملك القدرة على مرافقته سابقًا ولن أقدر الآن. سوف تتشاجر معه بحيث لن تراه ثانية»، ثمَّ عاد أدراجه.

الآن لم يبق سوى الاثنين، راحا يتحدثان. كان موسى يسأل عن عدة أمور. ثمّ سأله: «**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ**» «الكهف ٦٦؛ ما الذي تأمر به؟ هل أحظى بإتباعك؟».

اِنظروا إلى الحاجة لدى كليم الله، الذي كان وصل بالفعل إلى **الحق!**

«**سَأُنَبِّئُكَ**»»الكهف ٧٨». سوف أوقظك». إنَّه يُخاطب مَن يُوقظ الناس. إنَّ كلمة «نبي» تعني مَن يُوقظ الناس». إنَّه مُدرك مسبقًا **للحق**، ولكنَّ «الخضر» كان يُوقظه ليرى حقيقة **الحق**. فليكن الباقي دَينًا عليّ أُخبركم به لاحقًا.

عندما سأله في المرة الثانية أجابه بغضب: «**أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**»»الكهف ٧٥». لم يكن غضبه أنانيًا. كيف

يسخط عبد الله من أجل نفسه؟ **العياذ بالله!** إنَّه غضب الله، وعلى المرء أن يتجنبه.

لم يكن في مقدور موسى أن يُقدّم العذر ذاته مرة أُخرى فقال: «**إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي**»»الكهف ٧٦. صفَّق «الخضر» ورقص فرحًا: «إذن تكلّم بسرعة واتركني وشأني، وخلصني!».

قال موسى: «**لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**» «الكهف ٧٨»، الآن ثمَّة مسافة بيني وبينك.

صحا «موسى» ورأى أنَّ من أخذ بشغاف القلوب قد رحل، وأنَّ الشمعة انطفأت، وأنَّ الخمرة نائمة.

سعيد من وجد عبدًا من عباد الله، ومن أبقى قصة «موسى» و»الخضر» في قلبه، وجعلها إمامًا يهديه! ٧٥٨- ٥٩

١٣٤

سألوا أحدهم:» أيُّهما أفضل شيخك أم «أبا يزيد»؟».

فأجاب: «شيخي».

فسألوه: «شيخك أم النبي عليه الصلاة والسلام؟».

فأجاب: «الشيخ».

فقالوا: «شيخك أم الله؟».

قال: «من شيخي تعلمت الوحدانية والتوحيد. لا أعرف شيئًا سوى تلك الوحدانية».

من ذاك الذي يُشبّه الواحد الأحد بخلقه، عجيب انحطاطه وتصريحه بالتشابه! **نحن روحان تسكنان جسدًا واحدًا**(148). إنَّ هذا تشبيه. *إلَّا أنَّ الطريق إلى التشبيه طويلٌ جدًا. أمامك طريق طويل. إنَّ المسافة بين هذا التشبيه وعالم* ***التوحيد*** *بعيدة للغاية.* ٦٨٥- ٨٦

١٣٥

كنتُ أُردد بعض العبارات في منامي. كرَّرها لي الشيخ كلمة كلمة.

عندما لا يعتبر أحدهم الشيخ صادقًا بالقول ولا بالفعل، فهو بالضبط ما يتسبب في كونه مقطوعًا. أتعجّب من السبب الذي يجعلك لا تعتبر الشيخ صادقًا؟ ينبغي أن يضع ذلك الدافع في راحة يده، ويضع ما يُنشده من الشيخ في الراحة الأُخرى، ولينظر هل تتساوى هذه بتلك. للشيخ عالَم زاخر بحلاوة المذاق وهو منشغل تمامًا. إنَّ المريد لن ينشغل في هكذا حلاوة. كيف للامتثال والوفاء أن يكونا أعظم من هذا؟

هذا يُشبه قصة الصوفيين العشرة. وقع أحدهم في عشق شاب نصراني. ظلَّ يُلاحقه في الكنيسة وحيثما ذهب. حين علم النصراني بذلك قال له: «لماذا تُلاحقني؟» فحكا له قصته. قال النصراني: «أنا أمقت رؤية القوم الذين ليسوا من ملتي من بعيد. فكيف تتوق إلى أن أسمح لك أن تتقرب مني؟».

لم يجد الصوفي بدًا وأسرع إلى أصحابه ليُودعهم. قالوا: «الخيرة

فيما اختاره الله».

حكا لهم حكايته وقال: «سأشتري لنفسي زنارًا «مسيحيًا» «.

قالوا: «سوف نُجاريك، هيا نشتري عشرة زنانير. فنحن روح واحدة في عدة أجساد».

عندما رآهم الشاب النصراني سأل عن أمرهم فأخبروه بقصتهم: «بيننا وحدانية». فاشتعلت نار في قلبه ومزق زناره وقال: «أنا خادم لأناس كهؤلاء، الذين يُكنون هذه الطيبة تجاه بعضهم. لم أرَ هكذا عطف بين أتباع أيِّ ديانة من الأديان».

اجتمع والد الشاب وأقاربه وأخذوا يلومونه: «هل ستترك دينك بسبب شعوذة هؤلاء الصوفيين؟».

ردَّ عليهم:» لو رأيتم ما رأيت لأحببتموهم مثلي وأكثر بمئة مرة». ١٥٣- ٥٤

١٣٦

رفع أحدهم دعوى في المحكمة ولمَّا طلبوا شهودًا أحضر عشرة من الصوفيين. قال القاضي: «نحتاج شاهدًا ثانيًا».

قال المُدعي :» حضرة القاضي «**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ**»»البقرة ٢٨٢»، أمَّا أنا فأحضرتُ عشرة».

ردَّ القاضي: «هؤلاء العشرة هم شاهد واحد وحتى لو أحضرت مئة

ألف صوفي فإنَّهم جميعًا واحد». ٢٧٢- ٧٣

١٣٧

قالوا للسلطان «خوارزم شاه»: «يستنجد الناس طالبين العون في هذه المجاعة، لأنَّ الخبز باهظ الثمن»

أجاب الشاه: «وكيف ذلك؟ كيف ذلك؟».

أجابوه: «كان المنّ من الخبز «١٤رطل» يُساوي مدًا من الفضة، ولكنَّه الآن ناهز الدرهمين من الذهب».

ردَّ متعجبًا:» وكم يُساوي درهمان من الذهب!».

قالوا: «درهمان من الذهب يعدلان كذا من العملة النحاسية».

قال:» تفًّا، تفًّا. ما هذا التقتير؟ ألا تخجلون؟».

كان يظنه مبلغًا زهيدًا. لو قالوا له إنَّ ذلك المبلغ يعدل ملء بطون مملكتك كلِّها لأدرك أنَّه ثمن باهظ، ولخاف حينها، وقال: «بعد أن شبعتُ مرَّة، من أين لي أن أعثر على مملكة أُخرى؟ استغرقني كسب هذه عمرًا بأكمله».

حسنًا، ينطبق هذا الأمر على الدين. فقد تبدو سمة ما أو موقف ما مخيفًا للناس، ولكنَّه سهل بالنسبة إلى شخص بعينه. حتى السماوات تعجز عن شدِّ قوسه. «**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ**(149) **عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ**» «الأحزاب ٧٢». قيل أنَّ السماوات والأرضين

تعجز عن تحمُّل الأمانة التي في عملنا، لأنَّ عينهم ليست على توفيق الله. وإلَّا لقالوا: «على الرغم من أنَّ القوس قاس، إلَّا أنَّنا حين نلتقطه هناك خلفنا من يشدَّه». إنَّ قوة النظرة والثقة بالله يُختصُّ بها **محمد** وأمة **محمد**. ٢٣٠

١٣٨

يتراجع البعض إلى الخلف بنية المضي قُدمًا والقفز فوق الجدول. إن تراجع أحدهم بتلك النية فذلك حسن، ولكن إن تراجع بنية أُخرى، فسوف يُنبذ. بالطبع لا بُدَّ للمسلمين والكافرين من اجتياز مياه هذا الجدول. إذا بقيتَ على هذا الجانب فإنَّ أيَّ فعل مُحرَّم سوف يحطُّ من شأنك، أمَّا على الضفة الأُخرى فلن يعلق بك أيَّ فعل محرَّم. على ذلك الجانب من الجدول، سوف تحظى بالقوة، والقوة سوف تُقبل عليك، وكذلك العون. حسنًا، حتى لو تراجعت كثيرًا، لو كان الهدف هو القفز إلى ذاك الجانب من الجدول، فإنَّه لا ينبغي لأيٍّ من جوارحك أن تتألم بسبب طول الطريق. يكفي أن تهبط قدماك على الجانب الآخر من الجدول، ولكن إن زلَّت إحدى قدميك في الماء، فإنَّ المياه جارفة وسوف تسحبك إلى الأسفل. ١٠٦- ٧

١٣٩

سأل: «هل من التلون أن ننشغل أحيانًا بالطاعات ثم ننشغل بالطعام والشراب؟ فالأول تهذيب للنفس والثاني تغذية للنفس».

قال: «ألم يكن الأنبياء والأولياء هكذا؟ لكنَّهم في حال الطاعة وفي حال تناول الطعام، كانوا يغذون الروح لا النفس. في الحرب يُعتبر الانسحاب مثل شحن للطاقة، ولا تعارض بينهما، ولكن لا تظننَّ

نفسك مساويًا لهم. لو كنت تعدلهم في أعمالهم وعبادتهم، لعدلتهم في أحوالهم وكشفهم للحجب». ١٦٣

١٤٠

ذهبت تلك الطيور لخدمة السلطان «سيمُرغ(150)». كان أمامها سبعة محيطات يقطعونها كي يصلوا. مات بعضهم من البرد، وبعضهم أُغمي عليه من رائحة المحيط. من بينهم جميعًا لم يبقَ سوى طائرين. لقد جادا بنفسيهما: «لقد أخفق الجميع، ولكنَّنا سوف نصل الى «السيمُرغ».

عندما وصلا إلى السلطان «سيمُرغ» سرعان ما خرجت قطرتا دم من منقاريهما ثم ماتا. في النهاية لا يزال «السيمُرغ» مقيمًا في الجهة المقابلة من جبل «قاف»، أمَّا عن السفر إلى تلك الجهة فالله وحده يعلم كم تبعد. لقد ضحَّت الطيور بأنفسها لتُحلِّق فوق جبل «قاف».

إنَّه يدَّعي أنَّه يختبر أحوالًا. لو وصل إلى حال واحد في حياته بأسرها، لتغيّر حاله. ٢١٣

١٤١

«فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»(151) «المعارج ٤». أنت لا تفهم رموز القرآن. إذا متَّ، وحسب المعنى الظاهري لهذه الآية، يلزمك خمسين ألف سنة قبل أن تشمَّ ريح الجنة.

إذا رحتَ تُفكّر في العلاقة بين عالم الأنبياء وعالم الأولياء فستُصيبك الحيرة. بدلًا من ذلك، صفّق بيديك وانصرف من هنا.

مَن تقرَّب مني ذراعًا. بين هذا الذراع وذاك الذراع، هذا الشبر وذاك الشبر، من هذه الركبة إلى تلك الركبة(152) ثمَّة فرق شاسع. **خطوتان ويصل**. ولكنَّك لا تملك الخطوة **المحمدية**. في داخلك، يحشر فرعون رأسه، يأتي موسى ويسوقه بعيدًا. يُعاود فرعون الكرة وكذلك يفعل موسى. إنَّ هذا دليل على التلون. كم سيدوم ذلك؟ اِقبل موسى كما هو، حتى لا يعود فرعون من جديد. لا يتمّ احتساب التلون في هذا العمل.

«**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** «»فصلت٣٠» يقولون في هذه الدنيا بالفعل ما سيقوله الغافلون في الآخرة: «أليس لنا إله؟!». سوف يستقيمون على ذلك، دون تلون. كيف يُمكن جعلهم يختبرون أهوال القيامة؟ ما إن يصلوا إلى حافة القبر حتى يروا مئة ألف شعاع من نور. أين «**مَلَكُ الْمَوْتِ**»»السجدة ١١؟ بالنسبة إليهم هو ملك الحياة. أين القبر؟ لقد سلِمَ من القبر ومن السجن. **الدنيا سجن المؤمن**.

تخيّل لو قيل لأحدهم: «عندما تخرج من السجن ستكون صاحب السلطان، وستجلس بالقرب منه على العرش إلى الأبد».

فإنَّه سيقول: «أمسكوا بخناقي وشدوا، لعلي أتحرر».

«**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ**»»البقرة ٩٤» إن كنتم صادقين.

عندما يُبعثون يوم القيامة، فكيف ليوم القيامة أن يبقى؟ إنَّه يوم كشف الأسرار(153) إنَّ سرهم هو الله. عندما يتجلى الله، كيف يُمكن للقيامة أن تستمر؟ إنَّهم مكبلون بسلاسل من نور حتى لا

يختبروا أهوال القيامة.

لقد فعلوا للناس كل ما ينبغي فعله. يُساق أهل الجنة إلى الجنة، ويُساق أهل النار إلى النار.

يقومون بتحطيم السلاسل كي يختبروا وقائع القيامة، فتعود سلاسل النور لتوثقهم إلى أن يحين الأوان. ١٣٠- ٣١

١٤٢

إنَّ الدنيا خبيثة ولكن فقط بالنسبة إلى مَن لا يعلم ما هي هذه الدنيا. أمَّا عند مَن يعرف ما هي، فلن يكون هناك دنيا بالنسبة إليه.

يسأل: «ما الدنيا؟».

يقول: «عكس الآخرة».

يقول: «وما الآخرة؟».

يقول: «الغد».

يقول: «وما الغد؟».

إنَّ التعبير محدود للغاية، واللغة ضيقة. إنَّ كلَّ هذا النضال هو في سبيل أن تتحرر من اللغة، لأنَّها ضيقة. إنَّهم يدخلون في عالم الصفات، الصفات الخالصة **للحق**. عجيب قول علماء الأصول! «هل الصفات هي الجوهر، أم مختلفة عن الجوهر؟». يتفقون على هذا.

كلا، لا يتفقون، لأنَّ العالم متلون، فلا يُمكن للكلمات أن تصطبغ بلون واحد.

.كان يتساءل عن ذاك الدرويش الذي عاد من رحلة حج إلى الحكيم «السنائي» الغزنوي. «ماذا يقول ذلك العالم المتلون؟».

أطرق الدرويش برأسه.

قال: «إنَّ أهل الدنيا متلونون ـ ما لم يكن هناك مَن هو خالٍ من هذه التباينات ويسير رويدًا رويدًا نحو داره، وفي داخله ليس هناك أحد. بخلاف ذلك، فالناس متباينون إلى أبعد حد، فهناك اليهودي والنصراني والملحد». ١٢٥- ٢٦

١٤٣

قال رسول الله، عليه الصلاة والسلام ـ مخاطبًا أصحابه: «**مَن أخلص لله أربعين يومًا ظهرَت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**». اِنصرف أحد الصحابة إلى العبادة أربعين يومًا، وبعد فترة جاء مشتكيا: «يا رسول الله! إنَّ الصحابي فلان يختبر أحوالًا. إنَّ نظرته وكلماته اكتسبت لونًا مختلفًا. كنتَ تقول عنه أنَّ: '**من أخلص لله....**»، أمَّا أنا فقد ذهبتُ وأمضيتُ أربعين يومًا في العبادة واجتهدتُ ما استطعت. «**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**»»البقرة٢٨٦» وكلامك ليس متناقضًا».

رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قلتُ من أخلص لله، والإخلاص لله وحده هو الشرط. يجب أن تكون نيتك مخلصة لله، وليس لأيِّ غاية أو هدف آخر. أنت تعبدتَ سعيًا وراء صدور تلك

الكلمات الرائعة منك، تمامًا كما رأيتها تصدر عن ذاك الصحابي، وتمنيتَ ذلك». ١٨٧- ٨٨

١٤٤

إنَّ الأربعين يومًا لن تنفع الجميع. يتطلّب الأمر شخصًا مستعدًا، أمَّا الذي اكتمل استعداده، عسى أن تكون الأربعين يومًا المفتاح الذي يفتح مغاليق قلبه. بخلاف ذلك، فإنَّ مئة ألف يوم لن تُجدي نفعًا. ٧٠٦

١٤٥

قال موسى كليم الله(154): «**رَبِّ أَرِنِي**» «الأعراف ١٤٣». بما أنَّه كان يعلم أنَّ هذا يخصُّ أمة محمد طلب: «يا ربِّ، اجعلني من أمة محمد!». هذا ما قصده بكلمة **أرني: أي اجعلني من أمة محمد**. لكنَّه رأى أنَّه عندما سقط شعاع القوة على الجبل فأصبح دكًا، قال: «لا شأن لي بهذا، **ولكن اجعلني واحدًا من أمة محمد**».

فأُوحى إليه: «اذهب وامكث في خدمة «الخضر» عدة أيام». الخضر كذلك يقول: «**اجعلني من أمة محمد**». لقد كان هناك نور آخر أبهر «موسى» و»الخضر». لو نظرت إلى «عيسى» لوجدته مرتبكًا أمام ذلك النور. أمَّا إذا نظرت إلى «موسى» ستراه مذهولًا أمام النور. إنَّ **لمحمد** نورًا لا يُضاهيه نور.

في النتيجة، هل هذه الأربعين يومًا من الخلوة والابتهال هي حقًا إتباع **لمحمد**؟ نعم، لقد تلقى موسى التعاليم بعد «**أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»»البقرة ٥١». فما هو إتباع **محمد** الذي لم يجرؤ موسى على

طلبه؟ وطلب من الله بدلًا منه أن يكون من أمة محمد؟ ٢٨٤

١٤٦

قالوا: «لقد شوهت سمعة العلماء برقصة «السما» هذه».

قلت: «ألا تعلم أنَّه لن يتجلى الخير والشر والمؤمن والكافر دونها».

قال: «وهل وصلت إلى الله من خلال الرقص؟».

قلت له: «جرب الرقص أنت الآخر وسوف تصل إلى الله. **خطوتان ويصل**». ٢١٤

١٤٧

إنَّ رقصة أهل الله راقية وخفيفة. قد تقول إنَّهم مثل ورقة تطفو على سطح الماء، ولكنَّهم من الداخل كالجبل بل ومئة ألف جبل. ٦٢٣

١٤٨

كان هناك رقصة «سما». كان المنشد بارعًا وعذب الصوت، وكان الصوفيون شفافي القلوب، ولكنّ الأمور لم تجرِ على نحو جيد. قال شيخهم: «اِنظُروا إن كان هناك آخرون بيننا نحن الصوفيين».

نظروا وقالوا: «لا أحد».

طلب منهم أن يفتشوا بين الأحذية قالوا: «نعم هناك بعض الأحذية

الغريبة».

قال الشيخ: «ضعوا تلك الأحذية خارج الخانقاه».

ما إن فعلوا ذلك حتى سارت «سما» على ما يُرام. ١٨٠

١٤٩

أخرج ضارب الدفوف دفَّه: «حسنًا، قبل أن يصل الطعام، أنتم شديدو السخاء، وإنَّ بضع دراهم التي يجب أن أُنفقها تأتي من ضرب الدف». بدأت الأحذية تتطاير. قال: «لقد عفتكم وعفتُ طعامكم وضيافتكم. ناولوني دفي، أنتم تعطلونني عن عملي».

قالوا: «إنَّ هذا مسجد».

قال: «ها! أنا لم أتوضأ منذ أيام. بسرعة أعطوني الدف لأُغادر في الحال». ٦٢٩- ٣٠

١٥٠

قال النائب: «لقد حرَّم الشيخ رقص السما». ظهرت عقدة داخل الدرويش ومرِض.

أحضروا له أمهر الأطباء، فحصه وجسَّ نبضه، ولكنَّه لم يعرف سبب مرضه؟ مات الدرويش. فتح الطبيب قبره وشقَّ صدره، ثمّ أخرج العقدة منه .كانت كالعقيق. في وقت العسرة باعها. انتقلت من شخص إلى آخر حتى وصلت إلى النائب الذي زين بها خاتمًا يُبقيه في أصبعه.

ذات يوم، أثناء رقص «سما» وجد بقع دم تُلطخ ملابسه. بحث ولم يجد أيَّ جرح في جسمه. وضع يده على الخاتم فوجد أنَّ الحجر قد ذاب. استدعى كلَّ من باع الحجر إلى أن وصل إلى الطبيب الذي أخبره بالقصة.

عندما ترى قطرات من الدم ترسم دربًا،

اتبعها وستقودك إلى عيني(155).

كيف يُمكن للشخص المادي أن يؤدي «سما»؟ إنَّ «سما» بالنسبة إليه هي تناول الطعام. إنَّه يأكل من خلال نفسه. إنَّ حياته تتمحور حول الأكل. «**يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ**» «محمد ١٢». يُخيل إليك أنَّه لم يخلق ولم يأتِ إلى الوجود إلَّا لذلك. كيف لمن وجد عبير المعنى أن يأكل أيَّ شيء؟». ٨٠

١٥١

ذات مرة وأثناء تأدية «سما» مع الشيخ، قام أحد مريدي الشيخ «شهاب الدين» بتلاوة سورة من القرآن. فقال الشيخ: «ليتهم يفصلون رأسك ويقطعون لسانك! من يجرؤ على تلاوة القرآن هنا؟ حيث كشف الله عن نفسه وأسقط كلَّ ستار، ولم يبق إلَّا الرؤية. أيُّ مكان هنا من أجل اللسان؟ فليُغادر كلّ مَن لم يدخل في حال. لقد فضح نفسه علنًا. لا يُمكنني تشبيهه إلَّا بالبيت الخرب. إنَّه مثل عبد أسود عار بين نساء جميلات، لقد تملكه الهوى والشهوة!».

فجأة رأيتُ في صدري شمعة، نورًا، وكأن الشمس قد أشرقت من صدري. أرخيتُ رأسي هكذا، عندما رأى الشيخ أنَّ عمامتي سقطت،

خلع عمامته. يُمكنك أن تقول إنَّني كنت أنظر في داخلي. بسبب النور كنت أرى أوردتي وشحمي وعظامي وشراييني وأحشائي، عندما كنتُ أرى ذلك، لم أرَ أيَّ شيء آخر. ٦٤٩- ٥٠

---

(140) أحكام الطلاق. ورد في النص كلمتا إيلاء وظهار, وهما صيغتان مستترتان للطلاق وتتمّ مناقشتهما كثيرًا في الشرع الإسلامي. قارن ٣ - ٧٣.

(141) ليلة القدر. إنظُر للملاحظة حول ٢- ١٤.

(142) أعمى وأصمّ. إشارة للحديث: «حبّك للشيء يجعلك أعمى وأصمّ».

(143) ما نفع الرضا. قارن ٣- ١٢١..

(144) العدم. قارن ٢- ٩٦.

(145) عندما يسقط في المحيط. يستخدم الرومي هذا التصوير أحيانًا كما في قصة السمكة التي تظاهرَت بالموت «المثنوي2266-86 IV» انظر كذلك المثنوي .“43-2842 I“ ”SPL 183

(146) من في هذه الدنيا أكثر علمًا مني؟ يُقدّم شمس نصًا عربيًا لهذه الكلمات في ٢-٢٢١.

(147) الخضر. غالبًا ما يتمّ فهم القصة القرآنية عن موسى والخضر «الكهف٦٥-٨٢» في النصوص الصوفية كتحذير للمريد «موسى» من مساءلة أفعال الشيخ «الخضر». يتحدّث الرومي أحيانًا عن الخضر على هذا النحو. «مثلًا المثنوي 37-436II,26-224,37-236,72-2969I . على نحو مُفاجئ رُبّما، يُخصص فقط

مقطعًا قصيرًا في **المثنوي** لهذه القصة «المثنوي III1962-71».

(148) نحن روحان. بيت شعري مشهور للحلّاج

(149) **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ**. من أجل شروح الرومي عن جدية الأمانة انظر SPL ٦١-٦٥.

(150) السيمرغ. تُروى أفضل رواية لقصة رحلة الطيور من قبل العطار في **منطق الطير**. في هذه الرواية يبقى «ثلاثون طيرًا» على قيد الحياة إثر رحلة عبر الوديان السبعة، وقد اكتشفت أنها مطابقة تمامًا لـ **السيمرغ**.

(151) **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**. تبدأ الآية بـ «**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**». ربما كان في ذهن شمس الحديث الذي يقول إنَّ يوم القيامة سوف يدوم خمسين ألف سنة "استشهد به ابن عربي في **الفتوحات المكّيةI** ٣٠٩-١٠, ٣٢٠-٢١ «.

(152) من هذه الركبة إلى تلك الركبة، «الشبر» و«الباع» يُشيران إلى الحديث المروي جزئيًا، ولكنَّ «الركبة» تُشير إلى قصة الفأر والجمل الواردة في ٣-٢١٢

(153) ـ يوم كشف السرائر. إشارة إلى القرآن «الطارق ٩ : «**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**».

(154) كليم الله. انظر للملاحظة حول ٢- ١٤.

(155) عندما ترى القطرات. قارن المثنوي III٤٧٠٧.

اجتناب الهوى

١٥٢

إنّ الإسلام والإيمان هما نقيض الهوى. أمَّا الكفر فهو إتباع الشهوات. عندما يُؤمن أحدهم فهذا يعني أنَّه التزم ألَّا يُطيع الهوى.

قال الآخر: «لا شأن لي. لا أقدر على ذلك. سأدفع الجزية وأبقى على قيد الحياة(156)». كان الرسول راضيًا. لقد قبل الجزية وأعطاهم صك الأمان، وقال: «**من آذى ذميًّا**(157) **فقد آذاني**»، وأصحاب العهود والمواثيق؟.

يقول هذا: «أنا مؤمن، أنا أشمئز من الهوى»، ولكنَّه ليس كذلك. فهو لا يُريد أن يدفع الجزية ولا أن يهجر الهوى. يقول: «أنا مؤمن»، ولكنَّه ليس بمؤمن. يقول :» أنا مسالم»، ولكنَّه ليس بمسالم. يقول: «أنا صاحب وتابع»، ولكنَّه ليس كذلك. يقول: «أنا طيب»، ولكنَّه ليس كذلك، بل شرير. يقول: «أنا نسر»، ولكنَّه مُجرّد غراب. ٦٠٧

١٥٣

مَن عاش على هواه لن يموت على هواه.

هل رأيتَ النحلة التي تطير على غير هدى؟ وتحطُّ حيثما هداها صوابها. قام الجزار بإبعادها عن اللحم عدة مرات ولكنَّها كانت تعود. في المرة الثالثة رفع ساطوره وضربها ضربة فصلت رأسها عن جسمها، فراحت تتلوى على الأرض فقال لها: «ألم أخبرك ألَّا تحطي

في أيِّ مكان؟».

كانت تلك نحلة العسل التي تلتزم أمر: «**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**» «النحل ٦٩». ولهذا، فإنَّها كلَّما أكلت شيئًا يكون فيه «**شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**» «النحل ٦٩» ٢٦٧

١٥٤

إنَّ «السُّكْر» أربعة أنواع وأربعة مستويات: الأول هو سُكْر الهوى. والنجاة منه غاية في الصعوبة. وحده من أسرع الخطى في السفر سوف يتجاوز سُكْر الهوى.

يليه سُكْر العالم الروحاني. إنَّه لم يرَ الروح بعد، ولكنَّه في حالة سكر شديد. إنَّه لا ينظر إلى الشيوخ، ولا إلى الأنبياء. عندما يشرع في الكلام لا يصدر عنه شيء من القرآن أو الحديث. إنَّه يرى أنَّ من المعيب الحديث عن العلم المنقول ما لم يكن على سبيل التبيان. إنَّ تخطي المستوى الثاني أمر مرهق وغاية في الصعوبة ـ ما لم يتمّ إرسال العبد المحبوب من الله **الحق**، العبد المصطفى، إليه كي يُبصر حقيقة الروح ويصل إلى درب الله.

إنَّ السُّكْر في درب الله هو المستوى الثالث. إنَّه سُكْر شديد، ولكنَّه مرتبط بالسكون، لانَّ الله قد أخرجه ممَّا كان يظنُّه.

يلي ذلك المستوى الرابع ـ السُّكْر في درب الله. ذاك هو الكمال.

يليه الصحو والاتزان. ٧٠٠

١٥٥

أمَّا الغفلة فنوعان. الأول يخصُّ الحياة الدنيا لأنَّها ماثلة أمامنا. إنَّ هذه الدنيا تجعلك تغفل عن الآخرة. هناك سبب آخر للغفلة هو انشغالك بالآخرة إلى درجة أنَّ المرء ينسى حتى نفسه. إنَّ هذه الدنيا في يده هي مثل فأر في يد قط. لأنَّه في صحبة عبد الله، فقد وصل إلى ما لم يصل إليه شيخ لم يبرح سجادة صلاته ثلاثين سنة.

هناك سبب ثالث للغفلة وهو حُبّ الله، ممَّا يجعل العبد ينسى الدنيا والآخرة وهذا مقام مولانا. **إنَّ هذه الدنيا محرَّمة على أهل الآخرة، والآخرة محرَّمة على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة محرمتان على أهل الله.** ذلك هو معنى: أنَّه لا بُدَّ له أن ينسى. هذا سبب أنَّ مولانا قد يثمل بالحب، ولكنَّه ليس لديه صحو في الحب.

أما أنا فثمل في الحب، لكنَّني صاح في الحب. لا أنسى في سُكري هكذا ببساطة. كيف يُمكن لهذه الدنيا أن تملك الجرأة على حجبي؟ أو أن تحتجب عني؟ ٧٨- ٧٩

١٥٦

أمَّا عن تفسير «الهوى»: فاعلموا أنَّني لا أقصد بالـ «هوى» الذهب والنساء وهذه الدنيا. إنَّما «صاحب الهوى» لا يجرؤ على الطواف حول هذه الدنيا خشية أن تقلّ لديه سكرة الهوى. إنَّ معظم النسَّاك لديهم سُكْر الهوى هذا، وكذلك لدى الأذهان مثلهم التي يُخاطبون.

إنَّ «عماد» وأمثاله، وبما أنَّهم أصبحوا مثاليين في سُكْر الهوى، فقد شمّوا عبير سُكْر الروح. أمَّا «أوحد الدين» فكان على وشك

اكتمال الهوى. كان سحرة «فرعون» مكتملي الهوى فوصل إليهم عبير الروح. لم يكن «فرعون» كاملًا، بل كان متمنطقًا(158) وذا نسب رفيع، إلا أنّ سحرته كان لديهم ميزة لم تكن لديه. أما «سيد» فقد وصل إليه عبير الروح وسُكْر الروح أكثر من مولانا. كانت معارفه واسعة ولكنه لم يكن لديه تعلق بها.

أمَّا الشيخ «أبو بكر(159)» فقد سكر في حضرة الله، ولكن لم ينل الصحو الذي يأتي بعد هذا السُّكْر. أعرف هذا من باب العلم.

١٥٧

كما أنَّ كلام هؤلاء العظماء عن المعنى الظاهر للقرآن غير صحيح، لأنَّ ذاك المعنى الظاهر لا يُمكن أن يُعرف ويُرى إلَّا من خلال نور الإيمان وليس من خلال نار الهوى. لو كانوا يرون بنور الإيمان لما رضوا أن يدفعوا عدة آلاف لتولي القضاء والمناصب؟ فهل لأحدهم أن يدفع كيسًا من الذهب لشراء أفعى من جامع الأفاعي؟ أنا لا أقصد أفعى الماء التي لا تحمّل سمًّا، إنَّما أفعى الجبل المليئة بالسُّمّ. عندما يفرُّ أحدهم من تولي القضاء والمناصب، إن كان يهرب لوجه الله وليس لغرض آخر ـ فذلك من نور الإيمان. مَن يُصبح خبيرًا بالثعابين يُصبح خبيرًا بالأصحاب(160).

سوف تُزيح عروس القرآن حجابها عندما ترى أنَّ سلطان الإيمان قد كفَّ عن الاضطراب(161).

إنَّ الرجل الذي قال ـ أنَّني معجب بمدى انقطاعه عن نفسه! كلامه هو كلام الله، وكلام الله كامل ومطلق.

عندما لا تنضج عناقيد العنب، تُترك ما بين الظل والشمس خشية أن تحترق. تُطلُّ الشمس بوجهها، خشية أن تذبل العناقيد، وهكذا إلى أن تنضج. بعدها لا ضرر من أشعة الشمس. قبل أن تُصبح حلوة، يخشى صاحب البستان من أن يحل البرد. ما إن تكتمل حلاوتها حتى تتمّ رعايتها ولو هبط الثلج.

إنَّ الشخص الذي يصل إلى هذا الكمال يغرق في نور الله ويشمل بنشوة **الحق**، ولكن لا يليق به أن يكون مرشدًا، لأنه ثمل، فكيف له أن يجعل الآخرين يقظين؟ إلا أنه بعد هذا السكر هناك صحو من نوع مختلف، فعندما يصل المرء إلى تلك الصحوة يغلب لطفه على قسوته. أمَّا الثمل فهو لم يصل إلى تلك الصحوة، وبالتالي فإنَّ لطفه يعدل قسوته. عندما يُصبح لطف المرء غالبًا يُصبح أهلًا لأن يكون مرشدًا. إنَّ لطف الله يُعادل قسوته. ولكنَّ جوهره كلُّه لطف، ولذلك فإنَّ اللطف يسود.

هناك وحي نزل على النبي عن طريق «جبريل» وآخر نزل على قلبه. أمَّا الأولياء فلا يختبرون إلَّا النوع الثاني(162). ١٤٦- ٤٧

١٥٨

حسنًا، أمام عناقيد العنب أوان معين ليُفسدها البرد. ولكن بعد ذلك ليس هناك خوف. بعد ذلك تتمّ تنميتها ولو أثلجت السماء.

في البداية ذهبت السمكة نحو الماء. الآن، حيثما تذهب السمكة، يذهب الماء(163).

إنَّ الخمر واللحم والبطيخ تملك خصائص تجعل الجسم الصحيح

أكثر صحة، ولكن إن كان الجسد مريضًا، فإنَّها تزيد مرضه، ولهذا ينصحون المريض باجتناب اللحوم. ٦٤٤

١٥٩

إنَّ رسالة **محمد**(164) رسول الله لن تنفعني. ينبغي أن يكون لي رسالة متفردة. حتى لو قرأتُ ألف رسالة ورسالة فسأزداد سوءًا.

لا يعرفون أولياء الله ولكنَّهم يدرسون رسالاتهم. يستثيرون متخيلاتهم ويكيلون الاتهامات لمن ينطق الكلمات. لا يتهمون أنفسهم أبدًا. ولا يقولون: «لا عيب في تلك الكلمات، بل العيب في جهلنا وتخيلاتنا».

عندما تكتب كلمات موزونة إلى جانب بعضها، لماذا يجعلك ذلك سعيدًا؟ يجب أن تعلم أنَّ السعادة تكمن في معية الأصحاب، إذ يحسن بهم أن يعيشوا في وفاق ويُظهروا الجمال. أمَّا أولئك الذين يتفرقون فالهوى قد دخل بينهم فخبا نورهم.

عندما تضع شيئًا في العسل، يبقى طازجًا وحلوًا، لأنَّ هواء الهوى لا يجد سبيلًا إليه. إذا أغلقت المسام يصبح عكرًا. ٢٧٠- ٧١

١٦٠

مع كلِّ هذا، فإنَّ المريد لم يكتمل بحيث يكون آمنًا من الهوى، وليس في مصلحته أن يكون بعيدًا عن الشيخ، لأنَّ النَّفس البارد قد يُصيبه بالفتور. إنَّه سمٌّ قاتل، تنفثه أنواع التنين فيُحوّل كلَّ ما يلمسه إلى سواد، ولكن عندما يُصبح المريد مكتملًا، فإنَّ غيابه عن الشيخ لا

يضره.

«**وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا**»»الإنسان ٢٦». بمعنى آخر، عندما يكون هناك حجاب بين المريد والشيخ، فذلك هو الليل. عندما يحل عليك الظلام، حينها ينبغي عليك أن تُسبّح الله بجدية. ينبغي أن تُحاول جعل تلك الستارة تختفي. كلّما اسودَّ الظلام أكثر نفرتَ من الشيخ أكثر، وتوجّب عليك المجاهدة في خدمته أكثر. لا تحزن ولا تقنط مهما طال الليل، لأنّه بعد الليل الطويل، لا بد أن يبزغ الفجر. **كلّما ثقل دين المرء اشتدت بلواه، وكلّما خفّ دينه هانت بلواه.**

تنال العلى على قدر المثابرة(165)، لأنّه عندما لا يكون هناك حجاب فإنَّ ذلك يُحرّك تذوق الروح والأنوار، فكلّما وجد المرء ذلك فهو تأثير: «**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**»»الحجر ٢٦». وذاك هو ما يقوم بالعمل. قد تأتي الظلمة على شكل حجاب وقطيعة، بحيث تغفل عن حال الولي. تبدأ النفس بالسيادة ووضع تأويلات(166) لأنّها عاجزة عن تنفّس ذاك الحُبّ والنور. طالما أنَّ النفس تُواصل تقديم التأويلات، اِجعل من نفسك جاهلًا لأنَّ **معظم أهل الجنة من الجاهلين.**

إنَّ أكثر أهل النار هم من بين هؤلاء الأذكياء، هؤلاء الفلاسفة وأهل العلم، أولئك الذي أصبح لديهم الذكاء حجابًا. فيُطلقون خيالهم حول كلِّ شيء، ومن ذلك الخيال تنبع عشرة أخيلة، مثل نسل يأجوج ومأجوج.

أحيانًا يقول: «لا يُوجد طريق» ثمّ لا يلبث أن يقول: «حتى لو كان هناك طريق فهو طويل». نعم، إنَّ الطريق طويل، ولكن عندما تسلكه فإنَّ لذة المسير تُنسيك طول الطريق. **حُفَّت الجنة بالمكاره**(167). حول بساتين الجنة هناك حقول من العليق. إلَّا أنَّ عبير الجنة الذي

يفوح مُرحِّبًا ويحمل رسائل المحبوب للمحبين، يجعل حقول العليق هذه مستحبة.

حول أرض النار المليئة بالعليق حُفَّ الطريق بالورود والرياحين ولكنَّ رائحة جهنم التي تفوح تجعل الطريق المُستحبّ كريهًا.

لو تسنى لك وصف جمال الطريق فلن يصبر أحد على ذلك. ١٤٤-٤٦

١٦١

كيف يُمكن لأهل الحرب أن يُصبحوا أمناء على الأسرار؟ أوقفوا الحرب، الخصومة! إنَّ مسألة الحرب هي هوى. أينما رأيت حربًا فاعلم أنَّه إتباع للهوى.

لو ألزم المرء نفسه بالصلح، هل كان سيستمر على ذاك النحو؟ هل كان سيتكلم على ذاك النحو؟ بل كان سيتكلم ويتصرف بطريقة تجعل الآخر، لو علم بذلك، يتمنّى الصلح. إنَّه حتمًا سيقول: «أنا أشعر بالخزي من تصرفاتي وكلامي. إنَّه من وسوسة الشيطان، ومن مكر الشيطان. يا إلهي، ماذا اقترفَت يداي! ما الذي فعلتُه! كم كانت الكلمات المليئة بالوساوس والشكوك التي صدرت مني والأفعال التي اقترفتُ سيئةً بحيث أربكت تفكير الآخر!». إنَّ ندمه سوف يقذف الكلام اللطيف في قلب الآخر، وسلوكه اللطيف سيجعل الآخر يعلم أنَّ ذلك الكلام اللطيف هو دعوة للصلح.

إنَّ مُعلّمك هو الحب ـ عندما تصل إليه

سوف يُخبرك بلسان حالك ماذا تفعل.(168)

«ألا أدلكم على سحر حلال تستعبدون به الرجال دون دراهم ولا دنانير»

قالوا: «بلى يا رسول الله»،

قال: «الأعمال الصالحة والكلمة الطيبة». ٦٠٨ - ٩

١٦٢

إنَّ محنة «إبراهيم»(169) هي قصة تحكي غيرة الملائكة، ليست غيرة إنكار أو حسد وإلَّا لكانوا مثل «إبليس»، وإنَّما: «إنَّه لأمر غريب. نحن كائنات من نور. كيف لقدمين من لحم ودم أن تسبقنا ويكون صاحبها خليل الرحمن؟» .

يقول الله: «لأنَّه ترك الهوى».

قالت الملائكة : «لكنَّ لديه كلُّ أسباب الهوى كالأهل والممتلكات».

قال الله: «إنَّه نقي وبريء من ذلك».

قالوا: « **نُؤمن ونُصدّق**. ولكنَّ هذا غريب؟».

قال: «اختبروه علَّ الأمر يتبين لكم. في هذا الاختبار سوف ينكشف سر آخر وهو ما يجعله يتفوّق عليكم. كذلك سوف يتكشّف لكم بعض من سر «**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**» «البقرة ٣٠». يا جبريل اِختبئ خلف

صخرة وقل: ٱسبُّوحٌ قدوس!ٱ».

سمعه إبراهيم فنظر ولكن لم يرَ صورة أحد، ثمَّ قال: «أعِد ما قلتَ وكلُّ هذه الخراف ستكون ملكك».

أعاد جبريل ما قاله وخرج من وراء الصخرة: «أنا جبريل ولست في حاجة إلى الخراف».

ردَّ إبراهيم: « لن أكون صوفيًا يعود إلى ما قد تركه».

من خلال فعله هذا أدركَت بعض الملائكة حال إبراهيم. علمَت أنَّ **القليل يُنبئ بالكثير**، ولكنَّ بعضهم لم يُدرك ذلك بعد. قالت إنَّ مسألة الممتلكات سهلة، ولا بُدَّ من اختباره في أولاده. ١٢٩

١٦٣

«**إنَّ القليل يُنبئ بالكثير**». بعبارة أُخرى، إنَّ الكلام قليل، ولكنَّ المعنى كبير. على سبيل المثال، وُضع كيس من السكر هناك، ثمّ قاموا بجلب جزء منه. إنَّ هذا الجزء يُشير إلى الكثير. إنَّ القليل من صدق الإنسان ينمُّ عن الكثير، كما ينمُّ قليل من الاعوجاج والنفاق عن الكثير. ١٢٢

١٦٤

يقول أحدهم: «كان حال الذين تأثرت مشاعرهم يتذبذب في داخلهم».

أجبتُ: «إنَّ «التأثر» نوعان. إذا تمَّ تعذيب أحدهم فإنَّه يتأثر تحت ضرب العصا، وهناك مَن يتأثر بالخزامى والنرجس والرياحين. فلا تتبع كلَّ تأثر.

إنّ الشيء نفسه حدث للفراشة مع الشمعة- ذهبت نحو النور، ولكنَّها وقعَت في النار.

بما أنَّ ذاك ذو طبيعة ناربة وحركته تأتي من النار، فهو يعتقد أنَّ عباد الله كلُّهم كذلك.

كلَّما رأى أنَّ الآخر كان سيئًا كان ينظر من دائرة وجوده هو.(170)

لم يكن يعلم أنَّ شؤون الآخر عكسية. ذهب في اتجاه **النار** ووقع في النور. لا تنظرنَّ إليه بهاتين العينين وإلَّا فستخسره. ٩٢- ٩٣

١٦٥

إنَّ الذي يذكر الله بسوء، إنَّما يذكر نفسه بسوء. كيف يستطيع أن يُسخط الله؟ إنَّما هو يزعج نفسه. كيف يتفوهون بهذا الكلام؟ ألا يعرفون الله حقًا؟ يقول «سنائي»:

«أنت يا من تزعج آلهته الله!(171)» ٧٠١

١٦٦

كلَّما قيل لك شيء جيد عن أحدهم أو طُلب منك مدح أحدهم يكون مطلوبًا منك أن تعمل عملًا صالحًا. كذلك فإنَّه عندما يتمّ التحدث بسوء عن أحدهم ،فاعلم أنَّ الله يُحصي حسناتك وسيئاتك، وينبغي أن

تُحجم.

كذلك، في «نيسابور» عندما يُريدون تأديب ولد، يقولون له: «ما رأيك بالولد فلان؟ هل ينسجم معنا؟ هل هو حسن الأخلاق؟».

إذا قال الولد إنَّ أخلاقه حسنة وأنَّه غير منحرف، فهو نفسه خاضع. أمَّا إذا قال عكس ذلك وأنَّه بعيد عن هذه الأمور قالوا: «وما حالك أنت؟».

أحيانًا يدخل أحدهم في الإسلام عندما يسمع عظة، ولكن عندما يخرج يقسو قلبه مثل القصدير عند إخراجه من النار. قد لا يَرِقُّ قلب آخر في أثناء العظة، ولكن قد يَرِقُّ لشيء آخر، مثل معاناة قاسية، ورُبّما يَرِقُّ آخر لشيء مختلف. بالطريقة نفسها، في الأشياء الحسية لكلِّ مادة الأداة الصحيحة لتطويعها. «١٠٧-٨

١٦٧

كلَّما تحدث أحدهم بالسوء عن أحد أصدقائك ـ سواء كان المتحدث ظاهريا أو داخليًا ـ كأن يدّعي أنَّ صديقك يحسدك، فاعلم أنَّ الحسود هو المتكلم، وأنه يغلي حسدًا.

قال السرماري»: «مَن هو إبليس؟».

أجبتُ: «أنت، لأنَّني مستغرق في «إدريس»، فلو لم تكن إبليس لكنتَ مستغرقًا أنت الآخر في «إدريس». ولو أنَّك تقتفي أثر «إدريس»، فلماذا هذا الاهتمام بإبليس؟ لو سألتني مَن هو جبريل؟، لقلتُ أنت».

كذلك، سأل أحدهم: «في أثناء الصلاة، إذا لم يُبق الإمام عينيه على موضع السجود، وراح يلتفت يمنة ويسرة، هل تفسد صلاته؟».

أتته الإجابة: «لقد فسدَت صلاتكما».

قال: «كنتُ أسأل عن صلاة الإمام فهل الصلاتان سيَّان؟».

أُجيب: «الأولى هي صلاة الإمام الذي يتلفت على نحو متقطع ويُزعج الحضور، والثانية هي صلاة المأموم الذي أصبح الوصي والمراقب على عينيّ الإمام بدل أن ينظر أمامه هو».

إذا قال لك أحدهم إنَّ فلانًا قد مدحك فقُل: «أنت تمدحني وتجعل منه حجَّة». إن أخبرك أحدهم أنَّ فلانًا قد سبَّك قُل: «أنت مَن يسبني وتتخذ منه حجَّة. رُبّما لم يقُل ذلك، أو لعلَّه قالها بمعنى آخر».

إن قال لك: «أنَّه يصفك بالحسود»، قُل: «للحسد معنيان، فهناك الحسد الذي يأخذ بيدنا إلى الجنان، أي التنافس في الطاعات، «لماذا أكون أقل منه منزلة في الجنة؟»، إنَّ السيدة «كيرا» حسودة وكذلك مولانا. هذا هو الحسد الذي يُوصل إلى الجنة.

إنَّ كلامي طوال اليوم هو من أجل هذا الحسد. إلَّا أنَّ هناك الحسد الذي يُؤدّي إلى جهنم: «أتيتُ لأخدمه، ولكنه كان يحسدني ويتمنى حرماني وتأخري عن شيء ما». ٣١٤- ١٥

١٦٨

أمامك عقبات. إنّ الممتلكات هي قِبلة معظم الناس، أمَّا المسافر

فقد ضحى بكلِّ ذلك. بالنسبة إلى عبد الدنيا فإنَّ قطعة نقود نحاسية هي أثمن من جوهره العزيز.

تقول: «لكن ألا يملك جوهرًا؟». لو كان لديه جوهر، لما كانت ممتلكاته أغلى عليه منها. والله إنَّ قطعة نقود نحاسية هي قِبلة مَن يعبد الدنيا. ١٢٨- ٢٩

١٦٩

كان أحدهم يتذمر من أهل الدنيا.

قيل له: «إنَّ هذه الدنيا هي لعبة ودعابة في نظر الرجال. أمَّا في عيون الأطفال فهي واجب. إن كنت لا تستطيع تحمّل اللعب واللهو، فلا تلعب. إن كنتَ تستطيع، فالعَب واشرَب واضحك. إنَّ نكهة اللعب هي في الضحك وليس في النحيب». ٣١٢- ١٣

١٧٠

لم يعترف «جالينوس» إلَّا بهذه الدنيا(172). لم يكن على دراية بالآخرة. يقول: «لو لم أمت، ووضعوني في معدة بغل بحيث أُلقي نظرة على هذا العالم من خلال مؤخرته، لأسعدني ذلك أكثر من أن أموت».

كحال الرجل الكردي الذي عاد ابنه والحزن بادٍ عليه. قال الأب : «ما دمتَ ستموت، لمَ الحزن؟».

ردَّ الولد: «لقد قتلتُ شابًا لأنَّني رأيته يرتدي حزامًا فظننتُ أنَّه يُخبئ

الذهب، ولكن لم يكن فيه سوى سدس دينار».

هجم الأب عليه وصفعه بقوة مرتين أو ثلاث حتى كاد يقتله: «يا ابن الحرام! لماذا لم تقتل ستة منهم لتحصل على دينار كامل؟».

كذلك هم قادة السفن، عندما يجدون أنَّ السفينة ثقيلة، يتلفتون حولهم بحثًا عن شخص بدين، فيربطون يديه ثمّ يُلقونه في البحر. عندما تتعالى صيحة: «ما تلك الجلبة؟»

يقولون: «لا شيء لقد أوقعت الريح لوحًا خشبيًا». ٢٣٧

١٧١

وصلت إلى حيث جماعة «فصد الدم!»(173) فخطر في بالي هذه الفكرة: يا لهم من ثلة طيبة من الأشخاص الغافلين! بزغَت شمس أزلية أبدية. حقًا، ما هذه «الأزلية والأبدية»؟ إنَّهما سمتان ظهرتا البارحة. قاموا بتسمية الرأس «الأزلية» وسموا الذيل «الأبدية»، ما شأن «الأبدية والأزلية» بذلك المكان! طلعت شمس لتملأ الدنيا كلَّها بالنور. ما هذا المكان بالنسبة إلى «شمس»! وكلُّ هؤلاء الأشخاص في عتمة. ليس لديهم أيُّ إدراك من أيِّ نوع. ٢٢٣

---

(156) سأدفع الجزية. إشارة إلى الضريبة المدفوعة من غير المسلمين تحت الحماية الإسلامية.

(157) الذمّي. هو غير المسلم الذي يعيش ضمن عهد من الحماية الإسلامية.

(158) كان فرعون متمنطقًا. ربما كان في بال شمس سؤال فرعون لموسى: «وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟» «الشعراء ٢٤». يعتبر ابن عربي هذا سؤالًا عن الماهية, أو الجوهر, والذي هو بالضبط من نوع الأسئلة التي قد يسألها "المنطقي». "انظر إلى الفصل حول موسى لابن عربي في **فصوص الحكمة**"

(159) الشيخ أبو بكر. هذا هو أبو بكر سالاباف, «صاتع السلال» من تبريز, والذي كان أول شيخ لشمس حسب الأفلكي «٤٦-RPP١٤٥». لا يُعرف عنه شيء باستثناء ما يذكره شمس. يقول شمس في مقطع آخر: كان هناك دراويش يمكثون عند الشيخ أبي بكر. عندما يأتي لرؤيته أحد مساعدي الوزير أو شخص آخر, كانوا يُظهرون له التبجيل مئة مرة أكثر ممَّا كانوا يفعلون قبل مجيء الغريب. كانوا يقفون ويجلسون بعيدًا بأدب عندما يأتي أحد, كان الشيخ غير مكترث بهكذا زوّار, في حين كان الآخرون يستميتون في سبيل مجيئهم". «مقالات ٦٨٧»

(160) يُصبح خبيرًا بالثعابين. ليس فقط لعب لطيف بالكلمات: «خبير ثعبان» «مار شيناس» و»خبير بالأصحاب» «يار شيناس», إنَّما يُمكن لهذه الجملة أن تُؤخذ أيضًا كترجمة للقول المشهور: «مَن يعرف نفسه يعرف ربه», يتمّ فهم «النفس» في تعاليم شمس والرومي سلبيًا عادة, وغالبًا ما تُلقب بالثعبان أو التنّين.

(161) عروس القرآن. البيت للسنائي, "**ديوان ٥٢**".

(162) هناك وحي نزل على النبي. يُميّز ابن عربي بين الأنبياء والأولياء بطريقة مماثلة. "SPK ٢٦٠-٦١".

(163) في البداية ذهبَت السمكة في اتجاه الماء. قارن بيت الرومي: «اِطلب الماء أقل واعطَش, حينها سوف يتدفّق الماء من الأعلى والأسفل» «المثنوي III ٣٢١٢, انظر SPL٢٠٦ ff.

(164) رسالة محمد. قد يُخمّن المرء أنَّ هذه المحادثة سُبقت بإشارة إلى رسالة القشيري "كما في ٢- ٦٣", يقول شمس: «ما الفائدة من هكذا رسائل؟ لو كان لمحمد

نفسه رسالة, لكانت عديمة الفائدة», المسألة هي بالطبع التحقق والإدراك, واللذان يختلفان تمامًا عن الاستظهار" انظر ٢- ٣١- ٤١".

(165) تُنال العلى. هذا نصف بيت من قصيدة للمعرّي "مقالات ٤٦٦".

(166) النفس.... وضع تأويلات. بعبارة أُخرى, عندما تبدأ النفس الأنانية في التأويل, فإنها تفعل ذلك عادةً بنيّة انتحال الأعذار أكثر من الشرح، وغايتها هي التهرب من الإلزام الأخلاقي أو الروحاني المنصوص عليه.

(167) حُفَّت الجنة بالمكاره. يُتابع الحديث, «وحُفَّت النار بالشهوات», من أجل بعض تعليقات الرومي إنظُر المثنوي II1835ff. IV1857.

(168) معلّمك هو الحبّ. وفقًا لـ «فوروزانفر», هذا الشعر المعروف جيدًا هو من البيت الثاني لرباعية لأثير الدين أخسيكاتي. يقول البيت الأول:» أزل الجنون الفارغ من رأسك, قلل من كبريائك وزِد من رغبتك». "مقالات ٨٧٨".

(169) محنة إبراهيم. يروي الميبودي رواية أطول عن هذه الحكاية في تعليقه على القرآن , البقرة ١٣١ .

(170) كلّما رأى أنَّ الآخر كان سيئًا. يروي الرومي هذا المقطع في رأسية مثنوي ٧ ١٩٧٤ ff. كما يدمج جزءًا منه في رأسيةI ٢٣٦٥ ff. والتي مطلعها: «شرح أنَّ الجميع يتحرّك من حيث هو, وأنَ الجميع ينظر من دائرة وجود هو».

(171) السنائي. يقول في الشطر الأول من البيت: «أنت يا من هيَّجت أهواءه الهوى» ديوان 197».

(172) جالينوس. يقصُّ الرومي هذه الحكاية في المثنوي III ٣٩٦٠ ff.

(173) جماعة فصد الدم. يبدو أنَّ شمس يعني القسم من السوق حيث تُوجد دكاكين الجماعة التي تعمل في فصد الدم، رُبّما جانب العطارين..

صاحب القلب

١٧٢

لا شيء يُميت النفس الأمارة بالسوء كرؤية جمال القلب. سرعان ما تُصبح جوارحها واهنة.

يُشبه هذا ملِكًا مستبدًا قام بجعل أحدهم عاجزًا. يدسُّون بعض السُّمّ في طعامه، فتُشلّ يداه وقدماه ثمّ تخور جميع قواه. ٦٩٠- ٩١

١٧٣

يقول الله تعالى: «**لم تسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**». إنَّ كلَّ مَن يدعي أنَّ القلب هو قطعة اللحم هذه هو أكثر من كافر وأسوأ من نصراني. إنَّه أسوأ ممَّن يقول إنَّ عيسى هو ابن الله. ٢٦٧

١٧٤

عندما تُقابل شخصًا يتمتع بشخصية وسجية ثريتين، ويتحدّث بكلام رحب وواسع، ويبتهل من أجل الدنيا بأكملها، ينشرح قلبك إلى كلامه فتنسى هذه الدنيا وضيقها. هذا ليس مثل صاحب الطبع المنفتح الذي ينطق كفرًا ويجعلك تضحك، وإنَّما ذاك الذي لا يتحدث بشيء سوى **التوحيد**، مثل «سراج الدين»، فإنَّ الدموع سوف تنهمر من عينيك في الظاهر، ولكنَّك تضحك في الباطن. إنَّ شخصًا كهذا هو ملاك ومن أهل الفردوس. إلا أنك عندما تُقابل التزمُّت وضيق الأفق والبرود لدى

أحدهم وفي حديثه، تُصبح فاترًا بسبب حديثه، تمامًا كما تحمّستَ من حديث الأول، ولكنَّك الآن لا تستطيع أن تجد أيَّ حماس بسبب برودته، إنَّه شيطان ومن أهل النار.

مَن يطلع على هذا السر ويضعه موضع التنفيذ لن يُلقِ بالًا إلى مئة ألف شيخ. لماذا يقلق من الموت؟ ولن يكترث لما يقوله رأسه، يعيش الحيوان من خلال غريزته، أمَّا الإنسان فيحيا بسرِّه، عندما يحيا من خلال غريزته «**بَلْ هُمْ أَضَلُّ**» «الأعراف ١٧٩»، أمَّا من يعيش بسرِّه «**وَفَضَّلْنَاهُمْ**» «الإسراء ٧٠». أعني أنَّه كيف يُمكن للسرّ أن يستقرَّ في الرأس؟ إن لم يتناسب هنا فما نفع الرأس؟ ٧١٣- ١٤

١٧٥

قال صهر «بدر زرير»: « فلنذهب إلى «شمس الدين».

أما صهر «شهاب الدين» ابن «الورقاني» فقال: «هذا مستحيل، إنَّ جلال الدين يعظ».

إنَّ هذا الكلام صحيح. مَن يعرف كلام الله ولغة الله؟ عبد الله، كُن عبد الله كي تعلم كلام الله وخطابه. لا أقول إنَّك ستُصبح إلهًا. أنا لا أنطق كفرًا.

في النهاية، فإنَّ شتى النباتات والحيوانات والجمادات والأفلاك تقبع داخل الإنسان. إلَّا أنَّ ما هو موجود داخل الإنسان غير موجود داخلهم. هذه حقيقة الكون. في النتيجة، يقول الله: «**لم تسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**». ٦٧٦- ٧٧

١٧٦

ينبغي على المرء ألَّا يكون صاحب طبع بل صاحب قلب. اِبحث عن القلب. اِبحث عن القلب، وليس الطبع. ما محل القلب؟ إنَّ القلب قناع. إنَّه ولي الله. بدافع الغيرة يقولون «صاحب القلب».

ألا يُزهر القلب عندما يحضر شعاع جلال **الحق**، ألا يحصل العكس عند غيابه؟ على كلٍّ حال، يُصبح هكذا عدة مرات إلى أن يذوب القلب ويتلاشى. كلَّما انكسر القلب وتلاشى من الوسط، لا يبقى إلَّا الله.

أعطى الله «داوود» إشارة بهذا. حين طلب «داوود» **الحضور**: «أين أبحث عنك»، قال تعالى: «**لن تسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**»

هذا هو كلامه: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي**».

عندما تقول «صاحب القلب»، قُل: «**المنكسرة قلوبهم**».

يجب أن يكون لدى المرء انكسار القلب. عندما يأخذك نور **الحق** إلى **الحق**، سوف ترى حينئذ أنوار جلاله، لأن **لا أحد يعرفهم إلا «أنا أكون»**. ٢٨٣- ٨٤

١٧٧

اثنان يتصارعان ويتقاتلان. إنَّ الله في معية المغلوب والمكسور منهما، وليس الغالب، لأن «**أنا أكون**» **عند المنكسر**. ٢٠٥

١٧٨

«**مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**» «آل عمران ٩٧». لا ريب أنَّ هذه سمة القلب. «**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ**»؟ «العنكبوت ٦٧». خارج حمى القلب تسري وساوس ومخاوف ومخاطر، «**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**» «الناس ٥»، يُوسوس ويُخيف ويُرعب مئة ألف مرة. ولكنَّه، في وسط النار، يبقى مثل إبراهيم في رعاية **الحق** وكمال القوة. كذلك **رعى** موسى وهو في قبضة العدو. ٦١٣

١٧٩

كما لو أنَّ القيامة قد قامت **والغيب** أصبح مرئيًا. والله، إنَّ **الغيب** مرئي والحجب قد رُفعت ـ لكن فقط لمن عيناه مفتوحتان.»٧٣٢

١٨٠

إنَّ رؤية **الحق**، بالنسبة إلى أهل الرؤية هي شعاع من القوة. الآن، أقبِل! أقبِل! دع الله يرى **ذاته** وانظُر ما سيحدث. إنَّه ينظر إلى نفسه، ينظر من خلال العبد. أصبح موسى ناكرًا للذات في ذلك الشعاع(174). ٢٢٧

١٨١

ما الذي يضرُّ الدرويش من لؤم العباد؟ إنَّه يعتبر الدنيا بأسرها محيطًا، كيف للمحيط أن يُؤذي بطة؟ ٩٠

١٨٢

كان يصرخ: «آه، لقد جاء التتار! يا للمصيبة !».

قلتُ له: «ألا تخجل من نفسك؟ منذ مدة وأنت تدّعي أنَّك بطة. وها أنت ترتعش هكذا بسبب عاصفة؟».

إنَّ بحث البطة عن مركب لأمر عجيب!(175) ٢٦٩

١٨٣

دخل أحد المريدين وقال للشيخ: «أتيتُ إليك مثل الذليل «.

قال الشيخ: «إن شاء الله، سوف يأخذني وإياك إلى حال الذل بين يديه».

سعيد من تنام عيناه ولا ينام قلبه! الويل لمن لا تنام عيناه وينام قلبه!

لقد فُتح باب القلب. بما أنَّه كان هناك ازدحام، اصطدم أحدهم عن غير قصد منه بالباب. اِحرسه الآن كيلا ينغلق. عندما يُفتح الباب، فسوف ترى حينها كلُّ مَن يمرُّ بالباب شئتَ أم أبيت. عندما يكون مغلقًا، سوف تسمع أصواتهم وتجد طعمًا، ولكن كيف لهذا أن يُقارن بذاك؟

سوف ترى إذا انجلى الغبار

أفرسٌ تحتي أم حمار.

لقد انجلى الغبار عدة مرات، ورأيتُ أنَّني أمتطي حصانًا عربيًا أصيلًا.

إنَّهم لا يقولون: «**سوف ترى**» لأيٍّ كان. كيف يصحُّ قولها للجميع؟ لا يصحُّ أن تقول لرجل أعمى منذ الولادة «**سوف ترى**». إنَّها تُقال لمن لم يبقَ من وجوده إلا القليل، وأصبح كلُّ ما بقي له روحًا. بعبارة أُخرى «اِخرج من غبار الوجود هذا!». ٢٦٥- ٦٦

١٨٤

حسنًا، فيما يخصُّ معنى «**عندما يكتمل الفقر، فهو الله**»، تحدث الناس بآلاف أنواع التفاهة. إنَّه يعني عندما يكتمل الفقر، تتمّ رؤية الله بوضوح. معناه أنَّك تجد وترى، وليس معناه أنَّك تُصبح الله. **عندما يكتمل الفقر، تجد الله.**

كل ما يُقال بخلاف ذلك فهو كفر.

قال أحدهم: «رُبّما ليس هذا المعنى».

قال: «فما الفارق إذا بينك وبين النصراني؟ إنَّ عيسى أرفع قدرًا من «الحلاج» و»أبي يزيد» وغيرهم. فلماذا تلومه على قوله إنَّ المسيح هو الله؟ وأنت تقول الكلام نفسه. كلا، إنَّ المعنى هو عندما يكتمل الفقر، تجد الله».

بعبارة أُخرى: عندما تموت نفس أحدهم ويخمد شيطانه، وعندما

يتطهر من الصفات المذمومة في شخصيته. يصل إلى الله. أعوذ بالله! إنّما يصل إلى درب الله. خلاف ذلك يكون قد ضلّ عن درب الله ولا تزال النفس حية، والشيطان كذلك. إن لم يكن يميز بين نور درب الله، ونور الله فهو في عتمة وعمى. «لا ريب أنّ لله سبعمئة حجاب من نور» أو «سبعمئة ألف حجاب من نور». لو أُزيح حجاب واحد، فإنّ هذه الدنيا بكلّ ما فيه ستُصبح رمادًا. رويدًا رويدًا سوف تتجاوز تلك الحُجب إلى أن تصل إلى نور الجوهر، إلى نور يتملك الجوهر.

إنّ «الوضوء على الوضوء نور على نور». بعبارة أُخرى، عندما يقوم المرء بالوضوء على الوضوء فذلك ملازم للمزاج، ذلك هو النور على النور. ولا يعني أنّ المرء يجب أن يتوضأ مرتين. ٧٣٢-٣٣

١٨٥

إنّ الكلام هو من أجل الآخر. إن لم يكن من أجل الآخر فما نفعه؟ كما ترى، فإنّ دعوة الأنبياء هي من أجل الآخر. إن لم تكن من أجل الآخر، فحول ماذا يدور كلُّ هذا الحديث. عندما يتحقق التوحيد والحضور، كيف لك أن ترى تخاطبًا؟ نعم، هناك حوار، ولكن دون صوت ولا حروف. في هذه اللحظة حيث يوجد حوار، ثمَّة فراق لا اتحاد، لأنّه في الاتحاد لا مكان للحوار، سواء مع أحرف وأصوات أو دونها.

نعم، تتكلم العروس مع عريسها. لكن في لحظة الاختراق فلا مكان للكلام. إن كان هناك كلام في تلك الحالة فإنّ الصحبة لن تجود بأيّ متعة. إن تكلمتَ في تلك اللحظة، فلأنّ ممارسة الشهوة تفتقر إلى الاندفاع والإنجاز. لو كان هناك توق من الطرفين كليهما فلا مكان

للكلام.

عندما يلتقي الصاحبان فإمَّا أن يكون هناك برود في الأحاسيس أو استغراق لكلٍّ منهما في الآخر. نعم، وفي خضم هذا الاستغراق تجد اتزانًا يُبصِّرك بسنن هذه الدنيا. إنَّ وصف تلك البصيرة هو معنى تمَّ التحدّث عنه مسبقًا. **والله أعلم**. ٧٧٠- ٧١

١٨٦

إنَّ هذه الكلمات التي كتبها مولانا في رسالته، مشوقة ومحفزة. إنَّها كفيلة بجعل الحجر يتحرّك من داخله.

قال النبي: «**إنَّ لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها**»! فخطر لي أنَّه عليك أن تشرح هذا. يبدو أنَّ المعنى هو أنَّ هذه **النفحات** تعود إلى جوهر أحد عباد الله المقربين والذي يملك «كيمياء السعادة» وليس ذاك الكتاب(176). والله، إنَّ هذا لا كيمياء ولا سعادة لأنَّك لو وضعت ذرة واحدة من هذه الكيمياء على مئة مليون غرفة مليئة بالنحاس لتحوّلَت ذهبًا خالصًا.

قال: «إذن فأيُّها نفحات ذلك الإنسان؟».

البارحة أخبرني شيخ في المنام

أنَّ «أنا» و «نحن» هما آفة درب الحُبّ.

قلتُ له: «أيُّ «أنا» و «نحن»؟

فأنت مَن يحلُّ كلَّ هذه المشكلات».

قال: «إنَّ كلَّ ما هو عدا **الحق ذاته**

هو «أنا»، «نحن» وخطأ جسيم»(177).

إنَّ «الكلام» صفة. عندما يتحدث «**هو**»، فإنَّه يحجب نفسه حتى يصل الكلام إلى مخلوقاته. وطالما أنَّ «**هو**» لا يدخل في الحجب فكيف سيُوصل كلامه إلى المخلوقات، الذين هم في داخل الحجاب؟ إلا أنَّ، الأمر بيده «**هو**». لو شاء **هو** لأبقى الحجاب. ولو شاء «**هو**» لكشفه. تنزّه عن أن يتمّ **حجبه** وراء حجاب أو ينزع **عنه** الحجاب، ولذلك أقول أنَّه عندما أتكلّم أكون في أشد الحالات افتقارًا للطعم والنكهة.

إنَّ الصفات تنتمي إلى الخالق على نحو غير منفصل. أمَّا المعجزات وخوارق العادات فهي صفات عباده. ليس لله معجزات. أما العبد المخلَص فهو الذي يُرزق الهداية إلى صفاته سبحانه. ٧٥٠-٥١

١٨٧

إنَّ عالم الله عظيم وفسيح، ولكنَّك وضعته داخل صندوق: «لا يُدرك فكري إلَّا بهذه الطريقة». بالتالي فقد حبستَ **خالق** الفكر داخل الفكر. إنَّ ما تتخيّله ليس النبي، وإنَّما نبيك أنت، وليس نبي الله. أنت تقرأ صورتك الخاصة بك. اِقرأ صورة **الولي**. لقد قرأتَ صفحتك أنت، اِقرأ صفحة **الولي**!

قال: «إذن لماذا قال «سنائي» ٱعلَّك ترى القلب دون جشع وبخل؟».

قلتُ: «أحسنت! في النتيجة، قدّم مولانا الجواب إلى «سنائي». وإلَّا، هل كان ليرغب في الإجابة على «شريف باسخطة»؟. مع ذلك، كان يتحدّث عن «**سير العباد**»(178). كان الجواب موجهًا لـ «سنائي» الذي كان يتحدّث بفتور ولم يكن لديه علم بالقلوب، أين القلب؟ هل هو القلب المألوف والمُخاطَب في الوعظ والذي يُنصح بأن «طهِّر نفسك من الجشع واللؤم والصفات المذمومة علَّك تنجو من النار!»، أمَّا عن صفات القلب فحسبك: «**لم تسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**».

«**إنَّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يُقلِّبها كيف يشاء**».

«**ولكن ينظر إلى قلوبكم**».

علَّك ترى القلب من دون جشع وبخل(179).

قال: «لقد تفكّرتُ كثيرًا في هذه المعاني، وعصرتُ ذهني حتى وجدتُ هذا النقاش».

قال: «ثمَّ يقول «سنائي»:

يا سنائي، في هذه الدنيا، تحدّث مثل «قلندر»

وقُم بذرِّ التراب في عيون كلِّ الأنقياء ذوي المطالبات(180).

من أجل ذاك السبب هو محروم، وجاهل. في آخر عمره، طلب الزنار(181) من أجل **أشهد ألا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله.** حسنٌ، ثمَّة رأيين هنا: الأول هو أنَّه تُوفي مسلمًا، والآخر أنَّه تُوفي كافرًا ولكنَّه آمن في تلك اللحظة. نعم، قال: «يا الله، أنت في منتهى الكرم وحتى لو أمضى الكافر سبعين سنة يتكلّم عنك بسوء، فإنَّك تقبله إذا آب إليك في هذه اللحظة وآمن». ٧٣٧- ٣٨

١٨٨

يقول «الخيام» في أشعاره أنَّ أحدًا لم يصل إلى سرّ الحُبّ. وأنَّ ذاك الذي وصل فهو في حيرة. اِعترض الشيخ إبراهيم على كلام «الخيام»: «إذا وصل فكيف له أن يحتار، وإذا لم يصل فما سبب هذه الحيرة؟».

قلتُ: «نعم، إنَّ كلَّ إنسان يصف حاله المتفردة. إنَّه تائه، فتارة يلوم الأفلاك، وتارة يلوم الأيام، وتارة أُخرى الحظ، ثمّ يلوم الله نفسه. أحيانًا ينفي ويُنكر، وأحيانًا يُؤكّد. أحيانًا يقول «إذا». إنَّه يتكلم كلامًا مختلطًا وغير موزون ومبهمًا.

إنَّ المؤمن لا يحتار، فالمؤمن هو الذي من أجله رمى **الحضور** قناعه. لقد ألقى حجابه ورأى غايته المتفردة. إنَّه يتصرف من منطلق العبودية ويتلقّى السرور **منه ذاته.**

لو راح الكفار في شرق الأرض ومغربها(182) يقولون «كلا»، ويقولونها كذلك لي، لما ساورني الشك، لأنّني أرى بوضوح آكل وأتذوق(183). فمن أين يأتيني الشك؟ بل سأقول لهم «قولوا ما شئتم»، أو، قد يغلبني الضحك.

كما لو جاءك أحدهم في الصباح يحمل في يده الأولى عصا وفي يده الثانية يتكأ على الحائط. يمشي وهو يهتزُّ ويقول: «آه، آه، أخبروني ما الذي حدث ؟ لماذا هجرونا؟ لم تُشرق الشمس اليوم!».

ثم يأتي آخر ويقول: «نعم، أنا أُواجه الصعوبة نفسها. كيف لم يبدأ اليوم بعد؟».

لو أخبرك مئة ألف شخص بذلك، وأنت ترى الصباح مشرقًا، فلن يزيدك ذلك إلَّا سخرية وضحكًا.

حسنًا، إنَّ المؤمن ليس محرومًا، ولكن أيُّن المؤمن؟ ٣٠١- ٢

١٨٩

تعال، أخبرني كيف تتصوّر شروق الشمس ودوران الأفلاك؟ كما يشرحه علماء الفلك؟ إنَّ المرء لم يكن ليفهمه بتلك الطريقة من المعنى الظاهر للقرآن.

تعال، فلننظر ـ **إنَّ المؤمن باحثٌ**. ينبغي القبول بكلِّ ما هو معقول في مجال النجوم.

على سبيل المثال. أنا شافعي. حين أجد في فقه «أبي حنيفة» أمرًا جيدًا ومن شأنه تيسير شؤوني، ولا أقبل به، فهذا عناد.

إنَّ العارف يُدرك جيدًا حال كلِّ شخص(184). عندما يسمع كلامًا يضحك. إنَّه يعلم مقام ذلك الشخص، ويرى مقامات الجميع، فيحمد الله لأنَّه لم يُبقه أسير ذلك المقام بل جعله يتخطاه.

لله كثير من العباد. وهو يُريد من كلٍّ منهم معنى وحكمة. إنَّ العارف مُدرك لحال الجميع، وهم بالنسبة إليه في غاية الوضوح. هناك مَن هو مدرك لهذا العارف ومطلع عليه، ولكن لا أحد يرى هذا الثاني إلَّا الله. ١٨٢- ٨٣

١٩٠

إنَّ معرفة هؤلاء القوم أصعب من معرفة **الحقّ**، لأنَّك قد تعرف الأخير من الاستدلال. إنَّك عندما ترى قطعة خشب منحوتة، تعلم أنَّ هناك نحاتًا، فهي حتمًا لم تنحت نفسها. إلَّا أنَّ هؤلاء القوم، الذين تراهم مثلك تمامًا في صورتهم الظاهرة، لديهم معنى آخر، بعيد عن فكرك وتصورك. إذن، لا شيء غريب في التعرف على النحات، ولكن «كيف» هو هذا **النحات**؟ ما جلاله؟ ما سرمديته؟ إنَّ هؤلاء القوم يعلمون ذلك وحسب، ولكنَّهم لا يجعلونه يظهر. ٦٥٧

١٩١

لهذا قال: «وا شوقاه، للقاء إخواني!».

قالوا: « يا رسول الله. أو لسنا إخوانك «.

قال: «لا أنتم أصحابي».

قالوا: «هل إخوانك هم الأنبياء السابقون؟».

قال: «بهؤلاء الإخوة لا أعني الأنبياء. إنَّما هم عباد أعزاء سيأتون من بعدي». ١٨٥

١٩٢

إنَّ العباد الذين نالوا العلم اللدني هم على شاكلتين: مَن يأتيه العلم مثل طوفان، وهم المكان الذي يمرُّ فوقه العلم. أمَّا الفئة الثانية فهم أكثر ندرة، لأنَّهم يملكون القدرة على الكلام. ما إن يجتازوا الماء حتى يظهروا لك حالًا مزخرف بالصورة والمعنى، حال لم أره لديك. إنَّ كلُّ الأنبياء والأولياء يتمنون مقابلة أمثالهم، ورؤية صورتهم.

عندما يكون أحدهم حبيس فكرة مفادها أنَّ مئة من الأولياء يعجزون عن الوصول إلى أعتاب نبي من الأنبياء، فكيف له أن يصل إلى هذا؟ عندما يكون اعتقاد أحدهم أنَّ القرآن كلام الله والحديث كلام «محمد» فماذا تبقى له من أمل؟ إن كانت هذه بدايته، فإلى أين سيصل في النهاية؟ إنَّ كلَّ هذه الأمور يجب أن تكون معروفة له في طفولته، ولكنَّه بقي في هذا الضيق.

إنَّ دنيا **الحق** ذات رحابة واتساع بديع. بالنسبة إلى البعض تكون بالغة الصعوبة، بينما تكون بالغة السهولة بالنسبة إلى البعض الآخر. ولأنَّها سهلة إلى هذه الدرجة فهم محتارون لماذا يتحدث أحد عن ذلك.

إنَّه عالق في فكرة **أنَّ القرآن يملك معنى ظاهري ومعنى باطني وصولًا إلى سبعة معان باطنية**. يعرف العلماء المعنى الظاهر، أمَّا الأولياء فيعرفون المعنى الباطن، أمَّا الأنبياء فيعرفون باطن الباطن. أمَّا الدرجة الرابعة **فلا يعلمها إلَّا الله**. فهل سيُصبح ذات يوم بشرًا أو يجني ثمرة هذا الدرب؟

إنَّ في الأحاديث النبوية أسرار أكثر من التي في القرآن. اِنظر إلى الآية: «**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ** «»النجم ١١» وكلمات الحديث:

«**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت**». إنَّ هذا يُشبه العقدة الأنشوطية تمامًا.

على الرغم من أنَّ الأسرار موجودة في القرآن، كان «علي» يتلو القرآن طوال اليوم ولم يُصبح ناكرًا للذات أبدًا. إلا أنه عندما تناهى إلى سمعه كلمة واحدة من الأسرار، أصبح ناكرًا للذات، وظهر كلُّ ذلك الجَيَشان(185).

أمَّا كلام «أبو يزيد» فيبدو على ما يبدو عليه لأنَّه هو نفسه باح بالأسرار. أمَّا النبي فلم يبح بالأسرار، بل وعظ وحسب. لقد ذكر أولئك **الأصحاب** في بضع مواضع ولكن دون تأويل، مثل قوله تعالى «**أُولِي الْأَلْبَابِ** «(186) «البقرة ١٧٩»، إلَّا أنَّه لم يذكر شيئًا عن حالهم.

لقد عروا أنفسهم وأخزوها، فيما بقي هو مستترًا ومخفيًا.

كان محمد يتحرّق شوقًا إليهم، ولكن لم تكن هناك فرصة. كان يقول: «**واشوقاه!**.»

لو كان «أبو يزيد» على علم لما قال» أنا» البتة، ولرغب لا محالة في زنار مثل ذاك «السنائي»(187). إلا أنه كان خيرًا من «سيد»، وكان «سيد» خيرًا من مولانا. كان حاله وعلمه أفضل. ترى هؤلاء الأشخاص مثل «عماد» وغيره. ينبغي أن تعتبر أولئك من الماضي أفضل بمئة مرة، بل أفضل بمئتي ألف مرة.

على سبيل المثال لو كان هناك كيس من الطحين وأحضروا حفنة منه كعينة. يُصبح كلُّه معلومًا الآن. افرض أنَّ ذلك الكيس يحوي مئة ضعف، ألف ضعف، ولكن كلُّه من النوع نفسه.

لو فرضنا أنَّ هناك رجلًا صالحًا يُشعُّ عليه مئة ألف شعاع صاف من أنوار الولاية، فيرى واحدًا منها في الصحراء. إذا تأمّل في نفسه وقال: «رُبّما يكون هذا هو، مَن يدري؟»، في اللحظة ذاتها سيفقد صوابه ويتدمر ويُسلب كلَّ أحواله. سيسقط من على السطح وتنكسر ساقه. باختصار، سيزول ذلك المعنى عنه، وسيهجره الإيمان، ويتجمّد كما لو أنَّه رغب في أن يكون ذلك الشخص، في حين أنَّه هو نفسه الذي اجتباه الله. ٧٢٧- ٢٩

١٩٣

إنَّ قوله: «**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعَت، ولا خطر على قلب بشر**»، أقوى من قوله: «**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**» «النجم ١١». لقد فاق هذا ذاك مثل أربعة أحصنة منطلقة. في القرآن ذكر كلمة «**كَذَب**»، والتي هي دليل على وجود حجاب. هذا هو القرآن وذاك هو الحديث! لقد تمّ كشف القليل من الأسرار في القرآن، لأنَّه معروف حول العالم، رقيب يراه العالم، ويُشير إليه الجميع. هناك المزيد من الأسرار في الأحاديث. ٦٥٠

١٩٤

الرفيق قبل الطريق. على هذا الطريق على وجه الخصوص، لا بُدَّ لك من رفيق.

إنَّ العالَم بأكمله هو عبارة عن ستائر وحجب دُثِّر بها ابن «آدم». إنَّ **العرش** غطاؤه، **والكرسي** غطاؤه، والسماوات السبع غطاؤه، والأفلاك غطاؤه، وصورته البدنية غطاؤه، والنفس الحيوانية غطاء، والروح المقدسة غطاء. غطاء فوق غطاء وحجاب يليه حجاب، حتى تصل إلى المعرفة. وإنَّ هذا العارف هو كذلك غطاء متعلقٌ **بالمحبوب**. إنَّه لا شيء. بما أنَّ **المحبوب** موجود، يُصبح العارف الذي يجلس قربه تافهًا. ٢٠٠

١٩٥

سوف تراهم جميعًا في نفسك: موسى وعيسى وإبراهيم ونوح وآدم وحواء وآسية والمسيح الدجال والخضر وإلياس. سوف تراهم جميعًا في داخلك أنت. أنت عالم لا نهاية له. أيُّ مكان ذاك الذي يتسع للسموات والأرض؟ **لم تسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن.** «لن تجدني في السماوات، لن تجدني على **العرش**».

أين الذي يُشبّه الله بخلقه، حتى يصيح: «ما هذا ! معاذ الله!».

كان الواعظ يقول: «لا يكن تصورك عن الله ضمن الاتجاهات الستة، ولا على **العرش** ولا **الكرسي**».

عندها قفز رجل ممَّن يُشبّهون الله بمخلوقاته، ومزق ثياب الواعظ وراح يصرخ: «معاذ الله! اِخرج من هذه الدنيا، مثلما أخرجت إلهنا من هذه الدنيا!». ٢١٢- ١٣

١٩٦

قال أحدهم للصوفي(188): «ارفع رأسك «**فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ**»»الروم٥٠ «.

قال الصوفي: «إنَّ هذه آثار الآثار. إنَّ الورود والرياحين في الداخل». ٦٤٢

١٩٧

أصبح مستورًا. في النتيجة، فإنَّ العالم المصغر في نظر الفلاسفة هو تكوين الإنسان، وإنَّ العالم الكبير هو هذه الدنيا. أمَّا في نظر الأنبياء فإنَّ هذه الدنيا هي العالم المصغر، أمَّا الإنسان فهو العالم الكبير(189) . بالتالي فإنَّ هذا العالم هو عينة عن عالم الإنسان. ٧١٨

١٩٨

سبحان الله! كلُّ شيء مسخَّر للإنسان والإنسان مسخَّر لنفسه. فهل قال الله يومًا: «**ولقد كرمنا السموات، أو لقد كرمنا العرش؟**»(190)

لو وصلتَ إلى **العرش**، فلن تكسب شيئًا، وحتى لو تجاوزتَ **العرش**، ووصلتَ إلى سابع أرض فلن يُجدي ذلك نفعًا. لا بُدَّ من فتح باب القلب. لقد ضحّى الأنبياء والأولياء والأنقياء بأنفسهم من أجل هذا، كانوا يطلبونه.

قد يُختزل العالَم بأسره في شخص واحد. عندما يعرف نفسه يعرف كلَّ شيء. إنَّ التتر موجودون في داخلك، لأنَّ التتر هم سمة القسوة. إنَّ ذلك موجود فيك. «**اللهم اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون**». أي: **إهدِ أعضائي**. في النتيجة، كانت تلك الأعضاء كافرة، ولكنَّها كانت جزءًا

منه. لو لم تكن جزءًا منه، أي منفصلة، فكيف له أن يكون كلًّا؟

تقول: «**إنَّ الله يعلم الكليَّات لا الجزئيات**(191). إذا قلنا «الكليات» فماذا بقي خارجًا؟ إن كان لا يعلم الجزئيات فهو لا يعلم الكليَّات، لأنَّك عندما تأخذ جزءًا من الكل، فهو لم يعُد كلًّا. ٢٠٣

١٩٩

خاطبوا الجمع قائلين: «أهلًا بكم! فليضع الجميع رؤوسهم على ركبهم وليُراقبوا لبرهة».

بعد ذلك، رفع أحدهم رأسه وقال: «رأيتُ **العرش والكرسي**».

قال آخر: «لقد تخطّى نظري **العرش والكرسي**. أنا أنظر من مكان خاو إلى عالم الفراغ».

قال آخر: «أنا أنظر من خلف **البقرة والسمكة**(192)، والملائكة الذين عُهد إليهم **بالبقرة والسمكة**».

قال رجل آخر: «بقدر ما نظرتُ إلى جميع الأنواع، لم أرَ سوى ضعفي. أنا الطائر الصغير الذي قالوا عنه: 'إنَّه مُعلّق من قدميه كليهما». نعم أنا معلق، ولكنِّي فجأة وجدتُ نفسي وقد علقتُ في شباك **المحبوب**. أقول: «أهلًا، أهلًا». هذا حقًا ما كنتُ أطلب. لم أكن أُريد دكانًا، بل أردت منجمين(193) ـ منجم ذهب ومنجم فضة. بالأحرى لقد طلبتُ تخليص نفسي من الوجود ومن المكان بحيث لا أستأنس إلَّا به. كما أنَّ البعض لا يتقبلون الفقر ولكنَّهم يتقبلون الحياة، هناك فقر يُوصلك إلى **الحقّ**(194) ويجعل المرء يفرُّ من

كل شيء إلا الحقّ، وهناك فقر يجعل المرء يفرُّ من **الحق** ويلجأ إلى الخلق.

إن لم تستأنس بالورود

سوف تستأنس بالأشواك،

إن لم تستأنس بالمنابر

سوف تستأنس بالمشانق.

أيُّها المحبوب، اِغمرني بنظرة، لم يبقَ سوى بضعة أنفاس،

اِقلق على سعيي الآن، إذ لا يزال هناك ظلمة.

لون وجهك الجميل، وشكل وجنتيك الورديتين

وضعا الورد في ماء الورد والقمر في البزوغ.

على الرغم من أنَّ ذهبي وفضتي قد نقصا، لماذا تُعرض عني؟

لقد ترك حبي لك مدارًا ذهبيًا على الباب.

طلبتَ قلبي، فضحيّتُ بحياتي كذلك.

هل بقي هناك ما يُقال؟ هل بقي لك حق علي؟

اِسمح لي أن أُزعجك يومين آخرين أو ثلاثة،

فلم يبقَ في كتاب حياتي إلَّا ورقة واحدة(195).

ألق نفسك في الماء وأصبح اسود(196). إنَّ كلَّ فرح وسعادة تأتيك تُبشّرك بالحزن: «**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**» «آل عمران ٢١». إنَّ الفرح والبشرى يليقان بأهل دار الفناء ـ فهما ليسا من صفات الرب السميع العليم. إنَّ الفرح رسول الحزن ، والانبساط رسول الانقباض. إنَّ العجب والاندهاش هما اللذين يجعلانك تُحبّ شيئًا كالأعشاب والجمال والرتبة، وهكذا هي البرعم المقدس الذي يزهر، ولكن، إذا تنشقتَ ذلك البرعم بعد ساعة فستنزعج من رائحته العفنة. بسبب حزنك وهمك ترغب في أن تفرَّ من نفسك. تبحث عن غصن تتمسّك به، كالبنين والتميز والكلام الرائع. بعد ساعة، سوف تُصبح تلك الرائحة المزعجة واخزة، لأنَّك واعي. لقد أصبحَت أحلامك فارغة مثل الأرض المنبسطة. إنَّ وعيك هذا هو زهرة الشوكة والنار.

أبعد كلَّ تلك الألوان عن عينيك، كي ترى عجبًا ـ عالم من «**هو**»، مختلف ولا يُشبه في شيء هذه السعادة وهذا الشقاء. ٢٥٩- ٦١

---

(174) أصبح موسى ناكرًا للذات. إشارة إلى تجلّي الله للجبل "الأعراف ١٤٣، إنظُر الملاحظة حول ٢- ١٦".

(175) إنَّ بحث البطة. هذا هو الشطر الثاني من بيت شعر في كتاب سنائي «الحديقة ٥٤». يقول الأول: «رغم أنَّها حديثة الولادة وبدأت للتو».

(176) ذاك الكتاب. أي ليس الكتاب الفارسي المشهور الذي يحمل اسم «كيمياء السعادة» للغزالي

(177) أنا و نحن. يستخدم الرومي هذا التعبير أحيانًا «مثلًا D vss.33594,37271,SPL193,173» حتى أنّه يُحوّله أحيانًا إلى اسم مُجرّد "I-and-we-ness" المثنوي IV 2763 SPL183».

(178) سير العباد. واحد من عدة مثنويات قصيرة كتبها السنائي بالإضافة إلى «حديقة الحقيقة»

(179) علّك ترى القلب, سنائي, ديوان ٥٤٥.

(180) يا سنائي, في هذه الدنيا, سنائي, ديوان ٧١٩.

(181) طلب الزنار. والزنار علامة كون المرء مسيحيًا. يُشير شمس إلى هذه الرواية مجددًا في ٢- ١٩٢, حيث يذكر سنائي كمشابه لأبي يزيد, ويتحدّث عن طلب أبي يزيد لزنار في ٢- ٢٠٦. يشرح العطار "MMS ١٢٣" لماذا فعل أبو يزيد ذلك, وربّما ينطبق شيء مماثل على حالة سنائي: عاش أبو يزيد القرب من الله سبعين مرة, وفي كلّ مرة عندما يعود, يضع زنارًا، ثمّ يقطعه. عند وقت موته, ربط الزنار, ودعا الله قائلًا إنّه لم يكن من قبل مسلمًا حقيقيًا قطّ, وأنّه يدخل الإسلام للتوّ وسوف يقطع الزنار إلى الأبد.

(182) لو راح الكفار يقولون لا. قارن بيت الرومي: «يقول: إنّه غير موجود وأنا لا أُؤمن به. بسبب هذه «لا» يا أخي أنا كما أنا» «Cf.SPL 13-111 D vs 17682».

(183) وأتذوق. قارن سطر الرومي المقتبس في الملاحظة حول مقطع ٢- ٦٨ : أنا منجم حلويات, تنمو .....في داخلي وآكل منها بنفسي».

(184) إنّ العارف يُدرك جيدًا حال كلّ شخص. قارن ملاحظات ابن عربي حول

كبار العارفين, الذين يمرُّون بجميع المقامات ثمَّ يستقرون في «مقام اللامقام», ماسحين جميع مقامات السالكين. SPK 375 ff"».

(185) وظهر كلُّ ذلك الجَيَشان. على ما يبدو فإنَّ شمس يعني العبارات العديدة المنسوبة إلى علي المأخوذة كإشارات على علمه بالأسرار المقدّسة, مثل : «ما كنتُ لأعبد ربًّا لا أراه».

(186) أولي الألباب. راجع ملاحظة حول ٤٥,٢.

(187) عن الزنار وأبي يزيد, إنظُر ملاحظة حول ٢- ١٨٧

(188) قال أحدهم لصوفيّ. يروي الرومي هذه النادرة مجددًا في المثنوي IV ١٣٥٨-٧٢

(189) العالم الكبير. كما يرويها الرومي: «أنت العالم المُصغّر صورة، والعالم الكبير معنى» المثنوي IV ٥٢١". للمزيد حول آراء الرومي إنظُر SPL ٦٥-٦٨.

(190) *فهل قال الله يومًا: «ولقد كرمنا»*. يتوسّع الرومي في هذه المناقشة «والتي تُشير آية ٧٠ في سورة الإسراء: «**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**» في /Fih15-14 Arb27-26"cf. SPL65-63".

(191) ***إنّ الله يعلم الكليّات***.موقف يُنسب إلى الفلاسفة. إنظُر ١- ٤٥.

(192) البقرة والسمكة. وحوش أسطورية تسند الكرة الأرضية.

(193) لم أكن أُريد دكانًا. هنا يُوجد لعب بالألفاظ, دكان"dukan", منجمان"daw kan" , وجود "kan", مكان "ma kan".

(194) هناك فقر قارن نقاش الرومي لهذين النوعين من الفقر في المثنوي ١٢٧٥٢ff .

(195) أيُّها المحبوب اِغمرني بنظرة. يدمج الرومي الشطر الأخير من هذا الشعر الغزلي في البيت الأول مع شعر غزلي قصير خاص به, "ديوان # ٣٢٧":

في كتاب حياتي, بقيت هناك صفحة واحدة,

لأنَّ غيرته الرقيقة تركَت نفسي في اضطراب.

كَتب في ذلك الكتاب كلمات أحلى من السكر,

حرجًا من تلك الكلمات,بقي القمر يتعرق.

تُشعُّ الحياة الأبدية على صفحة البستان,

لم يبق خوف من تغيير ولا مكان للقلق,

اسمها «صفحة», ولكن في داخلها المملكة الأبدية,

بقيت أسرار كلُّ الطاهرين في غسقها.

نور من الربّ قد التف حول الصفحة.

ظلَّ شمس الحق التبريزي بعينين صافيتين.

(196) ألقِ نفسك في الماء. على ما يبدو فإنَّ شمس يعني ذاك الذي ينبغي عليه هجر عالم الألوان المتعددة، والانغماس في بحر الله. إنَّ طبيعة الأضداد وخطر الانخداع بحُبّ سطحي, واللذين تمَّت مناقشتهما في باقي المقطع, موضوعان مألوفان لدى الرومي. اِنظُر الأمثلة SPL ٢٠٠-٦.

الأولياء

٢٠٠

في القرآن، **كان** يصف يحيى بالولي(197). كان بكَّاءً. لو كان موجودًا اليوم لجفَّفتُ عينيه. كان معصومًا عن المعاصي، والمعصية هي ما يتطلّب البكاء. مَن ذلك الرجل الولي؟ تعال أخبرني، ففي القرآن لا **يصف** الأنبياءَ أنفسهم بالأولياء، والله أعلم. ٨٣

٢٠١

مهما قيل عن الأولياء ـ

إرزقني إياه ووفقني!

مهما قيل عن الأنبياء ـ

نُؤمن ونُصدّق!(198)

هناك معنى راق هنا. فهو لم يطلب ما عند الأنبياء، بل قال: «**نُؤمن**». لقد طلب ما عند الأولياء: «**ارزقني إياه ووفقني**».

على كلٍّ حال هذا لم يكن شأنه، فكلام الإنسان يُعرف من السياق. لو وعى ذلك لما تلوّن كلامه. كان كلُّ ما قاله هو من أجل الوزن والقافية، أمَّا بالنسبة إلى الباقي: «كيف لي أن أصل إلى حال الأنبياء؟»، أما بالنسبة إلى حال الأولياء، فنعم: «**ارزقني إياه ووفقني!**». ٩٠

٢٠٢

لم يستطع أويس القرني رضي الله عنه أن يكون في خدمة محمد خلال حياة الأخير في صورة الماء والطين، على الرغم من أنَّه لم يخلُ من ذلك ـ كُشفت عنه الحجب. كان عذره خدمة والدته كما يأمر الله. أخبر النبي عليه السلام أصحابه وعمر عن حاله. قال: «عندما يأتي بعد أن أُقبض، ستكون علامته كذا وكذا، بلغوه سلامي، ولا تقولوا له شيئًا آخر».

عندما جاء مكة بعد وفاة النبي، كانت والدته قد تُوفيَت كذلك. لم يكن كبار الصحابة حاضرين، ولكنَّه عندما زار قبر النبي سأله الصحابة الكثير من الأسئلة. أخبرهم عن حاله وبيّن لهم عذره. قالوا: «ما قيمة الأب والأم حتى يُقصر المرء في خدمة النبي، كنا وأصحابنا نعتبر قتل أقاربنا حبًا بالنبي، بسهولة قتل الذباب والقمل».

مهما ساق من أعذار وأنَّه فعل ذلك امتثالًا لأوامر الله وليس بأمر النفس أو الفطرة. اعتبروه مذنبًا بالطبع، وأسهبوا في الكلام.

التفت إليهم وقال: « كم لبثتم في صحبة النبي؟».

أخبره كلٌّ منهم عن عدد سنين صحبته. كان لديهم مقياس، فقالوا: إنَّ كلَّ يوم كان يعدل أكثر من ألف سنة. فكيف يُمكن حسابه؟

عندما تكون نجيَّ الصاحب لحظة،

سوف تجد نصيب حياتك كلَّها في تلك اللحظة.

فاحذر، لا تُضيّع تلك اللحظة.

إنَّ لحظة كتلك قلَّما يُعثر عليها(199).

سألهم أويس القرني: « حسنًا، وما كانت أمارة محمد؟».

أخبره بعضهم أنّ طوله كان كذا، وأنَّ وجهه كان كذا، ولون بشرته كذا. قال لهم: «لم أسألكم عن ذاك. ماذا كانت أمارة محمد؟».

أخبره بعضهم عن تواضعه وكرمه وعن تعبّده ليل نهار: «**قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا**»»المزمل ٢». أخبرهم أنَّه لا يقصد ذاك. أخبره آخرون عن علمه ومعجزاته فأخبرهم أنَّه لم يقصد ذلك أيضًا.

لو كان كبار الصحابة بينهم لما كان ليسأل حقًا هذا السؤال، لأنَّه كان ليرى أمارة محمد فيهم. **من سمع ليس كمن رأى.**

انظر إلى وجهي أصفر كالذهب ولا تسأل.

انظر إلى هذه الدموع كشرارات النار ولا تسأل .

لا تسألني ماذا في داخل الدار ـ

انظر إلى الدم على العتبة ولا تسأل(200).

عندما عجزوا قالوا له: «لا نعرف أمارات غير هذه. الآن أخبرنا أنت».

عندما فتح فمه ليتحدث سقط سبعة عشر منهم مغشيًا عليهم، قبل أن يتكلم. بدأ البكاء والرثاء لدى الآخرين. لم يُؤذن له بالكلام، ولم يهدأ أحد منهم كي يُنصت. ٢٧٦- ٧٨

٢٠٣

كان أبو يزيد، رحمه الله، ذاهبًا إلى الحج(201). كان من عادته عندما يدخل مدينة ما، أن يقصد مشايخها زائرًا، ثمّ يقضي باقي حوائجه. عندما دخل البصرة وذهب لخدمة الدرويش، قال: «إلى أين أنت ذاهب يا أبا يزيد؟».

أجاب: «إلى مكة لزيارة بيت الله».

قال: «وماذا أعددت للطريق؟».

قال: «مئتا دينار».

قال له: «قِف، طُف حولي سبعة أشواط، ثمّ أعطني المال».

وقف أبا يزيد وأخرج المال من حزامه، قبَّله، ثم وضعه أمام الدرويش.

قال له: «يا أبا يزيد، إلى أين أنت ذاهب؟ ذاك بيت الله، وقلبي هذا هو بيت الله، ولكن أُقسم بربّ ذاك البيت وربّ هذا البيت، منذ أن بُني ذلك البيت لم يدخله «هو»، ومنذ أن بُني هذا البيت لم يبرحه «هو». ٢٦٤

٢٠٤

عندما ذهب أبو يزيد في رحلة الحج، أصرَّ أن يذهب وحيدًا و لم يرغب في صحبة أحد. في أحد الأيام شاهد أحدهم يسير أمامه. نظر إليه وأُعجب بطريقة مشيه بخفة. كان محتارًا في قرارة نفسه هل يُصاحبه أم لا: «رُبّما يجدر بي التخلّي عن عادة المضي وحيدًا، لأنّه سوف يكون صاحبًا جيدًا». عاد وقال: «**بل الرفيق الأعلى**! فليكن صاحبي الوحيد هو **الحق**». رأى ثانية أنَّ رغبة مصاحبة ذلك الشخص تغلب رغبته في السفر بمفرده. بقي يُحدّث نفسه:

«أيُّهما اختار؟».التفت الرجل نحوه وقال: «تحرَّ أولًا، إن كنتُ سأقبلك أنا صاحبًا».

حدَّث نفسه متعجبًا: «من أين له أن يعرف ماذا في خاطري؟».

حثَّ الرجل الخطى. ٢٢٩- ٣٠

٢٠٥

صدقة السر تُطفئ غضب الرب، وهي أنَّك مستغرق جدًا في إخلاصك، وفي الحفاظ على ذلك الإخلاص بحيث لا تجد لذة في التصدُّق. أعني منشغلًا بالندم: «مؤسف أنَّها ليست أفضل من هذا، أكثر من هذا».

غالبًا ما كان أبو يزيد رحمه الله، يحجُّ سيرًا على الأقدام، وقد حجَّ سبعين مرة. ذات يوم وجد أنَّ الناس على طريق الحج باتوا مكروبين إلى أبعد حد بسبب الماء وكانوا على وشك الهلاك. جانب البئر الذي

تزاحم عليه الناس وراحوا يتدافعون، رأى كلبًا. رمق الكلب أبا يزيد بنظرة، فجاءه الإلهام: «اِسقِ الكلب».

عندها هتف بصوت عال: «مَن يشتري حجة مبرورة ومقبولة بشربة ماء»، لم يكترث به أحد. بقي يزيد: «خمس حجج مشيًا على الأقدام، ست، سبع؟»، إلى أن وصل السبعين، عندها أجابه رجل: «قبلتُ». في هذه اللحظة خطر في بال أبي يزيد: «أحسنتَ أنفقت سبعين حجة مشيًا على الأقدام من أجل شربة الماء تلك!».

عندما وضع الماء في وعاء ووضعه أمام الكلب أشاح بوجهه عنه. عندها أطرق أبو يزيد رأسه نادمًا. جاء نداء: «إلى متى ستُحدّث نفسك «فعلتُ كذا وكذا في سبيل الله»؟ ألا ترى أنَّ الكلب لا يقبل ذلك».

صاح: «أستغفر الله، لن أعود إلى مثل هذه الأفكار!». في الحال أدخل الكلب رأسه في الماء وراح يشرب.

على الرغم من مئة شفاعة ومئة توبة،

لا تسمح لي بتقبيل قدميك ولو مرة!(202) ٢١٦- ١٧

٢٠٦

إذن، هذا هو معنى آية: «**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**» «آل عمران ٧».

التفسير هو أنَّ أبا يزيد وصف نفسه بالسمينة. قال: «أيتها النفس لمَ

أنت سمينة؟».

قالت: «بسبب أمر لا تملك مداواته. ألا وهو قدوم الناس وسجودهم أمامك، فترى نفسك أهلًا لذاك السجود».

قال: «إذن، فقد غلبتِ في النهاية. لن أكون قادرًا على التغلب عليك لحظة الموت». أراد زنارًا(203) ليرى ما قد تكون أسراره، ويستطيع أن يقول: «**وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**» «يوسف ١٠١». ٦٤٧

٢٠٧

في النتيجة، إنَّهم لا يعتبرون أبا يزيد من أهل الصلاح الكاملين، إذ مرَّ درويش بقبره، عضّ أصبعه وقال: «بين هذا الدرويش والله بقي حجاب!»

مرَّ أبو يزيد نفسه بقرية «خارقان» وقال: «بعد مئة وخمسين عامًا سيخرج من هذه القرية درويش، ويسبقني بخمس مراتب»، وذلك ما حدث. في ذلك الموعد، أصبح «أبو الحسن خاراقاني» طالبًا وقام بارتداء العباءة عند شاهدة قبره(204).

إذن، خليق بالله أن يجعل الأولياء الكاملين مطلعين على الأسرار: «تحدّث عنك فلان بسوء».

أقول لله: « ألم يكن ذلك **منك**» ألم تشأ ذلك بداية؟».

يقول: «كلا. هو مَن تحدّث عنك بالسوء».

أقول: «ماذا ستفعل به الآن؟».

يقول: «ما تشاء».

أقول: «دعه وشأنه في الوقت الحاضر». ١١٧- ١٨

٢٠٨

قالوا: «حبًا بالله، أعطنا أمارة نعرف بها مَن يفوز برحمتك وعنايتك؟».

قال: «الذي يذكر ربي أكثر».

هناك ذكر اللسان وهناك ذكر الروح.

كان أبو يزيد، قدس الله روحه، كلَّما دخل بلدة يذهب إلى مقبرة البلدة عندما يرغب في التجديد.

سأل أحدهم ابن عباس: «يا ابن عم رسول الله! لو أردتُ التجديد أين أذهب؟».

أجابه: «في النهار اطلب التجديد في المقبرة، وفي الليل اطلبه في السماء».

عندما كان أبو يزيد يتجوّل في المقبرة، وجد بعض الجماجم. أتاه الإلهام: «اِحملها بين يديك وانظُر بعناية داخلها».

وجد أنَّ الأذنين في بعض الجماجم كانتا مسدودتين ودون فتحات، وفي بعضها رأى أنَّ الفتحة تمتدُّ من أُذن إلى أُخرى. أمَّا البعض الآخر فتمتدُّ الفتحة من الأذن إلى الحلق.

قال: «يا الله، إنَّ الناس يرونها كلَّها متشابهة، ولكنَّك جعلتني أراها مختلفة. أرني الآن حلّ هذا اللغز. لماذا تحمل هذه الجماجم هذه الصفات؟».

جاءه الإلهام: «إنَّ الجماجم التي سُدَّت فتحاتها لم تسمع يومًا كلامنا، أمَّا التي تمتدُّ فيها الفتحة من أُذن إلى الأُخرى فقد دخل كلامنا من أذن وخرج من الأُخرى، أمَّا الذين يملكون ممرًا من أذانهم إلى حلقهم فأولئك الذين قبلوا كلامنا». ١٩٤

٢٠٩.

كان الأطفال يُشيرون إلى «جُنيد» رحمه الله، فيما بينهم: «هذا الذي يبقى قائمًا لله طيلة الليل».

قال جنيد: «لا يليق بي أن أُثبت خطأ رأيهم». كان يقوم حتى منتصف الليل، ولكنَّه عوَّد نفسه الآن أن يقوم حتى يطلع النهار. بالتالي، قد يكون لاعتقادات أولئك الذين يعتقدون بشخص ما تأثير عليه.

يتحايل **الرجال** ليبقوا مستترين، ولكنَّ ذاك يُحاول بألف وسيلة أن يكون مشهورًا. على أيِّ حال، ينبغي على المرء أن يُجاهد في البداية.

٢١٠

حدث شيء مشابه في قصة «أحمد الزنديق»(205). حيث طلب من جنيد الذهاب إليه من بغداد: «في المدينة الفلانية هناك شخص يُدعى أحمد الزنديق وهو من عبادنا. لن تُحلّ مشكلتك دونه ولو خلوت مئة وأربعين يومًا».

نهض وانطلق نحو تلك المدينة. حدَّث نفسه: «لن يكون من اللائق السؤال عن بيت أحمد الزنديق»، ولذلك قام بتأويل الرؤيا وسأل عن بيت أحمد الصدَّيق».

كان في داخله الكثير من المعرفة الروحانية، بحيث أصبحَت عقبة أمام غايته. في الواقعة التي حدثت معه، لم يكن للكلام الذي قيل له أيُّ تأويل، إلَّا أنَّه سمعه على أنَّه يمتلك تأويلًا. بقي يجوب تلك المدينة ستين يومًا ويسأل محتارًا: «أين يُقيم أحمد الصديق». من سوء حظه أنَّ الكلام الذي قيل له لم يكن في حاجة إلى تأويل، ولكنَّه كان يسأل حسب تأويله. في نهاية المطاف، خطر في باله أن يمرَّ جانب المسجد المُهدّم، وعندما توجّه في ذلك الاتجاه سمع تلاوة لسورة يوسف، فتنت قلبه. خرج شاب من المسجد المُهدّم فقال لنفسه: «سوف أسأل هذا الرجل دون تأويل». فسأله.

أجابه الشاب: «حسنًا، لقد سمعتَ للتو صوت تلاوته للقرآن»، عندها صاح جنيد وسقط مغشيًا عليه، ونزل الشاب عند قدميه.

ببركة قول الصدق وصل جنيد إلى غايته. عندما استعاد رشده دخل المسجد المهدم وجلس بعيدًا. لم يكن جريئًا كفاية لإلقاء التحية عليه أو التحدث معه، كما أنَّ أحمد لم يفسح له المجال إلَّا لاحقاً.

فيما بعد، أشفق عليه، ونظر إليه مجددًا وقال له: «أهلًا جنيد».

حدَّث جنيد نفسه: «أتساءل كيف يعرف أنَّني جنيد!».

ابتسم وقال: «كيف لا أعرف؟ منذ أن صادفتك تلك العقدة، وواجهتَ تلك الصعوبة وأنا أُحدّث نفسي: «متى سيأتي؟ ما عساي أقول له؟ لا أجد شيئًا أقوله لك. هل عندك ما تتلوه؟ طقطق أصابعك وابدأ في التلاوة».

راح جنيد يتلو شيئًا.

وقف أحمد الزنديق وراح يدور عدة مرات. جاءت الأرواح المُقدّسة: «إذا قمتَ بدورة أو دورتين، فإنَّ أسلاك العجلة سوف تنخلع». فخجل وجلس. ١٢٣- ٢٤

٢١١

إنَّ أحمد الغزالي، رحمه الله، ومحمد الغزالي، وأخوهم الثالث، قد نبت ثلاثتهم من بذرة طيبة. لم يكن لكلٍّ واحد منهم نظير في ميدانه. كان محمد الغزالي رائدًا في مجال من العلوم لا ندَّ له، إنَّ مؤلفاته أوضح من الشمس. يعرف مولانا هذا بالفعل. في المعرفة الروحانية كان أحمد الغزالي سلطان كلِّ الأشراف. أمَّا الأخ الآخر ـ ففي السخاء والكرم، لأنَّه كان صاحب إحسان وبرٍّ عظيم. كان اسم ذاك الأخ الثالث عمر الغزالي(206). كان تاجرًا وصاحب ثروة، ولم يكن له في السخاء والكرم نظير.

لم يكن أحمد الغزالي قد درس هذه العلوم الظاهرة(207). انتقده المنتقدون أمام أخيه محمد الغزالي: «إنَّه يتكلم، ولكنَّه لا يعرف شيئًا

عن العلوم المختلفة».

أرسل محمد الغزالي كتابيّ «**الذخيرة**» و«**اللباب**» اللذين هما من تأليفه الخاص إلى أخيه مع أحد الفقهاء، ونصحه قائلًا: «اِذهب وادخُل بأدب، ما إن يقع نظرك عليه، راقِب بحرص كلَّ حركة يقوم بها ـ الابتسامة، حركات اليد والرأس أو أيِّ عضو. سجِّل كلَّ أفعاله، كتغيير مكان قدمه وتحريك أصابعه».

عندما دخل الرسول، كان أحمد الغزالي جالسًا بسعادة في الزاوية الصوفية. وقع ناظره عليه وابتسم. قال: «هل أحضرتَ لي الكتب؟».

بدأ الرسول يرتجف.

ثمَّ قال له: «أنا أمِّي(208). إنَّ 'الأمِّي' شيء، و«الجاهل» شيء آخر. إنَّ الجاهل حقًّا أعمى. أمَّا الأمي فلا يكتب»، ثمَّ قال: «اِقرأ، علِّني أستمع».

قرأ من جميع أجزاء الكتب.

ثم قال له: «على الورقة الأولى من الكتاب، اِكتب هذه الأبيات التي سأُمليها عليك:

«سعيًا وراء الكنز تهدَّم جسدي،

في نار الحُبّ، شُوي قلبي».

«فماذا تنفعني **الذخيرة واللباب**؟

بلسم شفاه المحبوب أصبح خمري(209)».

إنّ إبليس ذريعة، آدم أمارة. إنّ إبليس ظلام، آدم نور. إنّ إبليس أرضي، آدم سماوي. ٣٢٠- ٢١

٢١٢

تعرض أحمد الغزالي لصعوبة، أصبحت حجابًا له. لم يستطع أحد رفع الحجاب له، ولكنَّه أظهر الكثير من المروءة في نفسه. كان إنسانًا، لو نظر في السماء نحو الفَلَك، لـ«**جَعَلَهُ دَكًّا**» «الأعراف ١٤٣»، وفي داخل نفسه سوف يجد «**إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ**» «الانفطار ١». لقد خضع لرياضات زهد سرية لم يعلم بها أحد. إنَّ كلَّ ما نُقل عن زهده الظاهر كان كلُّه كذب، فلم يدخل في أيٍّ من خلوات الأربعين يومًا، لأن ذلك بدعة في دين محمد. لم يدخل محمد أبدًا في خلوة من أربعين يومًا. كان ذلك في قصة موسى. اِقرأ: «**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**» «البقرة ٥١».

ألا يرى هؤلاء العميان أنَّ موسى بكلِّ تلك العظمة اعتاد أن يقول: «**ربِّ، اِجعلني من أمة محمد!**». بعبارة أُخرى: «اِجعلني واحدًا من أهل الرؤية!». هذا هو سرُّ هذه الكلمات. وإلَّا فلمَاذا يُريد موسى أن يكون بمعيتي ومعيتك بآباطنا ذات الرائحة الكريهة؟ إنَّ ما عناه هو هذا السر ـ أو ذاك الفريد من أمة محمد، والذي ينتمي إلى أهل الرؤية. لقد عنى إمَّا هذا أو ذاك. هذا أيضًا هو محل التحذير.

بالمختصر، كان أحمد الغزالي يُجاهد لإبعاد ذلك الحجاب. لقد سمع صوتًا أو جاءه إلهام من قلبه: «إنَّ حجابك هذا لن ينفرط عقده

إلَّا على يد معلم «سانغان»(210). قام ومضى، وفي اليوم ذاته الذي وصل فيه هناك، كان المُعلّم يؤدي رقصة «سما»، وخلال تلك «السما» زال الحرج.

قفل عائدًا إلى «تبريز»، عندما علم أهل «تبريز» أنَّه عائد بسرعة، قالوا: «لا بُدَّ أنَّه عائد من أجل ذلك الولد المحبب»(211).

استأجروا امرأة عجوز كي تذهب وتُلاقيه. جلست العجوز حزينة في الطريق الذي كان عائدًا منه. وصل أحمد الغزالي إليها. قال: «ما خطبك؟ لماذا تجلسين حزينة في الطريق؟».

قالت: «كيف لا أجلس حزينة؟ الفتى فلان والذي كان فلذة كبدي ونور عيني قد مات».

سألها :»مات؟».

قالت: «نعم».

قال: «هل تُسايروني في النزول في هذا المكان لبعض الوقت؟ هلَّا ترجلتم حتى أتمكّن من التفكير فيما إذا كانت العجوز تقول الصدق أم لا؟».

قالوا: «نحن في خدمتك،» وترجلوا جميعًا. أطرق برأسه لمدة. في فجر اليوم التالي رفع رأسه وقال: «إنَّ المرأة تكذب. لقد تفقّدتُ للتو جميع الأرواح التي فارقَت صورتها، واحدة واحدة، من زمن آدم حتى هذه اللحظة، ولكنَّ روح ذلك الفتى لم تكن بينها. هيا فلنُغادر».

عندما وصل إلى «تبريز»، كانت المدينة كلُّها مستاءة، ويقولون إنَّ هذا ليس بجيد.

لم يكن يميل إلى هذه الصور الجميلة بدافع الشهوة. كان يرى ما لم يتمكّن أحد من رؤيته. لو مزقوه إربًا إربًا لما وجدوا مثقال ذرة من شهوة، ولكن، بسبب هذا السلوك اعترف به بعض الناس وأنكره آخرون. خلال إقامته هناك، كان هناك مَن يعترف به مئة مرة، ويُنكره مئة مرة.

ذات يوم أوصلوا الخبر إلى الأتابك(212): «لن تُصدّقنا مهما قلنا، تعال، وانظُر بنفسك من نافذة الحمام. إنَّه مستلق هناك وقد وضع ساقه بجانب ساق ذاك الصبي الذي نتكلّم عنه. لقد أشعل مجمرة بأعواد البخور وخشب «الألوه».

جاء «الأتابك» واختلس النظر من النافذة وفي ضوء السماء. صاح الشيخ بصوت عال: «أيُّها التركي الصغير، اِنظُر جيدًا!» ثمَّ حوَّل نظره إليه، ورفع قدمه الثانية ووضعها في وسط المجمرة المشتعلة. اِندهش «الأتابك»» وطلب منه الصفح. عاد أدراجه مذهولًا.

ذلك العالم والمُدرِّس، المُعلّم الفقيه في شتى الميادين، قد أصبح مريده وخادمه. لقد توصّل إلى اعتقاده به، لأنَّ منبره ارتفع في الهواء. في كثير من الأوقات، في مسألة هذا الصبي المحبوب، كان قد اعترف به، ثمَّ أدانه. كان يضع لبادة سرج(213) فرس الشيخ على عنقه ويمشي أمام رَكوبه. كان ذلك الصبي يُمسك بنطاق السرج. على الطريق كان الشيخ يُحدّث الصبي عن الألغاز والتلميحات، فيما يحمل ذاك اللبادة على عنقه. لدى وصولهم إلى الدار يكون قد أنكره عشر مرات، راغبًا في إلقاء اللبادة عن عنقه والمغادرة. من جديد

يعود ويعترف به. كان يمشي حاسر الرأس ويتعثر وهو يمشي خلف فرس الشيخ طالبًا الغفران على شكوكه ووساوسه. كان يتعوذ من تلك الشكوك. لقد أنكره عشر مرات، ورغب في رمي السرج والمغادرة. ثم لا يلبث أن يعود ليُقرَّ ويُسلّم به ويكون مستعدًا للجري خلفه كالمجانين طالبا الصفح ومسامحته عمَّا بدر منه من وساوس.

كان الشيخ يعلم الحالين كليهما، فهو في نظره كالرضيع، يُبكيه أحيانًا ويُضحكه أحيانًا أُخرى. ٣٢٣- ٢٥

٢١٣

انظر إلى إنصافه، وكيف تصرّف بإنصاف. بكلِّ هذا العلم، كان يسير بين خدم الشيخ. كان هذا الطالب مجازًا في كثير من الميادين، وكانت طائفة المُتعلّمين تلومه. قال :»أُقسم بمَن خلق الخلق لو علمتم مقدار شعرة ممَّا علمته من قدر هذا الشيخ لسرقتم لبادته من بين يديّ، تمامًا كما تتنازعون على المناصب وتحسدون بعضكم».

سار بين خدمه دون أن يتزعزع إيمانه، ولكن عندما وصلوا إلى الدار، تابع ما بين إقرار وإنكار له: «ما سبب تواضع الشيخ مع ذاك الفتى والذي هو محل شهوة». ثمَّ يقول: «لكن ما الضير في ذلك فهو بمثابة الترياق. إنَّه مصدر «**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**»»الفتح ٢».هو البحر لـ «**يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**» «الفرقان ٧٠»».

على الرغم من أنَّ الجبال مليئة بالثعابين، لا تخف،

ففي الجبال تجد كذلك الترياق الشافي(214).

عندما كان ينظر إلى الشيخ بعناية، كانت تلك الأفكار الجيدة تُبرق في داخله، ولكن عندما كان يتولى إلى الظل، تظهر له وساوس العتمة: «أعتقد أنَّ هذا مقامه. كيف للمرء أن يكون صاحب مروءة من خلال إضلال الناس، وإلقائهم في الوساوس والشكوك؟».

كان الشيخ يرى ذلك كله. قال: «السلام عليك. كيف تُفكّر بي؟ هل نسيتَ ثانية؟ هل يُخيّل إليك أنَّني سوف أتركك ببساطة للإقرار أو الإنكار؟ «**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»»النور ٤٤»، كم مرة **يُقلّب** نور النهار رأسًا على عقب إلى بحر من ظلمة؟ كم مرة **يحرق** الظلمة مبددًا إياها بأشعة النور؟ «**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**» «العنكبوت ٢». هل يتمّ قبول شيء في هذه الدنيا دون اختباره، أو رفضه دون ابتلاء؟ إلا أنك بمشيئة الله، سوف تستقيم في النهاية وتسلك الطريق الصحيح وتعرف مَن أنت». ٢٨٥- ٨٦

٢١٤

كان ذلك الرجل العالِم، وبكلِّ قدره، يحمل لبادة سرج الشيخ ويركض أمام حصانه. في الطريق. كان يفقد اعتقاده عدة مرات ويُنكر الشيخ. يمرُّ الشيخ فلان أمامه ويُلقي عليه السلام، فلا يُعيره بالًا. بعد ذلك الشيخ يمرُّ به فلان، أحد الغلمان الشواذ، فيُحيي الشيخ فيردُّ عليه التحية.

«كيف لا أفقد يقيني؟»، قالها ثم عاد واستغفر الله. يُواصل حمل لبادة سرج الحصان بيده، ولكنَّه يخشى أن يُعرض عنه الشيخ، وهكذا استمرَّ طوال الطريق تارة مؤمنًا وأُخرى كافرًا، حتى وصل إلى باب دار الشيخ واللبادة على كتفيه.

في اليوم التالي ردد **لا حول ولا قوة إلا بالله**، وهو يُرغم نفسه على زيارة الشيخ. بألف حيلة أعمى عنه إبليس. عندما وصل إلى باب دار الشيخ وجده يلعب الشطرنج مع ابن الريِّس ذاك، ففقد اعتقاده وعاد أدراجه.

رأى **محمدًا** في نومه، حاول أن يُهرع لزيارته، لكنَّ **محمدًا** تحوَّل عنه. راح ينتحب: «يا رسول الله، لا تتولَّ عني».

قال **محمد**: «لماذا تُنكرني؟ إلى متى ستبقى تُنكرني؟».

قال: «ومتى أنكرتك يا رسول الله؟».

قال: «لقد أنكرت صاحبي. **يُحشر المرء مع من أحب**، أقصد بها صاحبًا مثله. **مثل المؤمنين كنفس واحدة**، هي من أجل واحد مثله».

شعر بالإحراج الشديد، بكى وتاب. وضع **محمد** حفنة من الزبيب والبندق أمامه. استيقظ وهرع إلى الشيخ ووجد أنَّهما لا يزالان يلعبان الشطرنج. مع أنَّ الزبيب كان في جيبه، فقد اعتقاده وأراد أن يعود. صاح به الشيخ: «إلى متى سيدوم هذا، على الأقل استحِ أمام **المُعلِّم**.»

ما إن خرج إليه الشيخ، حتى خرَّ أمام قدميه. قال له الشيخ:» أحضر ذلك الطبق!» رأى فيه الزبيب والبندق إلَّا أنَّه كان هناك أثر لحفنة زبيب ناقصة، قال الشيخ: «أعِد تلك الحفنة من الزبيب إلى الطبق لأنَّ **محمدًا** أخذها من هنا».

ذات مرة ذهبت جماعة إلى الملك يقولون إنَّه فاجر: «كيف تُدينه

وحاله؟ إنَّه يُمضي أسبوعًا كاملًا في الحمام، ليل نهار، واضعًا ساقه إلى جانب ساق خادم، والأُخرى إلى جانب ساق ابن الريِّس. لقد وضع أمامه كانونًا يشوي فيه الكباب. كان يأخذ قبلة من هذا، وقبلة من ذاك! فما الذي بقي؟».

أتى الأتابك ونظر من نافذة الحمام. أراد العودة بسرعة. صاح الشيخ: «أيُّها التركي الصغير، انظُر جيدًا! ثمَّ اذهب». رفع ساقه من جانب الخادم ووضعها في الكانون. ضرب الأتابك رأسه مرتين أو ثلاثة.

قالوا: «لقد اعتلى رأس المنبر وهكذا راح يتحدّث في **التوحيد**:

ذاك المعبود، جمال وزينة مجلسنا ـ

إنَّه ليس في المجلس، ولا أدري أين ذهب.

إنَّه كشجرة سرو طويلة، بقده الممشوق ـ

دون قدِّه، تجتاحني النكبات(215)».

«قال ذلك ثمَّ قال: «طالما أنَّ الصبي غير موجود فلن أعظ».

أمرهم الريِّس بإحضار الصبي، كان في الحمام يغسل شعره. شطف رأسه بالماء، خرج وظهر في المجلس. جلس في الصف الأمامي. عندها عاد إلى الوعظ. ٦١٧- ١٨

(197) يصف يحيى بالولي. الإشارة إلى دعاء زكريا في القرآن في سورة مريم ٥: «**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي**... «. إنَّ لكلمة **وليّ** عدة معان, تشمل جليس مقرّب, صديق, مُعين, نسيب. في أدب الصوفية, يتخذ التعبير القرآني «أولياء الله» معنى يُقارب كلمة قدّيس بالانكليزية, "راجع معجم الألفاظ الصعبة«sanctity» . يلمّح شمس هنا إلى أنَّ هناك شيئًا مميزًا في يحيى, لأنّه الوحيد بين الأنبياء الذي سُمّي صراحةً **بالوليّ**. قد يرد أصحاب أنماط التفكير الحرفي بأنَّ للكلمة معنى مختلف هنا, عدا «صديق الله»، ولكنَّ الصوفيين, كالكابلا, مقتنعون بأنَّ الله يقصد أكثر من المعنى الظاهر في كلامه, "قارن ملاحظات ابن عربي في SPK٢٤٣-٤٤".

(198) مهما قيل. القصيدة هي البيت الأخير من شعر مشهور للسنائي «**ديوان ٥٧**".

(199) عندما تكون نجيً. الرباعيات # ١٦٦٧.

(200) إنظُر إلى وجهي. الرباعيات # ٩٨٠.

(201) أبو يزيد والحج. يروي الرومي هذه القصة المعروفة جيدًا في المثنوي II ٢٢١٨-٥١ , يُقدّم العطّار رواية مختصرة عنها في MSM ١١٤.

(202) على الرغم من مئة شفاعة. هذه هي الثنائية الأولى من رباعية في الرباعيات "# ١٧٥٨". الثنائية الثانية تقول: «سواءً أعطيتني الماء أو النار, على كلّ حال **أنت** سلطان السيادة **وأمرك** مطاع».

(203) أراد زنارًا. إنظُر للملاحظة حول ٢- ١٨٧.

(204) بعد مئة وخمسين عامًا. يروي الرومي قصة هذا التنبؤ وسماع أبو الحسن بها في المثنوي IV١٨٠٣-٥٥و ١٩٢٥-٣٤». كما يروي قصة عن النزعة الشريرة لدى زوجة أبي الحسن، وهي ما دفعه لأن يُصبح وليًا في المثنوي " V ٢٠٤٤-١٥٢".

(205) أحمد الزنديق. يروي شمس القصة باختصار في **مقالات** ٧١، ويُفصّل سلطان ولد عنها في **ولد نما** Walad-nama ٢٧٢-٧٣. في روايته, يتمّ حل مشكلة جنيد عندما يرى أحمد يدور.

(206) عمر غزالي. لا تذكر المصادر الأخرى أخًا ثالثًا.

(207) أحمد غزالي. للمزيد عن هذه القصة , إنظُر ٣- ١٧٦.

(208) أمّي. يسمي القرآن محمدًا بـ «النبيّ الأمّيّ»,»سورة الأعراف١٥٧- ١٥٨», ويُعطى لهذا المصطلح عدة معان من قِبل مُفسّري القرآن. يفهمه الصوفيون عادة بمعنى أنّ علم **محمد** أتى مباشرة من الله, بدون وسيط بشري. من المثير للاهتمام أنّه في فصل «العلم الأمي», يرى ابن عربي أنّ محمد غزالي مثال عمّن تمّ صدُّه عن الكمال المطلق بسبب تعليم الكتب «**فتوحات** II ٦٤٥.١٢ مترجم في SPK ٢٣٧».

(209) فماذا تنفعني **الذخيرة واللباب**؟ يتمّ اقتباس نسخة مختلفة من الرباعية في ٢- ٢٩. لو أنّ أحمد الغزالي هو مؤلفها حقًا, فمن غير الوارد أن يكون تفسير شمس دقيقًا, باعتبار أنّ تفسيره لأحمد على أنّه غير مُلمّ بالعلوم الإسلامية ليس له أسس تاريخية. لم يكتب محمد غزالي أيّ كتاب باسم **الذخيرة**, غير أنّه كَتب بالفعل **لُباب النظر. إلا أنّ** أحمد نفسه معروف بتأليفه لكتاب **الذخيرة في علم البصيرة**، بالإضافة إلى **لباب الإحياء** «ملخص عن كتاب أخيه **إحياء علوم الدين**. بالتالي إذا كانت القصيدة لأحمد, فهو على الأغلب يُشير إلى كتابيه هو. ما يُريد قوله هو أنه لا حاجة به إلى مثل هذين الكتابين, فقد كتبهما من أجل تلاميذه فقط.

(210) سنغان. قرية تقع في شرق «إيران»، جنوب «مشهد» وبالقرب من «تربة الحيدرية».

(211) الولد المحبب. هناك مصادر أُخرى تقول أنّ أحمد الغزالي اعتاد التفكر في جمال الله في الشباب اليافعين. من المُثير للاهتمام, أنّ شمس انتقد «أوحد الدين كرماني» لانخراطه في هذه الممارسة, لكنّه لا يملك سوى الثناء على أحمد.

(212) أتابك. لقب حكّام «تبريز» الأتراك

(213) لبادة سرج. إنظُر معجم الألفاظ الصعبة. كان لثراء «أحمد الغزالي»، إضافة إلى منزلته الثقافية والروحية، مصادر أُخرى. على سبيل المثال, إنَّ مؤلّف «تبصرة المبتدئ», وهو نصّ صوفي تمَّ تأليفه في «قونية» حوالي عام ١٢٦٠, قال ما يلي: «أشار أحدهم إلى «أحمد الغزالي»قائلًا: «تقضي اليوم بأكمله تُلقي باللوم على الدنيا، وتشجّع الناس على فك تعلقاتهم, لكنَّك تمتلك عدّة مجالات لخيل وبغال وحمير. كيف تفسر ذلك؟» أجاب, «لقد جعلت المجالات أوتادًا في الأرض وليس في قلبي». «FP٩٦».

(214) *على الرغم من أنَّ الجبال مليئة*. الشعر لـ«سنائي» من كتاب «**الحديقة**» ٨٥. عمل «الرومي» على استخدام التصوير نفسه. «كان «آدم» جبلًا، وعلى الرغم من أنَّه كان مليئًا بالثعابين إلّا أنَّه كان معين الترياق, وبالتالي لم يحدث أيّ ضررٍ». "المثنوي I١٣٤٥».

(215) ذاك المعبود, جمال. رباعيّات# ١٥٨.

تأويلي للنصوص

٢١٥

لا شيء يعلو على القرآن، ولا شيء يعلو على كلام الله. إلَّا أنَّ هذا القرآن الذي بيَّنه لعامة الناس فيما يخصُّ الأوامر والنواهي، والتوجيه نحو الطريق الصحيح له مذاق، ولذاك الذي بيَّنه للخاصة مذاق آخر. ١٨٤

٢١٦

من الناس مَن يحرص على الكلام المسجوع ويُنهون جملهم بالقافية، ومن الناس مَن يتكلّم شعرًا، ومنهم من يتكلّم نثرًا. كلٌّ منهما جزء. أمَّا كلام الله فهو كلٌّ. تمسّك بالكلِّ، بحيث تكون جميع الأجزاء ملكك، إلى جانب كلِّ ما سواها. لا تتمسّك بالجزء، مخافة أن تفقد الكلَّ.

تظهر شجرة في دار أحدهم وتنمو. يتحتم عليه احتواء كلَّ الشجرة إن كانت كلُّ الأغصان تخصُّه بالإضافة إلى الجذع. إلا أنك، إذا تمسَّكت بغصن واحد، ستفقد البقية. ناهيك عن خطورة أن ينكسر الغصن، وتنفصل عن الغصن، وتُصد عنه وعن نفسك أيضًا. ١٧٢- ٧٣

٢١٧

لا عجب إذا ابتعد عن العلوم. «**رُبَّ قارئ للقرآن والقرآن يلعنه!**». قال: «**قارئ**» جنبًا إلى جنب مع كلمة «**رُبَّ**» أي «العديد»، ولذلك

فالأمر ليس كلِّيَّ الشمول.

هناك قرَّاء آخرون، هم **أهل القرآن، أهل الله وخاصته**، الذين يُدركون المعاني السبعة. **لأنَّ القرآن يملك معنى ظاهرًا ومعنى باطنًا، وإنَّ لمعناه الباطن معنى باطن وصولًا إلى سبعة معان باطنية**. ليست هذه السبعة بالضرورة ما هو مألوف ومتعارف عليه بين الناس. إنَّه يعلم شيئًا مختلفًا عن هذه وأبعد منها، وأصبح ذلك ممارسته. إنَّه يعرف سبعة ومئة ألف، ذاك الذي هو طالب ومن خاصة الله.

أبعد من هذا، هناك مستوى آخر، وذلك لخاصة الخاصة. لا يتمّ ذكر أمثاله في القرآن إلا من خلال الإشارة، ولا علاقة لهم بـ «**رُبَّ قارئٍ للقرآن**». إنَّهم ليسوا من هذا الصنف، ولا ذاك، لأنَّهم أهل الله وخاصته.

قبل أن أقول هذا، هل كان هذا هو المعنى لديكم؟

قلت: «كلا».

قال: «لا تتوقّف عند الشعائر، فلا شيء من ذاك هنا». ٦٩٨- ٩٩

٢١٨

كان أحدهم يطلب تعلّم القرآن. كان قد تكبد عناء كبيرًا في حفظ القرآن، ولكنَّه لا يزال مُتحمّسًا. كان يسأل أين يُمكنه العثور على قارئ مؤهل حسن التلاوة. طلب من الله أن يجد قارئًا من **أهل القرآن، من أهل الله وخاصته**. فجأة وجد واحدًا. في بغداد ظهر له قارئ، فعرض عليه كلَّ آية سبق له أن قرأها. فيقول المرتل: «اِقرأها هكذا».

عندما نظر في الأمر، رأى أنَّه قد أضاع عمره، ولا بُدَّ من أن يبدأ من جديد. قال: «فليكُن ما يكن!».

قال ابن القارئ: «يشترط والدي دينارًا على كلِّ عشر آيات». أجاب أنَّه يسرُّه أن يدفع.

كان يتعلّم القرآن ويُعطي الذهب بسعادة، ولكن ذات يوم لم يبقَ ذهب يُعطيه. تجوّل في الأنحاء حزينًا. رأى رجلًا مسنًا، فقال له: «لمَاذا أنت حزين؟».

روى له الموقف. ضحك الرجل المُسنّ. اصطحبه إلى داره واستضافه. كان حزينًا إلى درجة تمنعه من تناول الطعام. قال الرجل المُسنّ: «في النهاية، ذلك القارئ هو ابني، وإنَّ كلَّ ذهبك موجود تحت تلك السجادة. لا حاجة له بالذهب. **مَن لم يستغنِ بالقرآن فليس منا**. إنَّ القرآن ذهبنا. القرآن مالنا. نحن لم نتعلّم القرآن حتى نحتاج ما سوى القرآن. كان هذا لاختبارك وحسب. اِنظُر، كلّ دنانيرك موجودة هناك. خُذها واذهَب». ٢٥٣

٢١٩

حقًا إنَّ همام إنسان عظيم. إنَّه يقرأ تفسير القرآن.

إنَّ كلَّ من يصبح إنسانًا مُتعلّمًا بالكامل هو محروم تمامًا من الله ومتخم من ذاته. إنَّ الأناضولي الذي يدخل في الإسلام للتو يجد عبير الإله، ولكن عندما يكون أحدهم مُتخمًا، فإنَّ مئة ألف نبي يعجزون عن إفراغه.

رُبَّ نحيب يحجبك عن الله

لقد تبلّدت أُذنيّ. قُل لأذنيَّ،

تظاهرتُ بالصمم والغزالة تتكلّم،

تصطاد الأُسودَ بلحظها.

لستُ حقًا أصمَّ

ولكن أردتها أن تنظر ثانية.

لذلك، قال الرسول إنَّ الملائكة توسّلَت إلى الحضرة: «إنَّ العبد المؤمن فلان، قد توسّل وطلب كثيرًا. إنَّه ينوح، **وأنت** قبلتَ تضرع ذاك العبد المُبعد. فلماذا لا تهتمّ لطلب هذا؟».

فيقول: «**دعوني أنا وعبدي، فلستُ أقلّ رحمة منكم. بالطبع أنا أُحبّه وأُحبّ صوته**»(216). إنَّ السبب في تأخير الاستجابة لابتهالات بعض الناس هو كمال الحُبّ.

في بعض الأحيان، يكون الثناء مشكلة وحجابًا في حدّ ذاته، فترتدّ الكلمات. أحيانًا إن لم يكن يُثني، يُوشك ذلك أن يُمزقه أشلاء.

هنالك أوقات **يُحبّ** البكاء، وأحيانًا أُخرى **يُزعجه** ذلك، والضحك كذلك. ٢٠٦- ٧

قال ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ **محمدًا** كان يذكر أسرار القرآن(217). روى ابن مسعود: «كان يقول معنى آية كذا وكذا للصحابة، وكان يهمس بمعنى آخر في أُذني. لو أخبرتكم عنه أيُّها **الصحابة**، لقطعتم عنقي». أي لبدا لهم الأمر كفرًا، ولقطعوا عنقه.

«**أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**» «الكهف ١١٠». يجب أن تعلم أنَّ سبب نزول هذه الآية أنَّ عليًا رضي الله عنه، كان يقتدي **بمحمد** في الأيام العشر من عاشوراء(218). لم يتناول الطعام تسعة أيام بلياليها. نظر إليه **محمد**، ولاحظ آثار الضعف. فقال: «**إنِّي لست كهيئتكم**». فأتت الآية: «**أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**». الفارق هو جزئية صغيرة هي: «**يُوحَى إِلَيَّ**» «الكهف ١١٠». أقوم بأمور محددة لا يعرفها أحد. أقوم بها فيما بينهم بحيث لا يدري الأنفُ بوجود الفمُّ، ما لم أشأ ذلك. ٦٦٧- ٦٨

٢٢١

لم يُبدِ **الصحابة** أيَّ اعتراضات على **محمد** أبدًا. لقد نظروا إليه بإيمان وثملوا بكلماته. لم يروِ سيدنا أبو بكر أكثر من سبعة أحاديث. لو أنَّه سُئل، لزوَّدهم بكثير من الفوائد الأُخرى التي لا حصر لها، ولكشف لهم العديد من الأسرار. من هذا يُمكن أن يُشمّ رحيق كلامي.

إنَّ «**أنا الحق**» مُشينة إلى أقصى حد، في حين أنَّ «**سبحاني**» هي أخفى بقليل. ليس هناك بشر ليس لديه مقدار من أنانية.

قال موسى: «**أنا أعلم من كلِّ مَن على وجه الأرض**». حدث له أمر ما، وهكذا قال. تمَّت إحالته إلى الخضر. مكث معه عدة أيام، ثمَّ تركه(219).

قال **محمد**، لعلي: «لمَ اقتديتَ بي في الوصال في الصيام؟ لقد أصبحتَ ضعيفًا جدًا. **إنِّي لست كهيئتكم. إنِّي أبيتُ يُطعمني ربي ويسقيني.**

يقول المحققون إنَّ هذا كان سبب نزول آية: «**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**» «الكهف ١١٠». بعبارة أُخرى: قُل هذا، وارمِ جانبًا التخمة الشديدة بالنفس. قُل هذا!». كيلا يُرهق تفكيره العطر، قال: «**يُوحى إليه**(220)».

إنَّ هذا مثل: «**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ**» «الكهف ١١٠». إنَّ هذا مثل ذاك ـ «**إنِّي لست كهيئتكم**».

«**وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**» «الكهف ١١٠» ـ إنَّ هذا أيضًا مثل ذاك. ٦٢١- ٢٢

٢٢٢.

«**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**» «فصلت ٥٣». ما الذي يقولونه عن هذا؟ عن «**الْآفَاقِ**»؟ «الشتاء والصيف». عن «**فِي أَنْفُسِهِمْ**»؟ «المرض والصحة». تفسير حسن! أحسنتم أيُّها المفسرون! هناك رأي آخر حول «**الْآفَاقِ**»: «انشقاق القمر، والمعجزات». «**فِي أَنْفُسِهِمْ**» ـ «انشراح الصدر». «**أَنَّهُ الْحَقُّ**» تعني أنَّ الله هو الحقيقة، أو أنَّ محمدًا حقيقة. تفسير حسن! هذا التفسير مقبول.

إلا أنه بالنسبة إلى المسافرين والسالكين، فإنَّ كلَّ آية هي خطاب ورسالة حُبّ. إنَّهم يعرفون القرآن. إنَّه يُقدّم ويعرض جمال القرآن لهم.

أيُّ كلام هذا: «**أَنَّهُ الْحَقُّ**» تعني أنَّهم يجب أن يعلموا مَن هو الله، أي، **هل هو الحق؟**

هناك تفسير «وحيدي قدسي». ماذا عن تفسير «الطوسي»؟

«**الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ**» «الرحمن ١- ٢»: اِستمع إلى تفسير القرآن من الله. إن استمعتَ إلى أيِّ تفسير غير تفسير الله فهو تفسير حال المتكلم، وليس تفسير القرآن. ترجمة حرفية لكلمات القرآن؟ يستطيع ابن خمس سنوات أن يُخبرك بذلك. ٦٣٤- ٣٥

٢٢٣

قالوا: «فسر لنا القرآن؟».

قلتُ: «كما تعلمون، فإنَّ تفسيري ليس من **محمد**، ولا من الله. كما أنَّ «أنا» خاصتي تُنكر ذلك أيضًا. **أقول** لها: كيف تُنكرينه؟ دعيني وشأني، اِبتعدي. لمَ تُصدّعين رأسي؟».

«فتقول: «كلا، لن أذهب. سوف أبقى أُنكر وحسب؟». تلك نفسي أنا، ولا تفهم كلامي.

«إنَّ هذا كالخطاط الذي اعتاد على كتابة ثلاثة أنواع من الخطوط. الأول، يقرأه هو ولا أحد سواه. الثاني، يقرأه هو والآخرون كذلك. الثالث، لا هو وأحد سواه يستطيعون قراءته. هذا أنا عندما أتكلم. لا أفهم، ولا أيُّ أحد غيري؟». ٢٧٢

٢٢٤

ذات يوم كان «أسد» عالم الأصول يعرض تفسيرًا لآية: «**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**» «الحديد ٤. على الرغم من كلِّ تعلّمه، كان ينهار عندما أسأله أمام الناس. ذات يوم سألتُه: «أنت تقول **هُوَ مَعَكُمْ** - الله معك - كيف ذلك؟».

قال: «أنت تُميّع الأمور. ما الدافع من هذا السؤال؟». بقدر ما كان هو يتخذ جانب الحلم، كان يتخذ كذلك جانب الغضب، واستمرّ في السماح لذلك بأن يتدفّق.

قلتُ: «ما الذي تعنيه؟ إنَّ هذا ليس محل السؤال عن الدافع. لقد ربطتَ كلبًا بلسانك، وعوَّدت نفسك على تعذيب الناس. كيف تُفسّر معنى «**هُوَ مَعَكُمْ**»؟ كيف يكون الله مع العبد؟».

قال: «نعم، إنَّ الله مع عبده من خلال العلم».

فقلت: «ليس العلم منفصلًا عن **ذات** الله، ولا تنفصل صفة عن **الذات**.

قال: «أنت تسأل أسئلة قديمة».

قلت: ما معنى «قديم»؟ هل «هو» **يموت** من شيء جديد؟».

يقول الناس إنَّ هذا ما يكون عليه «عالم المنطق». ٢٩٤- ٩٥

٢٢٥.

ماذا قال في ذلك التفسير حول: «**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**» «طه

٥»؟ هل أتى بشيء غير الذي قيل في هذه النصوص الظاهرة؟ إذ يقولون أنَّ «**اسْتَوَى**» تعني أنَّه يفوز بالسيطرة. كما في بيت الشعر:

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مهراق(221).

حتى أنَّ أبو الحسن الأشعري قال: «**نُؤمن بقوله «على العرش استوى» بلا كيف**(222)، **ونُصدّق دون استجواب**». ما الذي يتبيّن من هذا الكلام؟

هل قال في ذلك التفسير أيَّ شيء عن «**طه**»(223) «طه ١»، غير ما يقوله أهل المعنى الظاهر؟ إذ يقولون: «**طه» هو اسم من أسماء محمد، أو أنَّ معناها** «يا إنسان»، أو أنَّها العلامات المميزة التي يستخدمها الفلكيون، أو أنَّها تعني، أن يطأ الأرض، أي أن يضع قدميه على الأرض، لأنَّ الرسول كان يقف على قدم واحدة أثناء تهجد الليل بعد أن جاءه الأمر، «**فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ**» «الإسراء ٧٩». لقد وقف طويلًا على قدم واحدة حتى تفطّرت قدمه الشريفة(224). فأتى الأمر ، **طِئها**، أي «ضع قدمك الأُخرى على الأرض أيضًا، ولا تقف على قدم واحدة، لأنّنا لم نُنزل الأمر بالبقاء متهجدًا لأمثالك».

أنا لا أسأل عن هذه التفاسير الظاهرية التي قدموها. فيما عدا هذه، ماذا قالوا؟ ألن تقول؟ إذن، تبيَّن أنَّ تفسير هذا ينبغي أن يُقرأ من اللوح المحفوظ. ولا يجد ذلك اللوح مكانًا إلى جانب التخيّل.

قال الملك: لا تُؤدِّ الخدمة، أنت تُخزيني؟»

أجاب: «لا تُجادل. إنَّ تحريمك هذا يجعل حُبّ قلبي باردًا نحوك، فتُصبح باردًا في قلبي؟».

قال الملك: إن كان كذلك، فلن أتحدث»، ثمّ يقول مرة ثانية: «بروحك وسرك! لا داعي. لا تفعل ذلك! «**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**» «الفتح ١».»

قال: «**بروحك وسرك!** سأفعل ذلك»، وقف مُطولًا حتى تفطّرت قدماه.

قال الملك غاضبًا: «كفى! أنا لا أريد هذا. «**طه. مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**» «طه١-٢ «. لقد أجلستك إلى **جانبي** وتحدّثتُ معك. أنا لا أقول ذلك كي تُعاني، «**إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا**» «طه ٣- ٤»».

إنَّه يشرح هذا التقريب من أجل عامة الناس، **الأرض** هي جسد محمد، **والسماوات** هي ملكاته المنيرة، من تفكير وتصور وتخيل(225). «**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**» «طه ٥» ـ أي لقد **استقرّ** على قلبك.

إلى متى ستبقى تقول: «أنا مستقل عن محمد، لقد وصلتُ إلى الله»؟ إنَّ الله ليس مستقلًا عن محمد! كيف ذلك؟ إنَّه **هو** من جاء به بداية. ماذا تقول عن ذلك: «**وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا**» «الفرقان ٥١». لم يفعل أيَّ شيء؟ لم يُرِد أيَّ شيء؟ بقوله «**وَلَوْ شِئْنَا**» يتحدّث عن **محمد** نفسه. «لو أردت ـ أي **لولاك**(226). هذا ما **قاله** عن محمد.

قال محمد: «أنا كذلك». «**مَا زَاغَ الْبَصَرُ**» «النجم ١٧». «لقد اخترتني من بين الكل، أنا كذلك لا أُريد شيئًا **سواك**». ٣١٩- ٢٠

٢٢٦

«**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**» «طه ٥». ذاك **العرش** هو قلب محمد(227). إن لم يكن هنالك استواء قبل ذلك، كيف كان الأمر حينها؟

يُخبره قصته الخاصة: **طه**: لا تُعاني، لا تُعاني، لا تُجرّب أيَّ معاناة. لم أجلب هذه القصة كي تُعاني».

«**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**» «طه ٦». السماوات هي دماغه، والأرض وجوده، الكلّ قصته، و»الاستواء» حاله.

مَن يتبع سواد الحبر فقد ضلّ، أي كلُّ مَن ينظر إلى صورته وليس إلى معناه. ٦٥٧

٢٢٧

«**الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**» «طه ٥». إنَّ هذا مثل «**مَن يعرف نفسه**». في حالة هذا الشخص استوى الكنز ولم يتبقَّ أيُّ قلق. إنَّ ذاك الذي يشغل نفسه **به** لا يُقبل على نفسه ولا على أحد سواه. «**وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**» «طه ٧». لكنَّه يهرب. ستجد **الأحد** في **محمد**، ولكنَّك لن تجد **محمد** في **الأحد**.

عندما يخرج الصوفي من الدار، يضع قطعة من الخبز في

كمه(228). ينظر إلى الخبز ويقول: «يا قطعة الخبز، إذا وجدتُ شيئًا آخر، فقد سلمتِ، وإلَّا فأنت في يدي».

هم كلُّهم **أحديون**(229)، أمَّا نحن **فمحمديون**. أراد أحدهم أن يطير فوق الكعبة(230)، ثمّ قال: «لا، الإتباع أفضل». ليس في الصلاة على سطح الكعبة إتباع. إنَّ أثرتهم الخفية تكبِّلهم. ٢٥٧- ٥٨

٢٢٨

أعط تفسيرًا لعبارة «**لم تسعني سمائي**».

قال: «إنَّه مثل معنى «**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَات**» «الأحزاب ٧٢». إنَّه يعني معرفة الله، للمعرفة درجات، وإنَّ معنى ذاك الحديث متصل بهذا».

أوعز قائلًا: «أليس لديك أيُّ شيء زيادة حول معنى هذا الحديث، **لم تسعني سمائي**؟».

إنَّ الإحاطة الحقيقية مستحيلة.

سكتوا.

أمر قائلًا: «هذا محل بحث. يفرُّون من هنا. لو أنَّهم ناقشوا هنا، لكانت الفائدة أكبر». ١٢٥

٢٢٩

حلمتُ أنَّني كنتُ أقول لمولانا: «**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**» «القصص ٨٨». ما يبقى هو رؤية الأصدقاء».

رُبَّ محبوب جاءني ثملًا

الدمع في عينيه، والكرى في رأسه.

«**لَنْ تَرَانِي**»(231) «الأعراف ١٤٣»، **لأنَّه** أمامك ولا **تراه**. إذا كانت تلك هي الطريقة التي تريد أن ترى بها فـ «**لَنْ تَرَانِي**». إنَّه غير ملحوظ أبدًا بحيث يمرُّ أمام الأنظار ولكن «**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**» «الأنعام ١٠٣». مع ذلك، فإنَّ لطفه يحضر على الفور، «**وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**» «الأنعام ١٠٣». عندما يمرُّ أمامك وتعجز عن **رؤيته** «**اِنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ**» «الأعراف ١٤٣»، والذي هو وجودك أنت. تعلَّم من محمد في آخر الزمان: «**من يعرف نفسه يعرف ربه**».

«**تُبْتُ إِلَيْكَ**» «الأعراف١٤٣» مِن أن أسأل أمورًا كهذه. **يُوضِّح هذا كلامه** «**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**» «الأعراف ١٤٣».

بما أنَّ الماء يسمح بالنجاسة فيه ولا يمنعها، فكيف **أمكنه** أن يمنع من هو متعطش **إليه**؟ من الماء ما لا يستسيغ النجاسة ولا أن يتنجس. بالتالي، فإنَّه يمنع أشياء عن نفسه مخافة أن يتنجس. لكن من الماء ما لا يتنجّس حتى لو وضعتَ نجاسة العالم كلِّها فيه. ٧٦٢

٢٣٠

«**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ**» «النور ٦١». إذن، وبما **أنَّه** عذَرَهم، لمَن النصيحة؟ في النتيجة، الكلُّ أعمى وأعرج

بالنسبة **إليه**(232)، **لأنَّه هو** البصير، وهو الذي يمشي معتدلًا. حتى جبريل لا يُجاري مشيته. يقول لجبريل: «هيا!»، فيقول جبريل: «لا أستطيع ذلك، **إذا اقتربتُ شبرًا واحدًا، سأحترق وأُصبح رمادًا**». إنَّ السليم الخالي من أيِّ مرض «**هو**». **لونه** سويّ **وهيئته** سويًّا. إذ أنَّه «**هو**» **نفسه** من يتكلم، و«**هو**» **نفسه** مَن يستمع. إنَّه لا يُكلِّم أحدًا. ما تفسير هذا؟

في جحيمي، الكلُّ عارفون. هذا ما تبدو عليه جحيمي. إنَّه ذاك الذي تشتكي منه جهنم. تقول: «لقد جاءت جهنم!»، تراه جهنم فتقول: «لقد جاءت جهنم!». إنَّ جهنم تدعو بالخير للمؤمن. تقول: «**إعبر، أيُّها المؤمن، فقد أطفأ نورك ناري!**».

تُخبرنا الروايات أنَّ رجلًا عظيمًا زار قبر عزيز له(233). شعر أنَّه قد رحل عن هذه الدنيا محجوبًا. جلس لدى قبره أربعين يومًا حتى اكتمل عمله. ١٨٢

٢٣١

أتى قائد الرياح، يقتاد المتمردين إلى البلاط الملكي. عندما تكون غيوم السماء نائمة على شاطئ المحيط أو على قمم الجبال، لا تنهمر قطرة من مطر في أيِّ مكان. يصِلون لدى الأمر، ويُمطرون.

بالطريقة نفسها، تهبُّ ريح الهوى والشهوة، محرِّكة السوءات، ومرسلة قطرة المني إلى الرحم. من تلك البذرة، تثبت الأوراق التي هي الآذان والفروع التي هي اليدين، على الجسم.

«**مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**» «الأحزاب ٤». إنّ الأمر

عائد بكليَّته إلينا ـ الأمر عائد بكليَّته **إليه**. هاتان العبارتان واحد.

إنَّ **الحق** لا يقول البتة «**أنا الحق**». إنَّ **الحق** لا يقول أبدًا «**سبحاني**». إنَّ «**سبحاني**» هي تعبير عن التعجّب. كيف يُمكن **للحق** أن يتعجّب لأيِّ شيء؟ إذا قال العبد «**سبحان**»، والذي هو تعبير عن التعجب، فذلك صحيح. ١٨٥- ٨٦

٢٣٢

«**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**» «المؤمنون ١١٥». يقول البعض إنَّ هذه شدة، كلا، بل لطف. هذا يعني، «لقد حملتُ مثل مئة حصان، لقد أدرتُ وجهي نحوك، في حين تُشغل نفسك بشيء آخر. تُمسك نفسك، أمَّا أنا فلا أُمسك نفسي. لقد توجّهتُ إليك بالكامل، «**كلِّي**» **مشغول بكلِّك** هو الرد على «**كلِّي**» **موهوب لكلِّك**».

ينتحب أحدهم بصوت عال لدى الباب: «دعوني أدخل الدار لحظة».

يقولون: «نحن بالتأكيد لن ندعك تدخل».

ينتحب آخر: «دعوني أخرج ساعة».

يقولون: «كلا، كيف يُمكن لذلك أن يكون؟».

سيدي، كلٌّ يتحدث عن حاله هو، ثمّ يقول: «أنا أشرح معنى كلام الله». ٢٨١- ٨٢

٢٣٣

«إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ»»الإسراء ٢٧». إنَّ «المبذرين» هم أولئك الذين يضعون حدًا لحياتهم الغالية، التي هي رأس مال النعيم الأبدي، ويقولون: «أعتقد أنَّه لن يكون هناك بعث ولا عقاب».

ألا تأسف على وضع جوهرة كهذه تحت حجر وسحقها؟ على الرغم من أنَّ هناك أدلة تُثبت أنَّ الشمس سوف تختفي؟ أيَّ محل للشك في هذا؟ لكنَّه يرتدي ثياب نومه. لقد أحضروه هنا كي يسعه أن ينام.

لا ريب أنَّ هذه الجوهرة ليست لدى الجميع. وإلَّا، لأظهرَت نفسها أثناء الوعظ، ولتأثر الجميع. إدعوا الجميع! لكنَّ البعض ليس لديهم أرجل. البعض لم يسمع بالأرجل من قبل. إنَّ أرجلهم نائمة. عندما يتأثر الجميع، فسوف يستفيدون بفضل الانسجام. ٦٥١- ٥٢

٢٣٤

ما معنى حوريات(234)، «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ... لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ « «الرحمن ٧٢- ٧٤؟ هيا، إنَّ هكذا حورية هي عالم الله. قال: «هكذا ينبغي أن تحكم عليها».

قلتُ له: «إنَّ الإنس والجن لم يصلوا إليهن». هل يعني هذا أنَّ هذه الخمور لا تصلنا في هذه الدنيا على قدر مستوى كلٍّ من الزنجبيل، السلسبيل(235)، الكافور، والخمر الخالص؟».

إذن، ماذا عن «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» «الإنسان ٧؟ هل ينطبق هذا بصورة عامة؟ يقول هؤلاء الناس(236) أنَّه ينطبق على علي.

إنَّ مناسبة النزول مفهومة من الآية. لعلَّهم يتكلمون عن مناسبة فاترة، فيفترون. ٦٦٧

٢٣٥

«**وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ**» «الضحى ٧». ما معنى هذه الآية؟ «وجدك الله ضائعًا عن الطريق **فبيَّن** لك الطريق». الكلُّ قالوا هذا وحسب. متى **أضاعه** حتى **يجده**؟ هل هو كالراعي الذي فقد عجلًا بالأمس، فراح يركض هنا وهناك حتى وجده؟ على العكس، **وجد محمد نفسه ضالًا، أو أنَّ نفسك وجدت نفسك ضالة، فاهتدت. إنّ الفعل ليس مؤنثًا لأنَّ الجنس يعود «ليس إلى النفس» وإنَّما الى معنى النفس، الذي هو الذات والوجود.** ٦٩٤- ٩٥

٢٣٦

«**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**» «العنكبوت ٦٩». إنَّ هذه تعني ما تقوله فيما لو قرأتها بالمقلوب: **سوف نهديهم سبلنا أولئك الذين جاهدوا فينا**. هذا هو المقصود. إنَّ أولئك الذين يُجاهدون في هذا الطريق قد جاهدوا دون **هدايته**، ثم بيَّن لهم الطريق فجاهدوا بهدايته. وإلَّا، لماذا هناك تكرار لـ «**لنهدينَّهم سبلنا**»؟

أو ربما يكون من لسان الرسول: «**الذين جاهدوا فينا**»، **أي، العباد الذين هم جسدنا الظاهر، «لنهدينَّهم سبلنا» أي سبل أرواحنا وحقيقتنا.** ٢٣٨- ٣٩

٢٣٧

سألوا: «ماذا كانت أسباب نزول «**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**» «الفتح ١»».

قلتُ: «عندما تنزلت آية «**وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**» «الأحقاف ٩» فهموا المعنى الظاهر فقط من «**وما أدري**». راحوا ينتقدون: «إذن، أنت تلتفت إلى مَن لا يعرف ما سيُفعل به أو بقومه» فتنزلَت «**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ**»».

سألوني كيف لهذا أن يُجيب على سؤالهم.

قلتُ: «كان المعنى الضمني للكلام كالتالي: لم تكن «**وَمَا أَدْرِي**» جهلًا ولا حيرة. إنَّما كان المعنى: «لا أعرف أيَّ ثوب شرف سوف يكسوني **الملك**، أو أيَّ مُلك سوف يمنحني».

قالوا: «لكنَّ الحرج باق. عندما لا يدري شخص مثله ما الذي سيُوهب له، فذاك نقصان. علاوة على ذلك، بما أن بعض الأثواب وصلت، فكيف لا تُعرف البقية؟ **فالقليل يشي بالكثير**».

قلتُ: «إنَّ هذا ليس جهلًا. إنَّ هذا للتأكيد على عظمة ولامحدودية الأعطية. إذ **يقول** في موضع آخر، «**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ**» «البلد ١٢»، «**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ**»»الانفطار ١٧». ١٦٧- ٦٨

٢٣٨

ألقى بهلول حجرًا على قارئ للقرآن. قالوا: «لماذا رميته؟».

قال: «لأنّه كان يكذب». بدأت فتنة في المدينة.

استدعى الخليفة بهلول. فأجاب: «أنا أتحدّث عن صوته، ليس عمَّا يقوله».

قال: «ما هذا الكلام؟ كيف يُمكن لصوته أن يكون منفصلًا عمَّا يقول؟».

قال: «لنفترض أنَّك، وأنت الخليفة، تكتب فَرَمَانًا، ينصُّ على أنَّه عندما يسمع العمَّال في منطقة ما الفَرَمَان، يجب أن يأتوا في أقرب وقت ممكن، دون تأخير. سوف يأخذ المُوفد الفَرَمَان إلى هناك، فيقرؤونه. كلَّ يوم يقرؤونه، ولكنَّهم في واقع الأمر، لا يأتون. فهل هم صادقون في القراءة وفي قولهم «**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**» «البقرة ٢٨٥؟» ١٣٠

٢٣٩

قال رسول الله: «**لا تُفضّلوني على يونس بن متى**»، لأنَّه كان له معراج في قاع المحيط في بطن الحوت، وكان لي فوق السماوات السبع. حذار، لا تُفضّلوني في هذا الخصوص!».

لو أنَّ اللقاء مع **الحق** انتمى إلى حيِّز، وأصبح مَعيبًا من خلال الحيِّز، إذن لأصبح **الحق** تبعًا لذلك الحيِّز. ١٨٩

٢٤٠

«**لي لحظة مع الله**» **حيث لا مَلَك مقرب**، أي روحه الشريفة، **ولا نبي مرسل**، أي جسده الشريف، **يسعني**. إذا لم يكونوا مناسبين لذاك المكان، فما الذي يتعداهم؟ مَن يجرؤ على فتح هذا غير ابن التبريزي

هذا؟

هذا ليس مقام **محمد** ولا حاله، إنَّها دعوة. إنَّه يعدُّ هنا أمورًا كثيرة، **لديّ مع الله لحظة**.

أيُّ حال هذا؟ أقول إنَّ هذا ليس حاله. ٧٠١

٢٤١

لديّ لحظة. إنَّ هذه دعوة. وإلَّا فهي حال ينقضي. في ذلك الحال، أين «**لديّ**»؟ أين **مع ـ مَلَك مقرب، نبي مرسل**، ثلاثة أو أربعة أشياء متنوعة!؟ وهذه الكلمات! إنَّ كلَّ ما يدخل في الكلمات هو دعوة.

لكن لا يأس أبدًا. لو بقي نفَسان اثنان، فهناك أمل في النفَس الأول. إصرخ عاليًا في الثاني، وسوف تُتوفى. وفي الأمل هناك آمال كثيرة، وهناك ضحك أكثر، لا يضحك المرء أبدًا من جراء الحزن. إنَّ هذا يتخطى كلَّ الأفراح. لكلٍّ فرحه، الزاهد، العالم، العابد، الولي، والنبي.

في النتيجة، إذا كان سرّ الكلام أبديًا، فإنَّ سرَّ سرِّ الكلام أكثر أبدية. لقد تمّ قطع عنق الصورة حقًا بضربة سيف. الكلام جيد، ولكنَّه استُلَّ من غمده وأصبح يجلب اليأس. **خير الكلام ما قلَّ ودل**. ليس هناك الكثير. إنَّ كلام محمد هو الأفضل. ٦٩٣- ٩٤

٢٤٢

«لديّ لحظة مع الله» حيث لا مَلَك مقرَّب ولا نبي مرسل يسعني.

في الطريق قلتُ بعض الكلام. راح ذلك الأرمني يقول: «سعيد ومحظوظ مَن يصحبك كلَّ يوم».

أمَّا الكافر الآخر فكان يقول: «إنَّ ما تقوله هو أنَّنا وجميع الناس أبقار، وحمير، وبهائم!».

كان ذاك من جنس **إنَّ الله جعل الحق على لسان عمر.** ١٤٧- ٤٨

٢٤٣

خاط أحدهم للنبي زوج أحذية جميل، فسعد به. قال: «لقد خطتَه على نحو جميل! لقد أحسنتَ خياطته!».

لم يسكت الرجل. قال: «لقد خطتُ أفضل منه، يا رسول الله، وأنا أستطيع أن أفعل ذلك ثانية!».

قال: «إذن، لمَن تحتفظ بالزوج الأفضل؟ إذا لم تخطه لي، فلمن خطته؟». ٦٦٤

٢٤٤

أبقِ نفسك غضًا بحيث لا تستحقُّ أن تُخاطب بـ **«زُر غبًّا»**. إذا كنتَ تسمع هذا الخطاب من لسان الحال، فادخل في خلوة وانتحب بقلبك: «أعني، ما الذي دهاني، وما الذي حدث حتى أُخاطب بهذا الكلام؟ إنَّ هذا الكلام ليس لأبي بكر، ولا للصحابة الآخرين. «اِذرف هذه الدموع إلى أن تجد طعمًا ويسرًا. **«زُر غبًّا»**، اِذهب، لأنَّك لا تملك النظرة، ولأنَّ ما لديك بالفعل سوف يتضرر إن كنتَ ترى بعد الآن».

كانت المناسبة هذا: اعتاد أن يأخذ حذاء **محمد** ويضعه على عينيه ورأسه. هذه المرة، قوَم صندله على قدميه. لم يقُل أحد هذا، هذا سر، وأنا أقوله.

قال: «حسنًا! في البداية، وضعتَه على رأسك وعينيك. وأنا نفسي شكوتُ للربّ:» هل هان حذائي إلى درجة أن بلغ رأسه وعينيه؟».

"هل أصبحتَ الآن باليًا بحيث أبدو لك باليًا؟ لا تنظر إلي كما لو أنَّني فاقد للنضارة».

كان الغرض من «**زُر غبًّا**» هو ما عناه: «اِنظُر إليَّ النظرة التي ينظر بها إلي الجاهل بعد بَون. يجب أن تراني نضرًا وجديدًا، لأنَّني لم أُصبح باليًا بأيِّ حال من الأحوال، لا تُمسي باليًا أنت. إذا ما شاب نظرك شيء بال، تراجع: «أتساءل لماذا هذا؟ هل جلستُ مع أهل الهوى؟ ما الذي حدث؟».

"ألقِ الخطأ على نفسك، لأنَّ «**زُر غبًّا**» تعني اذهب بسرعة، وانظُر إلي حقيقة. جدد لهيبك. أنا نضر. أيِّد نفسك، لأنَّني مؤيَّد. إذا كنتَ تُريد أن تُؤيِّدني، فلأنَّك تفتقر إلى الثبات. كيف يُمكنني أن أُصبح ثابتًا من خلال تأييدك؟ هل أنت قوي في التأييد؟ لقد قلتَ لي أنَك أيَّدتني. تقف الملائكة على أقدامها وتقول: 'أطال الله عمرك!'

"كيف يليق أن نقول إلى **وجود الله** أنَّ الله موجود؟ يجب أن تحظى بوجود. سوف تُثني الملائكة عليك طوال الليل، لقد قوَّمتَ وجود الله!

(237)

سعيدٌ من رآني، وسعيد من رأى من رآني! لو قلتها مئة مرة، ستكون هي ذاتها: «كلَّما رآني أحدهم، فقد رأيته، وهو مثلي». قيل

هذا الكلام من قِبل قائل الكلام. إنَّه ينظر ليرى إن كانوا قد فهموها، فهو يتحدث على نحو مخادع. إنّ الأخير هو ذلك وحسب، والأول هو ذلك وحسب. بالضرورة، كلُّ من يشرب يشمل ـ ما لم يسكب ذلك من تحت كمه، أو يتمتع ببنية قوية. إذا كنتَ فهمتَ هذه الكلمات، فقد خبَت وانمحقت. ٦٨٨- ٨٩

٢٤٥

صوفي، طالب، جاهد لسنوات عديدة. خدم الشيوخ وغيرهم، كلُّ ذلك على أمل واحد. إلَا أنَّ اللحظة لم تحِن بعد.

حتى الوقت الموعود، مهما كان العمل،

لن تكسب شيئًا، أيَ كان الرفيق.

بعد أن حلَّت به الشيخوخة واليأس، خرج إلى المقبرة وتذكَّر آماله. ناح كثيرًا. وضع طوبة تحت رأسه ونام. خلال تلك الغفوة، تمَّ عمله ونال غايته. وقف ووضع الطوبة على رأسه ووجهه، وأخذها معه أنَّى ذهب إلى مأدبة، مسجد، مرحاض، حمام، ترفيه، رقص سما، السوق. أبقى هذا الرجل العاجز والضعيف الطوبة تحت ذراعه كلَّ يوم. سألوه: «لماذا لا تضعها جانبًا؟".

قال: «في القبر هذه وسادتي كذلك، لأنَني فقدتُ شيئًا لفترة طويلة. كنتُ أُصبح يائسًا، وأُمسي متفائلًا، ثمَّ يائسًا مرة أخرى، وهكذا ألف ألف مرة. ذات يوم وضعتُ رأسي على هذه الطوبة، ووجدتُ ما فقدتُ».

قال النبي: «**عندما يُنعم على أحدهم بشيء ما، فليتمسّك به**».

قد يعترضون ويقولون: «كيف ينبغي أن نتدبر «**زُر غبًّا**»، إلى جانب «**فليتمسّك به**؟».

أقول: قيل ذلك في حالة أبي هريرة وآخرين، والذين اكتسبوا فظاظة من نوع معين من خلال الرفقة، وشعروا بالتخمة. لم يكن ليقول ذلك أبدًا في حق أبي بكر. حتى أنّه لم يكن يأذن له بالخروج للغزوات، خشية أن يغيب عن الرسول وينشغل بالغزوة.

ذات يوم في إحدى المعارك اندفع محارب إلى الميدان، فابتعد الصحابة، ولم يتصدَ له أحد. سألوا: «كيف هذا السلوك من المنكرين ذواتهم أصحاب «**كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**» «الصف٤ «، المضحِّين أصحاب «**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ**» «**البقرة ٩٤**»، أولئك الذين يطلبون الموت كما يطلب الشاعر القافية، وكما يطلب المريض الصحة، والمسجون الحرية، والأطفال يوم الجمعة، لماذا هذا الإدبار والإحجام ومِمَن؟».

قالوا: «ليس خوفًا على حياة. إلَّا أنَّ ذلك المحارب الذي كرَّ إلى الميدان هو نور عيني أبي بكر الصديق(238) وابنه. يخجل الصحابة من التقدم».

تناهى الكلام إلى سمع أبي بكر الصديق، الذي كان في الهودج مع الرسول. سأل: «لِمَ كلُّ هذه الجلبة؟».

قالوا: «إنَّ الذي هاجم هو ابنك».

اعتلى دابته على الفور وخرج إلى ميدان «**إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ**» «الأنفال

٤٨». عندما رأى الابن وجه والده، عاد، فعاد الصدِّيق هو الآخر.

وضع الرسول يده الشريفة على كتف الصدِّيق وقال: «صُن نفسك من أجلنا، أيُّها الصدِّيق». بعبارة أُخرى، «لا قيمة لنفسك بالنسبة إليك، ولكن بالنسبة إلينا فلها قيمة عظيمة، من أجلنا حافظ عليها. لا تذهب إلى القتال، لا تخرج في الغزوات، وتشبث برفقتنا».

كيف يُمكن أن يقول له: «**زُر غبًّا**»؟

كان الغزو واجبًا على المؤمنين الآخرين، وكان من أسمى الطاعات، ولكن بالنسبة إلى الصدِّيق كان بمثابة مخالفة. إنّ **حسنات الأبرار سيئات المقربين**. ١٥٨- ٦٠

٢٤٦

"كدُّ يمين وعرق جبين» يعني طعام الروح. «**كُل من كد يمينك وعرق جبينك**»، أي، من طعام روحك أنت.

كيف لهم أن يعرفوا معنى القرآن والحديث؟ بالنسبة إليهم يضع القرآن مئة حجاب(239). «**لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**» «الواقعة ٧٩»، قلة قليلة. لماذا يُزيل جمال القرآن عنه حجابه؟

إنَّ الإتباع هو ما أشرحه، ولكنَّه لا يعرف ذلك. يُحدِّث نفسه: «أتساءل ما هو هذا الإتباع؟» إنَّ الإتباع ماثلٌ أمامه، منفتح تمامًا أمامه، لكنَّه لا يرى الإتباع.

كان موسى نبيًا، لا أسأل عن الفرق بين النبي والرسول، بخلاف

الفارق الذي يقوله أهل الصورة، وهو أنَّ الرسول هو الذي لديه كتاب. كما لا أسأل عن الفارق بين الرسول و أولو العزم(240)، والذي أصبح به أهل المعنى الظاهر متعجرفين. أنا أتحدث عن الإتباع.

إنَّه مندهش، أين ذهب صوابه؟ جاء الإتباع إلى باب داره، وهو لا يعلم. أعطاه موسى وعاء وقال: «اِذهب، واحضِر بعض الماء(241)».

عندما ذهب موسى إلى الخضر، لم يرَ الإتباع. أمَّا **محمد** فقد عرف الإتباع. عندما رأى محمد ذلك الدرويش، رمقه بتلك النظرة اللازمة والمناسبة وتحدّث بكلام لائق. ١٩٧- ٩٨

٢٤٧

ذات يوم جاء بعض الصحابة لرؤية الرسول. قالوا: «هناك شخص هنا لا يُخالط الكافرين ولا المسلمين. لا نرى عليه سمات المجانين، ولا نراه يطلب نصيبه كالعقلاء». ثمّ راحَت مجموعة أُخرى تصفه.

رقَّ **المُعلّم** تجاهه. قال: «عندما ترونه هذه المرة، بلغوه تحياتي، وأخبروه أنَّني متشوق لرؤيته، ولكن لا تدْعوه، ولا تزعجوه أكثر من ذلك».

عندما جاءوا، في البداية لم يفسح لهم المجال لتحيته. بعد وقت أعطاهم الفرصة وأولاهم اهتمامًا. أبلغوه تحيات **محمد** إليه وشوق الرسول. ظل صامتًا، ولم يجرؤوا على تكرار ما قالوه، لأنَّ النبي قد أوصاهم بعدم إزعاجه أكثر من ذلك. بعد وقت، وجدوا أنَّه قد ذهب لزيارة محمد، ومكث حتى وقت متأخر. كان رسول الله صامتًا، وكان ذاك صامتًا. وقف محمد له باحترام، عندما أتى وعندما غادر. قال:

«لقد أُسبغ عليك بوفرة» – لقد انهمر عليك فيض هائل.

هذه هي مدرستنا - هذه الجدران الأربعة للجسد. الأستاذ عظيم، ولن أقول مَن هو. القلب هو المُعلّم. **حدِّثني قلبي عن ربي**. (٦٤-٢٦٣

٢٤٨

«من أكل مع مغفورٍ له، غُفر له». إنَّ المقصود من هذا **الأكل** ليس تناول الخبز، وليس تناول الطعام. إنَّه أكل طعام الآخرة. فيما يخصُّ الشهداء الذين قُطعَت حناجرهم فيقول: «**يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ**». «آل عمران ١٦٩- ٧٠». ما أن يتمُّ كبح النفس الأمارة بالسوء، حتى يُصبح شهيدًا ومجاهدًا مسبقًا في هذه الحياة. عندما يأكل أيٌّ كان من ذاك الطعام مع مَن غُفر له، **يُغفر له**. وإلَّا، فقد تناول ألف منافق ويهودي الطعام مع **محمد**.

قال: «لكنَّهم لم يؤمنوا أنَّه قد غُفر له».

قلتُ: «سوف يصحُّ الإيمان بالمغفرة **لمحمد**، عندما يأكل المرء معه من القِدر نفسه. هذا هو ثواب الإيمان وعلامة الإيمان الصحيح». ٣١٨- ١٩

٢٤٩

قال: «إنَّ معنى إبليس ليس حادثًا، على الرغم من أنَّ صورته هي حادث حقًّا».

قال أحدهم: «ذاك كفر».

قال: «كلا، إنَّه ليس كفرًا، بل إسلام، لأنَّني عندما أقول أنَّ معنى إبليس أبدي، أعني أنَّ وجوده كان في علم الله».

قال: «لم يكن وجوده في علم الله، إنَّما كان في علم الله أنَّه سوف يأتي إلى الوجود».

قال: «على أيِّ حال، فإنَّ معنى إبليس يسبق صورته، تماما كما أنَّ أرواح البشر سابقة لصورها. **الأرواح جنود مجنَّدة**. يقول الله: «**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ**»(242) «الأعراف ١٧٢». حدث هذا قبل الأطر الجسدية».

قال **محمد** كذلك إنَّ إبليس يجري في عروق البشر(243). إنَّه يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق. لا ريب أنَّ تلك الصورة القبيحة التي يرسمونها بقبعة طويلة(244)، قائلين: «هذا إبليس»، لا تجري في عروق بني آدم.

يدخل إبليس في عروق بني آدم، ولكنَّه لا يدخل في كلام الدرويش. في النتيجة، فإنَّ المتكلم ليس الدرويش، فالدرويش قد فني، واندثر. إنّ الكلام يأتي من تلك الجهة.

بالطريقة نفسها، تقوم بتحويل جلد الماعز إلى مزمار قربة(245)، تضعه على فمك، وتنفخ فيه. أيَّ كان الصوت الذي يخرج فهو صوتك، وليس صوت الماعز، على الرغم من أنَّه يخرج من جلد الماعز، إلا أنّ الماعز قد انمحقت. إنَّ المعنى الذي كان يدفع بالماعز لإصدار الأصوات قد انمحق. كذلك أيضًا، عندما تضرب على جلد الطبل، يُصدر صوتًا، ولكن لو أنَّك ضربت جلده عندما كان الحيوان

على قيد الحياة، ، هل كان ذاك الصوت ليصدر؟

الرجل الذكي يعرف

الفارق بين هذا الصوت وذاك.

كان من الضروري تقديم هذا المثال لأنَّ الذي يتكلم من الدرويش المثالي هو الله. إذن كيف يُمكن لأيِّ أحد أن يعترض على كلام الدرويش؟

قال: «إنَّ عدم سماع السؤال، والانزعاج من السؤال، نقصان».

قلتُ: «إنَّ كلَّ مَن يتمتع بفهم سليم يعلم أنَّ هذا كمال، فلا نقصان يليق بجناب الله. يأتي النقصان من نفاذ صبره. ألستَ هكذا بسبب نفاذ صبرك؟ عندما يتأنى أحدهم، فسيأتي الجواب، وجواب المتكلم. حتى إن كنتَ لا تسمع الجواب، وحتى لو كان الجواب لا يأتي، فإنَّ المعنى يأتي. عندما تُصبح نعمة الصبر قوة للمستمع، وعندما يُساعد علم آخر علمك: «حتى الآن، كان يُعطي إجابة واحدة على الإشكال، لكن بعد هذا، سوف يأتي بمئة جواب»، ثمّ يسير المجلس على ما يُرام. في ذهنه أنَّه سوف يُخيَّل للدرويش أنَّ المجلس قد سار على ما يُرام، وأنَّه قد تمَّ على أحسن وجه، وأنَّه سوف يكون ميَّالًا إلى القدوم ثانية إلى ذلك المجلس . ذاك الميل سوف يُؤدّي له أشياء كثيرة، فيجني ثمارًا مختلفة».

في النتيجة، لم يتمّ تعليم الدرويش في هذه الجهة. إنَّما تمَّ تعليمه من تلك الجهة. بفضل الله، يتساقط تعليم تلك الجهة إلى هذه الجهة. كيف لك أن تعترض عليه بروايات هذه الجهة؟

قال: «**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**» «الأنعام ١٠٣» قنوط».

قال: «**وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**» «أمل تام. عندما استقبلَت حقيقة الرؤية موسى(246) وتملَّكت بحيث أصبح مستغرقًا تمامًا في الرؤية قال: «**أَرِنِي**» «الأعراف ١٤٣». أجاب: «**لَن تَرَانِي**» «الأعراف ١٤٣». بعبارة أُخرى، إذا كنتَ تُريد أن ترى هكذا، فلن ترى أبدًا. هذا للتأكيد على الإنكار والتعجب: «بما أنَّك غارق في الرؤية، كيف يُمكنك أن تقول: «أرني أنظر»؟»، إذا لم يكن كذلك، كيف يُمكننا أن نفترض أنَّ موسى كان حبيب الله وكليمه؟ فقد ذُكر في معظم القرآن، **عندما يُحبّ أحدهم أمرًا، يذكره دائمًا**».

«**ولَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ**» «الأعراف ١٤٣». ذاك الجبل هو ذات موسى نفسها. يُسمّيها «جبلًا» لعظمتها واستقرارها وثباتها. بعبارة أُخرى: «اِنظُر في نفسك وسوف تراني». هذا قريب من «**مَن يعرف نفسه يعرف ربه**». عندما نظر في نفسه، رآه.

«**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ**" «الأعراف ١٤٣». حينها تفتت نفسه، الذي كانت مثل جبل، إلى تراب. وإلَّا فكيف تعتبر أنَّه من الجائز أن يرفض دعاء موسى، الذي كان كليمه، ويتجلّى لجماد؟

بعد ذلك، قال: «**تُبْتُ إِلَيْكَ**» «الأعراف ١٤٣». بعبارة أُخرى، «لقد تبتُ» من ذنب الغرق في الرؤية، ومن ثمَّ طلب الرؤية. ١٧٣- ٧٥

٢٥٠

لقد أصبح هؤلاء الناس مشوشين حول حقيقة إبليس. إذا كان إبليس هو تلك الصورة، فكيف يُمكن أن يصحَّ **أنَّه يجري من ابن آدم**

مجرى الدم في العروق؟ إذن، فهو مرتبط بالمعنى، وهناك معنى آخر يُقاومه. على سبيل المثال، يغشاك غضب، ومن بعده يغشاك يُسر. الأول مرتبط بالمعنى، والثاني أكثر من ذلك بكثير. عندما يكون له الأسبقية، اِعلم أنَّ الرحمة أسبق(247).

إنَّه يتحدّث فلسفة وفكرًا وبلذَّة، **ولكن مع الله ثمَّة فلسفة ألذُّ بكثير من هذه الفلسفة.**

بذات الله الطاهرة! ما قالوه، أنَّه يجب أن يكون له شيخ، وينبغي ألَّا يتكرر هذا الكلام. لديهم تأويل، إنَّهم ليسوا مثل «**أنا الحق**» في كونه دون تأويل.

هنا ثمَّة شك، لأنَّه، عندما قال «**أنا**»، كيف يُمكن أن يكون هناك الله؟ وعندما يكون هناك الله، فإنَّ قول «أنا» عارٍ ومخز بصورة رهيبة. ٧٦٢- ٦٣

٢٥١

ذات يوم كنت أتحدث بالإشارة عن معنى هذه الآية: **هُذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»(248) «القصص ١٥». قلتُ: «يقول رسول الله: «**إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»، ولذلك، فإنَّ هذا الشيطان ليس على صورة التركماني ذي القبعة الطويلة التي يرسمون. عندما دخل الغضب موسى وقام بلكم المصري، ذلك كان غضب الشيطان».

أنا محشورٌ في ابن جلال ورقاني(249): «في الحقيقة إذن، ما هو هذا الشيطان، سوى ما شرحتُه فيما يخصُّ قتل المصري؟».

قال: «إنَّ ما تقوله جيد، ولكن يجب أن تقبل أيضًا صورة الشيطان التي أتحدّث عنها، فأنا أجعله جليًّا. إنَّ ما تقوله قد أُعطي لهم جميعًا. **محمد** آخرهم، لأنَّك تعترف أنَّ كلَّ العلوم المتصلة بأصل الدين كانت معروفة لمحمد، وأنت تقول أنَّ **محمد** حازها جميعًا». ظلَّ يُكرر أنَّه كان جيدًا، ولكنَّه أُعطي لهم جميعًا. ٢١٤- ١٥

٢٥٢

كان آدم نسيًّا. قال: «**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا**» «الأعراف٢٣ «. لم يعُد يتكلّم ولم يكن يشغل نفسه بأيِّ كلام آخر. راح إبليس يقول: «**أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ**» «ص ٧٦(250). يعرف ابن الخليفة **أنَّه** يريد أعذارًا للإنصاف، إلَّا أنَّ ذاك العذر كان أقبح من الذنب. لقد جحد الخالق، تعالى هو. «ألا تعلم أنَّني أعلم منك؟».

«**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**»(251) «ص٨٢». إنَّ الأنبياء والأولياء والشيوخ العظماء مشمولون في هذا. إنَّه لن يتخلّى عن فعله. متى سيُنفّذ فعلته؟

لقد وضع **عنايته** في جانب ووضعه في الجانب الآخر. أراد أن يرى ماذا هو فاعل. «تستطيع صدَّه عني، ولكن كيف **ستصدني** عنه؟». ٦٣٩- ٤٠

٢٥٣

إنَّ قومًا كهؤلاء، مجتمعًا كهذا، في حاجة إلى رجل صارم وحازم كي يأخذ بيدهم إلى الصلاح ـ شخص مثل محمد، أو مثل علي، الذي كان مُبارزًا بالسيف.

ذات يوم راح **محمد** يسأل كلَّ صحابي من الصحابة على حدى، عن طبيعته وميوله: هل يميل إلى الحرب، أم إلى الصلح؟ هل يميل إلى الرفق، أم إلى الشدة؟ هل السبب في ميله إلى الصلح هو رهافة قلبه، حُبّ النفس، وتوخّي السلامة. أمَّ أنَّ السبب هو الرغبة فيما هو خير أو المروءة. الصبر، والحلم؟

طلب بعض الأمور من أبي بكر. ورأى أنَّه لم يكن مُبارزًا، بسبب الرأفة المفرطة والرحمة.

كان كلُّ واحد منهم متصفًا بصفة من صفات **محمد**.

سألهم الواحد تلو الآخر: «إذا كنتَ الخليفة من بعدي، ماذا ستفعل؟».

ثمّ سأل عمر. فقال: «سأكون عادلًا، سأكون منصفًا».

قال: «أنت تقول الصدق، إنَّه يقطر منك»، فهو قد يقتل ابنه ليُطبّق عليه عقوبة الزنا، ويُغلق باب الفساد، وقد يقتل والده لانتقاده **محمد**.

سأل أبو بكر: «ماذا ستفعل؟".

قال: «قدر استطاعتي سوف أبقي الستار مسدولًا وأتظاهر بعدم سماع وعدم رؤية شيء».

قال: «أنت تقول الصدق، فهذا بادٍ عليك». ٦١٦- ١٧

٢٥٤

من ضربة سوط عمر، اعتادت الأرض أن تُعيد الحليب، وخوفًا منه، تحوّل الخمر إلى خل. قال: «ماذا الذي في يدك؟».

قال الرجل: «خل».

إن كانت الشمس تُؤذي كتفه، كان لينظر إلى الشمس بغمزة، فتُظلم الشمس. أقرُّ بهذا. إذا كان الفيلسوف لا يقرُّ به، ماذا عساي أفعل؟

ذات يوم دخل عمر إلى المسجد. رأى أنَّ **محمدًا** يتكلّم مع أحدهم بصوت خافت، ولم يجد فرصة، لأنَّ دواخله المباركة منعته من الاقتراب. كان يُفكّر: «كيف لا أكون أنا المُؤتمن على هذا الحديث؟".

كان الرسول على بينة من أفكاره، لأنه «**نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**»(252) «التحريم ٣». قال: «يا عمر، هل سمعتَ شيئًا ممَّا قلتُه لذاك الصحابي؟ هل فهمتَ شيئًا؟».

قال: «كلا، يا رسول الله. فقط رأيتُ شفتيك المباركتين تتحركان».

قال: «لقد رأيتَ الكثير، رُبّما خمّنتَ من أشكال الحروف».

شعر عمر بالإحراج الشديد. ٢١٩

حتى لو بعد ألف

سنة، سوف تصل هذه الكلمات

إلى أولئك المقصودين بها.

---

(216) بالطبع أنا أُحبّه وأُحبّ صوته. قارن المثنوي 11774 ff, حيث يبدأ المقطع بالبيت الشعري «انتحبَ لأنَّ النحيب **يجعله** سعيدًا، إنَّه يُريد أن ينتحب العالمين ويحزنوا».

(217) «ابن مسعود». على ما يبدو إشارة إلى مقولته: «لو علمتم ما أعلم، لحثيتم التراب على رأسي». «أبو نعيم, حلية ١:١٢٣».

(218) عاشوراء. اليوم العاشر من شهر محرّم. اعتاد الرسول صوم العشر الأول من الشهر.

(219) للاطلاع على إعادة سرد لقاء «موسى» و«الخضر» من قِبل شمس، اِنظُر ٢- ١٣٣.

(220) يُوحى إليه. في القرآن «**يُوحَى إِلَيَّ**» «سورة الكهف ١١٠, سورة فصلت٦».

(221) *قد استوى بشر على العراق*. تُعد قصيدة «الأخطل» مثالًا معياريًّا قدمه علماء الأصول والمعاجم «مثال, قاموس «لين» عربي-انجليزي, تحت كلمة Lexicon أي «استواء». تمَّ تعيين بشر «توفي٦٦٣» حاكمًا على «العراق» من قِبل أخيه الخليفة الأموي «عبد الملك بن مروان».

(222) بلا كيف. رفض علماء الأصول «الأشاعرة» تأويل نصوص معيّنة, متمسكين بأنَّها يجب أن تُقبل في العقيدة دون سؤال عن الكيفية. لم تكن الأشكال الأُخرى من علم الأصول تمنع بالقدر نفسه, من الواضح أنَّ «شمسًا» لم يكن منبهرًا

بموقف «الأشاعرة».

(223) تفسير «طه». هذان الحرفان اللذان يبدأ بهما الجزء العشرين من القرآن، قد فسّرا عدة تفسيرات, قدّم شمس عينة منها. من أجل معظم تلك «التفسيرات الظاهرة» وغيرها, إنظُر «ميبودي» 96-6:97, 109-10.

(224) وقف طويلًا. الترجمة الفارسية للحديث, «حتى تفطّرَت قدماه ...».

(225) تفكير وتصور وتخيّل. يحتوي النص الفارسي على «مفكِّرة ومصوّرة ومخيّلة», وهي مصطلحات فنية مستمدة من الفلسفة الإسلامية. هذه ثلاث من الحواس الداخلية الثلاث «غالبًا، ولكن ليس دائمًا تُعد خمس حواس).

(226) **لولاك**. إشارة إلى الحديث القدسي المزعوم، «لولاك, ما خُلقت الأفلاك».

(227) العرش هو قلب محمد. كثيرًا ما يتدارس «ابن عربي» وآخرون قلب الإنسان باعتباره **عرش** الله «SPK 107», وأحيانًا يُشار إلى حديث من أجل دعم ذلك.

(228) وضع قطعة خبز في كمّه. قارن ١٨,١, ١٢٧,٣, ١٣٢.

(229) أحديون. يفترض أنَّ الأحديين هم من أمثال «الحلاج» الذي ترك, حسب تفسير شمس, إتباع «محمد» من خلال إعلان اتحاده مع الله. إنَّ استخدامه لتعبير «أحديين» هنا ليس خلافًا لاستخدامه اللاحق لتعبير «**وحدة الوجود**», الذي كان موظفًا لانتقاد أولئك من أمثال ابن عربي ممَّن قيل أنَّهم يُعلنون «**الكلّ هو**».

(230) أراد أحدهم أن يطير فوق الكعبة. يُخبرنا ابن عربي مرارًا وتكرارًا أنَّ العارفين والأولياء يتجنّبون عن عمد الإتيان بمعجزات, على الرغم من امتلاكهم القدرة على فعل ذلك" SDG, 268, 267, 265,313, SPK ٣٨٢-٨٣».

(231) لن تراني. هذه هي كلمات الله إلى «موسى» عندما طلب منه الرؤية. إنظُر الملاحظة حول ٢- ١٤.

(232) فالكلُّ أعمى وأعرج. يكاد شمس يقتبس من ابن عربي الذي كتب: «ذلك الذي تُصيبه آفة ما، ليس فيه عيب, فالخلائق كلُّهم قد أصابتهم آفة, وبالتالي لا عيب في وجهة نظر مَن فتح الله بصيرته. لهذا نقول إنَّ مصير الكون النهائي هو أن تشملهم الرحمة, حتى وإن اتخذوا مستقرًا في النار وبين أهلها. «**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**» «سورة النور ٦١». ولا يُوجد سوى هؤلاء... فالكون كلُّه أعمى، أعرج, مريض». الفتوحات «IV 434,34; cf. SPK 347».

(233) تُخبرنا الروايات أنَّ رجلًا عظيمًا. رُبّما إشارة إلى «أبي يزيد» كما ذُكر في ٢.٢٠٧.

(234) الحور, وما إلى ذلك. يُذكّرنا التفسير بذلك الذي قدمه والد الرومي بهاء ولد في كتابه»**معارف**». صحيح أنَّ «الحور, القصور, الجنان, العيون, الزنجبيل» تشتمل على أحوال النظر إلى الله. في كلّ مرّة تنظر فيها تجد طعمًا مختلفًا». «التصوف ٩٩».

(235) سلسبيل. عين في الجنة مذكورة في القرآن «سورة الإنسان ١٨». تُشير الكلمة إلى سهولة التدفّق وسهولة الشرب.

(236) هؤلاء الناس. يقصد شمس مفسري القرآن. يستشهد «ميبودي», على سبيل المثال، وهو من تيار التفسير السني، بتقرير مطوّل عن «ابن عباس» حول «علي» و»فاطمة» والذي يُفسّر مناسبة نزول هذه الآية «ميبودي ١٠:٣١٩-١٢».

(237) سوف تُثني الملائكة عليك طوال الليل. يبدو هذا المقطع غير مكتمل. يقتبس الرومي من شمس بتأثير مماثل في Fih ٩٢ «Arb ١٠٣-٤» , ملتقطًا على نحو رائع اللهجة الساخرة:

قال أحدهم في حضور مولانا شمس الدين التبريزي: « لقد برهنتُ على وجود الله بدليل لا جدال فيه!».

في الصباح التالي قال مولانا شمس الدين التبريزي»: «بالأمس حضرَت الملائكة وكانت تدعو لذلك الرجل» الحمد لله! لقد برهن على إلهنا! أطال الله عمره إذ لم يُقصّر في خدمة الخلق!».

«غبي! إنَّ الله مثبت، ولا يحتاج دليلًا على وجوده, إذا أردتَ أن تفعل شيئًا ما، برهن على نفسك في مستوى ومقام أمامه. وإلّا فهو قائم دون إثبات. «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» «سورة الإسراء ٤٤»».

(238) أبو بكر الصديق. من أجل رواية مختصرة من قصته من السيرة الذاتية التقليدية للرسول. اِنظُر Lings, **محمد** ١٨٤.

(239) حجب القرآن. قارن وصف «الرومي» للقرآن بالعروس المحجبة (Rh 229/ Arb 37-236; SPL 273)..

(240) الرسول وأولي عزم. من أجل تفسير نموذجي حول أنواع الرسل, اِنظُر «موراتا», **الرؤية** ١٣٣-٤٣.

(241) أعطاه موسى وعاء. في إشارة إلى قصة مجيء الله إلى باب «موسى» كما ورد في ٣- ١٤٣.

(242) ألست بربكم؟ تَعدُّ هذه الآية مصدر تعبير «ميثاق ألستُ»، حيث قام الله بصفّ آدم وجميع أبنائه قبل الدخول إلى هذه الدنيا وأعلمهم بمنزلته باعتباره ربهم. فعل ذلك حتى لا يقدروا على الاعتراض يوم البعث, «**إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**» «سورة الأعراف ١٧٢». لآراء الرومي حول «ألستُ»، اِنظُر SPL 72-68 وفي عدة مواضع.

(243) يجري الشيطان في العروق. إشارة إلى الحديث, «يجري الشيطان من ابن

آدم. . .».

(244) قبعة طويلة. كما يتضح في ٢- ٢٥١, كان هذا وصفًا عامًا للشيطان, مثل الرجل الأحمر ذي القرون والذيل عندنا.

(245) مزمار قربة. أتى «الرومي» على ذكر هذه الآلة أحيانًا «D vs. 16830, SPL 272».

(246) موسى. في طلبه الرؤية . إنظُر الملاحظة في ٢- ١٤.

(247) الرحمة أسبق. إشارة إلى الحديث, «رحمتي سبقَت غضبي».

(248) هذا من عمل الشيطان. يستشهد القرآن بكلمات «موسى» هذه، بعدما صرع مصريًّا وقتله دفاعًا عن صديقه اليهودي.

(249) ابن جلال الورقاني. لا بُدّ وأنَّه شهاب الدين الذي ذُكر في ٢- ١٧٥، على الرغم من أنَّ شمس انتقده هنا, ولكنَّه كتب أيضًا: «ابن «الورقاني» هذا, والذي كان قاضيًا، لم يفهم الحاسدون كلامه». لقد انتقدوه قائلين: «إنَّه واعظ, ما الذي يعرفه؟». ينبثق الظلم من الحسد». مقالات ٢٩٥.

(250) آدم وإبليس. كثيرًا ما يُفسّر الرومي الفارق بين الاثنين في ضوء هذه الآيات القرآنية. إنظُر SPL٨٤-٨٥.

(251) فبعزّتك. هذه كلمات إبليس وهو يُخبر الله أنَّه سوف يُغوي الجميع ، من أجل القصة القرآنية, انظر «موراتا» , **الرؤية** ١٣٩-٤٢.

(252) نبّأني. وضع القرآن هذه الكلمات على لسان **محمد** ردًا على إحدى زوجاته عندما سألته كيف علِم أحد أسرارها.

عهدي بمولانا



لقاؤنا

١

كنتُ أتضرّع إلى **حضرة الحق**: «اِسمح لي أن أُخالط عبادك الأولياء وأُصاحبهم». قيل لي في المنام: «سأجعلك صاحب عبد صالح واحد».

حدّثتُ نفسي: «أين هو ذلك الولي؟».

في الليلة التالية قيل لي: «إنَّه في الأناضول». عندما رأيتُه أخيرًا بعد زمن طويل، قيل لي: «لم يحِن الوقت بعد». **الأمور رهن بأوقاتها**.

٦٠- ٧٥٩

٢

هذا هو مَثَل حال المطلوب الأوحد الذي ليس له أَمارة في الدنيا(253). إنَّ كلُّ أَمارة هي أَمارة الطالب، وليست أَمارة المطلوب. كلُّه خطاب الطالب. لا شيء يُصبح جليًا إلَّا من خلال الطلَّاب. عندما يُحدّق الطالب في جبين أحدهم، فإنَّه يعرف بنور سعيه هو فيما إذا كان ذاك الشخص شقي أم سعيد.

لقد جاء الطالب كي يُجيل النظر ويرى إن كان هناك أيُّ طلاب يتصفون بكونهم مطلوبين، ومن يلحظون الطلاب، ومن هم مرتبكون وحائرون. سوف يقول إنَّ هذه هي الجوهرة الفريدة من نوعها. «أنا المطلوب، لقد جئتَ إلى الدنيا كي أبحث في الأرجاء».

يقولون: «نحن مرتاحون، والآن سوف نستقرّ".

يقول: «أيُّ مكان هذا للاستقرار؟".

يقولون: «فلنذهب».

يقول: «دعونا أولًا نُجيل النظر بضعة أيام».

الآن، بنوري، سوف نُجيل النظر كلَّ يوم.

عندما يكون الصديق في متناول اليد، هل لا يزال أحد يقول «طالب»؟ إنّ الطالب يغلي وينطق بسرعة مثل عيسى(254).

بعد أربعين عامًا، المطلوب! المطلوب لستة عشر عامًا يُحدّق في وجه الصديق، بعد خمسة عشر عامًا وجده الطالب أهلًا للحديث. ٧٦٣

٣

في الدنيا بأكملها، تنتمي الكلمات فقط إلى الطلاب(255). أيُّ أَمارة هي للمطلوب؟ أنا سمعتُ: هل سمعتَ جدال ذاك المطلوب الأوحد مع الله حين عزم على خلق الدنيا؟

"في النتيجة، إلى أين أنت ذاهب، يا عزيزي؟».

بعد الجدال، حسنًا، ماذا يسعني أن أقول؟ «الله معك» ـ ليس من قبيل الوداع، وإنَّما من قبيل العناية واللطف.

قفي، يا ناقتي- الفرح اكتمل،

لقد حان الوقت، انتهَت الرحلة.

أصبحَت الأرض كالجنة في جمالها،

لقد أقبل الاحتفال، الأمور في نصابها. ٧٦٤

٤

حسنًا، لا ريب أنَّ في الدنيا هناك مقصود وهناك مطلوب. هناك شخص من أجله نُصبت هذه الخيمة، والباقي هم تابعوه وخدمه. إنَّ البناء هو من أجله، وليس هو من أجل المبنى.

على سبيل المثال، شخص ما لديه ضيف عزيز. من أجله يبني مسكنًا. إنَّه في دار واحدة، وهو يُشيِّد هذا البناء من أجله.

هناك أولئك العازمون على الوصول إلى المقصود. ليس كلُّ من يقصده من أولئك يُتاح له السبيل إليه، فقط ذاك الذي يُريده هو. إنَّ مَن يملك العزم لن يصل إليه بمفرده قطّ، إلَّا إذا أظهر المقصود نفسه له. إنَّ من لديه العزم قد داس الدنيا بقدمه وألقاها خلف ظهره. لقد ألقى العلم وراءه ورمى بعيدًا عوالم أكثر دقة من ذلك، لأنَّه مستعد، ولأنَّه متعطش له. عندما يبدأ يُظهر نفسه له، فلن يُتخلى عنه.

هذا علم لا يُنال بالمجاهدة(256). لو أنَّ أحدهم جاهد مجاهدة السماء والأرض من أجل هذا العلم، لما زاده ذلك إلَّا هجرًا وخزيًا، إلَّا إذا حدث وأقبل على العبودية والمجاهدة في دنيا الله، ولكنّ، قصده

لن يُنال من خلال ذاك السبب.

الآن، ماذا لو قلتُ إنَّني أنا المطلوب الأوحد وبقي مولانا بعيدًا عني؟ يا لسعادته الرائعة الآن وقد وجدني ووصل إليّ! والعكس بالعكس. ٧٠٤

٥

وراء شيوخ الظاهر هؤلاء، المشهورين بين الناس والمذكورين على المنابر وفي المجالس، هناك عباد في الخفاء، أكثر كمالًا من أولئك المشهورين. هناك مطلوب أوحد، يُعثر عليه من قِبل بعضهم. يعتقد مولانا أنَّني هو. لكنَّ ذاك ليس اعتقادي.

إذا لم أكن المطلوب الأوحد، فأنا الطالب. في النهاية، سيطل الطالب برأسه أمام المطلوب. في الوقت الحاضر، فإنَّ الله يطلبني.

مع ذلك، فإنَّ قصة المطلوب الأوحد غير معروفة في أيِّ كتاب، ولا في تفسيرات النهج، ولا في الأطروحات، فكلُّ تلك هي تفسيرات للطريق. حول ذاك الشخص بعينه، سمعنا هذا، ولا شيء آخر.

ذاك اليوم كنت أروي قول جنيد: «إذا كان هناك عشرة خِيارات بقطعة نقدية نحاسية، فماذا عني أنا؟». دخل في حال جرَّاء هذا، بحيث لا يبلغ عشرة مرضى الضعفَ الذي أصابه من هذه الكلمات. في رأيي هذا كفر. اِحكم على الباقي بالطريقة نفسها. بما أنَّه كذلك، فالقصة التي تُعطي أمارته صحيحة. ١٢٧

٦

هناك قصة ذلك العارف في بغداد. سمع: «مئة خيارة بقطعة نحاسية؟»، لطم ملابسه وسقط فاقدًا للوعي ومرض. إنَّه ليس بمسلكي. فلماذا تقول أنَّ كلامي وحالي مثله؟ ليس لدي أيٌّ من ذلك، فأنا أطلب **الأحد**. من أين أتت المئة خيارة؟ إذا قلتَ لمن يطلب **الأحد**: «مئة خيارة بقطعة نحاسية» ألن يكون هذا كفرًا؟ هل يرفع يديه عاليًا ويقول: «لماذا قلتَ ذلك؟»؟ كلا، لماذا يرفع يديه؟ سوف يتركه كما كان. لماذا تسُوّق هذا على أنَّه نظير كلامي؟ ١١٠

٧

إنَّ هذه الحكاية لم تنبُت بعد في العالم. الآن وقد نمَت، وحتى لو لم تنمُ، فإنَّ الغاية هي النصيحة. لا بُدّ من تصحيح ذلك الجفاء. لقد أمرنا بتصحيحها، وقمنا بإيضاح **الطريق**. إنّ **الطريق** هو التخلّي عن هذه الدنيا: «**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**» «الحشر ٩». إنَّه يقول: «اِبذُل كلَّ جهدك من أجل تدارك الأمور علَّه يتبدد الجفاء الذي أُبقيه **أمامي** من جرَّاء الفراق».

عندما يبتعد عن الله في وقت الابتلاء، **ويعبده** في وقت النعمة، يقول **المحبوب**: «عندما أُقبِل بسرور، تُقبِل بسرور، عندما أصبح نكدًا تُصبح نكدًا. هذا ليس كثيرًا. إنَّ كُنه الأمر هو النكد».

هذا النكد هو السرور. هذا الطريق عكسي. ما قلتُه ساخطًا هو الرأفة. السرور في زندقتي، بدعتي. ليس ذلك بالكثير في إسلامي. تلك الكلمات التي قلتَها عن الجفاء الذي حدث في وقت الفراق، أعتبرها بمثابة مرآة أضعها أمامي. لقد قبلتَ بذلك، قمتَ بتدوينه، ووضعتَ كلَّ علامات الترقيم. تُدرك الآن أنَّ تلك الكلمات كانت لشخص آخر. إنَّ السبيل إلى وضع ذاك الحديث والنصيحة موضع

التنفيذ يتمثل في عدم مخالفة النصيحة، ولكنَّك فعلتَ.

إنّ حكاية ذلك التاجر الذي كان لديه خمسين وسيطًا، أعني مندوبًا، قد قيلَت مسبقًا. ذهبوا في كلِّ اتجاه برًا وبحرًا، متاجرين برزقه. لقد خرج في طلب لؤلؤة، قام غواص ما بجعلها مشهورة. مرَّ من أمام الغواص، فتبعه الغواص. أبقى التاجر والغواص أمور اللؤلؤة سرًا بينهما.

كان التاجر قد رأى حلمًا حول هذه اللؤلؤة، وكان لديه ثقة في الحلم. مثلما كان لدى يوسف(257) ثقة في حلم الشمس والقمر والكواكب الساجدة له، وبما أنَّه كان لديه علم التأويل أصبح البئر والسجن، والقمل سارة بالنسبة إليه.

اليوم، الغواص هو مولانا، أنا التاجر، واللؤلؤة هي بيننا نحن الاثنين. يقولون: «إنَّ طريق اللؤلؤة بينكما أنتما الاثنين. هل سنجد نحن كذلك الطريق إليها؟».

قلت: «نعم، لكن الطريق هو: أنا لا أقول: «أعطني شيئًا». إنَّما تأتي محتاجًا. بعبارة أُخرى، اِسأل بلسان حالك(258) أيُّها الطريق إلى الله. قُل ذلك؟».

أقول: «هذا هو **الطريق إلى الله**، وبطبيعة الحال، فإنَّه يمرُّ من «أكسراي»(259). الأمر الذي يعني المرور فوق جسر «**جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**» «التوبة ٤١». أولًا، تخلَّ عن أموالك، وبعد ذلك، هناك الكثير من العمل. إلا أنه يتحتم عليك أن تذهب أولًا إلى «أكسراي»، فلا سبيل للمرور إلَّا عن طريق «أكسراي»، إلا إذا كانت الصحراء، ولكن ما إن ترى الغيلان والذئاب أنَّك حدت عن الطريق،

حتى تأتي مثل سهم أُطلق من قوس وتكون رفيقك. سوف تلتهمك بلقمة واحدة وتبتلعك.

"ماذا أنت فاعل اليوم وما الذي ستُقدّمه؟ ما الذي أمام قلبك؟ قُل أيّ كان ذلك! إذا كان هناك عقبة، أخبرني عن ذلك. إذا أخبرتني عن العقبة، سأُعلّمك **الطريق**. سوف يُصبح سهلًا، لأنّني أعرف **الطريق** أفضل منك».

"أنا أتحدّث عن اللؤلؤة، وأنت لا تتخلّى عن الجسر». ١١٣- ١٥

٨

يقول: «لو أنّك تصبر، لو أنّك لا تتكلّم بقسوة....».

كيف يُمكن لتلك الفكرة أن تجد لها مكانًا مناسبًا في دار قلبي؟ الدار ممتلئة، لا متسع لإبرة. لقد أحضر موقدًا للمخزن: «ضعه هناك!» أين يُمكنني وضعه؟ أرني المكان!

قلتُ: «كيف يُمكنك أن تُبهر الله بهذه الدنيا، فهي أمر غير ذي قيمة. إنَّ عباد الله يَمَلُّون حتى من الأشياء الثمينة».

كان هناك لؤلؤة في صدفة. كان يتجول في جميع أنحاء الدنيا، متتبعًا الأصداف دون لآلئ. كانوا يروون القصص عن الصدفة واللؤلؤة، وروى قصصًا معهم. قالوا: «تلك الصدفة ذات اللؤلؤة التي سمعنا عنها، هل هي معك؟".

قال: «والله، أسمع الأشياء نفسها التي تسمعون».

"أيُّها الوغد الماكر! إنَّها في حوزتك، أنت تتكلّم على نحو مخادع!».

قال: «لا والله، لا أفعل».

ذهب في طريقه، وكانت الصَدَفة في الدنيا تمامًا كما كانت.

ذات يوم، وجد اللؤلؤة الفريدة. وقال ما قاله: «**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**» «النجم ١٠».

إذا كنت تسمي هذه صَدَفة، فلا تسمي تلك صَدَفة. عندما يكون هناك صَدَفة نضجَت فيها لؤلؤة أسرار الله، كيف يُمكنك أن تُطلق عليها الاسم نفسه الذي تُطلقه على قطعة مكسورة من الخزف؟ ١٠٧

٩

مع تلك **الجوهرة** العظيمة الأزلية الأبدية، سخنتُ وأصبحتُ متهورًا، انفعاليًا. استجابت الجوهرة برأفة ونعومة: «سأفعل كلَّ ما تُريده».

عندما كنتُ قادرًا على فعل ذلك، قلتُ: «يجب أن أحظى بتلك الجوهرة المشهورة، أُريد **منك** أن تقبلها وألَّا ترميها بعيدًا».

أصبحتُ انفعاليًا ومتهورًا، استجبتُ برقة ونعومة.

إذا استقبلَتْ رقتي، سوف تُظهر الرأفة. فأُظهر أنا الرأفة تجاه رقتها. قلتُ: «حسنًا، لقد استسلمتُ، لا أُريد أيَّ شيء، الحكم **حكمك**».

عاودَت من جديد: «ماذا تُريد حقًا؟".

قلتُ: «أنتِ تعرفين».

قالت: «كلا، قُل أنت».

قلتُ: «ذاك هو السبب. إذا سالمتِ، أُسالم».

قالت: «كلا، كُن دقيقًا، قُل ما هو".

قلتُ: «أعني أنَّ الفعل أقوى من الكلام. أنا تكلّمتُ، **وأنت** منعت ذلك."

قالت: «بالنسبة إليّ فإنَّ كلامك أفضل من فعلك، قُله».

قلتُ: «كلا، إنَّه ما **تعرفين**. إلى أن يتمّ، لا جدوى. إنَّه مُقدّم لك. إنَّه ملكك. ١٠٩

١٠

تتنوّع الصور، إلَّا أنَّ المعاني واحدة. أتذكّر مولانا قبل ستة عشر عامًا. كان يقول إنَّ المخلوقات مثل حبات عنب عديدة. إنَّ لها عددًا فيما يخصُّ الصورة. إذا عصرتها في وعاء، هل سيتبقى أيٌّ عدد؟ إن استطاع أيٌّ كان وضع هذه الكلمات موضع التنفيذ، سيكون عمله كاملًا. ٦٩٠

١١

بالكاد أُخالط أحدًا. حتى مع زعيم مثله، إذا غربلتَ العالم كلَّه، لما وجدتَ آخر، كان ذلك قبل ستة عشر عامًا وقبل أن أُبادر بـ «السلام عليكم»، ذهب.

اِغمر الوعاء بالماء، إملأ الطاولة بالخبز، اِذبح الحمل بالسكين. إنَّما **النوايا من خلال أعمال** من هذا النوع. **بضدها تُعرف الأشياء**.

إذا قلتُ لهم: «إذا أعطيتَه للموتى، فإنَّه سينتقل من قبر إلى قبر، وإذا أعطيتَه للأحياء، سوف ينتقل من مكبٍّ إلى مكب»، كانوا يهربون.

تلك الممتلكات التي يسرقونها، ثمّ يجلبونها لي هي حلال في نظري. ما الفرق الذي يُشكّله ذلك بالنسبة إليّ؟ من باب أولى الممتلكات التي تأتي من أمر حلال.

هذا الماء ليس أقل من قلتين(260) ولا أقل من إبريق بحيث تخشى أن يتلوث ويتغيّر، ولكن لا يليق بالآخرين أن يكونوا وقحين إلى هذه الدرجة.

على سبيل المثال، يأتي صقر ويجلس على جدار حصن. يلتقط شخص حجرًا لرميه، فيطير عاليًا ويذهب، ولكن، إذا وقف حمار على الجدار: «إذا جاء حجر بهذه الطريقة، سأقفز مثله»، يقع ويكسر عنقه، أو سيسقط في الوحل، وسوف يغوص أسفل فأسفل ـ مثل قارون. ٢٩٠

١٢

ذاك اليوم قلتَ أنَّ ألم العين هذا قد منحك صفاء. مجددًا رغبتُ أن أسرق كلماتي وأبقى صامتًا، ولكنَّ دواخلي تحمّسَت، فقلتُ: «هذه المرة لن أُمسك». غريب، أنّ الشخص الذي يمتلك ذوقًا، في اللحظة التي تصل فيها الحلاوة، لا يسمح لنفسه أن يتكلّم، بالتالي تبقى الكلمات في داخلي.

غادرتَ في وقت مبكر، ووجدتُ شخصًا آخر لم يكن يملك الكثير من التفهم. كنتُ أتحدّث معه. أصبح ذاهلًا وحائرًا. لم أكن أتحلّى بالكثير من الصبر مع صديق وحبيب، كيف لي أن أتحلّى به مع غريب؟

منذ البداية، كان لدي ميل قوي تجاهك، ولكن رأيتُ من حديثك في تلك اللحظة أنَّك لم تكن متقبلًا لهذه الرموز. لو أنَّني تكلّمتُ، لما كان بالإمكان فعل شيء في تلك الفترة، ولانتهى بنا الأمر بلا طائل. في تلك اللحظة، لم يكن لديك هذا الحال. ٦١٨- ١٩

١٣

كنتُ سمعتُ أنَّه في «قونية» كان هناك الكثير من حلقات «**سما**» وكذلك دَعوات. **أنا لم أرَ ذلك**، أعني ليس ثمَّة أحوال ولا كلمات.

قال: «سترى».

من اليوم الذي رأيتُ فيه جمالك، تربّع هواك وحُبّك في قلبي. لو كنتَ لا تعرف شيئًا عن الكتابة، لعلمتك كيف تكتب. لكنَّك تعرف. أُريد شخصًا لا يعرف شيئًا. أريد أن أُعلّم.

الآن فيما أنا أقول هذا، أنت تتواضع. كيف ذلك؟ ألم يصل إليك؟

ألم تسمع ما قلتُه؟

«معنى القرآن في سورة الضحى ٧هو: «**ووجدت نفسُك نفسَك**(261). أنت لن تنسب «الإضاعة» ثم «العثور» إلى الله.

ينبغي ألَّا تحتار بين العديد من الآراء. على الرغم من أنَّ معناها واضح، إلَّا أنَّها تُخفي مئة مليون سر. إنَّ الطريق طويل، ومسدود بجدار يصل إلى السماء، ولكنَّه يختفي هكذا، بركلة كهذه. لقد **علَّمه** كذلك كيف يهدم الجدران الأُخرى.

لم يكن الله يعتبرها مؤنثة(262) لأنه «أستطيع أن أستر أمور كثيرة، أستطيع كذلك إخفاء الجنس المؤنث».

هل يطلب أحد من جثة أن تُصلّي؟(263) يمر أحدهم بجثة فيقول: «هيا، انهض، وأدِّ صلاتك!». سوف يقول كلُّ عاقل أنَّه مجنون: «ينبغي أخذه إلى الملجأ، تقييده بسلاسل، وضربه مئة مرة في اليوم إلى أن يعقل». حتى الإنسان نصف المجنون، سوف يقول لدى سماعه: «يجب أن تأخذوه إلى الملجأ، أو تقتلوه».

عندما يطير طائرك المقدس من بئر الجسد،

سيُحرر من عار الصيام، ويُطهر من خزي الصلاة(264).

أنا لا أقول لأحد أبدًا أن يبتعد عن شيء إلى أن أرى أنَّه لم يعُد متعلقًا به. وإلا فإنَّه سوف يتحوّل إلى جُرح. سوف أتركه وشأنه حتى أرى أن لا شيء بقي من ذلك، إلى أن يُشفي الجرح، ويُزال القطن.

عندما آن أوان اللعب بالهراوات والعصي، كنتُ أمرُّ بأحوال جنيد وأبي يزيد، وما اعتادوا فعله. حسنًا، إنَّ ابن السلطان سلطان. كيف له أن يلعب بالكرات في الساحة؟ يعرف الجميع الفارق بين لعبة tipcat ولعبة كرة الأسرة المالكة. تربح كرة الحظ أو تخسرها في الساحة.

بمشيئة الله، فإنّ الأمور التي تستحقُّ الرؤية سوف تُرى. ٧٥٢- ٥٣

١٤

لا شأن لي بعامة الناس في هذه الدنيا، لم أتوصّل إلى فهمهم. لقد وضعتُ أصبعي على نبض أولئك الذين يهدون الدنيا إلى **الحق**. ٨٢

١٥

إنَّ الغاية من وجود الدنيا هي أن يلتقي صديقان وينظرا إلى بعضهما في سبيل الله، بعيدًا عن الهوى.

ليست الغاية الخبز، ولا الخباز، ولا دكان الجزار، ولا الجزار. إنَّها تمامًا كهذه الساعة، عندما أكون مرتاحًا في خدمة مولانا. ٦٢٨

١٦

أنا أتكلّم على نحو جميل، أتكلّم بفرح. في الداخل أنا مشرق ومنير. كنتُ ماءًا يفور في داخله، يدور في داخله وبدأ يتعفن. ثمَّ صدمني وجود مولانا، وبدأت المياه تتدفّق. الآن يتدفّق بفرح، منعش ورائع. ١٤٢

١٧

إنَّ الالتحاق بك أمر مهيب للغاية، للأسف فالحياة لا تكفي. يجب أن يكون لديّ عالم مليء بالذهب لأُنفقه في سبيل الانضمام إليك.

لديّ **إله** حي، ماذا تراني أفعل بإله ميت؟ المعنى هو الله(265) هذا هو المعنى نفسه الذي قلتُه.

عهد الله لا يُنقض، إلا إذا أصبح أحدهم فاسدًا أو كان فاسدًا. ٦٦٥

١٨

إنَّ الشمس هي التي تُنير الدنيا كلَّها. إنَّها ترى النور: «إنَّه ينزل من فمي. يخرج النور من كلامي. إنَّه يُضيء من تحت الكلمات القاتمة».

لقد أدارت لهم الشمس ظهرها، وحوّلَت وجهها إلى السماء، ولكنّ ضياء الأرض يأتي منها.

يتجه وجه الشمس نحو مولانا، لأنَّ وجه مولانا متجه نحو الشمس. ٦٦٠

١٩

لقد أُرسلتُ لأنَّ هذا العبد النقي الذي يخصّنا كان عالقًا بين الأشخاص غير الأكفَّاء. كان من المؤسف لو أنَّهم ألحقوا به الأذى.

يجلس اثنان من الصحابة سويًا، ينظران إلى بعضهما، ويتحدثان،

كيف يُمكن لطعم ذلك أن يُقارن بالنظر من بعيد؟ إنّ البعد يحجبك. حتى لو كان لديك نوع من الصفاء بحيث لا يحجبك، فأين طعم القرب؟ إذا كان لشخص ما حضور عن بُعد، فكيف سيكون القرب إذن؟

يقولون: «نحن ذاهبون إلى مكان كذا وكذا. اِعرف إن كان شمس سيكون هناك. إن لم يكن، قل إنَّنا مشغولون الآن».

قال لي: «أهو أفضل، أم ذلك الصائغ «أخلطي»، الذي أصبح شيخًا؟».

قلت: «كلٌّ عظيم في مقامه هو، ولكن كيف هو مرتبط به؟ ما كنتُ لأنتقص من أيٍّ كان، ولكنَّ عالمه شيء آخر. هو درويش لا تزال أمانيه خامًا. أيُّ مكان ذاك الذي يسمح لهذا الطفل أن يكون الشيخ! لا يزال في حاجة إلى أن يخدم **الرجال** لسنوات. يحتاج أن يحترق ويذوب، ليل نهار، مثل دهن لحم البقر على مقلاة. ثمّ، عسى ولعلَّ». ٦٢٢- ٢٣

٢٠

عهد اثنان من الناس بشيء ما إلى شخص ما. عندما خرج الأول من الحمام، سأل عن الكيس، ثمّ أخذه وذهب. جاء الآخر. قال الغريم: «الذهب لديّ، ولكن أحضر الصاحب الآخر، ثمّ خُذه».

باختصار، كان **رجال الحق** أولئك مخفيين، لم يكن إجباريًا قط أن أتحدّث إليهم. ألقوا سلامهم إن أمكن، ومضوا. لم أتحدّث قطّ إلى أيٍّ كان، سوى **مولانا**.

تعال، اِسمح لي أن أهمس لك في أذنك: عندما أُريد أن أفعل شيئًا ما، إذا نهاني الله، لا أُصغي.

عندما يراني أحدهم، فهو إمَّا أن يصبح مسلمًا كاملًا، أو كافرًا كاملًا. عندما لا يعي معناي، فهو لا يرى إلَّا الظاهر ويرى أوجه القصور في العبادات الظاهرة هذه. لديه مطمح عالي، ولكن يُخيَّل إليه الآن أنَّ العبادات ليست مطلوبة. إنَّه يسقط بعيدًا عن العبادات التي هي وسيلة النجاة للجميع. ٧٣٩

٢١

كانت هذه خابية من الخمر الإلهي، سُدَّ فمها بالصلصال. لم يكن أحد يدري بها. أدرتُ أذني إلى الدنيا واستمعتُ. لقد تمّ فتح الخابية بسبب **مولانا**. عندما يستفيد أحد منها، فالسبب هو **مولانا**. باختصار، أنا أنتمي إليك. إنَّ ما يجعلني سعيدًا، غايتي، هو الربح الذي ينفتح من خلالك.

إذا قالوا: «أنت سعيد» أُصبح أسعد. أُطقطق أصابعي في «سما». إن كان للحال أن يكون، فليكن ما يكون.

في ذلك اليوم كنتُ قد أتيتُ للبقاء طوال الليل. بدأ «معيد هريوي» في الحديث: «أنا القطب، والعالم في داخلي هكذا وهكذا».

قفز مولانا: «لن أستمع إلى هذا». ممَّا جعلنا نُغادر، كان ذلك الليلة الماضية.

قلتَ أنَّ المريدين يقولون إنَّه متعجرف علينا، لا يُخالطنا، ويشتهي

الأشياء.

أعدّ مولانا نفسه للذهاب. أردتُ البقاء هناك يومين أو ثلاثة أيام.

أنا لا أُريد شيئًا من أحد من أجل إصدار الأحكام. إذا جلبوا شيئًا كهدية من أجل الخرقة، لا أرفضه. هذا هو عُرفي. إذا حكمتُ، هذا سيكون لصالحه وخلاصه.

عندما يقول أحدهم: «حاولنا أن نحمل شمس على المجيء أملًا في أن يُقنع **مولانا** بأن يعظ»، فذلك ليس صحيحًا. ما هو العلاج؟

الجواب: عندما يكونوا قد سمعوا عشر مرات أنَّ الآخرين يُريدون سماع مولانا يعظ مرة واحدة، فأنا أُريد ذلك أكثر بمئة مرة. سوف تفشل هذه الوظائف الصغيرة إن كان الأمر كما يقول ذلك الدرويش. فهم يُؤولون الموقف، ويقولون أنَّ مئة ميزة موجودة فيه. ٧٧٣- ٧٤

---

(253) المطلوب الذي ليس له أمارة. يبدو أنَّ شمس يُشير إلى نفسه, على الرغم من أنَّه يبدو مشيرًا إلى نفسه كطالب, عندئذٍ يكون الرومي هو الطالب الذي يطلبه المطلوب في طلبه. كما يتضح في نهاية ٣- ٤, فإنَّه يتعمد الإبهام. إنَّ حقيقة كون الإنسان هو «مطلوب» الله, أو «مقصوده», والتي تتمّ مناقشتها في عدة مقاطع تالية, هي موضوع شائع في التصوف وكثيرًا ما يُذكر في شعر الرومي على سبيل المثال SPL ٢٠٩-١١. وفقًا لـ شمس, فإنَّ إدراك مقام كونك محبوب الله أعلى من **طلبه** ٤٤.٣. بالإشارة إلى الصيغة الواردة في ٣- ٥, يكتب سلطان ولد, «هناك عالم آخر وراء عالم الأولياء, وهو مقام المحبوب. لم تصل أيُّ إفادة عنه بعد إلى الدنيا ولم يتناهى إلى أُذن أحد.. ظهر مولانا شمس الدين إلى مولانا جلال الدين الرومي كي ينقله من العالم الذي تكون فيه محبًا ومن درجة الأولياء الواصلين إلى العالم الذي تكون فيه المحبوب.»(ولد- نعمة ١٩٢».

(254) عيسى. تكلم عيسى «بسرعة», لأنّه تحدّث في المهد، أمّا محمد فلم يتكلّم إلّا في الأربعين، لأنّ هذا هو وقت بداية بعثته, قارن ٢- ٦١.

(255) الطالب والمطلوب. إنظُر الملاحظة في المقطع السابق.

(256) هذا علم لا يُنال بالمجاهدة. إنّ عدم القدرة على الوصول إلى هذا العلم الحقيقي بالجهود الإنسانية المجرّدة أمر شائع في النصوص الإسلاميّة, وهي تعود إلى القرآن «**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**» «البقرة ٢٥٥». مع ذلك لا يُمكن تحقيق شيء دون جهد. إنظُر ملاحظات الرومي ١٦٠SPL-٦٣.

(257) يوسف. إشارة إلى القصة القرآنية كما رُويَت في سورة يوسف.

(258) لسان حالك. أي أنّه ليس كافيًا أن تنطق بالكلام. عليك أن تُظهر من خلال أسلوب وجودك ذاته وتعاملاتك مع الآخرين أنّ الحاجة إلى الله قد استولَت عليك. عن الحاجة, إنظُر معجم الألفاظ الصعبة.

(259) أكسراي, انظر الملاحظة حول ٢- ٢٧.

(260) قُلّتين. تعبير فني مستمد من مذهب الفقه الشافعي. القلّتان هي القدر من الماء «حوالي ١٥٠ غالون» الذي يكون طاهرًا بحكم التعريف, وعليه فإنّ أيّ مادة نجسة تدخل إليه, كالدم أو البول, يتمّ تطهيرها.

(261) وجدَت نفسُك نفسَك. هذا تعليق على سورة الضحى ٧، كما ورد في ٢٣٥.٢.

(262) لم يكن الله يعتبرها مؤنّثة. ذلك أنّ الله لم يستخدم الضمير المؤنّث في سورة الضحى, الآية ٧. إنظُر ٢-٢٣٥.

(263) هل يطلب أحدٍ من جثة أن تُصلّي. من الواضح أنَّ شمس يردُّ على الجبريّة ويُجادل من أجل ضرورة المجاهدة. لدى الرومي عدد من المقاطع التي تُذكِّر بهذا النقاش, مثل البيت, «لا أحد يقول للحجر «تعال!»، لا أحد يتوقع عطفًا من قطعة من تراب الأرض. المثنوي V ٢٩٦٩. إنظُر SPL ١١٥-١٦ .

(264) عندما يطير طائرك المقدس. يُشير البيت إلى التعاليم الإسلامية الموحدة بأنَّ الإرادة الحرّة وما ينتج عنها من التزام بالشرع يتوقفان عند الموت

(265) المعنى هو الله . إنظُر المقطع ٢- ٦٨.

براعتي الروحانية

٢٢

يتمتع **مولانا** بجمال حَسَن، أمَّا أنا فلديّ جمال وقبح. رأى **مولانا** جمالي، ولكن لم يرَ قبحي. هذه المرة لن أكون مرائيًا. سأكون قبيحًا حتى يرى كلِّي، الجمال والقبح.

عندما يجد أحدهم سبيلًا إلى أن يكون صاحبي، فعلامته أنَّ صحبة الآخرين تُمسي باردة ومريرة بالنسبة إليه، وليس أنَّها تُصبح باردة ويستمرُّ في كونه صاحبًا، إنَّما يعجز عن البقاء صاحبًا لهم. ٧٤

٢٣

إنَّ وجودي كيمياء لا تحتاج وضعها على النحاس(266). عندما يتم وضعها أمام النحاس، يتحول كلُّه إلى ذهب. يجب أن تكون الكيمياء المثالية هكذا.

لله عباد ما إن يروا أحدهم يرتدي ملابس الجدارة أو الخرقة، حتى يحكموا أنَّه شخص فاضل. وعندما يرون أحدهم يرتدي رداء وقبعة، يحكمون أنَّه فاسد.

هناك فئة أُخرى ترى بنور جلال الله. لقد تخلّوا عن الحرب وتركوا وراءهم اللون والرائحة: «إذا جرّدتَ ذلك الشخص من خرقته، سيكون أهلًا لجهنم. إنَّ جهنم تخجل به. هناك الشخص الذي يلبس الرداء والذي إذا جردته منه سيكون أهلًا للجنة. يجلس أحدهم في محراب

المسجد مشغولًا بعمل هو أسوأ ممَّا يفعله ذاك الذي يزني في الحانة."

الغيبة أسوأ من الزنا. إذا انكشف هذا الأخير، يُعاقبونه، ثمَّ يكون حرًا، وإذا تاب، «**يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**» «الفرقان ٧٠». أمَّا هذا، حتى لو أصبح من خلال أنواع رياضة الزهد رقيقًا بحيث يطير في الهواء، فلن ينجو».

إذا كان أحدهم يجمع بين ثياب الجدارة ومعنى الجدارة، «**نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ**» «النور ٣٥». ١٤٨- ٤٩

٢٤

قال: إنَّ **الرجل** يُبدي ظاهرًا مثل ما هو عليه من الداخل. أنا كلِّي لون واحد(267) من الداخل. إذا أصبح ذلك جليًّا، وكان لي السلطان والحكم، فإنَّ الدنيا كلَّها ستكون لونًا واحدًا. لن يكون هناك المزيد من السيوف، لا مزيد من القسوة. إلا أنَّه ليس من «**سُنَّةَ اللَّهِ**» «الأحزاب ٦٢»، أن تكون الدنيا هكذا.

لقد أصبح الكلام الطويل قصيرًا. لو كان لي تأثير ظاهر، لكان معنى ذلك أنَّ أيّ ما كان داخلي فهو خارج النطاق، ولكن حينها، هذه الدنيا لن تكون. ستكون تلك دنيا أُخرى بحق.

هكذا، لو كنتُ أملك القدرة، عندما بدأ يروي قصة أبي يزيد والخلوات بالأمس، لكنتُ قلتُ: «هذه بدعة في دين محمد، لا تتحدّث عن المبتدعين»، ولكنتُ أحضرتُ القاضي عز، وسردتُ أحكامه الفاسدة وتحرياته، هذا فقط، ولا انتقام آخر. كنتُ لأقول:

«اِنهض، اِمضِ، ولا تفعل شيئًا كهذا مرة أُخرى، أي الاستماع إلى كلام الآخرين، والاقتباس من أقوال الذين ينقلون خطًا عن عباد الله؟». ١٠٦

٢٥

أنا في حال حاد. لا أحد يحتمل حالي. مع ذلك، تأتي كلماتي وتضع لصوقًا عليه. إنَّها تتدخل بين حالي وبينه، فيكتسب قوة. ذات يوم، إذا كان لذلك الحال أن يصدمه، سيكون لديه قوة لتحمله. يجب أن يكون الإنسان مستعدًا للعمل وليس للحزن أو الأسى. ينبغي أن يشعر بالملل من الحزن والأسى.

عندما يدخل شخص ما **الطريق**، يجب أن يحترس من أن يستمرَّ في الانزلاق. إنَّ سنَّة أبيه هي لمرة واحدة(268). مرة واحدة تكفي، ثم يجب عليه أن يندم على ذلك. ينبغي أن يكون ماهرًا ويقظًا بحيث لا يحدث هذا مرة أُخرى. وإذا حدث ذلك، ينبغي ألَّا يُعيره بالًا، وألَّا يُفكّر في ذلك، لأنَّ الأيام تمرُّ، ولا طائل من الحزن والأسى.

على سبيل المثال، يجرح أحدهم ذراعه في معركة. إذا راح ينتحب ويجزع من ذلك، ما الفائدة؟ بدلًا من ذلك، يجب أن يأخذ بعض الفضة ويذهب إلى حكيم، طبيب، جراح. ينبغي ألَّا ينتحب. أو أن يُرسل الفضة إلى الجراح كي يأتي إليه ويُداوي الجرح بسرعة. سوف يبرأ بحيث يُخيّل إليه أنَّه على ما يُرام. ٧٦٦- ٦٧

٢٦

أراد موسى بكلِّ أبهته أن يُتمم سمة اللطف بأن يكون صاحب

الخضر. لقد واظب على التوبة حتى اكتسب تلك السمة.

يُقدّم الرجال الأعذار مرة واحدة في حياتهم كلِّها، وبعد ذلك يندمون على تلك المرة الواحدة. يجب أن يتوب الدرويش مرة واحدة في حياته، ومن ثمَّ يكون توَّابًا: «لماذا يجب أن يحدث هذا في دربي؟ يجب أن يكون الرقيب من الداخل، عندما يُوشك شيء على أن يحجبني عن نفسي، لماذا أسمح له أن ينبثق؟ عندما اسمح لذاك الاضطراب بأن يمضي بحيث يستطيع أن ينبثق، فإنَّه يُبقيني مشغولًا بتدارك نفسي فأعجز عن الانشغال بنفسي. يسرق القطُّ اللحمَ مني، فأنشغل بمطاردة القط، فيتمّ صدي عن تناول اللحم «. ٢٤٨

٢٧

أيُّ سهم هو؟ هذه الكلمات. أيُّ جعبة؟ دنيا **الحق**. أيُّ قوس هو؟ قدرة الله. ليس لهذا السهم نهاية. «**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا** ...» «الكهف ١٠٩». سعيد من يُصيبه هذا السهم! سيأخذه هذا السهم إلى دنيا **الحق**. إنَّه في الجعبة، ولكن لا أستطيع رميه. إنَّ الأسهم التي أرميها تعود إلى الجعبة من حيث جاءت. ١١٥- ١٦

٢٨

عندما يكون هناك شيء في حاجة إلى أن يُقال، سوف أقوله حتى لو أمسكتني الدنيا بأكملها من لحيتي قائلة لي ألَّا أفعل. حتى لو بعد ألف سنة، سوف تصل هذه الكلمات إلى أولئك المقصودين بها. ٦٨١

٢٩

عندما يكون لدى مولانا كلمات من لدن الله، فإنَّه يقولها دون أن يعنيه إن كان أحد سيستفيد أم لا، ولكن منذ كنتُ صغيرًا، ألهمني الله استخدام الكلمات لتدريب الناس بحيث ينجوا من أنفسهم ويمضون قُدمًا. هكذا يكون الشيخ الحقيقي.

بعض عبيد الله «فاعلون»، وبعضهم «متكلمون». تحتاج قائدًا فاعلًا أكثر من حاجتك إلى قائد مُتكلّم. مع ذلك، **قضى** أنَّه عندما يتحدّث مَن يملك القدرة على الفعل، فإنَّ الحديث يكتسب القدرة على الفعل. فيفعل. ٧٦٧

٣٠

أعني، ألا تعلمون أنَّه أيّ كانت الكلمات التي أستخدمها، فأنا أمضي بها قُدمًا وأُقوِّمها؟ إنّ المُتكلّم قوي، ولا يُسمح له بالضعف.

لم أعتد الكتابة، وبما أنَّني لا أُدوِّن شيئًا البتة، تبقى الكلمات معي. إنها تُظهر لي في كلِّ لحظة وجهًا مختلفًا.

إنّ الكلمات ذريعة. لقد أسقط **الحق** نقابه **وأظهر** جماله. ٢٢٤- ٢٥

٣١

قلتُ صراحة أنَّ مولانا يجب أن يذهب إليهم، لأنَّهم لا يفهمون كلامي. «تحدث أنت إليهم، لم يأمرني الله أن أتكلّم بهذه التشبيهات المنحطَّة."

أنا أتحدّث عن الجذر. هذا أمر غاية في الصعوبة بالنسبة إليهم.

أتحدّث عن جذر آخر بمثابة تشبيه لذلك. هناك شيء واحد يُخفي آخر، وهكذا حتى النهاية، كلُّ كلمة أقولها تُخفي أُخرى. في حالة مولانا، لا شيء مخفي.

ذهبتُ شوطًا بعيدًا معهم. كيف أمكنهم الرؤية وجهًا لوجه؟ عندما تحدّث **مولانا**، خضعوا واعتذروا. دلُّوا رؤوسهم بطريقة الدراويش. ذهب هو. ٧٣٢

٣٢

لو كان كلُّ مَن في الربع المعمور في جهة وكنتُ أنا في الأُخرى، سوف أُجيب كلَّ واحد منهم حسب عسره. لن أهرب أبدًا من الكلام، ولن أتلاعب بالكلمات، أو أقفز من غصن إلى آخر.

إنّ الربع المعمور هو حيث يسكن الناس. والأرباع الثلاثة الأُخرى تحترق من الشمس الساطعة، ولذلك لا يعيش الناس هناك.

مهما كان العسر الذي لحق بسكان الربع المأهول، فسيجدون جوابًا جاهزًا لديّ، مهما كان. جواب على جواب، كراسة على كراسة! ذاك هو خطابي. لديّ لكلٍّ منهم عشر إجابات وبراهين لم تُكتب أبدًا في أيِّ كتاب بهذه الدقة والملوحة. لهذا السبب يقول مولانا: «منذ أن تعرفتُ عليك، لم يعُد لأيٍّ من هذه الكتب طعم». ١٨٦

٣٣

والله، إنَّ أولئك الذين أسسوا الخلوة سوف يكونون مرتبكين من صورة كلامي، فما بالك بمعنى كلامي؟

على سبيل المثال، يجب أن يكون لدي بيت شعر، أو آية من القرآن، وليس لدي أيُّ كلمات خاصة بي أُحفّز بها نفسي.

حتى ذلك الشاعر المسكين لم يكن في الدنيا، فماذا عني؟ في الواقع خلقني الله وحيدًا. أو، أنَّني أُخذتُ وحيدًا إلى قمة جبل. مات أبي وأمي وربتني الحيوانات البرية.

بالنتيجة، فإنَّ مجال الكلام واسع(269) إلى أقصى حد، بينما المعنى ضيق في اتساعه. مع ذلك، ثمَّة معاني تتجاوز مجال المعنى، بحيث يضيق نطاق التعبير. إنَّه يجره نحو الأسفل، يجرُّه دونه، بكلماته وأصواته، فلا يبقى أيُّ تعبير.

إنَّه صامت ليس لأنَّه يفتقر إلى المعنى، بل لأنَّ المعنى قد ملئه.
٩٧- ٩٨

٣٤

عندما أقرأ الشعر في خضم الحديث، أُزهر، وأنا أتكلّم عن معناها الخفي. بعض الناس يُصبح أبكمًا لأنَّه مبهور بالمعنى، لا يكون مولانا أبكمًا قط إلَّا بسبب الانبهار بالمعنى، وبعض الناس بسبب فقدان المعنى. ليس لديّ أيٌّ من ذلك.

يملك هؤلاء الناس الحق في أنَّهم لا يجدون كلماتي لائقة. تأتي كلماتي كلُّها من باب العظمة. تبدو جميعًا كادعاء. جاء القرآن وكلام **محمد** من باب الحاجة، لذلك تظهر كلُّها كحاجة.

يسمعون الكلمات التي ليست في سبيل الطلب أو الحاجة. إنَّ

الكلمات عالية إلى درجة أنَّك إذا نظرتَ إليها، سوف تسقط قبعتك. لكن، لا عيب في أن يدّعي الله العظمة. إذا وجدوا عيبًا، فكأنَّهم يقولون: «يدّعي الله أنَّه عظيم». هم يقولون الحقيقة، أين العيب؟ ١٣٨- ٣٩

٣٥

البارحة، كنت قادمًا لرؤيتك، ولكنَّ عز الدين، مريد عماد الدين، رآني مارًا. خرج ودعاني إلى الخانقاه: «دعنا ندخل لبعض الوقت». من عادتي دائمًا أن أتعامل مع أوامر الصاحب واقتراحه بأعلى درجات الاحترام.

نادرا ما يترافق العلم مع الممارسة(270). كلاهما موجود هنا. ذاك غريب.

الآن، إنَّه ميل قلبي. ماذا عساي أفعل؟

أنا أعظ جيدًا، ولم أغد أبكمًا أبدًا في نهاية الخطبة. يغدو «خوجاندي» أبكمًا في نهاية الخطبة. كيف يُمكنك مقارنة بداية خطبته بنهايتها؟

كلَّما قرأتُ بيتًا من الشعر، أُزهر وأتحدّث عن معناه.

أنت كذلك تخونك الكلمات في نهاية خُطبك، ولكنَّ هذا بسبب الانبهار بالمعنى، وليس البكم.

كيف يُمكنه أن يعيش هذا الحال؟ على أيِّ حال، أنا أعيشه. ٣٤٧-

٣٦

قال: «إنَّ القول بأنَّه لا يجدر به أن يتكلّم يُشبه القول: «يا شمس(271) لا تبعثي النور، فأنت تُزعجين ذهن الخفاش». بالطبع سوف تستمرُّ في منح النور، ولن تتوقّف بسبب تضايق الخفاش».

قال: «على الرغم من أنَ الشمس لا تقلق بشأن الخفافيش أو العميان، وتبقى تبعث الضوء، يخشى عبدة الشمس من أنَها ستُصاب بخيبة أمل معهم. ثمّ إنَّها ستخدعهم، وسوف يبقون بعيدًا عنها».

قال: «مع ذلك، يجب على عبدة الشمس أن يعتقدوا أنه لا أحد سيكون لديه الجرأة للتعدي على شرف الشمس. يجب أن تكون قوة الاعتقاد قادرة على أخذ صاحبها إلى أعلى جبل. إذا رأى أسدًا برؤوس سبعة، فسوف يشده من أذنه، ولن يكون قلقًا، لقوة اعتقاده بالشمس وعشقه لها. إنَّ الاعتقاد والحُبّ يمنحان الجرأة ويُبددان كلَّ المخاوف». ٦٩٣

٣٧

لم أُجادل أبدًا حول أيِّ قول عن النبي إلا حديث: «**هذه الدنيا سجن المؤمن**». أنا لا أرى أيَّ سجن. أقول: «أين السجن؟». مع ذلك، لم يقل: «**هذه الدنيا سجن العباد**»، بل قال: «**سجن المؤمن**»، فالعباد مجموعة مختلفة بالكامل.

ما أعنيه هو أنَّه يجب ألَّا تُبقي نفسك في أفكار ضيقة. مهما كان

الحال الذي تعيشه، يجب أن تُخبر الصاحب عنه بسرعة، وتنتهي من ذلك. لا تُفكّر: «كيف يُمكنني التحدّث هكذا إلى الصاحب؟». سيراه الصاحب، حتى لو لم تتحدّث عنه. ٦١٠- ١١

٣٨

أتعجّب من الحديث الذي يقول: «**هذه الدنيا سجن المؤمن**». لم أرَ قط أيَّ سجن(272). جلُّ ما رأيته هو السعادة، السناء، والتوفيق. لو بال كافر في يدي، سأُسامحه وأشكره. مرحى لي!

لماذا إذا أحطُّ من نفسي؟ لفترة طويلة لم أتعرف على نفسي. يا للسناء والعظمة! أنا مثل جوهرة تجدها في مرحاض.

خُيِّل إلي أنَّني قد أُعتقتُ من ذلك. كلا، على الإطلاق، حقًا لا!

الآن أنا أتكلّم بسعادة، وهذا يُسعدك. أعطني يدك حتى أستطيع أخذها. تُصافِح الأخ المسلم. تهزان يديكما هكذا، فتتساقط الخطايا. الآن فلنتصافح. تصافحوا دائمًا، يا مسلمين، علَّنا نتصافح! ٣١٧- ١٨

٣٩

إنَّ القلب أعظم(273) أوسع، وأسمى، وألمع من السماوات والأفلاك السيَّارة، فلماذا تُقيّده بالأفكار والوساوس؟ لماذا يجب أن تجعل الدنيا السارة سجنك الضيق؟ كيف يُمكنك أن تجعل من هذه الدنيا التي تُشبه الجنة سجنًا؟ مثل يرقانة، تنسج شبكة من الأفكار، الوساوس، وصور اللوم حول تركيبتك. ثمّ تُصبحُ سجينًا وتختنق.

أنا، جعلت من السجن جنتي. إذا كان سجني جنة، فكّر فقط كيف ينبغي لجنتي أن تكون! ٦١٠

٤٠

«**وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**» «الحج ٢٣». هنا أنا أرتدي الحرير، ولكنَّك لا ترى نعومته، تمامًا كالحيوان، الذي لا يُدرك الحرير ولا يعرف نعومته. لقد أصبحت بشرتي ناعمة مثل الحرير. إنّ بشرتي حرير، ولكن كيف يُمكن لنعومة الحرير أن تُقارن بهذه البشرة؟ كم هما متباينان! «**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**» «المائدة ٣». هذه هي كلماته، «لقد وجدت الروحُ الكمالَ في صورتك(274)».

كن إمَّا رجلًا ومتلونًا بلون رجل

أو اِبقَ مع ألف عار(275). ١٨٩

٤١

خُلقت الجنة. إنَّها مكان مخلوق كي تراه أمور مخلوقة. من أجل فهم ذلك، ثمَّة حاجة إلى افتراض بداية، بحيث يتمكّن الفهم من استيعاب ذلك. أقول إنَّها أبدية، ولكنَّها ليست أزلية. إنّ الله هو الأبدي والأزلي معًا.

سوف أُخبركم بأَمارة أهل الجنة وكذلك أَمارة أهل النار.

من يوم **خلق** الجنة، مثل سهم انطلق من قوس، طالما كان الباب

مفتوحًا على مصراعيه كلَّ يوم وكلَّ لحظة. إنَّه تمامًا بلا حدود إلى درجة يتوه فيها الفكر. ٧١٣

٤٢

عندما يُولد أحدهم في الشمس(276) نفسها، منذ الولادة يفتح عينيه على الشمس ويُصبح معتادًا على ذلك. يقولون له: «تكلّم عن القمر، تكلّم عن عطارد».

«كيف لي أن أتحدّث عنهما؟ هل تعرف الشمس حتى أنَّ هناك قمرًا في الدنيا؟».

إنَّ القمر والكواكب هي لا حول لها ولا قوة. يرى الجميع القمر ويُمعنون النظر فيه. على الرغم من أنه لا شيء يُضاهي نور الشمس، فلا أحد يستطيع رؤية القرص نفسه، تعجز العين عن تحمّل ذلك.

إنَّ «سيسفور(277)» طائر رائع. إنَّه لا يحترق بالنار، ولكن يغرق في الماء. لا تغرق البطة في المحيط ولا يضرُّها ذلك، إلَّا أنَّ النار تحرقها. إنَّ الطير الذي لا تحرقه النار ولا يُغرقه الماء نادر للغاية. ٢١٨

٤٣

الله في يدي - الله ليس «معي». إنَّ كلَّ تلك الصفات التي تحدثتَ عنها في الخطبة، **البصير الذي لا يخفى عليه شيء**، أراها كلَّها باعتبارها صفاتي أنا. إنَّها صفاتي.

ألا تخجل من هذه الكلاب النتنة؟(278)
ألا تزدري هذه الحمير السائبة؟

اِنظُر إليه، «مفخرة الدين" :

إنَّه يُضفي لونًا ورائحة على الكفر!

اِنظُر إليه، «فخر الإمبراطورية»:

إنَّه يُوشِّح الإمبراطورية بالعار والخزي!

يقصد الشاعر أن يقول إنَّك يجب أن تُمسك بزمام الأمور وتقبض عليها بقوة. الآن يقول المُتحدّث:

ليس العارف كالجاهل

لأنَّه أمسك بزمام الأمور، ولم يدعها سائبة. ٦٢٣

٤٤

كلٌّ يتحدث عن شيخه. إنّ الرسول «عليه السلام» أعطاني خرقة في المنام. لم تكن خرقة من النوع الذي يبلى بعد يومين، ثمَّ تُصبح مِزقة ترميها في القمامة، أو تستخدمها لمسح نفسك. كلا، بل كانت خرقة الصحبة، وليست صحبة يُمكن فهمها، إنَّما صحبة ليس لها أمس، اليوم، أو غد. ما شأن العشق بالأمس واليوم والغد؟

إذا قال أحدهم: «نام الرسول»(279) أرفضُ ذلك، إذا قال: «لم يكن

مُحبًّا» ـ حينها يجد اليهود النجاة ويكون لديهم كلُّ الأمل، لكن ليس هو.

إذا سألوني: «هل كان الرسول مُحبًّا؟»، سأقول: «لم يكن مُحبًّا، كان المعشوق والمحبوب». يحار الفكر في شرح المحبوب، ولذلك سوف أدعوه محبًّا بمعنى محبوب. ١٣٣- ٣٤

٤٥

كان أبو نجيب(280) قدَّس الله روحه، جالسًا في خلوة أربعين يومًا بسبب أزمة ما. رأى العديد من الوقائع: «إنَّ مأزقك هذا لن يُحلَّ إلَّا من قِبل شيخ فلان الفلاني».

قال: «سوف أزوره. أتساءل أين سأجده».

جاء صوت: «لن تراه».

قال: «إذن ماذا عليَّ أن أفعل؟».

قال: «اِترك الخلوة، اِذهب إلى المسجد، وتجوّل بين الصفوف واحدًا تلو الآخر في حاجة وحضور. علَّه يراك، سوف تقع تحت نظره».

الآن، كان هذا هو حال أبي نجيب.

لو بقيتُ دون شيخ، لما بقيتُ كذلك. عندما أبديتُ معارضتي، كان ذلك بسبب التعويل على أمر آخر، كانت لديّ ثقة في أمر آخر. ١٧٩

٤٦

إنَّ قلبي ليس مستودعًا لأحد، إنَّه مستودع الله. لماذا أضع بضاعة الجمَّال هنا؟ أرميها كلُّها خارجًا. أمَّا أذهان الآخرين فهي شيء آخر. لا يسع ذهني إلَّا أن يكون مستودع **الملك**.

تأتي قوة من الجانب الآخر بسبب نكران الذات، وهي عامرة بالذات. هذا هو حال **محمد**. هل أصبح يومًا ناكرًا للذات؟ كلا، كان الأصلح لكلِّ شيء بينًا وواضحًا له.

حسنًا، يُخيَّل إلى بعض الناس أنَّ هذا الحال أقلُّ من الاستغراق، إلَّا أنَّ الكثير من الناس لديهم استغراق. هذا غموض آخر، أن تحظى بكلِّ ذلك الاستغراق، وتظلُّ ترى الأصلح لكلِّ شيء. عندما صدم الرسول الآخرين بجزء متناهي الصغر من ذلك الحال، أصبحوا حمقى. لهذا لم يروِ أبو بكر سوى سبعة أحاديث.

"فقط من خلالها يتبيّن الخير والشر والمؤمن والكافر». هذا الكلام صحيح. ٦٢٧- ٢٨

٤٧

دعنا نذهب لبعض الوقت إلى الحانة ونرى أولئك المساكين البؤساء. إنَّ الله خلق أولئك النسوة، سواء كنَّ صالحات أم سيئات. دعنا نُلقِ نظرة عليهن. دعنا نذهب إلى الكنيسة أيضًا، ونُلقِ نظرة عليهم.

لا أحد لديه القدرة على عملي. لن يكون من المناسب لأيٍّ كان أن

يُقلّدني فيما أفعل. إنَّهم على حق عندما يقولون إنَّه لا ينبغي إتباع أناس كهؤلاء. ٣٠٢

٤٨

دعنا نخرج ونُسوِّي تلك الشوارب. أنا لا أقصد غزوة تجعل الكافرين خائفين من شاربي. إنَّ الكافر داخلًا، حتى لو أصبحَت كلّ شعرة رمحًا، فلن يخشى ذلك. أنا لا أقصد خاصتي، فقد مضى وقت طويل منذ أن تمَّ إنهاء العمل على نفسي. ٢٣٥- ٣٦

٤٩

كنا نشرب بكميات كثيرة ونحتسي في الكوب، القدح، الإبريق، الإناء. كان الساقي عاجزًا. يجعل الساقي الكلَّ عاجزين، إلَّا أنَّ هذا الرجل جعل الساقي عاجزًا. يقولون دائمًا إنَّ الخمر «يطرح الرجل»، إن لم يكن بعشرة أكواب، فباثني عشر كوبًا، هب أنَّك شربت الخابية بأكملها.

يقول بائع الخمر: «إذا فرغَت هذه الحانة، هناك الكثير من الحانات في المدينة». هذا هو بالضبط ما أقوله. على أيِّ حال، مَن ذا الذي يشرب الخابية بأكملها؟ يعجز مئة شخص عن شربها.

لكن، لم يتمّ الاحتفاء في الدنيا برجل «يطرح الخمر». كلَّما شرب أكثر، غدا أكثر رصانة. إنَّه ممتلئ حتى حلقه، ولكن لا يزال صاحيًا. كلَّما ثمل أكثر صحا أكثر. إنَّه يُوزّع الرصانة على الدنيا بأسرها وعلى العالَم!

سيكون ذلك غريبًا. ولكن لماذا هو غريب هكذا؟ ألا ترى أنَّ هذا الرجل منغمس في الخمر الرباني؟ لقد تملَّكه الخمر تمامًا. لقد أصبح وجوده خمرًا. جاء، وطرحه. ألا ترى أنَّه طرح الخمر؟ إلَّا أنَّ هكذا سقوط هو أفضل من ألف نهوض.

هزوا رؤوسهم: «نعم، نعم». أنا كذلك هززتُ رأسي، زيادة في الموافقة.

قد يقول أحدهم أنَّه قد اجتُرع من قِبل الخمر. كان محميًّا بالخمر، وعاجزًا عن الكلام. كان يُبرر فلا يفهمون ما يقول. إذن فرأسه ليس في خطر.

أمَّا هذا فلم يتمّ اجتراعه من قِبل الخمر. إنَّه لا يملك القدرة على الخمر، لقد أضاع نفسه في ضوئه ورائحته. إنَّ رأسه في خطر، كالحلاج.

أمَّا ذاك الذي يتجرع الخمر، فلم يتمّ الاحتفاء به في الدنيا، ولم يتحدّث عنه أحد. إنَّه غريب. جاء إلى الدنيا، ألقى نظرة، وذهب، ولكن هناك مئة ألف مثله. ٧٤٥- ٤٦

٥٠

إنَّ لله عبادًا لا أحد يستطيع احتمال حزنهم ولا أحد يستطيع احتمال فرحهم. لو أنَّ أحدًا غيرهم شرب الكأس التي يملئون ويتجرَّعون في كلِّ مرة، لما عاد إلى رشده. يثمل الآخرون ثمّ يُغادرون. إنَّهم جالسون على رأس الخابية. ٣٠٢

٥١

"أولًا خذ قياس الثوب، ثمّ قُم بقصِّ القماش». أنا حذرٌ جدًا في العمل.

«**وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا**»، ذاك حال الصحو، «**وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**» «النبأ ٩- ١١»، ذاك حال السُّكْر.

إنَّ السمك هو الذي يأكل السمك. ظهر بريق في مياه المحيط، ولم يقُل القبطان شيئًا. مضينا في ذلك الوهج ليوم واحد. ثمّ ظهر بريق آخر. في النهاية، سجد القبطان مصليًا سجدة شكر. قال: «لو كنتُ قلتُ شيئًا لدى الأول، لانفجر كبدك. كان ذاك إحدى عيني السمكة، وكان هذا هو العين الأُخرى، لو أنَّنا عدنا أدراجنا للحظة، لدمَّرنا. السمك الباقي كلُّه بالغ الصغر.

إنّ السمك حيران في البحر، ولكنَّ البحر حيران في تلك السمكة: «كيف يُمكن أن تكون بهذا الكِبر؟ ما ذاك الذي في داخلي؟». ٦٦٦

٥٢

بالأمس كنتُ أتحدث إلى نفسي بمثل هذا وأتجوّل حول الخندق. كان الكلام ينصبُّ عليَّ وكنتُ منبهرًا. كنتُ واقفًا تحت الكلام ومنبهرًا تمامًا. قلتُ: «ماذا سأفعل إذا أبهرني الكلام هكذا على المنبر؟».

أنا لا أعتلي المنبر يا سيدي، كانت تلك كذبة. كنتُ أكذب وأقول خطًا. إنَّ الخطاب في داخلي. ينبغي على كلَّ مَن يُريد أن يسمع خطابي أن يدخل، ولكن، هناك بوَّاب جالس هناك، تركي مخيف

وجسور. لقد قتل مئة ألف من الأصدقاء والأصحاب. إنَّه لا يعرف الخوف، ولا يهتمّ. إنَّه لن يسأل حتى مَن أنت، ولن يُعطيك أيَّ فرصة لتقول مَن أنت: «اِسمع، أنا من المعارف، فلان الفلاني، ابن فلان الفلاني». بلمح البصر سوف يضربك ويشطرك نصفين: «لا أعرف شيئًا عن ذلك».

تقدموا إلى القائد بعريضة شكوى: «لقد فعل هذا وذاك»، فتجاهلها القائد، ولم يقبل العريضة، لأنَّه أحب البواب بشدة. قدّمُوا العريضة، ولكنَّه تركها معلقة هناك.

قال: «ما هذه العريضة؟ اِنظُر إلى هذا!».

رأيتها، ولكنَّني لم أكن لأقرأها. إنَّه لن يفعل أمرًا لا يجدر به أن يفعله.

عندما كنا وحدنا، قلتُ للبواب: «لماذا فعلتَ ذلك؟ أعني أنَّه كان من المعارف».

قال: «كان ذاك سيئًا، لن أُكررها ثانية، ولكنَّه ذهب، فهل سيعود بملاطفة رقيقة، سريعًا ومليئًا بالحاجة؟».

بعد أن تتجاوز هذا البواب، هناك باب آخر وبواب آخر. هناك آخرون في الطريق، وأمامك عمل طويل، حتى تصل أخيرًا إلى دنيا القلب. إنَّ مَن يُؤخذ إلى دنيا القلب يملك السرّ. إنَّ السبب في أنَّهم يجعلونه ثملًا هو أن يبوح بالسر وهو ثمل، ولكن يجب على المستمع أن يعرف أيَّ واحدة من كلِّ تلك الكلمات هي السرّ. قليلة هي الأمور التي لم يُتحدّث عنها قط، والتي نُطِق بها وسط كلِّ هذا الكلام، ثمّ أُخفيت

ثانية. رُبَما، عندما يُدوِّنه **مولانا**، سوف يجده بنور الله، أو رُبَما لا، ثمّ سأتفحصه.

فيما أنظر إلى نفسي كنتُ أُفكّر كيف يتولاني الله وكيف يُقلِّبني. إلا أنني عندما فتحتُ عيني، رأيتُ أرضية الصلاة تمامًا كما كانت. لم يبقَ شيء من **تولِّيه**. غضبتُ. كنتُ قادمًا من العدم إلى الوجود. تعجّبتُ من ذلك الشأن وضحكت. مصفوعًا وسط هذا التنوع من الأحوال، يجب أن نُجيل النظر في عجائب صنع الله. يُبقيك هكذا في هذه اللحظة، وفي اللحظة التالية في ذاك! إنَّه يُبقي عينيك مغمضتين هكذا، ومفتوحتين هكذا!

إنَّ الإنسان أهمّ من كلِّ الموجودات والحوادث، لأنَّ نظرته تحتوي **العرش، والكرسي**، والسماء، والأرض، وما بينهما. إنَّ نظرته تتخلَّل كلَّ صفة. لكنَّ «**هو**» أعظم من الكثير من آلاف النظرات. لماذا يكون مُستغربًا أن يكون «هو» مع كلِّ الصفات والحوادث؟ «**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**» «الحديد ٤».

من أجل ذلك، فإنَّ بصيرة(281) الجميع، في هذه الدنيا مفتوحة في اتجاه واحد بحيث لا ترى الاتجاهات الأُخرى. هناك مَن يرى عمل الصائغ، وآخر يرى نقاط الجمال في المجوهرات، أو الكيمياء، أو الشعوذة، أو تقديم الأعذار أو النفاق. هناك مَن يرى حقائق الخلاف والفقه والأصول. ومَن يرى الراحة والطمأنينة الأخرويين ونور الله. هناك مَن يرى الشهوة والجمال والحُبّ، ومَن لا يعرف سوى التهريج والحيل. في كلِّ حالة فُتحت وجهة نظر مختلفة ورواق مختلف في هذه الخيمة. هذا لا يعرف شيئًا عن حالة ذاك، ولا ذاك عن هذا. لقد فُتحت الشرفات من أجل مئة ألف أو عدد لانهائي من الأشياء الحية، والحيوانات، والزواحف، والملائكة، وغيرها. إنَّ للأطباء، وعلماء

الفلك، وآخرون، ولكلٌّ مَن فوقهم المزيد من الشرفات. ٣٢١- ٢٣

٥٣

دعونا نأخذ الكلام الإلهي بمعانيه السبعة الباطنة(282) كلِّها. ليس ثمَّة «سر» هنا. إنَّ السر هو شيء آخر. حتى السر هو من أجل الآخر، لأنَّ **الألف** بحد ذاتها تعني الكثير، إنَّها من أجل الآخر.

انظر إلى كم الكلمات الموجودة في الخطاب. الخطاب الثاني يقطع الأول ويلغيه، والثالث يلغي الثاني. ثم تبدأ الأمور في الظهور مرة أُخرى والعودة إلى الخطاب الأول. الخطابات الأُخرى تتمسك بحواشيه. إنَّها مئة ألف من التنويعات والتلوينات.

أيًّا كان ما **يقوله**، أجب بسرعة كبيرة، لأنَّ الامتنان للمنعم واجب.

كانت روحي في مقام ولم أذهب أبعد من ذلك. كنت أقول أن لا مقام بعده. لقد **تولَّى** روحي، فسَمَت أكثر حتى، محلقة في اللطف والرحمة ذاتها.

إذا جاء أحدهم يومًا وقال إنَّ سرّ الكلام هو شيء، والكلام دون كلمات وأصوات هو شيء آخر، اِسأل عن الفارق. ما إن ينتهي من ذلك وتكون قد نزلتَ عند قدميه، دعه يُخبرك ما سرّ الخطاب، ذلك أيضًا من أجل الآخرين. دعه يُظهر لك البراهين بحيث تُصبح واضحة لك وترى فيه آثار مهابة وعظمة وقدرة الله. إنَّه شقيقي الأصغر. على أيِّ حال، يحتاج الأمر رجلًا ذا ألم يحرق ويُمزّق الظنّ والخيال والتردد.

كلَّما أتكلّم مع الآخرين، يجب أن تعرف أنَّ ما هو مقدَّر عليك،

مناسب لك.

لا رهبانيّة في الإسلام. إنَّ هذا لا يعني أنَّك يجب أن تجلس مع الناس. اِنظُر إلى الناس من مسافة، وإلَّا فقُل كلامًا صادقًا حلوًا ولطيفًا.

لديّ لحظة مع الله. إنَّ هذه دعوة إلى الحال. بعبارة أُخرى، اِفعل شيئًا عسى أن يُصبح هذا الحال حالك. ٦٩١- ٩٢

٥٤

كان هناك زاهد في الجبال. كان من الجبل، ولم يكن من آدم. لو كان من آدم، لكان بين الناس.

هكذا أشخاص يتمتعون بفهم، خيال، وقدرة على معرفة الله. ماذا كان يفعل في الجبال؟ كان طينًا، لذلك كان يميل إلى الحجارة. ما شأن الإنسان بالحجارة؟

كُن بين الناس، ولكن كُن وحيدًا. لا تدخل الخلوة، ولكن كُن منعزلًا.

قال محمد: «**لا رهبانية في الإسلام**». حسب أحد التفاسير، هذا نهي عن الانقطاع عن الناس، وعن الخروج من بين الناس، وعن جعل المرء نفسه ملحوظًا بين الخلق بسبب العلم. هناك معنى آخر، وهو أنَّه نهي عن رفض اتخاذ زوج. اِتخذ زوجًا، ولكن كُن متجردًا. بعبارة أُخرى، كُن منفصلًا عن الآخرين وتخلّص من كلِّ شيء في قلبك.

في كلِّ عام يذهب أهل المدينة والملك لزيارة رجل الجبل. كانت حلاوة كونه مقبولًا من قِبل الناس إلى درجة حرمته من اشتهاء الطعام، فقد انقطع تمامًا عن الطعام.

ذات يوم مرَّ رجل، شخص غريب، عزيز، درويش، من هناك عن قصد. قال: «هذا ليس المهرجان، إنَّه ليس رأس السنة الجديدة، ما هذا التجمّع؟».

قال له أحدهم: «هل أنت مجنون؟ هل أنت معتوه؟".

ماذا تعرف ليلى عن حال المجنون؟

المجنون يعرف ما حاله.

قال الرجل: «أنت رجل مجنون».

قال: «لا تقُل ذلك».

قال: «أتوب، اِغفر لي». نزل عند قدميه، كان يُحدّث نفسه: «هناك رائحة تذوّق في هذه الكلمات. أنا أتوب وسأكون متواضعًا من أجل بركة ذلك». سمحَت بركة التواضع لحلاوة تلك الكلمات أن تصل إليه. قال: «في هذه الجبال، هناك زاهد يأتي الناس لزيارته».

باختصار، ذهب الدرويش لزيارة الملك. حيّاه وقال: «اِستمع إلى كلمة واحدة مني».

أطلق له الملك العنان. بسبب حلاوة كلمات الدرويش وحديثه، بدأ

قلب الملك يغلي. ترجّل وقال لنفسه: «سأُضحّي بكلِّ ما يُريد ـ إذا أراد المملكة، أو أراد ابنتي الجميلة، أو أراد زوجتي، فسوف أُطلقها وأُعطيها له». قال: «أيُّها الدرويش، سأفعل ما تشاء، لديك نفَس حلو».

قال: «لهذا جئتُ».

قال الملك لنفسه: «حسنًا، من هذه الكلمات لا أثر لتلك الرائحة، بأنَّه يجب ألَّا يكون لديه أيٌّ من هذه الرغبات».

قال: «أيُّها الدرويش، لديك نَفَس حلو للغاية».

قال: «إنَّه بسبب نَفَس الدرويش الحلو. حدّثني ببعض الكلام، وحلاوة كلماته جعلَت كلماتي حلوة إلى درجة جعلتك تترجل وتُصبح مطيعًا هكذا. إذا سمحَت لتلك الكلمات أن تصل إلى وجودك سوف يتمُّ العمل، لمرة واحدة أيُّها الملك، أرسل القوم بعيدًا بين الناس، ثمّ سأُخبرك».

جاء الملك إلى الدرويش، في دار حيث لم يكن من الواضح أنَّ أحدهما كان درويشًا والآخر ملكًا، وليس العكس. ٧٢١- ٢٢

---

(266) كيمياء. غالبًا ما يتحدّث الرومي عن هذا النوع من الكيمياء الروحانية. «إنظُر SPL, الفهرس, تحت الكيمياء».

(267) لون واحد. من أجل استخدام الرومي للصورة في سياقات مماثلة, إنظُر SPL٥٨-٥٩, ١٠٥, ٢٧٥.

(268) إنَّ سنَّة أبيه هي لمرة واحدة. إنظُر الملاحظة حول ١- ٢٤.

(269) إنَّ مجال الكلام واسع. لاحِظ أنَّه في ١- ٤٩ إعترض شمس على الشيخ «محمد» على قوله هذا.

(270) نادرًا ما يترافق العلم مع الممارسة. هذا على الرغم من حقيقة أنَّ النبي, الشيوخ, والمتعلّمون دائمًا أصرّوا على أنَّ العلم يتطلّب العمل, كما في الحديث: «العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر»، ولا بُدَّ للعمل أن يستند إلى العلم «العابد دون علم ديني كحمار في مطحنة».

(271) شمس. على امتداد المقطع تمّ استعمال الكلمة الفارسية «أفتاب» والتي تعدل «شمس» باللغة العربية. قارن ١٨.٣, ٧٨ .

(272) لم أر قط أيَّ سجن. قارن أبيات الرومي المثنوي I ٣٥٥٢-٥٣:

لا تنظر إلي من خلال ضعفك أنت ـ

ما هو ليلٌ بالنسبة إليك هو بالنسبة إلي نهار.

إنَّه لك سجن ولي جنة,

بالنسبة إلي لقد انقلب الانشغال نفسه إلى راحة.

(273) القلب أعظم. عن عظمة القلب, إنظُرff١٧٣,٢.

(274) لقد وجدت الروح الكمال. الشطر الثاني من البيت, «إنهض وسافر إلى دنيا أسمى!». يقول محرر مقالات «٥٠٣» أنَّ المؤلّف هو «سنائي», لكنَّني لم أعثر على القصيدة التي يستشهد بها في نسخة الديوان التي في حوزتي.

(275) كُن إمَّا رجلًا. هذا السطر متضمن في ثلاث رباعيات مختلفة من

الرباعيات # ١٤٤٤-٤٦.

(276) شمس. كما في ٣- ٣٦, فإنَّ استخدام الكلمة الفارسية المرادفة لكلمة شمس إيحائي.

(277) سيسفور. لم يتمّ العثور على الكلمة في القاموس. بعض المخطوطات اللاحقة تستخدم كلمة «سلمندر», الوحش الأسطوري الذي ترعرع في النار.

(278) ألا تخجل. الأبيات الأولى هي من قصيدة سنائي «ديوان ١٨٣», أمَّا الأخيرة فلا.

(279) نام الرسول. في النص «لم ينم»: ولكنّ حاشية الكتاب تُخبرنا أنَّ النسخة المطولة للمقطع نفسه أوردت «نام» . كلا القراءتان منطقية، ولكنَّ السياق يفترض أنَّه كان في بال شمس حديث. «عيني تنام, ولكنّ قلبي لا ينام». «بخاري ومسلم». يستشهد الرومي هنا بالحديث ويُفسّر المعنى الذي يبدو أنَّه يدور في خلد شمس في المثنوي II ٣٥٤٧-٦١.

(280) أبو نجيب. ذكر الاسم مرتين في النص، ويعتقد المحرر أنَّه أبو نجيب السهروردي «تُوفي ١١٦٨» شيخ صوفي وخال شهاب الدين السهروردي. إلّا أنَّ المرة الثانية التي ذُكر فيها الاسم في جزء منفصل في «مقالات ٣٦٨» تجعله أمرًا غير محتمل, ما لم نكن نتعامل مع اثنين أبو نجيب: «الشيخ محمد كان الرجل الذي كان ليأتي إليه «أبو نجيب» عارضًا خدماته, طارحًا نفسه أمامه. في الواقع كان المئات من أمثال «أبو نجيب» لينهلوا من علمه». لكنَّ أبا نجيب السهروردي تُوفي قبل أن يُصبح الشيخ محمد «جبلًا» بوقت طويل «ولد ابن عربي الذي كان في حال الأحوال معاصرًا للشيخ «محمد» في ١١٦٥».

(281) بصيرة الجميع. يُفسّر الرومي تنوع الدنيا بعبارات مماثلة. إنظُر SPL ١٩٨-٢٠٠.

(282) معانيه السبعة الباطنة. إشارة إلى الحديث، «إنَّ للقرآن معنى ظاهرًا...».

مقام «مولانا» الرفيع

٥٥

إنَّ لمولانا خصالًا متميزة لا يُمكن أن يُنال أيٌّ منها سالك متعجّل خاض ألف صراع وصراع ـ سواء تحدثنا عن حلمه، علمه، تواضعه، وكرمه. يستحيل فعل ذلك. لا جدوى. دعوه ينال نصيبه المنصف. ١٢٩- ٣٠

٥٦

تعالي، أيتها الروح الصافية! نحن ماء تحت قشّ. رويدًا رويدًا يموج الماء تحت القشّ، ولكنَّ القشّ غير مدركٍ لذلك. فجأة، يُنفث بالقش في الهواء ـ «**هَبَاءً مَنْثُورًا**»»الفرقان ٢٣» ـ ثمَّ يتدفّق.

والله، يُصبح النظر إلى وجهك نعمة. إذا أحبّ أحدهم أن يرى نبيًا أرسله الله، فلينظر إلى «مولانا» بعيدًا عن الشكليات، عندما يكون حرًا بعيدًا عن كلِّ تكلُّف. إذا أراد شيئًا سوى ذلك، فهو لا يعرف كيف يعيش.

سعيد ذلك الذي يعثر على «مولانا» ! من أنا؟ حسنًا، على الأقل لقد عثرتُ عليه. يا لي من سعيد!

عندما يكون إيمانك متلونًا، فأين اليقين في الطريق؟ لن تمضي وقتك إلّا في الشكّ. ما أقصده بالشك هو أن تكون تارة مزدهرًا وتارة أُخرى يتغلغل البرود إليك. لا يُحتسب ذلك في العمل، ولا في

الرفقة. يمضي هذا الدرب إلى الضفة الأُخرى لليقين.

عسى أن يمرَّ نهار «مولانا» على خير وليلتك على خيبة! ما معنى هذا الكلام؟

سأل أحدهم ذات يوم عن آية «**وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**» «الأحزاب ٤٢»، «**وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا**» «الإنسان ٢٦». قلتُ: «عندما يتعلّم يهودي النصّ المُقدّس فإنَّه يفهم ذلك حرفيًّا. أنت الآخر تفهمه حرفيًا. ما الفارق؟ بما أنَّك لم تتعلّم الفهم، فأنت في منزلة اليهودي. ما الفارق بينك وبينه؟».

قال: «هل الليل هو حلول الظلام أم ستار للتطفل؟».

بما أنَّه من المسموح للمريد أن يرى الولي سبعين مرة في اليوم، فكيف له ألّا يعتبر من المسموح أن يرى نبيًّا أرسله الله؟

قال: ما هو ظاهر للعلماء هو أنَّ كلَّ نبي متفرّد بأمر ما، فإبراهيم بكونه خليل الله، وموسى بالكلام، أمَّا محمد فبالبصيرة. ما يقوله هو أنَّ الولاية والنبوة هما من أجل الرؤية، ولمراعاة جانب عامة الناس قيل ذلك بكلمات مختلفة مثل «تدفّق الأنوار»، «الكشف» و«التفكّر»، ولم يتحدّثوا صراحة.

حسنًا، إنَّ الحقيقة هي ما يتّفق عليها العلماء ـ أنَّ الولي لا يصل إلى مرتبة النبي.

إن كان الولي يرى، أو حتى مريد الولي ـ كيف يُمكن أن يخفى ذلك على نبي؟ «**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى**» «الإسراء

٧٢». ٥٠ - ٧٤٩

٥٧

كان «أرشد» الصوفي يقول لمريده: « فلينبع الابتهال من سرَّتك».

أمَّا أنا فأقول: «كلا، لا تخرجنَّ الابتهال من سرَّتك، بل أخرجه من صميم روحك». ألقته كلماتي في حيرة.

كلَّما ألتفتُ بوجهي نحو أحدهم، أشاح بوجهه عن العالم بأكمله. لمن ينبغي أن أُظهر نفسي؟ ولكنَّني لا أُدير وجهي نحوه.

قال أحدهم: **وما أمارة ذلك؟** قال النبي: **التجافي عن دار الغَرور.**

في داخلي جوهرة. كلَّما أظهرتُ وجهها لأحدهم، انسلخ عن جميع رفاقه وأصحابه. هذا أمر خفيّ آخر ـ هذا ليس مكانًا للنبوءة ولا الرسالة. حقًا، ماذا يسعني أن أقول عن القداسة والعرفان؟

يقول أولئك الذين يُجللهم **الحضور**: كيف لنا أن نُظهر؟ ماذا يجب أن نقول عن حقيقة مَن نكون؟».

قال: «أخرجوا رؤوسكم من طوق «محمد» نحن نتَّبعه».

وإلَّا كيف لهذا أن يكون مكان الإتباع؟ وصل شعاع نورهم إلى محمد، فأصبح شبه فاقد للوعي. أيِّ نوع من الإتباع هذا؟

كان «مولانا» جالسًا، فقال «الخواجاجي»: آن أوان الصلاة». كان

«مولانا» منشغلًا في نفسه. وقفنا جميعًا وأدينا صلاة التهجّد. نظرتُ أكثر من مرة فرأيت الإمام وآخرين وقد ولوا ظهورهم جميعًا نحو القبلة ـ «لقد تركنا الصلاة وتوليّنا عن القبلة». ٢٢٢- ٢٣

٥٨.

دائمًا ما كان الشيطان يتواجد في الحمَّام، أمَّا الآن فالملاك في الحمَّام.

هل قام «مولانا» برحلة إلى القبلة؟

قال: «وهل سبق ولم تكن القبلة تسكن في داخله؟ هل كان يفعل شيئا إلا السفر إلى القبلة، وزيارة الكعبة، وأداء الحج؟ أنتم مخطئون بشأن القبلة.»

بالطريقة ذاتها، رأى شخص عزيز النبي «في رؤية» بعد اثنتي عشر سنة. قال «يا رسول الله! لقد اعتدتَ أن تُظهر نفسك لي كلَّ ليلة خميس. لقد تركتني مثل سمكة خارج الماء كلَّ هذا الوقت. ماذا حدث؟»

قال: « لقد كنت مشغولًا بالحِداد؟».

قلت: «على من؟»

قال: «على قومي. في هذه الاثنتي عشر سنة، ولّى سبعة فقط منهم وجوههم نحو القبلة وأقبلوا عليّ، وليس أكثر. أمَّا البقية جميعهم فقد أشاحوا بوجوههم عن القبلة». ٦٤٧

٥٩

سوف أحكي لكم في وقت لاحق القصة التي حكيتها البارحة، وبإمكانكم تعتيم القمر. أمَّا الآن، فأيُّ ظلمة؟ نور على نور!

اِسأل أولًا: «نحن متحمسون، دعونا نتجنب الضجر.»

سوف أوسعه ضربًا حتى تقولوا، «أحسنت!»

أقول: «إنَّ «مولانا» محيط من حيث العلم والمعرفة». يتمثّل الكرم والرجولة، على الرغم من ذلك، في الإنصات إلى كلام مَن لا حول لهم ولا قوّة».

أعرف ذلك ويعرفه الجميع، فهو مشهور ببلاغته وعلمه. عندما يُرسل أحد الملوك بفخر ممثلًا له إلى مكان ما، هل كان ليُرسل مَن ليس بليغًا ولا مثقّفًا؟ لكن إن لم يتنازل «مولانا»، ويُنصت إلى كلام رجل لا حول له ولا قوّة، فلن يتمكّن الدرويش من الكلام.

سوف أجعله خاضعًا وعاجزًا بين يديّ بحيث يُصبح رغم كلّ بلاغته، مثل مفاصل الأصابع في يد المحتال.

سوف يتبين أنَّ قلب الولي ينطوي على كافة الميادين، وأنّ كلَّ الميادين تستظل تحت جناح قلبه. ٦٨٤- ٤٩

٦٠

إنَّ لديك من القوة ما يسمح للآخرين أن يستمدوا قوتهم منك. كيف

لك أن تقول إنَّك ضعيف؟ أجل إنَّ رجلًا عظيمًا، في أوج عظمته، سوف يقول إنَّه ضعيف. اِهدأ الآن، وإلَّا أفسدتَ إيماني بك.

إذا كنتُ عظيمًا بقدر ما تظنُّ، فالأمر كلُّه خير، وإن لم أكن كذلك، فأنا على الأقل ذكي. بهذا الذكاء، أُؤمن بسعيك ـ أيّ أنَّك طالب.

إذا جاء رجل مريض إلى الطبيب وقال: «داوني من الاستسقاء»، ينبغي ألَّا يبحث عن شيء سوى الدواء. أو لو أنَّ رجلًا ظمآن جاء طلبًا للماء العذب، فلو جاءوه بخبزٍ وحلوى فتناولهما، فهو كاذب في ادعاءه الظمأ. أو لو أنَّ رجلًا جائعًا يدّعي أنَّه جائع ـ فإنَّ اختباره هو أن تحضر له ماءً عذبًا. إن شرب فهو كاذب.

أنت تروي قصص السلطان وقصصًا أُخرى بمنتهى الروعة!

كنتُ أُقلِّد رمزًا شخصية الحجاج. أخبرتُ «مولانا» أنَّ «الحجاج» قد أتى البارحة يتصبب عرقًا مثل شخص يخرج من الدفء إلى البرد. يلفحه البرد في الخارج، فينكمش ويتجمّد. أشرتُ إلى «مولانا» أنَّه يجب أن يتكلّم، وعلى الرغم من أنَّ «مولانا» كان مستغرقًا، أطاع الأمر وتكلَّم. غادر «الحجاج» وقد تغيَّر حاله، ويا للمفاجأة، انهمرَت دموعه. رويتُ قصة الأمر وتحطُّم الجوهرة(283).

لم يكن يشغلني شيء سوى الدعاء لأصحابي: «اللهم احفظهم!»، هذه هي سنّة محمد. **هذا هو هديه: اِهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون.**

كيف يُمكن «لمولانا» أن يضع أحدهم في خلوة ويقول له: «قُل لي يا مريد أيّ نوع من الوقائع رأيت؟»، هل سبق أن رأيتَ شيخًا جاهلًا بحال مريده إلى هذه الدرجة؟ ما معنى ذلك؟ «ما الوساوس التي وسوس لك

بها الشيطان؟ أنا الوجه الآخر من عمله. أخبرني أنت، ثمّ سوف أكمل أنا وسوسته. ثمَّ سوف تنجرف بعيدًا جدًا بحيث لن تشمَّ رائحة درب الله». ٧١٢- ١٣

٦١

في الناحية المعمورة الآن، ليس هناك نظير «لمولانا» في كافة المجالات، سواء في علم الأصول، الفقه، أو النحو. في الحديث عن المنطق مع سادة المنطق، يُعبّر عن المعنى بقوة، ويتميّز على نحو أفضل وأجمل منهم، إذا توجّب عليه فعل ذلك، وإن كان راغبًا في فعل ذلك، ولم يمنعه الملل.

الأمر المقيت هنا هو أنّني لو أصبحتُ شابًا من جديد وكافحتُ مئة عام، ما كنتُ لأُحصِّل معشار علمه وفضيلته. لكنَّه يتظاهر أنَّه لا يعلم ذلك. عندما يُنصت إليّ، فإنَّه يتخيّل نفسه، وإنَّه لأمر مخجل للغاية إلى درجة أنّني لا أستطيع التفوّه به، مثل صبي صغير ابن عامين ماثل أمام والده، أو مثل حديث عهد بالإسلام لم يسمع من قبل شيئًا عنه. يا له من تسليم! ٧٣٠

٦٢

يتوق الأنبياء إلى حضوره. أقول هذا لمجرّد أنَّه يسرُّ «مولانا»، ولأنَّ هذا ما أظنُّه. لا أرى لي فضلًا سوى الكلمات التي تخرج مني ليُسرَّ بها «مولانا». ليس ذلك حالي، ولكنّني مللتُ النقاش ذات يوم، فأمسكتُ بخناق إحدى الكلمات التي كانت تعبر من خلالي وقلتُ: «من أين؟»

قالت « من عند «الله»».

قلت : «إلى أين».

قالت: «إلى رجل عظيم، «مولانا»».

قلتُ: «ماذا أفعل هنا؟ لماذا تمرين من خلالي؟ اِعبري من خلال دار شخص آخر، «عماد» أو «أرشد» أو «زين صدقة». إمّا أن تبدئي من عندي، أو كُفي عن المرور عبر داري».

أمّا الآن، فلم يعُد مرورها يجعلني أشعر بالملل. حتى أنّني أصبحتُ أخشى القيام بأمور قد تجعلها تتوقّف عن المرور من أمامي. كنتُ لأندم على ذلك. هل هو أفضل من الأسبقين؟ أنا لا أتحدّث عن «محمد» لأنّه ذو شأن عظيم. لقد غطّس الله محمدًا ذات يوم في بحر من الكرم، ثمّ أخرجه. فتساقطَت منه قطرات من نور، وظهر من كلّ واحدة منها نبي. بقيَت بضع قطرات، ومنها خلق «الله» الأولياء. إذن كيف يُمكنني أن أُقارنه به؟ أقول إنّ محمدًا أعظم من كلّ تلاه، فمن أين لأحد أن يُقارن به؟ إنّ أيّ ما وصلني من دون دراسة العلوم ودون نباهة أو جهد ما هو إلا ببركة إتّباعه.

كانت تلك هي أولى الكلمات التي قلتها(284) «لمولانا»: «لماذا لم يتمسّك «أبو يزيد البسطامي» بالإتباع، ولماذا لم يقُل: «سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك»؟».

فهم مولانا تلك الكلمات بالتمام والكمال، ولكن ماذا كانت نتيجة الكلام؟ إنّ نقاء سريرته جعله ثملًا، حيث كانت سريرته طاهرة ونقيّة. بالتالي فقد أصبحَت تحققًا بالنسبة إليه. عرفتُ بهجة هذه الكلمات

من خلال ثمالته. لقد كنتُ غافلًا عمّا فيها من بهجة. ٦٨٤- ٨٥

٦٣

عندما تقوم على خدمة الشيخ وتكون في حضرة الأكثر تميزًا بين المشايخ، سوف تكون في خلوة دائمة دون أن تجلس في خلوة. سوف يغشاك حال كما لو أنَّك في خلوة على الدوام. لله عباد على هذا النحو، عندما يلتحق أحدهم بخدمتهم، يحظى بخلوة مطردة ومستمرة.

أنا لا أتخذ مريدين. لمَ أُلزم نفسي بالحديث، بحيث لا يتورّط أحدهم ويحيد عن الطريق؟ حسنًا، لا بُدَّ «لمولانا» أن يتخذ البعض، لا ريب.

لم أُدرك ذاك اليوم أنَّ الكلام الذي بدأته سوف يُثير أنانية ذاك الفتى. لو كان رفيقي، ما كنتُ قلت أيَّ شيء.

لو بادر «مولانا» إلى إظهار التواضع لقلتُ له: «كلا يا «مولانا» . دعني أولًا أفعل ما هو ضروري وواجب في نظري، وهو إظهار التواضع أمام الأكثر تميزًا بين المشايخ». ٧٥١

٦٤

تظهر أحيانًا حدة الذهن في خطب «مولانا» والتي ما كنت لتجدها في خطب «منصور حفظة» على الرغم من شخصيّته الجذّابة. وقف أحدهم ذات يوم خلال خطبة «منصور» وسأل: «ما علامة الولي؟».

قال: «هي أنَّه إذا قال للخشب الميت تحرّك، لتحرك.» على الفور سحب المنبر نفسه من الأرض، وكان راسخًا في الأرض على عمق

قدمين. قال: « أيُّها المنبر أنا لا أتحدّث إليك، اِسكن!» فغار في الأرض مرّة أُخرى.

لله عباد مستترين.

قال: «من رأسي إلى أخمص قدمي، لقد استحوذ عليّ الله بالكامل».

هؤلاء الجهلة، هؤلاء الناس الذين لا ذوق لديهم، كم هم جامدون كم هم مُبعدون، كم يفتقرون إلى الذوق! «**أنا الحق**»، «**سبحاني**»، مَن لديه قدرتي على قول هذه الكلمات، على قول هذا الحديث! أين ترون الله؟

يعتبرون بعض الناس مقبولين من الدنيا بأكملها، ثمَّ يُضيفون بعض الحماس والنكهة إلى خطبهم من خلال ذكرهم. ليس لأنَّهم يعلمون أيَّ شيء عن أحوالهم، إنَّما يُحمّسون أنفسهم فقط من خلال ذكر أسماءهم!

٢٨٤- ٨٥

---

(283) قصة الأمير وتحطيم اللؤلؤة. مثال, قصة «محمود» و«عياض» في ٢-١١٩.

(284) *كانت تلك هي أولى الكلمات التي قلتها*. عن هذا اللقاء الأول وتفسيراته المختلفة، إنظُر RPP ١٥٩ ff. من الجدير بالملاحظة أنَّ روايتي أفلكي» ٨٧-٦١٩ تحويان «ما عرفناك حق معرفتك» بدلًا من «ما عبدناك حق عبادتك». يبدو أنَّ الصيغة الأخيرة قد وجدَت في المصادر الأولى, إلّا أنَّها لم تُنسب في السابقة منها إلى النبي.

صحبتنا

٦٥

كان الشرط الأول الذي اتفقتُ عليه مع مولانا هو أنَّ الحياة ينبغي أن تكون دون رياء، كما لو كنتَ منفردًا. على سبيل المثال، إن كنت منفردًا أذهب لقضاء حاجة. إنَّ هذا **الجسد** مطيتي، ولكلٍّ جسده. أحيانًا يأكل الطعام وأحيانًا أُخرى يُصدر ريحًا. رُبّما تقول إنَّ ذلك لا يهمّ، ولكنَّني لا أستطيع فعل ذلك. ٧٧٩

٦٦

يُحكى أنَّ صديقين قضيا بصحبة بعضهما وقتًا طويلًا. ذات يوم أتيا لخدمة أحد الشيوخ. قال الشيخ: «كم عمر صداقتكما؟».

قالا: «سنين عديدة».

قال: «هل تشاجرتما خلال هذه الفترة؟»

قالا: «كلا بل وفاق وحسب».

قال: «اِعلما أنَّكما كنتما تعيشان في نفاق. لا بُدَّ أنَّكما شهدتما سلوكًا يُثير المتاعب والنفور في قلبيكما ـ لا مناص من ذلك».

قالا: «نعم».

قال: «الخوف منعكما من ذكر ذلك النفور».

قالا: نعم». ٢٧٣

٦٧

عندما أتيتُ إلى مولانا، كان الشرط الأول أنَّني لم آتِ لأُصبح شيخًا. لم يخلق الله بعد على ظهر البسيطة مَن يُمكن أن يُصبح شيخًا لمولانا. لن يكون ذاك بشرًا. كما أنَّه لا يليق بي أن أكون مريدًا. لم يتبقَّ بالنسبة إليّ شيء من هذا.

الآن. ومن أجل الصداقة واليسر، يتحتم ألَّا تعترضني حاجة للتكلم نفاقًا. إنَّ معظم الأنبياء تكلّموا برياء، والرياء يعني أنَّه يجب عليك أن تُظهر ما ليس في قلبك.

مَن يعرف نفسه يعرف ربه. لقد كانت «**مَن يعرف نفسي**» لكنَّه استحيا أن يقولها على هذا النحو. قال: «**يعرف ربه**». لقد قلب كلَّ الأحوال إلى «موسى» و»عيسى» وآخرين. لو لم يكن مرائيًا لكان «أبو بكر» تركه بنفور.

ليس رياءه من النوع الذي يسوقه إلى النار. إنَّما الذي يسوق الآخرين إلى الجنة. لقد أوصلهم إخلاصه إلى الجنة. كلَّما أصبح أحدهم أهلًا، زاد إخلاصه وأصبح أقرب إلى اللحاق بعالم اليقين.

في الوقت الحالي، أنا صاحب مولانا، وأنا واثق من أنَّ مولانا ولي الله. أنا في هذا لا أُقسم يمين تنصّل أو شرف. حسنًا. إنَّ صاحب ولي الله هو من عباد الله الصالحين ـ لقد تمّ تأكيد هذا. ٧٧٧- ٧٨

٦٨

كلَّما سئل «محمد» عن الإيمان كان يُجيب بما يتوافق مع حال السائل، أيّ ما كان مناسبًا للسائل. ذات يوم قال: «**المُسلم مَن سلم الناس من لسانه ويده**»، وقال في مرّة أُخرى: «**وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**» «البقرة ١٧٧». ٢٤٠

٦٩

حرصت على ألَّا أكون مرائيًا. بعد تلك الكلمات التي قلتُ، فإنَّ التقليل من الكلام كان ليحرمنا من تلك الكلمات ولما أصبحت مقبولة لدينا.

ما الذي من شأنه أن يكون ملائمًا لـ «أمين قماز» بعد هذا الحديث؟ بعد يومين سوف يُغادر إلى جهنم. في الحقيقة، إنَّه فعلًا في جهنم، ولكن بعد يومين من الآن سوف يتّضح له أنَّه في الجحيم.

في الوقت الحالي لا مكان للحديث عن أهل الجنة. كيف أمكن للحديث عن أهل النار أن يجد مكانًا هنا؟ كلَّما تحدثتَ إلى أحدهم برياء، أخذه ذلك إلى الجنة. وكلَّما حدّثتَ أحدهم بصدق أخذه ذلك إلى حيث يستحق. أيُّهما أنسب لك؟

إنَّه يلتمس العذر لـ «أمين الدين». لمَ لا يلتمس لي العذر ـ ألف عذرٍ. ماذا كانت تلك الكلمات التي قالها بعد أن تكلّمتُ أنا؟

«خُيِّل إليّ أنك أنهيتَ حديثك.»

كلا، لم أفرغ بعد من الكلام. أردتُ أن أروي قصة أُخرى. لقد مضى وهرب بعيدًا الآن. لن يعود الآن.

«كلا، سوف أُعيده بالقوة. سوف يكون عديم الحيلة»، بالطبع سوف تأتي.

أولئك الذين يغشاهم شعاع كلماتي يرون أحيانًا أشياء متخيَّلة ـ عجائب ووقائع، ضوء متخيَّلًا على الأيدي والجدران. هل يُمكن أن أكون مُجرّدًا من ذلك؟ يا لها من أشياء تلك التي أراها! بالله عليك، لو وصل شذا كلماتي إليك لقفزتَ ومزّقتَ ثيابك وأطلقت مئة صيحة.

لو أنَّني لعبتُ دور المرائي، لشعرتَ بالشفقة، ودخلتَ في حال وبكيت. بما أنَّني أقول الصدق، لم تفعل أيّ من ذلك، وكنتَ متحيرًا وحسب. إنَّ الحال الذي اعتراك هو ذاته الذي اعترى «أبا بكر». كان متحيرًا عندما سمع الصدق. قال: «أنا لا أملك بين يديّ سوى الحيرة. **زدني حيرة!** حقًا، زدني منها!».

إنَّ الرياء الذي أُبديه هو رياء رائع. لا شيء سوى هذا الرياء دنا من معظم الأنبياء، فيما عدا «محمد» و»الخضر»، ممَّن نزل عليهم الحق. إنَّه رياء صعب ذاك الذي أتحدّث عنه. ما الذي كان يُمكن لـ «أبي يزيد» أن يصيح به هنا؟ إنَّ ذاك الذي أكل جذور الأعشاب خمسة عشر عامًا، وحتى لو أكلها ألف عام، فإنَّ الطريق الذي سلك ما كان ليُؤدّي به إلى هنا. ٧٧٥- ٧٦

٧٠

كُثر أولئك الذين أُحبّهم روحيًا. هناك عاطفة ولكنَّني لا أُظهرها،

سمحتُ لها مرة أو مرتين أن تظهر، وفعلتُ شيئًا أثناء مصاحبتي لهم، ولكنَّهم لم يعرفوا ولم يُدركوا واجبهم تجاه الصحبة. ألزمتُ نفسي ألّا أسمح للعاطفة أن تبرد. عندما أظهرتُها «لمولانا» زادَت ولم تنقُص.

لا أستطيع أن أتحدّث بصدق. لو رحتُ أتحدّث بصدق فسوف يُلقى بي خارجًا. لو نطقتُ بالحقيقة كاملة، سوف تُلقي بي المدينة بأكملها خارجًا على الفور، كبيرها وصغيرها، وكان «مولانا» ليُساعدهم. اِسألني لماذا. لأنَّه عندما يراهم جميعًا يتطرّفون، فسيخرج معهم بحجة مساعدتهم. كان سيرى إلى أين أذهب ثمّ يتبعني.

قلت إنَّ في هذه الكلمات نصف رياء. لو كنتُ لأقول الحقيقة، لكنتم جميعًا في هذه المدرسة استهدفتم حياتي، ولكنَّكم لن تكونوا قادرين على فعل شيء. سيعود وبال ذلك عليكم. حاولوا إن أردتم. ١٢١-٢٢

٧١

باختصار، دعني أقول كلمة: إنَّ الرياء يُسعد هؤلاء الناس، والحقيقة تُحزنهم.

قلتُ لأحدهم: «أنت رجل عظيم، فريد عصرك».

أصبح سعيدًا، أخذ بيدي. قال: «كنتُ طمَّاعًا ، كنتُ مقصرًا».

في العام الماضي قلتُ له الحقيقة، فأصبح خصمي وعدوي، أليس هذا غريبًا؟ ينبغي أن تعيش بين الناس في رياء كي تبقى سعيدًا بينهم. ما إن تبدأ في قول الحقيقة، يتوجّب عليك الخروج إلى الجبال

والصحاري، ولن يكون هناك سبيل للبقاء بين الناس. ١٣٩

٧٢

قال: «يا لسعادة حال فلان وفلان! ليت لي حال كذاك!».

قلتُ: «أنت تدّعي الصداقة. ألا تخجل من قول هكذا أمور أمامي؟».

قال: «هل تعني أنَّه ليس مقامًا عاليًا؟».

قلتُ: «إنَّه مقام راقٍ وحالٌ عالٍ، ولكنَّ من يدّعي صداقتي لن يرضى به. إنَّ كلماتك تجعلك تبدو مثل شخص مُقرّب من وزير، يتحدّث معه بسرور ويُصبح بيت أسراره. ثمَّ يقول: «ليتني كنتُ قائد شرطة «قونية»!»، لقد اتخذه الوزير صديقًا مقربًا ويثق به. إنَّ المطمح الأعلى للوزير، والذي هو نائب السلطان قد قال له: «أنا مُجرّد اسم والأمر كلُّه لك! رُبّما يأتي قائد الشرطة بألف أسلوب تملّق، ويُقبّل الأرض عشرات المرات، إلَّا أنَّه لا يجرؤ على الاقتراب منه». ٦٩٥-٩٦

٧٣

هل ترون مولانا؟ إنَّ لديه **أنانية** وأنفة فرعونية، ولذلك فهو يحني رأسه. هل ترون الآخرين؟ رؤوسهم مرفوعة عاليًا. لو لم يكونوا جهلة لما كان من الضروري تجشّم كلِّ ذاك العناء والسعي وراء كلِّ تلك المعرفة.

لو لم يقل ذاك الرجل الأحمق لزوجه: «أنت أمي وأختي»(285). هل هناك أيّ رجل عاقل يقول هذا؟ بل الغبي وحسب. لقد ضحّى هؤلاء العلماء بأنفسهم للجهلة. لقد أصبحوا قرابين لهم ولعملهم.

لو خاطبتَ الناس ولو لحظة واحدة دون رياء، فلن يُحيّوك بعدها بتحية الإسلام. أردتُ أولًا وآخرًا أن أختبر أسلوب الصدق مع رفقاء الدرب، ثمّ حدث كلّ هذا.

كنتُ ألعب دور المرائي مع «فخر الدين»: «ينبغي أن آخذ دروسًا منك».

قال: « لقد عثرتَ على مولانا، وتوليتَ عني!»

دون رياء، كنتُ لأقول: «كيف أمكنك أن تُقارن نفسك بمولانا؟».

هذه كلماتنا، ومولانا يعلم أنَّ الأمر كذلك، وهو مرتبك.

في الوقت الراهن، تمَّ ترسيخ المشيخة والتلمذة. اِنظُر إلى الإتقان في جميع فروع التعليم، اِقرأ عميقًا في الفقه ومبادئ وفروع علم الأصول. لا علاقة لهذه بطريق الله وطريق الأنبياء. عوضًا عن ذلك قاموا بتغطيته. أولًا، ينبغي أن تشعر بالقرف من ذلك كلّه، **إرفع سبابتك وقُل: أشهد أن لا إله إلا الله.**

ينبغي أن يتجرّد من هذه العلوم ويكون مثل روسي مسكين، مكسو بجلد خروف، يرتدي قبعة طويلة، يبيع الكبريت لفترة، وليُصفع لتخفيف بعض من حبّه لذاته بحيث يُصبح درب الإسلام واضحًا بالنسبة إليه.

لا تستطيع أن تقول هذا له، ولذلك من الضروري أن تكون مرائيًا. ولكنَّ المشيخة والتلمذة راسختان حوله. هناك ألف طريق تتعدى المشيخة والتلمذة بالنسبة إلى مولانا. ٧٧٨- ٧٩

٧٤

ما همَّك أنت إن كان العالم أبديًّا؟ يتحتم عليك أن تجعل خلودك معلومًا ـ هل أنت خالد أم حادث؟ ينبغي أن تُمضي العمر الذي تحظى به في التفتيش عن حالك أنت. فلماذا تقضيه في التفتيش عن أبدية العالم؟ عندما تُدرك أنَّ الله شامل، فأنت أيها الأحمق شامل. إن كان ثمَّة شيء شامل فهو أنت. أيُّ نوع من الأصحاب أنت إذا لم تكن تعرف ماذا في داخل شرايين صاحبك، قدميه، ورأسه كما تعلم خطوط راحة يدك؟ أيُّ نوع من عباد الله أنت إن كنتَ لا تعرف كلَّ أسراره و سريرته.

إنَّ ما فعلته معك لم أفعله مع شيخي(286). لقد تركتُه بقسوة، ورحلتُ. ولكنَّه كان يقول: «أنا الشيخ». أمَّا مولانا فيقول شيئًا مختلفًا.

نعم، والله، الشيخ. وفتح عينيّ.

لقد كان كذلك بالضبط بالنسبة إلى الجميع. طالما أنّي لم أُحضرهم، لا يأتون. لو لم أشأ لذلك أن يحصل لما حصل.

لو كان «يوسف الصديق» حيًا لأزال ذهولك من»تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»(287) «يوسف ١٠١». كيف لك ألَّا تعلم؟ أم أنَّك تعلم

حقًا ولكنَّك تتحدّث بخداع؟ ٢٢١- ٢٢

٧٥

إن جاءك **رجال الحق** فلا عيب في ذلك. فذلك من أجل الحكمة.

إنَّ التكاليف الدينية ليست صعبة، ولا عجلة. عندما يكون هناك بهجة للنفس لا يكون هناك ملل.

كان يُلقي خطبًا جيدة، ولكنَّه كان لا يزال في المنتصف. كان عامرًا بوجوده هو.

عندما كانت عيناه هكذا، وعلى الرغم من أنَّه فعل ذلك كي يقبل ويشهد، أفلتت كلماتي، لا تُشيحوا بأعينكم ورؤوسكم بعيدًا.

ما الذي غنمتموه من عالم **التوحيد؟** ماذا يعني بالنسبة إليكم أن يكون الله أحد؟ أنت أكثر من مئة ألف، وكلُّ جزء منك في اتجاه، كلُّ جزء منك في عالم. فلتفقد تلك الأجزاء ولتفنى **في وحدانيته، عسى أن يصبغك بصبغة وحدانيته،** وعسى أن يحفظ رأسك وسريرتك ذلك! **حينها سوف تُقبل طاعتك.**

حسنًا، كما تعلم، عندما يأتي ضيف تُعيد رواية القصة إليه كيلا يبقى دون نصيب. حتى أنَّه من اللائق أكثر أن تُرحّب بي. ٦٣٨- ٣٩

٧٦

لا تستطيع أن تعظ أمام واعظ، ولا أن تُغني أمام مُغنٍ ما لم تكُن

مُعلّمًا ماهرًا. سوف يقول: «هذا لحن غريب».

إن لم يكن قد فُتح عليك بعد، فسيحصل ذلك. بما أنَّك لجأتَ إلي، فأمامك فتوحات عديدة. سوف تأتي.

مهما كانت الحجب، فهي لصالحك. كلَّما واجهتك صعوبة، ألقِ اللوم على نفسك: «هذه الصعوبة في داخلي». يُعامل الله العبدَ كما يُعامل العبدُ الله. أيّ كان ما يفعله العبد، فسيفعل الله مثله. على الرغم من كلِّ هذا، يا لها من أمور جيدة ومسرات أمامنا!

إن كان أحدهم يتحدث عن حب هذه الدنيا، فهو في غمرته. إنَّ حبَّه لهذه الدنيا هو ما هو فيه.(٢٣٤

٧٧

سألني ابن «علاء» عن ماهية السعادة. فقلتُ: «في هذا الوقت، حضوركم». كنت أتكلم مخادعًا.

صاح: «بمشيئة الله، سوف أدخل الجنة».

قلتُ: «على كلِّ حال، ليس هناك «بمشيئة الله» بالنسبة إليّ. مضى وقت طويل كان فيه كلُّ شيء معلومًا بالنسبة إلي. إنَّه يتجاوز كونه معلومًا، فقد أصبح حالي».

بالنسبة إلى المريد المبتدئ الطالب الجديد، فهو متعلق بمسائل وعلامات ثانوية. فجأة يغشاه حزن، تصله أخبار غير سارة، فيُصبح ضعيفًا. فجأة يغشاه فتح وبهجة. يأتيه أحدهم بأخبار جيدة فيجدها

سارة.

عندما قال لذاك الشخص إنَّ داخله يغلي، إنَّما قال ذلك كي يجعله يتحمّس، فأصبح هو ذاته باردًا. إن كان هذا الشيخ واعيًا فلماذا أعطى تلك الشهادة المزيفة؟ أرى أنَّه لا يغلي، فلم أشعر بأيِّ نار. رُبّما قالها ذاك الشيخ نتيجة نقص في المعرفة، فظنَّ أنَّه سوف يُصبح متقدًا بذلك. رُبّما قال ذلك كي يكون وجلًا وقالها عن عمد. ١٤٦

٧٨

هل يجدر بي أن أكون مرائيًا أم أتكلّم دون رياء؟

إنَّ مولانا هو ضوء القمر. إنَّ العيون لا تُدرك نور شمس وجودي، ولكنَّها تُدرك القمر. بسبب سطوع ونور الشمس لا تملك العيون سبيلًا إليها. حتى القمر لن يُدرك الشمس، ما لم تصل الشمس إلى القمر رُبّما. «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» «الأنعام ١٠٣». ١١٥

٧٩

عندما رأيتُك في ذاك الحال وذاك المقام، جرّبتُ عدة حيل لإخراجك منهما. كان قلبي كلُّه معك: «لمَ هو واقف في ذلك المقام؟ لماذا هو حزين و نكد المزاج؟». فقط كي تعلم كيف يبدو لطفي تجاهك.

حسنًا، اِفرك يدي الصغيرة هكذا. مضى وقت طويل منذ أن فركتها. هل لديك ما تقوم به؟ اِفرك هكذا لبعض الوقت.

السلام عليك! عسى أن يكون احتفالك مباركًا!

سامحني، لقد جعلتُك تُعاني. إنَّ «سلامي عليك» حصن. سوف تكون آمنًا من كلِّ المعاناة عندما تدخله.

إن كان حصن المرء هو عون الله،

حينها يُمكن حتى لعنكبوت أن يكون حارس بوابته(288).

لقد دخلتَ في هذه الدنيا فريدًا، فسرقتَ الكرة من الدنيا بأسرها. لقد أخذتَ الكرة بعيدًا عن كلِّ الدنيا وتركتَ ميدان اللعب.

قال: «بعض المحبين يملكون طبلًا كبيرًا، إلَّا أنَّ بواعث حبهم وعاطفتهم تبقى ساكنة».

قلتُ: «إنَّ ذاك الطبل وذاك الاحتفال والدعوة ـ كما لو أنَّ شخصًا اصطحبك إلى بستان «هيا بنا، دعنا نأكل الجوز؟»، يتسلق شجرة، ثمَّ يبدأ صوت تكسير الجوز. يقول: «هيا كُلها بيديك الصغيرتين». تُصبح يدا الضيف وأكمامه سوداء.

«يقوم آخر باصطحاب الضيف إلى البستان. يُجلسه في مكان لطيف. يقول للخدم: «اذهبوا وأحضروا الجوز من الشجرة، نظفوه وقشروه وأزيلوا القشرة الناعمة»، فيفعلون، ثمَّ يُحضرون الجوز النظيف أمامه ويقولون له تفضل.

يقول: «ما نوع هذا الجوز؟ لم أسمع أيَّ تكسير، ويداي لم تسودا، وأكمامي لا تزال نظيفة. أنا لن آكله، وحده الله يعلم ما هذا. هذه لا تشبه الجوز. لم أرَ في حياتي شيئًا كهذا. ٣٠٠- ١

٨٠

أيُّها الناس، تخطوا دار الأمور الحادثة هذه! «إنَّ هذا ليس كلامًا، إنَّه إشعار بالكلام، دعوة إلى الكلام، دعوة إلى القدوم إلى الآخرة. إنَّه يقول: «ثمَّة دنيا هناك ـ كن ثابتًا حيال ذلك. أنت تشغل نفسك بهذه الصلاة، لكنَّ الصلاة تزول. تشغل نفسك بكونك ثابتًا لكنَّ الثبات يزول.»

كم أنا سعيد بصحبتك ـ بأنَّ الله قد حباني هكذا صحبة! إنَّ قلبي يقدمني إليك ـ سواء كنت أملك الآخرة أو الدنيا، سواء كنتُ في حفرة في الأرض أو فوق السماوات، سواء كنت في صعود أو في هبوط. (١٨٨-٨٩

٨١

أردتُ شخصًا من طينتي كي أجعله قبلتي فأُولِّي وجهي قِبله. لقد سئمتُ من نفسي. ما الذي تفهمه من هذه الكلمات «أنَّني سئمت من نفسي»؟ الآن بات لديّ قِبلة، إنَّه يفهمني ويستوعب ما أقول.

هيا بنا نتناول أحاديث النبي الأكثر صعوبة وعمقًا ونتعرّف إلى معناها الحقيقي والقصد منها تحت مراقبتك الكاملة. على سبيل المثال، سوف نتناول كلماتها، معانيها، قواعدها النحوية، وألفاظها.

إنَّ أدوات الجزم، على سبيل المثال، ليس لها تفسير، بينما أدوات النفي حاسمة. على كلٍّ، فإنَّ أدوات الجزم لدينا هي نفي وتصريح وأمور أُخرى كذلك.

إلا أنني إذا ما فكّرتُ في هذه التفاصيل، لأدركتُ من خلال بذل الجهد ما توصَّلَ إلى رؤيته. إن أردتُ أن أكون صاحب محمد رسول الله، لأبصرتُ كلَّ التفاصيل اللفظية والعملية، ولأعطيته سردًا عن ذلك.

انبريتُ لأكون صاحبك بجرأة وجسارة. هل كنتُ قلقًا من أنَّ الناس سوف يرتابون بهذه الكلمات؟ هل فكّرتُ أنَّني ينبغي أن أكون حذرًا؟ أو أنَّه من خلال هذا التبادل، سوف تتبادر أمور إلى الذهن ينبغي أن أكون حذرًا تجاهها؟ لقد مضيتُ في هذا بجرأة وجسارة. إمَّا أن أكون بلا صاحب، ولكنَّه سيكون عذابًا. أو ينبغي أن أكون فجأة حسن الاطلاع ـ أو أن أبقى قرويًا جاهلًا.

إلا أنه، عندما يُصدِر الحطب الرطب دخانًا أقول: «أخمده»، ولكنَّني لا أريد. إمَّا أن تدعه يشتعل بالكامل، أو ينطفئ بالكامل».

يقول: «هذه كلمات عذراء، لكن بالنسبة إليك وليس بالنسبة إلى صانع الإبر(289)». ٢٠- ٢١٩

٨٢

أيّ ما قال القائلون، فهم إنَّما كانوا يكشطون وحسب قشرة «**أَلِف**». إنَّهم لم يفهموا معنى «**أَلِف**» لأنَّه ليس لديهم **رجل** عارف. إن وضعتَ امرأة جميلة في السرير مع رجل عاجز ما الذي سيفعله؟ سوف يكون هناك لمس بلا طعم، ولكن لن يكون قادرًا على مجامعتها. سوف يكتفي بوضع وجهه على وجهها. سوف يُحرم من ذاك الذي من أجله كانت هذه الوسائل والدوافع.

تلك حكاية صانع الإبر الذي كان لديه صديق عاجز، ولكنَّ الناس والأقارب لم يكونوا على علم بعجزه. كانوا مخدوعين بلحيته وشاربه.

إنَّ ذَكَرَه يشهد على أنَّ لحيته كاذبة

انزعوا لحية النذل ـ ذاك ما يستحقه.

عقدوا قرانه على فتاة رائعة الجمال، ثم زوجاهما. بالطبع لم يكن قادرًا على مجامعتها. عندما يأس تمامًا أتى إلى صديقه صانع الإبر، والذي كان يُطلعه على أسراره منذ الطفولة. قال: «أنت محل ثقتي ـ حالتي كذا وكذا. الليلة، تعال معي، اِرتدِ ملابسي وخلّصني من ألم الرأس هذا. لكن عندما تدخل إلى الغرفة الخاصة، لا تقُل شيئًا وإلَّا فستفهم الفتاة. أطفِئ النور، لأنَّ من عادتي أن أُطفئه وقت النوم».

قال: «أنا مستعد أن أُقدّم لك ألف خدمة». عندما دخل الغرفة الخاصة، أطفأ النور، وارتدى بسرعة ملابس النوم. تخيّلَت الفتاة أنَّه زوجها العاجز. عندما جلس الرجل الجريء فوقها، باعدَت بين ساقيها، وجامعها. بدأت الفتاة تصرخ وتبكي قائلة «آه، آه!».

على الباب في الخارج وقف زوجها يقول: «أيتها الساقطة! تظنين أنَّه أنا ذاك الذي ملأ كبدك دمًا. إنَّه صانع الإبر، الذي يفلُّ الحديد ويصنع الثقوب!». ٢٩٥- ٩٦

٨٣

لماذا يقول مولانا أنَّه حزين من ذهابي وحيدًا؟ الحقيقة هي أنَّني مع نفسي أكون. حرًا، أهيم على وجهي في أيِّ مكان وأجلس في أيِّ

دكان. لا أستطيع اصطحابه معي ـ رجل ذو نسب رفيع، مفتي المدينة ـ إلى أيِّ دكان وأيِّ مكان، باحثين في كلِّ حفرة.

ينبغي أن تعلم أنَّني لم أتصرف يومًا بأسلوب «لست أبالي « الذي يتبعه الشيوخ. «أنا ذاهب إلى مكان كذا وكذا، شئتَ أم أبيت. إن كنت تريد أن تنتسب إلي تعال معي». إنَّما، كلُّ ما هو صعب عليك فهو غير ضروري لك. عندما تجلس هنا هكذا، فذلك على سبيل الإعارة بالنسبة إلي ـ قلبي خائف.(٧٦٠-٦١

٨٤

خطر لي أنَّه لا يتوجّب عليك أن تشرب من كلِّ ينبوع، ولذلك يجب ألَّا نفترق. كيف سيبدو ذلك؟ ولكنَّك لم تقُل «إن شاء الله» وبالطبع لم يُعجبني ذلك. أجل، وعندما قلتها، قلتُ إنَّك تُشبه الشيخ «محمد» في هذا.

ذلك هو سبب الصحبة. حقًا كان ذلك، ولكنَّ السبب الجذري كان شيئًا آخر. لاح لي منذ البداية. لقد ملأتُ كأسًا: «لا أستطيع أن أشربها ولا أستطيع أن أُريقها». إنّ قلبي لا يسمح لي بالتخلي والذهاب كما فعلتُ مع آخرين.

لقد تبت: تخلَّ عن تلك النزعة! **«المجاز هو الجسر إلى الحقيقة» ـ والحقيقة هي الجسر إلى المجاز.**

لو لم آتِ الليلة، لزال شيء بيننا، ولكان هناك شعور بالجفاء في هذه الحال. لو أنَّنا أصبحنا ليلتنا متباعدين، بينما في غير هذا الموقف، لما وقع أيُّ ضرر. إلا أنه في هذا الموقف، ليس الأمر

كذلك. اِحذر كلمات الدرويش، لأنَّه لا يستطيع أن يُخبرك السبب.

عندما يمنحنا الله ريشًا وجناحين، **يغدو العالم جسرًا**، ثمَّ ينهار الجسر، ومن الواضح أنَّ تحته نار فوق نار. لقد أسس داره وعائلته على الجسر، واستقرَّ به الحال واتكأ.

قيل فيما يخصُّ النساء: «**شاوروهنَّ وخالفوهنَّ**». هذا ما يفعلونه مع الله. في الوقت الراهن، هذا العالم هو هذا الجسد نفسه. لماذا تُنميه؟ **القدر الضروري**، هذا كلَّ ما في الأمر. الباقي لا شيء! ٦٥٠-٥١

٨٥

اِبذل مجهودًا كيلا تدخل أيُّ حجب في المنتصف. لقد علّمتك **الطريق**. تضرّع إلى الله: «يا الله، لقد أظهرتَ لنا هذه البركة. لم نكن لنهتدي لهذا. لقد كنتَ كريمًا معنا ـ أكرمنا مرّة أُخرى! لا تسلبنا هذه البركة!».

إنَّ الذي سوف ينصب لك فخًا هنا ليس الشيطان وإنَّما غيرة الله. لأنَّه، وبما أنَّه قد أظهر كرمه، كذلك فإنَّ غيرته تُريده أن يسلبه منك. إذا حدث الفراق لبضعة أيام، اِسعَ سريعًا وبحرقة للوصول مجددًا.

حيث أنا، لا يُمكن لطفل أن يُحجب. لا يُمكن للحجاب أن يحلَّ. كُن غاية في التوقّد عند السعي بحيث أنَّه عندما تجد حرارة طلبك شخصًا ما، فسيُصبح صاحبك ـ ليست فاترة بحيث تُصبح عباً.

إن حلَّت عليك واقعة في هذا ـ فيا لها من واقعة حسنة ومباركة!

كلَّما حال أحدهم دون هذا، فإنَّما هو شيطان وجد سبيلًا إلى الدخول. تلك أول علامة على غيرة الله. ما إن تفعل فعلها حتى يجد الشيطان مدخلًا.

في الحقيقة إن لم تكن قادرًا على مرافقتي على **الطريق**، فأنا هانئ البال. أنا لا أُعاني من فراق «مولانا»، ولا أفرح عندما انضمُّ إليه. إنَّ سعادتي من صنعي أنا، ومعاناتي كذلك. في الوقت الراهن، إنَّ العيش صعب عليّ. أنا لستُ هذا! أنا لستُ هذا!

راهِن بروحك ـ ألَّا يضعوا الوصال معه بين يديك.

لن يحصل السكران على الخمر من كأس الشريعة.

عندما يحتسي أهل التجريد الشراب سوية

لا يُعطون رشفة واحدة إلى عبَّاد النفس(290)،

عندما يكون الجو ربيعيًا وأنا بعيد عن وجه الصديق،

فما نفع البستان، وما فائدة الأعشاب؟

فلتنمو الأشواك بدلًا من الأعشاب!

ولتنهمر الأحجار بدلًا من الأمطار!

أنا أشدُّ سعادة معك من سعادتي في مكان أُمنح فيه مالًا ومنصبًا. لو ذهبتُ إلى «تبريز» لحظيتُ بمنصب ممتاز، ولكن من الممتع أكثر

البقاء هنا معك. لو أعطاني أحدهم منصبًا ومالًا، ولكنَّه لم يفهم كلامي، كيف لذلك أن يكون سارًا؟ إنَّه لأمر سار إن كان مع شخص يفهم ويستوعب كلامك.

حسنًا الآن، ينبغي للبحث والطلب أن يكونا على هذا النحو، ـ متقدين، بحيث لا يتسنى للحجب أن تكثر. ٧٥٦- ٥٧

٨٦

لو قبلتَ هذا الكلام ـ كما فعلتَ ذاك اليوم عندما شعرتَ بالتعاطف ـ فسيحلُّ بك المزيد من البركة. هذا لأنَّه عندما تُظهر احترامًا وتُنصت من باب الحاجة، فإنَّ اللقاء سوف يجري على ما يُرام. سوف يعتقد الدرويش أنَّه كان اجتماعًا جيدًا. كلَّما تذكّر اللقاء فسوف يُقبل قلبه ولن يُدبر. إنَّ إقبال قلبه سوف يمنحه الراحة.

إنَّ هدفك من السؤال والحديث هو أن تكون مقبولًا في قلوبهم ـ أي أن تُصبح جذابًا في قلوبهم. عندما ينقلب العمل في الاتجاه الآخر ويُفضي إلى ضيق في قلوبهم، ستعود المعاناة إليك. لن يسمح القلب بذلك. ١٣٩- ٤٠

٨٧

إن أردتَ أن تعلم إن كان عطش أحدهم للماء حقيقيًا أم مزيفًا، ضَع أمامه حلوى، فإن أعارها أيَّ انتباه فهو ليس بصادق.

لقد تناولت البارحة بعض الملفوف، ولم أتناول شيئًا سواه. لو لم أُحجم، لحلّ بي المرض كلَّ يوم. إنَّ كياني ضعيف وأنا أُنهك الأشياء

عبر الإحجام. ما إن أرى إسرافًا أُسارع إلى إحراقه. يا ويلي من ذاك اليوم الذي لا يرغب قلبي فيه في الإحجام، عندما يجعل الله مذاق ذلك المرض حلوًا في قلبي فلا أطلب العافية.

ما كنتُ لآتي، ولكن لو لم أفعل عندما كان لدى مولانا هذا الاستعداد، لجلب ذلك الخسران في الدين. لقد حلَّ به جمود وفتور وهو في **الطريق**، لأنَّه في ذاك اليوم كان حزينًا بشأن الفضة التي تمّ جلبها. عندما أقرَّ مولانا هذا النفور، أصبح فاترًا، ولكن حتى لو لم يكن لديه هذا الاستعداد، لكنتُ أتيتُ بكلِّ سرور، تمامًا كما سبق لي أن أتيتُ عدة مرات. ٧٦٨

٨٨

إنَّ المحمدي منكسر القلب. كان الأوائل منهم منكسري الأجساد، ثمَّ كانوا يصلون إلى القلب.

من الناس من يتلو آية «الكرسي»(291) على المرضى، ومن الناس من هم آية الكرسي(292).

عندما أدعو الناس، ثمَّة قسوة ورفق، أمَّا حين أكون وحيدًا فإنَّ الرفق هو كلُّ ما هو موجود.

لستُ راغبًا في شرح ذلك لك. سوف أتحدّث بالرموز وحسب، ذلك كافٍ. في الحقيقة، سوف يكون من الفظاظة تقديم التفسيرات إليك، ولكنَّك أنت من أعطاني هذه الجرأة.

إنَّ رأس النبع واحد، ولكنَّه تفرّع إلى فرعين. أحيانًا يكون الماء كلُّه

في فرع واحد، وأحيانًا في الآخر. أحيانًا يقوم هذا الفرع بإفراغ الآخر، ساحبًا الماء كلُّه إلى داخله هو، وأحيانا يقوم ذاك بإفراغ هذا. إنَّ كلّ مَن يتجاوز الفرعين يصل إلى الماء الرئيسي. سوف يقفز فيه وينغمر حرًا من الفروع.

إنّ الحال نفسه مع الأشجار(293). إن أمسكت بفرع فسينكسر وسوف تسقط. إن أمسكتَ بالشجرة فالفروع كلُّها ملكك.

في درب المحبوب هناك نوع من الحشيش المُخدر. يتذوقه الناس فيفقدون عقولهم. ثمَّ يعجزون عن العثور على دار المحبوب فيفشلون في الوصول إلى المحبوب. ٦٤٦

٨٩

لقد بذل إبليس جهدًا كبيرًا معك وصارع معك أكثر. بعد هذا يبدو كما لو أنَّه سيجد صعوبة في بثّ وساوسه فيك. سوف يضطرُّ إلى تكبّد الكثير من المعاناة والاستبسال إن كان يُريد إلقاءك في المتاعب. ٧٠٦

٩٠

عندما كنتُ طفلًا، قرأتُ قصة في كتاب(294). ذات مرة عندما كان شيخ على وشك الموت، اجتمع مريدوه وأولئك الذين آمنوا به. كانوا يطلبون منه أن ينطق الشهادة «لا إله إلا الله»، ولكنَّه أشاح بوجهه عنهم. انتقلوا إلى الجهة الثانية وقاموا بتذكيره بها. أدار وجهه بعيدًا إلى هذه الجهة. عندما ناشدوه وأصروا قال: لن أنطق بها.

راح التلاميذ يندبون ويصيحون: «آه، هذه اللحظة هي الجوهر! ما الذي يجري؟ ما هذه الظلمة؟ ما الذي سوف يكون عليه حالنا؟» رفعوا بكاءهم وتضرّعهم إلى الله.

عاد الشيخ إلى وعيه. قال: «ما الذي يجري؟ ما خطبكم؟»، أخبروه بما حصل.

قال: «لم أَعِ ذلك. جاءني الشيطان وكان يُلوّح بكأس من الماء المثلج أمامي وهو يقول. «هل أنت ظمآن؟»، فأقول «أجل»، قال: «قُل إنَّ لله شريكًا، وسوف أُعطيك الماء»، فتحولتُ عنه. جاء إلى الجهة الأُخرى وقال الشيء ذاته، فتحوّلتُ عنه».

في النهار أنتظرك كي تنشر اللآلئ

من الليل حتى الصباح أنتظر الجنان.

أنا لا أنتظرك كي تُريق دمي،

لكن إن كنت ستُريقه، فأنا في انتظارك.

هذا حقيقي فعلًا. لكن، عندما تحين تلك اللحظة بالنسبة إلى عبد الله ومَن اجتباه الله، كيف يكون الشيطان على درجة من الوقاحة كي يقترب؟ حتى الملائكة سوف تقترب بخوف.

يقولون إنَّ الخليفة «عمر» قلع عين إبليس. عدا المعنى الظاهر، هناك معنى آخر، وسرّ يعرفونه هم، وإلَّا فإنَّ هذا الشيطان ليس شيئًا مجسدًا. **إنَّ الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم في العروق.**

ذات يوم جاء الشيطان: «يا عمر تعال معي ودعني أُريك عجبًا». اصطحبه إلى باب المسجد. قال: «عمر، اِنظُر من خلال شقّ الباب»، فنظر. قال: «ما الذي تراه؟».

قال: «أرى أحدهم قائمًا يُصلّي».

قال: «اِنظُر ثانية بعناية». فنظر. قال: «عمر، ماذا ترى؟».

قال: «الشخص نفسه يُؤدّي الصلاة وهناك آخر نائم في زاوية المسجد وقدماه مشدودتين».

قال: «عمر، وحق الله الذي رفعك بجعلك تتبع محمدًا، والذي نجّاك مني! لولا أني أخشى على ذاك النائم وأُفكّر فيه، لفعلتُ بذاك الذي يُؤدي صلاته ما لا يفعله كلب جائع بكيس طحين!».

لا يُمكن لشيء أن يحرق هذا الشيطان، إلا نار حبّ الإنسان لله فقط.

إنَّ جميع أساليب الزهد الأُخرى التي يُؤديها الناس لا تُبقيه بعيدًا، وإنَّما تجعله أكثر قوة. لقد خُلق من نار الشهوات، ووحده النور يُطفئ النار. **نورك يُطفئ ناري**. ٢٣١- ٣٣

٩١

كان عارفان يُحاولان التباري فيما بينهما من خلال التباهي والجدال حول أسرار المعرفة ومراتب المعرفة. قال أحدهما: «هل ترى ذاك الرجل القادم على حمار ـ أنا أراه كإله».

قال الثاني: «أنا أرى حماره كإله».

بالمختصر، فإنَّ معظمهم يقع في الجبرية. «أبو يزيد» وآخرون، وذلك جليّ في كلامهم. ليس في كلامهم الكثير، وإذا أشغلت نفسك بكلامهم، فمن شأنه أن يحجبك عن المضي قُدمًا في هذا الطريق، والذي هو شيء مختلف.

قال: «ما نوع هذا «الشيء المختلف»؟»

أقول: «على سبيل المثال، لقد سمعتَ كلماتي. لقد أصبحَت فاترة في قلبك. إنَّ الحجاب شيء من هذا القبيل».

إنَّهم قريبون من فكرة التجسيد. يقولون «روحان تعيشان في جسد واحد(295)». كيف يُمكنك أن تفهم ذلك؟ أنت مليء بالهوى، ولا أعني بكلمة «الهوى» الشهوة. لقد شرحتُ هذا الهوى من قبل، فالهوى يقطع الشهوة. يكون الهوى، عندما تتمّ إثارته، كما لو أنَّ هناك ألف حورية تعرض نفسها، ولكنَّ ذلك سوف يبدو لك مثل الطوب الذي في الجدران.

عندما تسمع كلمات الحكمة أو عندما تدرس، تُصبح ثملًا، وهذا يُحفّز الهوى. إنَّ الهوى هو أشعة نور الحجب، لأن لله «سبعين حجابًا من نور»(296). في هذه اللحظة، أنت غارق في الهوى. كيف لك أن تُجادل حول أشعة النور؟ وإن جادلتَ حولها حقًا، فذلك سيكون كلُّه من الهوى.

ذاك الصوفي عماد ثمل. اِنظُر إليه وهو يُحرّك رأسه. تلك حركة

هوى. كيف يُمكن للهوى أن يُقارن بأشعة نور الله؟

عندما يُسخّرون ممتلكاتهم في خدمة عباد الله، يُصبح اللطف موضع التنفيذ. ثمَّ يحصل فتح في عملهم هذا بسبب ذلك اللطف. إلا أنَّ قطعة نقدية نحاسية يُقدّمها عبدٌ مخلص تعدل مئة ألف دينار يُقدّمها سواه. يتبع ذلك كلَّ ما يتمّ قبوله من الآخرين، لأنَّ صدقات المُخلصين تفتح الأبواب المغلقة.

اِحذر، لا تقنع بالشيخ فقط بسبب هذه الصورة الجميلة والكلام العذب والأفعال الحميدة وصفات شخصيته، لأنَّه وراء ذلك كلِّه هناك شيء آخر. اِبحث عن ذاك.

إنَّ قطعة نقدية نحاسية واحدة يُقدّمها «مولانا» تعدل مئة دينار يُقدّمها غيره أو أولئك المرتبطين به. إنَّ كلَّ مَن يجد سبيله إليّ يُصبح تابعه، لأنَّ الباب كان مغلقًا وهو الذي يفتحه.

والله. أنا عاجز عن معرفة «مولانا». ليس ثمَّة رياء في هذه الكلمات، ولا حرص على الشكليات أو التأويل، لأنّني غير قادر فعلًا على معرفته. كلُّ يوم أتوصّل إلى معرفة شيء جديد عن حاله وأفعاله لم أعرفه البارحة.

أنتم في حاجة إلى فهم «مولانا» على نحو أفضل قليلًا من هذا، حتى لا تندهشوا لاحقًا. «**ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**(297)» «التغابن ٩». إنَّ له هذه الهيئة الجميلة وهو يتحدّث بكلام رائع، ولكن لا تقنع بذلك. إنَّ وراءها شيئًا مختلفًا. اِطلُب ذلك منه.

إنَّ لديه نوعان من الكلام ـ أحدهما رياء والآخر صدق. أمَّا رياؤه،

فكلُّ أرواح الأولياء تتلهف إلى لقائه والجلوس معه، وأمَّا صدقه وافتقاره إلى الرياء، فإنَّ أرواح الأنبياء تتلهف إلى ذلك. «آه لو عشنا في زمانه كي نكون في صحبته ونستمع إلى كلامه». الآن وبما أنَّكم حظيتم بهذه الصحبة، فلا تُضيّعوها. لا تنظروا إليه هكذا. اِنظُروا إليه النظرة التي تراه بها أرواح الأنبياء، نظرة تنهد وتحرُّق.

قال «هارون الرشيد(298): «احضروا لي «ليلى» كي أرى لم بثَّ حُبّ «مجنونها» لها هذا التوهج في الدنيا، ولماذا جعل العاشقون في شرق الدنيا ومغاربها من قصة حُبّه مرآة لهم؟». تمَّ إنفاق الكثير والكثير من المال والاستعانة بالكثير من الحيل من أجل جلب «ليلى». دخل عليها الخليفة غرفتها الخاصة ليلًا، كانت الشموع كلُّها مضاءة. حدّق فيها لفترة، ثمَّ أرخى نظره لوهلة. راح يُحدّث نفسه: «سوف أحملها على الكلام، رُبّما يُصبح الأمر باديًا أكثر في وجهها عندما تتحدّث». نظر إلى «ليلى» وقال: «أنت ليلى؟».

قالت: «نعم أنا ليلى، ولكنَّك لستَ «مجنونها». إنَّ العين التي في رأس «المجنون» ليست في رأسك.

فكيف ترى ليلى بعين ترى بها

سواها وما طهرتها بالمدامع

«اِنظُر إليَّ بعين مجنون».

ينبغي أن تنظر إلى المحبوب بعين المُحبّ، لأنَّه «يُحِبُّهُمْ» «الأنعام ٥٤». يكمن الخلل في أنَّ الناس لا ينظرون إلى الله بعين الحُبّ، وإنَّما ينظرون إليه بعين العلم، بعين المعرفة، بعين الفلسفة. إنَّ نظرة

الحُبّ هي شيء مختلف. ١٠٣- ٥

٩٢

أستطيع أن أتحدّث إلى نفسي. إن رأيتُ نفسي في أحدهم، أستطيع حينها أن أتحدّث معه.

أنت الذي يُبدي حاجته، وليس ذاك الذي ليس له حاجة ويظهر كغريب. ذاك كان عدوك، وكنتُ أتسبب له بالمعاناة لأنّه لم يكن أنت. على كلّ حال، كيف لي أن أجعلك تُعاني؟ لو كنت لأُقبّل قدميك، لخشيتُ أن تخدش أهدابي قدميك وتجرحهما! ٩٩- ١٠٠

٩٣

لقد تبين أنّنا شخصان رائعان. مضى وقت طويل منذ أن تطابق شخصان مثلنا. نحن في غاية الصراحة والوضوح. لم يعتد الأولياء أن يكونوا واضحين إلى هذه الدرجة. كما أنّنا مستترين ومخفيين. هذا هو معنى الظاهر، والباطن «**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**» «الحديد ٣».

في الحقيقة، يعود السبب إلى اعتقادك بأنَّ الأمر بدا لك على هذه الشاكلة. لو كان فهم تلك الكلمات، كيف كان له أن يقول: «ليس لكلامك أيُّ أساس؟».

عندما تُعطي جوابًا، تحدَّث بـ «تناغم» «تطابق». بعبارة أُخرى، إنَّ الـ «مصراعين» «الطِباق»، يجب أن يتوافقا تمامًا كمصراعي الباب. عندما تضع مصراعًا على الآخر، فهو لا يزيد ولا ينقص عنه.

قال أحد الملوك: «أُريد من يأتيني، فلا يتكلّم حتى أتكلّم، وإذا تكلّمتُ يُجيب على نحو منسجم دون أيِّ إضافة».

عندما جاءه أحدهم قال له: «هل لديك زوجة؟».

أجاب: «لدي زوجة وطفلان».

لم يُعره الملك اهتمامًا وقال: «لا تُدخلوه».

كتب الرجل رسالة إلى الملك قائلًا: «أمَّا بعد، فقد سُئل «موسى»: «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي» «طه ١٧-١٨».

كتب الملك في رسالة الرد: «كان هناك حكمة أُخرى في ذلك».

فيما يخصُّ الرجل الذكي، فهو الذي يجيب في توافق. سُئل أحدهم: «أين أنت؟».

أجاب: «في المزابل». كانت تلك كذبة ولم تكن متوافقة، فلم يكن موجودًا في أكثر من مزبلة واحدة. يستحيل على شيء واحد يشغل حيزًا واحدًا أن يكون في موقعين اثنين. ٩٣-٩٤

٩٤

يجدر بنا أن نُسافر سويًا إلى «الموصل»، فلم يسبق لك أن رأيتَ تلك الأماكن، ومن ثمَّ إلى «تبريز». تستطيع أن تخطب على منبر كذا وكذا، وستكون قادرًا على رؤية تلك الجماعة وخلواتها، ثمَّ إلى

«بغداد»، ثمَّ «دمشق».

أمَّا الآن فأنت مُصَمم على جمع المال. إذا ذهبتُ أنا، فهل ستكون راضيًا، كلا؟ لكنَّني لن أبقى بعيدًا أكثر من سنتين. سوف أعود قريبًا، قبل مضي عامين بيوم أو يومين.

دعني أُسبب لك صداعًا ليومين أو ثلاثة آخرين ـ

لم يبقَ سوى صفحة واحدة في كتاب حياتي(299). ٣٥٣

---

(285) أنتِ أمي وأختي. مثل هذه الكلمات كانت تُلقى كشكل من أشكال الطلاق قبل الإسلام وكانت تُعرف **بالظهار**, وهو محرّم في الشريعة، ولكن يتناوله الفقهاء كثيرًا. يقولون إنَّه إذا نطق الرجل بهذه الصيغة، لا يحق له أن يُجامع زوجته إلّا إذا دفع كفارة. على الأرجح أنَّ «هؤلاء العلماء» هي إشارة إلى الفقهاء. قارن ٢- ١٢٧، الذي يبدأ بتحسّر أحد العلماء على الوقت الذي بدَّده على «أحكام الطلاق»، يذكر النص **الظهار**.

(286) شيخي. *من المرجح أنَّه الشيخ أبو بكر سلاباف, أو رُبّما شمس الدين خونجي, والذي يُذكر أنَّهما غادرا في ١- ٢٦ .*

(287) *تأويل الأحاديث. إنظُر الملاحظة حول ٢- ٣٠*

(288) إن كان حصن المرء. البيت من تأليف «سنائي» في «**الحديقة**»٧٤. إشارة إلى اتّخاذ النبي من الكهف ملجأ مع «أبي بكر», وبيت العنكبوت الذي أقنع مَن يُلاحقهم من أهل «مكة» باستحالة وجود أحد في الداخل.

(289) صانع الإبر. إشارة إلى القصة التي سُردت في المقطع اللاحق.

(290) راهِن بروحك. الرباعيات# 738. نسخة مختلفة بعض الشيء عنها في ٣-١٩٨.

(291) آية الكرسي. أي سورة البقرة ٢٥٥ «**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**».

(292) ومن الناس مَن هم آية الكرسي. يُحتمل أن يكون قصد شمس أنَّ هناك أولياء يُجسّدون القرآن من خلال وجودهم ذاته. كثيرًا ما يُفهم شيء مماثل من الآية القرآنية «**هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ**» «آل عمران ١٦٣».

(293) الحال نفسه مع الأشجار. قارن ٢- ٢١٦.

(294) *قرأت قصة. يروي الرومي القصة التي في خلده في المثنوي* VI ٣٤٦٢-٦٤.

(295) **روحان**. جزء من شطر بيت «للحلاج» مقتبس في ٢- ١٣٤. ورد في النص «إنَّ كلام الروحانيَّين هو «نحن نسكن في جسد واحد»». ولكن يبدو أنَّ هذا خطأ. لا يستخدم شمس في أيّ مكان آخر كلمة «روحانيَّان», وهي قريبة في نطقها من «روحان».

(296) *سبعين حجابًا من نور. إشارة إلى رواية للحديث «لله سبعمئة ....»*.

(297) **يوم التغابن**. تُشير الآية القرآنية إلى يوم القيامة حيث يرى الناس الأشياء على حقيقتها، ويُدركون كيف أنَّهم كانوا مخدوعين في هذه الدنيا.

(298) هاون الرشيد وليلى. يقصُّ «الرومي» الحكاية في المثنوي I ٤٠٧-٨ ثمّ يعلّق عليها.

(299) دعني أُسبب لك صداعًا. يطرح شمس نسخة مختلفة من هذا البيت كجزء من قصيدة أطول ٢.١٩٩.

توجيهاتي للحلقة

٩٥

سيدي، من عادتي أن أسأل من أتى إلي: «سيدي، هل ستتكلم أم ستُنصت؟».

إذا قال إنَّه سوف يتكلّم، اِستمع إليه على نحو متواصل ثلاثة أيام وليال، ما لم يهرب ويتركني وحيدًا. إن قال إنَّه سوف يُنصت، أتكلّم. بخلاف ذلك، لا أكفُّ عن البدء بالكلام، ثمَّ دفعه إلى مقاطعتي. ٧٦٠

٩٦

قال أحدهم للحلاق: «قُم بنزع الشعر الأبيض من لحيتي(300)».

نظر الحلاق ورأى الكثير من الشعر الأبيض. قام بقصِّ لحيته بأكملها بالمقص وسلَّمها للرجل. قال: «قُم أنت بنزعه، لديّ عمل أقوم به». ١٨٠- ٨١

٩٧

إن كان سوف يستمع إليّ على هذه الشاكلة، مع نزاع ونقاش حول أقوال المشايخ أو الحديث أو القرآن، فلن يُنصت إلى كلامي، كلا ولن يقطف الثمرة. إذا أراد أن يأتي محتاجًا ويأخذ الفائدة، لأنَّ رأس مال المرء هو الحاجة، حينها سوف يستفيد. بخلاف ذلك، بعد يوم، عشرة أيام، كلا، مئة سنة. سوف يتحدّث وأنا سأسند ذقني إلى كفي

وأُصغي. ٨٣

٩٨

عندما يبدأ الدرويش في الكلام، ينبغي ألَّا يُبدي أحد اعتراضات عليه. صحيح، القاعدة أنَّ الفائدة من أيِّ كلمات تُقال في المدرسة أو ممَّا يتمّ تدريسه في المدرسة أيّ كان، تزداد من خلال النقاش، ولكنَّ هذه الكلمات تتجاوز بكثير تلك الفائدة وذلك النقاش، فلا علاقة لهذا بذاك.

أحضر رجل سيفًا مهندًا إلى أحدهم وقال: «إنَّ هذا السيف مهند».

قال: «وما السيف المهند؟».

قال: «إنَّه يشطر كلَّ ما يضربه إلى شطرين».

قال: «إنَّ الصوفي ابن اللحظة».

قال: «هيا فلنختبره على هذا الحجر هنا». رفع السيف وهوى به على الحجر. انكسر السيف نصفين.

قال: «قلتَ إنَّ من صفات السيف المهند أنَّه يشطر بالنصف كلَّ ما يضربه».

قال: «حسنًا نعم، كان السيف مهندًا، ولكنَّ الحجر كان هنديًا أكثر»(301).

كان «موسى» فرعونيًا أكثر من «فرعون»(302)
كان هذا وليًا، ولكنّ ذاك كان وليًا أكثر منه.

قال: «إذن ماذا كانت صورته؟». ١٧٥- ٧٦

٩٩

إنَّ كلَّ مَن يُصبح صديقي ينبغي أن يتعبَّد أكثر ممَّا فعل في البداية. لكنَّني لا أتكلّم عن الصحبة.

من الأفضل دفع الصدقات بحيث لا يرى أحد أنَّك تُعطيها. أقلُّها، إن كان يرى،حريٌّ به أن يغبطك على الفور. ١٥٠

١٠٠

فيما لو دخل أحد سكان الأناضول عبر هذا الباب، ورآني وآمن وجلس إليّ، فإنَّه سوف يستفيد أكثر من هؤلاء المشايخ. إنَّهم مغترُّون بأنفسهم. لقد عصفَت الأيام الماضية برأس مالهم، والذي هو الحاجة. لقد بعثرها الزمن. ٦٩٧

١٠١

منذ أن تركتني، أظلمَت عيناي

وانهمرت سحابتا مقلتيَّ بالمطر.

إنَّ حوار المحبين يتّسم بالهيبة، ولهذا أقسم به بكلماته «**بِالنَّفْسِ**

اللَّوَّامَةِ» «القيامة ٢»، فهو لا يعرض «**النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**» «الفجر ٢٧» في المزاد، ولكنَّه كذلك لا يجعلها تتجلى.

أنا أتحدّث عن الحُبّ الحقيقي، والطلب الحقيقي. أمَّا الآخر فهو ليس بطلب وإنَّما تمني. «آه لو أنَّ...» ما نفع ذلك؟

ما كنتُ لأعطيك القذارة التي على حذاء قديم لعاشق حقيقي مقابل «عشاق» و«مشايخ» هذه الأيام. حتى لاعبو الظلال الذين يُظهرون خيالات من وراء الشاشة أفضل منهم. كلُّهم يعترفون أنَّهم يلعبون ويعترفون أنَّ ذلك غير حقيقي: «يتوجّب علينا فعل ذلك لكسب قوتنا؟»، وبسبب هذا الاعتراف هم أفضل.

إنَّ «التمني» لا يعدو كونه هوى تملك صعودًا وهبوطًا، طبقة فوق أُخرى. في ذلك الوقت، يظهر شعاع من ذلك الشخص، أو شعاع من كلامه نابع من الهوى، الأمر الذي يجعل الهوى ينقضُّ عليه. ينفتح جزء منه فتصل إليه الكلمات ويُصبح سعيدًا، ثمّ من جديد يضطرب الهوى ويتغلّب عليه، فيسعد بالكلمات ويُتابع عمله. إنَّ ذلك في حدّ ذاته دليل ضده.

لا بُدَّ له أن يحصل على راتب من المدرسة كي يكتسب هواه ورغبته. يتحتم عليه أن يتلقى التعليم من «سراج»، وهو يتفاخر ويتبجح أمام «جمال». يرتدي ثيابًا جديدة وحذاء جديدًا، ويتكلّم كالأحمق مع السيدة «كيرا» والآخرين. إنَّه لا يحفظ كرامة الدرويش: «مَن أكثر ذكاءً مني؟ مَن له أن يُعلّمني الذكاء؟». إنه يضع البحث عن الله على رأس الكومة، كحمل إضافي. هل سبق أن اعتبر أحدهم البحث عن الله حملًا إضافيًا؟

عندما يأتيني المشايخ الأرفع منزلة في القبيلة، عليهم أن يبدؤوا التدريب من البداية.

عندما يبقى أحدهم ملازمًا للهوى، لا تستطيع أن تُسمّيه متلونًا. إنَّ «سنائي» متلون و»سيد» متلون، وبالتالي فهو متلون؟ عجيب. حتى المجنون لا يقول ذلك. حتى الرجل المجنون بالكامل لن يقولها.

بالله عليك، لسنة واحدة قُل وداعًا لهذه السمات الشخصية. اِدخُل في التضرّع والحاجة، وأبلِ عباءتك. دعهم يشترونك مثل عبد أرمني جديد. كُفَّ عن الأكل لمجرد الهوى، فأنت لم تُخلق من أجل الهوى. تقبَّل هذه النصيحة بقلبك، ولا تنكبّ على تكرار هذه الكلمات، مجزأة أو مرقعة، من أجل إزعاج الناس.

إنَّ المحبين الذين يصلون إلى المحبوب يتصرّفون بتكبر، ولكن قبل الوصول إلى المحبوب تمامًا، فالتكبر غير مستحسن. ٩١- ٩٢

١٠٢

البحث عن الله كحمل إضافي! الله الذي خلق السماوات حيث يعجز الخيال ويُصبح العاقل حيرانًا. حتى أنَّهم يعجزون عن إدراك نجم واحد. أيّ كان ما يقوله فلاسفتهم وعلماء الفلك وعلماء الطبيعة لديهم، فالنجم ليس ذلك.

حسنًا، العالم الذي ظهر منه هذا العالم، ذاك العالم من أيِّ نوع يا ترى؟ إنَّ الدودة الصغيرة التي تتلوى على كومة من الروث تُريد أن ترى الله وتعرفه! وذاك كحمل إضافي!

لقد أبرحوا أنفسهم ضربًا إلى أن مُزِّقت أكبادهم إربًا. لم يبلغوا غايتهم وظلوا يُحدّقون فيها. بعدئذ أعطاهم الله حياة جديدة. كانت معدة البعض منهم تنزف، وبعد أن شارفوا على الموت، حباهم الله حياة جديدة. رموا وراءهم الملك والثروة والمنصب والحياة. هكذا كان «أبراهيم أدهم»(303) ملك إحدى المدن، و»مولانا» الطالب على درب الحق.

في النتيجة، فإنَّ الشخص الذي يسعى والواقع في حُبِّ امرأة أو شاب لا يعرف دكانه ولا عمله ولا عالمه. يقولون له: «أنت عالق تمامًا».

يقول: «أنا أسعى لأنَّني أُريد أن أكون عالقًا».

بالنسبة إليه. فإنَّ حياته لا أهميّة لها، وثروته لا مغزى منها، حتى لو كان يُحبّ مَن ليس له بقاء، فكلاهما سوف يموت ويُدفن تحت التراب.

إذن فهو يطلب حُبّ الله الأزلي الأبدي، الأحد، الكريم، المُنزّه عن كلِّ عيب باعتباره حملًا إضافيًا.

من أجل هذا الطلب، ضحّى «إبراهيم أدهم» بقسط كبير من الثروة. كلَّما وقعَت عينه على درويش، كان يجود بنفسه. تحت ثيابه كان يرتدي الصوف الخشن، وفي النهار كان يصوم سرًا. كان يجلس في الخلوة سرًا، ثمَّ ينقبض قلبه، بسبب عدم حدوث فتح. ٨٩- ٩٠

قبل أن يُغادر «أبراهيم أدهم» مملكة «بلخ» كان قد أنفق قسطًا كبيرًا من ثروته في سبيل هذه الرغبة، وقام بالكثير من الطاعات بجسده. كان يقول: «ما الذي يجدر بي فعله؟ لماذا لا يأتيني أيُّ فتح؟».

ذات ليلة كان نائمًا على العرش، بين نائم وصاح. كان الحراس يقرعون طبولهم وينفخون في مزاميرهم ويصرخون. كان يقول لنفسه: «أيُّ عدو ذاك الذي يُبقونه بعيدًا؟ إنّ العدو نائم معي! إنَّ ما أحتاجه هو أن ينظر الله إليّ نظرة رحمة. ما الأمان الذي تمنحونني إياه؟ لا أمان إلَّا في الالتجاء إلى لطفه سبحانه».

من خلال هذه الأفكار استحوذ على قلبه الخبل. كان يرفع رأسه عن الوسادة ثمّ يعود فيضعه ثانية: «يا للعجب! من أين للعاشق أن ينام؟»، على حين غرة تناهى إلى سمعه وقع أقدام سريعة على سطح القصر، كما لو أنَّ مجموعة من الناس تغدو جيئة وذهابًا. كان وقع أقدامهم آتيًا من القصر. قال الملك لنفسه: «ما الذي جرى لهؤلاء الحراس؟ ألا يرون الأشخاص الذين يركضون على السطح؟».

من جديد، تسبب وقع الأقدام له بارتباك وفزع غريب، بحيث أنَّه نسي نفسه والدار. لم يستطع أن يصرخ أو أن يُخبر الحراس المسلحين. في خضم كلِّ هذا، أطلَّ أحدهم من سطح القصر وقال: «مَن أنت يا مَن تجلس على العرش؟».

أجاب: «أنا الملك. يا مَن على السطح مَن أنت؟».

قال الرجل: «لقد أضعنا مجموعتين أو ثلاث من الإبل. إنَّنا نبحث عنها على سطح القصر».

قال: «أمجنون أنت؟».

قال: «بل أنت المجنون».

قال: «أضعتم إبلًا على سطح القصر؟ أهذا مكان تبحث فيه عن الإبل؟».

أجاب: «أنت تبحث عن الله على عرش المملكة؟ أهذا مكان تبحث فيه عن الله؟».

كان ذلك كلُّ ما في الأمر. بعدها لم يره أحد. رحل وخرجوا بحثًا عنه. ٨٤- ٨٥

١٠٤

قال: «تعال معنا علَّنا نُحيي الليلة معًا».

قلتُ: «الليلة أنا ذاهب إلى ذاك المسيحي، لأنَّني وعدته أنَّني سوف أُوافيه ليلًا».

قالوا: «نحن مسلمون، وهو كافر. تعال معنا».

قلتُ: «كلا، إنَّه مسلم في سرِّه، لأنَّه سلَّم. إنّ «الإسلام» هو التسليم».

قالوا: «تعال، لأنَّ التسليم يُكتسب من خلال الصحبة».

قلتُ: «من جهتي ليس هناك أيّ حجاب أو أيّ ستار. بسم الله ـ جرّبني».

بدأ أحدهم: «**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**» «الإسراء ٧٠»»

قفزَت الكلمات من فمي: «اِسكُت! ليس لك نصيب من هذه الآية. ما شأنك بـ «**وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ**»؟

أراد أن يسألني شيئًا. قلتُ: «كيف لك أن تُناقشني؟ كيف لك أن تعترض عليّ؟ أنا لا أتخذ مريدين. لقد مكث كثيرون حولي: «سوف نكون مريديك، أعطنا الخرقة»، فهربتُ. لحقوا بي إلى البيت ووضعوا كلَّ ما جلبوه. لا جدوى. ذهبتُ. أنا لا أقبل مريدين. أنا أقبل شيوخًا، وليس كلُّ الشيوخ، بل المثاليين منهم».

في اليوم الذي كنت أتقاتل فيه مع ذاك الشيخ في الاجتماع، لعنتُه فبقي صامتًا. كسرتُ رأسه، ولكنَّه بقي صامتًا.

كان الآخر يموج ويُمرّغ رأسه في الوحل، وهو قادم نحوي. كانوا يقولون له: «أنت مخطئ، مخطئ!». إنَّ المخطئ هنا هو ذاك الذي بقي صابرًا ومتحملًا لفترة طويلة.

قال: «دعوني وشأني! لستُ مخطئًا»، هذا هو المخطئ في المعنى.

كانوا يصرخون بسبب حدة كلماته. أمَّا صاحب الرأس المكسور فظلَّ يقترب ويبتسم. وهذا يموج ويصرخ. ٢٢٦- ٢٧

١٠٥

إنَّ القاعدة هي أنَّه عندما تعتبر الكلمات الحقيقة ملونة وتقوم بتفسيرها، قلَّما يشعر الناس بالاضطراب، بل غالبًا ما يشعرون بالتعاطف، يستمتعون ويمرُّون بأحوال، ولكن عندما تتكلَّم دون تفسير، لا يتعاطف الناس ولا يمرُّون بأحوال، باستثناء ذاك الذي اجتباه الله على التلقي، إذ تصل المتعة الحقيقية إليه.

في ذلك المقام ينبغي ألَّا تطرح أيّ أسئلة. أيُّ نوع من الأسئلة تخطر للناس حين يكون المتكلم نفسه مرتبكًا؟ «ما الذي أقوله؟ مع مَن أتحدّث؟ إن كانوا لا يفهمون فلن أتكلم»، ثمَّ يقول ثانية: «سوف أتكلّم».

يُشبه الأمر الفتى الذي كان يقرع طبل الفجر في وضح النهار بالقرب من باب إحدى الدور(304). بالنسبة إليه، أصبح الليل نهارًا. قال أحدهم: « لا يُوجد أحد في المنزل. لمَن تقرع طبل الفجر؟».

قال: «اِسكت! يبني الناس الزوايا «خانقاه»، والنزل في سبيل الله. أنا كذلك أقرع شيئًا في سبيل الله».

أنا أتحدّث في سبيل الله ـ كيف يُمكنك طرح الأسئلة؟ أنا وأنت مثل عازفي المزمار اللذين كانا يعزفان على المزمار. في خضم ذلك، أصدر أحدهما ريحًا، فوضع المزمار على مؤخرته وقال: «إن كنتِ تعزفين أفضل، فاعزفي!».

عليك أن تمضي قُدمًا على **الطريق**. ما هذا النقاش مع الدليل؟ اِمض قُدمًا، أيُّها الحمار! لستَ الحمار الذي يعبر الجسر، كلا ولا

أنت من نوع الحمير المصرية التي تأخذك نهارًا إلى محطة الطريق، ثمَّ تعود في اليوم ذاته. أنت لا تستطيع حتى قطع نصف المسافة إلى المحطة على الطريق مع ألف من كلمات التشجيع.»**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**» «الرعد ١١». اِشتكِ واندُب نفسك! «**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**» «القصص ٥٦».

قال: «أعرف هذا. كانت الحقيقة صعبة عليّ».

قال: «ما الذي تقوله؟ أنا لا أجني أيَّ فائدة منك»

قال: «إذن ما قصدك من قلب هذا العمل؟».

قال: «لا شيء. اِنهض! اِنهض!».

لقد قمتُ بالعديد من الأمور عديمة الفائدة كهذه. ابتعدتُ عن الكلام الصادق وبدأتُ أُلقي الشعر. شعر بالتعاطف وبكى قائلًا: «إنَّها هذه النفس الخبيثة التي أملك!».

قلتُ: «أنت لن تُحرم»،و لكن مع ذلك لم يهدأ.

قال: «نعم، قال لي «سيد» هو الآخر أنَّني لن أُحرم».

قلتُ: «هو قال ذلك وأنا قلتُه. الآن أنصِت إلى تفسير ذلك، عندما يكون أحدهم في بيت الضيافة الخاص بالملك، يأخذ الملك لقمة ويضعها في فمه. إنَّه ليس محرومًا. ما شأن هذا بحقيقة أنَّه عندما تكون هناك بقايا فتات خبز وعظام، يقومون برميها خارج الباب حتى لا يتمّ حرمان الكلاب. ١٢٤- ٢٥

١٠٦

تقول: «هات الدليل». يُريدون دليلًا مني؟ يُريدون دليلًا من الله، ولكن لا يجدر بهم أن يطلبوا دليلًا من الله.

كيف حالك مع هذه الكلمات؟ هل أنت سعيد؟ تقول: «أنا سعيد». هذا هو المطلوب. سعيد ولا شيء آخر.

إنَّ **الرجل** العارف هو الذي يجعل الآخرين سعداء. من أيِّ نوع هو ذاك **الرجل** الذي يجعل نفسه سعيدًا؟ أجل، يستطيع العبد فعل ذلك وحسب، أي أن يُسعد نفسه. إنَّه عمل الله أن يجعل الآخرين سعداء.

قالوا: «لا نحصل على أيِّ فتح من مولانا شمس الدين». إنَّ كلَّ مَن يلتمس فتحًا مني ملحد. يجدني ثمَّ يريد فتحًا؟!

أنت لست ذاك. أنت مسلم، مؤمن. المسلم لا يتسبب بالأذى، بل يتسامح. على سبيل المثال، يقوم كاهن بقتل مسلم، ويأتي إلى بابك: «أنا هارب من الشرطة. لقد وجدتك. أعطني مأمنًا!».

ألن تقول: «إذا قتل مسلم مسلمًا، فلن يتحرر حتى يُعطى مأمنه؟» فيميل إلى الإسلام.

على الرغم من أنَّك مسلم، ينبغي ألا تقنع بذلك، مسلم أكثر، ومسلم أكثر! لا بُدَّ لكلِّ مسلم أن يكون لديه كفر، ولا بُدَّ لكلِّ كافر أن يكون مسلمًا. ما النكهة المميزة في الإسلام؟ ثمَّة نكهة في الكفر! إنَّك لن تجد العلامة وطريق الإسلام لدى مسلم. سوف تجد درب الإسلام لدى الكافر.

عندما قلتَ: «إنَّ الغاية القصوى للمطلوب هي الطالب»، كان يجدر بك أن تقولها على نحو أفضل. وإلَّا، فلن يُدركوا أسلوب كلامي، وسوف يختلط عليهم الأمر. ١٤٣- ٤٤

١٠٧

من وجهة نظري، ليس بإمكان أحد أن يُصبح مسلمًا مرة واحدة فقط. إنَّه يُصبح مسلمًا، ثمَّ كافرًا، ثمَّ يُصبح مسلمًا مرة أُخرى، وفي كلِّ مرة يخرج منه شيء ما. ويستمرُّ الحال إلى أن يُصبح كاملًا. ٢٢٦

١٠٨.

جاء إليّ رجل مغتر بنفسه وقال: «أطلعني على الأسرار».

قلتُ: «لا أستطيع إطلاعك على الأسرار. لا أُطلع على الأسرار إلَّا ذاك الذي لا أراه في داخله ـ بل أرى نفسي. فأُطلِع نفسي على أسرار النفس. أنا لا أرى نفسي في داخلك، بل أرى شخصًا آخر».

عندما يأتي أحدهم إلى آخر، فهو واحد من ثلاثة: إمَّا مريد أو صاحب أو عظيم. أيُّهم أنت؟ ألم تأتِ إليّ؟».

قال: « واضح كيف أنا بالنسبة إليك».

قلتُ: «الأمر واضح. أنا أراه فيك. بما أنَّه في داخلك، فأنا لستُ في داخلك، لأنَّني لست هو». ١٠٥- ٦

١٠٩

إنَّ كلام «مولانا» عصابة للعينين، إنَّها مزحة عظيمة. إنَّها شعوذة.

شخصان يجلسان معًا، وعيناهما براقتان، ليس فيهما عَمَش ولا رمد ولا عقد ولا ألم. أحدهما يرى والآخر لا يرى أيَّ شيء.

نعم، إنَّ كلام أصحاب القلوب عذب. لم يتم تعلُّمه، بل تمَّ تعلُّيمه. إنَّه كلام **العليم الحكيم**.

يقول: إنَّه مغتر بنفسه وبامتيازه المتفرّد، مثل إناء مليء بالماء الأُجاج. يُطلب منه أن يصبَّ الماء حتى يتسنى له ملأه بماء عذب، ماء يزيد الحيوية ويجعل وجهك متوردًا ويُعيدك إلى العافية. بغضّ النظر عمَّا لديك من سخط وغم ولا مبالاة وتعاسة فسوف يتمُّ التخلّص منها. إلَّا أنَّ الماء الأول يجب أن يُهرق. يجب أن يتمّ غسله بالماء سبع مرات، ولكن ليس هذا الماء. إن غسلته بهذا الماء الأُجاج، فكيف سيُصبح نظيفًا؟ اِغسله بالماء العذب، حينها سوف يُصبح نظيفًا. عندما يتمّ غسل هذا، فإنَّه **هو نفسه** سوف يرى، وسوف **يملؤه** في الحال.

إلا أنَّه يقول: «في هذه اللحظة أرى أنَّ هذا قد أُفرغ، لكنَّني لا أرى الامتلاء».

يقول: «بالله عليك، أنت ترى **كرمي** ـ أنا **كريم**. أنا **وهاب**. أنا **صادق الوعد**».

إذن، لا بُدَّ أنَّ الأمر بات جليًا لذاك الرجل. ينبغي عليه أن يسكبه

دونما تأخير. طالما أنَّه يُؤخّر إراقته، فلن يتمكّن من إدراك هذه المعاني.

لا ريب أنَّ السبب هو أنَّه مغتر بنفسه. كيف لمعدة ممتلئة بالماء أن تشتهي الماء البارد؟ إنَّ وجوده قد جذب مئة ألف حجاب على وجهه وعينيه. كيف لهذه الكلام أن يصل إليه؟ كيف له أن يراني؟ ٧١٠-١١

١١٠

عندما أكون مع أحدهم، كيف له أن يحزن؟ لا شيء يُخيفه في العالم بأسره.

قلتَ: «لماذا دموعك وردية اللون؟»

بما أنَّك سألتَ فسوف أُخبرك ما حدث بصدق:

كان قلبي ينزف بجنون من أجلك ـ

على حين غرَّة خرج من عينيَّ. ٧٦

١١١

إنَّ العبرة من القصة هي دفعك إلى البدء في العمل، وليس معناها الظاهر، كما لو أنَّك سوف تطرد الملل من خلال شكل القصة. كلا إنَّما أنت تطرد الجهل. ٢٧٣

١١٢

تذكر هذه النصيحة: إنَّ كلماتي ليست للتكرار، وإنَّما ينبغي أن تُوضع موضع التنفيذ. مهما يحدث، فهو سيحدث بسبب تكرار كلماتي. لا تُكرر شيئًا.

إن قال أحدهم شيئًا، فقل: «سمعنا كلامًا عذبًا، طيبًا، نابضًا بالحياة، ماذا كان، أنا لا أستطيع تكراره. إن كنتَ تُريده، اِذهب واستمع».

عندما يأتي. سوف أعلم. إن شئتُ سوف أتكلّم، إن كان يستحق ذلك. إن لم يكن، فلن أتكلّم. ٧٤٣

١١٣

من الكفر أن تدعو حذاء العالِم بالجوارب(305). ماذا عن حذاء الدرويش؟ لو أنفقت مئة ألف درهم عليّ، فلن يعدل ذلك إبداء الاحترام لكلماتي. أنت يا مَن تُكنُّ الاحترام أقبِل! أنت يا مَن يعوزك الاحترام، اِبتعد! خُذ قلة احترامك بعيدًا.

إن كنت تكنُّ الاحترام، فكيف تُطلع الآخرين على ما تسمعه مني دون أذني؟

قال:» تُسرب الخابية الجديدة الماء، ولكنَّها تبقيه باردًا».

قال «أحدهم»: «لقد خطوتُ عدة خطوات على هذا الطريق».

قال: «يأخذون أحدهم في نزهة لا وجهة لها، عشرون فرسخًا في هذا

الاتجاه، عشرون فرسخًا في ذاك الاتجاه، المدينة قريبة، ولكنَّهم لا يصلون أبدًا إلى المدينة. إنهم يُقرّبونه منها، ثمَّ يأخذونه بعيدًا جدًا من جديد».

قال: «لقد أمضيتُ الكثير من الوقت في البحث مع البسيط والعظيم».

قال: «هل ذهبتَ لأنَّك أردتَ أن تكون مرتاح البال، أم لأنَّك أردتَ أن تحفظ بعض الكلمات؟». ٢٨٨- ٨٩

١١٤

متى سيخرج الطالب أو من يدّعي الطلب، من هواه ويتنسم عبير الروح؟

إنّ البعض صادق، والبعض الآخر مدّعي. فلنُلقِ نظرة: إذا كان انجذابه نحو شؤون هذه الدنيا أكثر، فهو كاذب ومدّعي.

إنَّ هذه الكلمات دافئة، ولكن مقارنة مع الحرارة التي في داخلي، والتي أردتُ أن أُظهرها، فهي فاترة وباردة.

الآن لدينا أنا وأنت، يُخيّل إليك أنَّها القيامة، لأنَّ الدرويش عبد الله لديه هذا الحال: إنَّ هذه الساعة والقيامة هما سيَّان لديه.

ذات يوم، كان «أبو يزيد طاقوي(306)» يقول هذا من المنبر ـ أقصد مجلسًا تجري فيه المناقشة، وليس المنبر الخشبي نفسه.

فوقفت امرأة فورًا وكشفت عن وجهها أمامه. قال: «تفضلي بالجلوس سيدتي!»

قالت: «أيها الشيخ، أيَّها المدَّعي! أنت على الأقل لا تعيش هذا الحال. إنَّ كلامك صحيح، لكن من أنت لتقوله؟ إنَّه ليس كلامك، هذه ليس اختصاصك، إنَّ أحوال يوم القيامة مخيفة ومرعبة، بحيث لا أحد يستطيع تمييز الفارق بين الرجل والمرأة، يوم يختلط الناس بعضهم ببعض».

لزم «أبو يزيد» الصمت. ٧٠١- ٢

١١٥

إنَّ **مولانا** لا يتركني أقوم بعملي، لقد كسبتُ صديقًا واحدًا من كلِّ هذه الدنيا، هل سأحرمه ممَّا يُريد؟ هل سأستمع ثمّ لا أُلبّي ما يُريده؟

أنتم لستم أصحابي، ما شأنكم أنتم بصحبتي؟ فقط ببركة حضور **مولانا** تتمكنون من سماع بعض كلامي. هل سمع أحد منكم أيَّ شيء مني؟ هل سبق وقلتُ أيَّ شيء لأحد منكم؟ أنت يا «إبراهيم»، لقد اعتدتَ المجيء إلى المدرسة ـ كنتَ تعتبرني مُعلّمًا. يحدث في كثير من الأحيان أن تُقابل أحدًا ما دون أن تُميِّزه. كيف يُمكن مقارنة لقائك بأحد تُميّزه بلقائك بمن لا تُميِّزه؟

عندما أتحدث علنًا، اِستمع بانتباه، لأنَّها كلُّها أسرار، إنَّ كلَّ مَن يضع كلامي العلني جانبًا: «إنَّ هذا الكلام واضح، إنَّه أمر سهل»، لن يستفيد مني أو من كلامي، ولن ينال حظَّه، أنا أنطق معظم الأسرار بكلمات علنية، هناك أسرار عظيمة تدفعني الغيرة إلى قولها في قالب

مزحة. ٧٢٩

١١٦

لدي رأي جيد بخصوص الرفاق. أنا لا أملك القدرة على التفكير في أيِّ شيء عدا ما أراه بعينيَّ، حتى أنَّني لا أشعر بالسوء تجاه الكافرين، بادئ ذي بدء. أقول: «مَن يدري؟ قد يكون مسلمًا في الحقيقة وفي الخاتمة؟».

قام أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بعبادة صنم أربعين عامًا، وكان يسأله حاجاته، وكان يقول: «أيها الصنم!» فيقول له الصمد «ها أنا ذا». ٢٠٩

١١٧

إنَّ الصحبة هي أنَّه عندما يكون صاحبك غارقًا في النوم، ويأتي أحدهم ويكشف أغطيته، ويرفع خرقته ليكشف عورته أمام الناس، تُسارع أنت إلى لكمه لكمة رجل على وجهه الأسود وتفعل كما فعل ابن «نوح»(307) فتُرخي عباءة النائم وتستره. إنَّكم لا تشرعون في الضحك وحسب بل، «إن لم أضحك فسيشعر الشخص الذي كشف عورة الآخر بالاستياء!». إنَّ هكذا موافقة لا تمتُّ إلى المروءة أو الصحبة بصلة. ٦٠٩- ١٠

١١٨

هناك قصة عن «أبو يزيد»ـ لقد سلك الطريق الخطأ ووصل المدينة، كان مُخطئًا، ولكنّه وجد الطريق الصحيح. إنَّ هذا مثل قصة

موسى(308) الذي رأى النور، ولكنَّه بدا له نارًا.

الشيء نفسه حدث للفراشة مع الشمعة.

ذهبَت إلى النور، ولكنَّها وقعَت في النار.

هذا نقيضها. إنَّه مثل الشيخ الذي قال: «إنّ الناس عائدون من الكنيسة؟». كان يقصد أنَّهم لم يروا المسجد أبدًا، ما شأنهم بالمسجد؟

قامَت مجموعة ممَّن كانوا مسلمين في الظاهر وكفارًا في الباطن بدعوتي، فاختلقتُ الأعذار. كنتُ ذاهبًا إلى الكنيسة، لقد كانوا أصدقائي من الكفار، «كفار في الظاهر ومسلمون من الداخل». لقد اعتدتُ أن أقول لهم: «أحضروا لي شيئًا آكله»، وبكلِّ امتنان كانوا يُحضرون طعامًا ويكسرون الصيام معي. كانوا يأكلون معي، كما لو أنَّهم كانوا صائمين. ٦٢٨- ٢٩

١١٩

يعجبني الكافرون، لأنَّهم لا يدّعُون الصحبة، يقولون: «نعم نحن كفار، هل نحن أعداء؟»، الآن سوف أُعلّمهم معنى الصحبة، سأُعلّمهم الوحدانيَّة. بينما ذاك الذي يدّعي أنه صديق، ولكنه ليس كذلك، هو مكمن الخطر.

ينظر أحدهم إلى الحانة بعين الشفقة وهو يعلم أنَّ هذا حرام ويستلزم العقاب والنهي، ولكنَّ تلك الشفقة تجعل عينيه تدمعان قائلًا: «يا إلهي، تُب عليهم وعليَّ وعلى جميع المسلمين!».

حسنًا، إذا كنت تملك القدرة على رؤية الشيخ في الحانة، جالسًا يأكل مع أحد الزبائن وتبقى على حالك، ثمّ تراه في الصلاة المهموسة، وتبقى على الاعتقاد ذاته بهذا الشيخ، فإنَّ ذلك في حدّ ذاته عمل عظيم. إذا لم تكن كذلك، على الأقل قُل لنفسك عندما تراه في الحانة: «لا أعرف سرّ هذا الأمر، هو وربّه يعرفان»، وعندما تراه في الصلاة المهموسة قُل لنفسك: «حسنًا، أنا أعلم هذا، على الأقل هذا أمر جيد». إنَّه أمر جيد أيضًا أنَّك لا تملك القدرة على رؤية الشيخ في الحانة وفي الصلاة، وفي الكعبة ذاتها وفي الجنة ذاتها. ٢٩٨- ٩٩

١٢٠

قال: «أعلم أنَّه أمرٌ سيء، ولكن لا أستطيع، قلبي لن يُطاوعني».

أيُّ كلام هذا؟ «أعلم أنَّ هذا المحيط يُغرق الناس، ولكن سأرمي نفسي فيه. أو هذه نار تُحرق، أو هذه بئر عمقها مئة ذراع، أو هذا جحر ثعبان، أو هذا سمٌّ قاتل، أو هذه صحراء، أعرف وسأذهب، إن كنت تعرف فلا تذهب! إذن، أنت لا تعرف. أيُّ معرفة هذه؟ هل هذه بصيرة؟ كيف يُمكنك أن تُطلق على هذا اسم «معرفة» و»بصيرة»؟

لقد أسديتُ الكثير من النصائح والتذكرة لك، والتي لو أسديتُها في المدينة لراح مئات الآلاف من الناس يتدبّرونها، ولأصبحَت فئة عظيمة منهم مريدين لديّ، ولانتحبوا وحلقوا شعورهم، وكانوا ليجودون بنفوسهم الطيبة وممتلكاتهم، ولكن أيّ من ذلك لم يكن ليُؤثر عليك. إنَّ قلبك الذي كالحجر لا يلين. ٢٤١- ٤١

١٢١

كلَّما آن أوان فاكهة جديدة يزول طعم الفاكهة القديمة. بدايةً يكون هناك الكرز وmaruls(309) ثمَّ المشمش يليه البطيخ والعنب. بالطريقة ذاتها، عندما جاء محمد، زالت شرائع الرسل الآخرين. لم يقُم محمد بدعوة الناس أربعين عامًا من حياته، بل ثلاثة وعشرين عامًا فقط. يا لها من أمور عظيمة تلك التي ظهرَت! صحيح، أنَّها لم تدُم طويلًا، ولكن عندما يربط أحدهم أنفاسه بالله، فإنَّ أنفاسه تبقى.

نعم، مرحى لكم أيُّها المسلمون الكافرون! ما إن تُجرَّب وتختبر شيئًا لمرّة، حتى لو كان النفس، فلا تملك أيّ شيء لتفعله معها! إفترض أنَّ ذلك الشيء هو نفسك. النفس التي ينبغي أن تكون مصدر راحتك. كيف لها أن تجعلك تُعاني؟ عندما تقول ذلك، يتألّم قلبي، كما لو أنَّ أحدًا يُعذبني. لا تقُل ذلك مخافة أن يضيق صدري.

لو كانت ملكي لمزقتها مئات القطع، ولحرقتها بالكامل، بالمعنيين المجازي والحرفي. أنت تزيد الوضع سوءًا وتُصعّب الأمر على نفسك، معاناة فوق معاناة! عندما ترى أمرًا لا يستطيع القلب احتماله، لماذا تضعه في ذلك الموقف؟ تتحوّل المعاناة الواحدة إلى مئة معاناة.

قلتُ: «لماذا لا أرى النهاية؟ لماذا لا أرى العاقبة كي أستطيع إنهاء المعاناة؟».

قال: «ماذا عن **الرضا بقضاء الله وقدره**؟ يجب أن تكون راضيًا. خلق الله «شعيب» أعمى، وكان راضيًا. لم يرَ وجوه أحبابه ومع ذلك رأى معانيهم. إنَّ الجانب الظاهر رائع كذلك، إلَّا أنَّه لم يكن موجودًا، ولذلك كان راضيًا. إنَّ الرضا هو أن تبقى ثابتًا ولا تفقد بصيرتك عند المعاناة. على الرغم من كلِّ تلك الديدان بقي «أيوب» ثابتًا، وجعل من ذلك محطة راحة لقلبه، لم يُحدّث نفسه: «إلى متى سيدوم

هذا؟»، ولم يقُل: ربِّ أخبرني كم سيطول هذا بالضبط!».

مرَّ الجميع بمعاناة لا علاج لها. إنَّ العلاج هو: أنا لا أُعاني، أنت أيضًا ينبغي ألَّا تُعاني، بالنسبة إليّ ليس من المروءة في شيء أن أبقى أُخبرك ألَّا تُعاني، لأنَّك جرّبتَ ذلك عدة مرّات.

قلتُ: «أستطيع الامتناع عن شيء غائب».

ما هو ذلك الغائب؟ وما ذلك الحاضر؟ لقد رأيتَ شيئًا معينًا يُسبب الأذى، ذلك هو الأذى والمعاناة. أنت ذاتك تقول إنَّك منذ اليوم الذي بدأ، لم تشعر بالراحة في أثناء «سما»، ولا راحة في التحدّث، ولا في النقاش. ماذا بقي؟ لا تفعل شيئًا ثمَّ تقول: «لو لم أفعل ذلك لكنتُ سعيدًا»، أو تقول: «يا ليتني لم أفعل ذلك».

قال: «رُبّما سيأتي العلاج من الغيب؟».

قال: «نعم بالطبع نحن نُؤمن بالغيب، نحن مؤمنون بالغيب، أي بما هو غائب، فكلُّ شيء يأتي من الغيب. إنَّ كلَّ الفتوح تأتي من الغيب». ٦٦٢- ٦٣

١٢٢

قال: «إنَّ ذلك يشبه فلانًا وفلانًا، واللذان لا يُمكن أن يكونا موضع ثقتك».

قلتُ: «كيف لك أن تعرف أنَّه لن يكون محل ثقتي؟ تحتاج أن تكون أكثر كمالًا ممَّا أنت كي تعرف ذلك؟».

قال: «لأنَّه يقول: «يجب أن يكون الأمر كذا، يجب أن يكون الأمر كذا». كيف يُمكن نيل مقام التسليم إذا لم تكفَّ عن قول يجب أن يكون الأمر كذا، يجب ألَّا يكون كذا؟».

قلتُ: «بانتقادك له، ألستَ تقول: «يجب أن يكون الأمر كذا، يجب ألَّا يكون كذا»، أنت تفعل الأمر نفسه، ثم تقول يجب ألَّا يفعله أحد. إنَّ هذا يشبه العبد الهندي الذي تكلّم أثناء الصلاة(310)، فقال هندي آخر يؤدي الصلاة: «اِصمت يا هذا! يجب ألَّا تتكلم أثناء الصلاة».

«ذهب أحدهم إلى القاضي. فتمَّ إخباره بعدم وجود شاهد على شكواه وأنَّ عليه أداء القسم. قال: «والله لن أُقسم، والله، لن أفعل ذلك!».

قال له أهل «أخلاط»: «اِخرج من هنا أيها الوغد، وإلا سوف نسبُّك!». ٣٠٥

١٢٣

عندما يأمرك الشيخ بفعل أمر ما، يجب أن تعتبر ذلك مثل شجرة جوز. إنَّها بالطبع سوف تُعطي ثمرة. إنَّه لا يُخطئ. البعض يتولّى عن الشجرة، فلا تمنحه أيَّ ثمرة. إنَّ شخصًا كهذا يلوم الشيخ، ولكنَّه هو الذي لم يفعل ما طُلب منه. يُخيَّل إليه أنَّه يجعل المهمة أقرب. لقد كانت المهمة قريبة لكنَّه أبعدها أشواطًا.

عندما تطلب القليل من التخفيف والتلطيف في بداية العمل، فسيجعلك ذلك تخسر مئة تخفيف. لو علم الطفل أنَّه يتصرف على نحو طفولي، لما تصرّف كذلك.

الكل يرى نفسه ذكيًا.

أتمنى لو أعرف مَن الغبي!

أرى أنَّك تحررتَ من أوهامك أخيرًا،

ولكنَّ الصنم الذي أطلقه الوهم لا يزال موجودًا(311)

يرى نفسه أفضل من الآخر ويفرح بذلك. إنَّه يُشبه الشخص الذي كان يقول: «تلك المرأة التي تُوفيَت، اعتادت أن تسخر من جسد زوجها».

قال رجل حكيم: «كانت تضحك على ذَكَره، وإلا فلماذا تسخر من جسده؟».

لقد أمرتُك أن تفعل شيئًا، لمَاذا لم تفعل؟

قال: «لقد أخبرتك عذري سلفًا».

قال: «لم أقتنع بذلك العذر. كنتُ أُنافق. في داخلي، أردتُك أن تفعل تمامًا كما قلتُ، كي تتخلّص من المعاناة. إذا لم أُخلّصك من المعاناة في هذه الدنيا كي تُصبح سعيدًا من الداخل ومنفتحًا ومتذوقًا للحلاوة، فسيفوت أوان مساعدتك في الحياة الآخرة. سوف يكون الجميع هناك عاجزًا تمامًا. ١٥٠- ٥١

غدًا يجب أن أُلقي موعظة. ذلك صعب. فُتح الباب، لا مهرب. إذا أغلقتَ الباب ـ فصياح وشجب!

أتمنى أن يستفيدوا منها. لقد قلتُ كلَّ تلك الأمور، صراحة وتلميحًا، ولكن يبدو كأنَّهم لم يسمعوا أيّ نصيحة. لا يستوعبون شيئًا من الكلام، لا ظاهر معناه ولا باطنه، وإن كانوا لا يفهمون الكلام كيف سيُطبّقونه عمليًا؟ **إنَّ العمل دون معرفة ضلال.**

سوف أغسل رأسي، ماذا ستفعل؟ هل أنت ذاهب أم باق؟ ٦٢٢

١٢٥

أنا لا أحتاج الثناء منك. أنا أعلم. فقط كُفَّ عن الثناء.

أقول هذا لأنَّه كي تُثني على **مولانا**، يجب عليك أن تلحظ ما يجعله يشعر بالراحة والرضا. عليك ألَّا تفعل ما يُزعجه. في الحقيقة إنَّ كلَّ ما يُؤذيني يُؤذي قلب **مولانا**. ٦٢٩

١٢٦

إنَّ هذا الحديث عن **مولانا** ليس من أجلي. أنا أعلم حال **مولانا** من حالي أنا. إذا قطَّب حاجبيه أعلم أنَّ هذا ليس بسببي، فأنا أُعاين حال **مولانا** داخل نفسي. أعلم أنَّ الأمر كذلك كي يستفيد الآخرون. ٣٠٣

١٢٧

يعلم الشيخ «إبراهيم» وحدتنا. عندما أقول شيئًا، فكأنَّ **مولانا** قاله.

كلانا يقول ذلك. بالتالي، إذا قلتُ ذلك فلن يخطر في بال **مولانا** أن يقوله هو الآخر.

قال: «إنَّهم يُقدمون أعذارهم: «كان **مولانا** يضحك معنا، ولا يُحاسبنا، «هيا بسرعة، نفِّذوا». لم يكن يصرخ علينا أو يهددنا، ولم يأمرنا بعمل شيء. لو تصرّف «شمس» بالطريقة نفسها لما كُنّا مُنعنا من الحضور. نحن نُعوِّل كثيرًا على ذلك دون أيِّ إحساس بالذنب على الإطلاق».

قال: «تفضل. تلك مقولة الصوفي(312): «إذا وجدتَ شيئًا فقد تمّ تسليمه لك، وإن لم أجد فأنت في متناول اليد»، تلك كانت نيتي عند قدومي والسبب وراء مجيئي ولذلك أتيتُ، إن كان المريدون مخلصين فذلك أمر جيد، وإن لم يكونوا كذلك فلا بأس، **مولانا** في متناول اليد».

إنَّ الذي أحضره إلى «أكسراي» كان يُمكن أن يأخذه إلى مكان أبعد، ولكنَّ قلبي لم يُرد ذلك، أمَّا الآن فقلبي يُريد ذلك، في النهاية أنا المراد، **ومولانا** هو مراد المراد. لا أُمّ ولا أب ولا أيُّ أحد قد يتصرف برفق أو يتكلّم بوفاء كما أفعل أنا». ٧٦٩- ٧٠

١٢٨

إنَّ رؤية الحاكم(313) لن تُؤذيني، ولكنَّها سوف تنفعه. أمَّا بالنسبة إلى هؤلاء الشيوخ، فإنَّ رؤية الحكَّام مؤذية للغاية.

إنَّ لله عبادًا يُمكنهم اجتياز المحيطات، وليس فقط البحيرات والأنهار، دون أن تبتلّ ملابسهم. أمَّا هؤلاء فلن تبتل ملابسهم وحسب

بل سيغرقون كذلك، وسيتأذى الحكام من رؤيتهم، لأنَّ أهليتهم والاقتداء الذي يحظون به سوف يتشوهان بصحبة قطَّاع طرق الدين هؤلاء. ٧٠٢- ٣

١٢٩

إنَّ أغلب هؤلاء الشيوخ كانوا قطاع طرق لدين محمد. إنَّ كل هذه الفئران في دار دين محمد كانوا يعملون على تخريبها، ولكنَّ لله قططًا من بين عباده الصالحين تقوم بالتخلّص من الفئران. حتى لو اجتمع مئة ألف فأر لما امتلكوا الجرأة على النظر إلى القطّ، لأنَّ هيبة القطّ لا تُبقي شيئًا من تجمعهم.

إنَّ القطّ هو الجمع في حدّ ذاته. إذا اجتمعَت الفئران ستتعاون، وستتمّ التضحية بالبعض، ولكن عندما يُمسك القطّ أحدهم، فإنَّ من شأن ذلك أن يشغله، فيُسارع فأر آخر إلى خدش عين القطّ بينما يُهاجم آخر رأسه. سوف يقتلونه أو على الأقل يجعلونه يهرب. إلَّا أنَّ خوفهم في حدّ ذاته هو الذي يحول دون تجمعهم،و لكنَّ القط هو الجمع. ٦١٣

١٣٠

تأكيدًا على كلامي عن وجوب عدم الاستماع إلى النميمة: البارحة جاء فلان وكان قد وصله كلامي، فقفز في وجهي قائلًا: «كيف تقول هكذا أمور عني؟ لقد خدمتُ المشايخ الكبار، وأُعجب جميعهم بي ولم يرغبوا في أن أتركهم».

قلتُ له: «اِطلب مني ذلك بطريقة أكثر لباقة كي أُجيبك».

قال: «دعني أجلس ساعة كي يهدأ غروري، وأستطيع الكلام بلباقة».

قلتُ: «اجلس ساعتين».

جلس لمدة ساعة، ثم بدأ الأمر نفسه: «كنتُ محطّ إعجاب الجميع، كنتُ مرموقًا، وكانوا يُطلقون عليّ ألقابًا جميلة، فكيف تعتبرني أنت غير ذلك؟ أخبرني الآن بأيِّ لقب تدعوني؟».

قلتُ له: «إذا أسلمتَ فأنت «مسلم»، وإن لم تُسلم فأنت «كافر»، «مرتد»، أو حتى أسوأ من ذلك. حسنًا، إذا كنت تستطيع التكلّم دون «أنا»، تكلّم، وإلَّا فلن أُجيبك مرة أُخرى». ٢٠٢- ٣

١٣١

أنا ما زلتُ غير مؤهل للكلام، وللأسف ما من أحد مؤهل للاستماع، ينبغي أن يكون هناك إلقاء كامل واستماع كامل، «على القلوب قفل، وعلى الألسنة قفل، وعلى الآذان قفل»(314).

بعض الأنوار قادمة، إذا أبديتَ الامتنان فسوف تزداد. يكون الامتنان بأن تنطق بلسان حالك: «**أرنا الأمور على حقيقتها**»، فتأتي الإجابة: «**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**» «إبراهيم ٧».

أتيتك بلطف شديد كي أُخبرك أنَّه علينا أن نذهب مجددًا لوحدنا لزيارة ذلك الشيخ. ثمَّ ألقيتَ تلك القصيدة:

رغم أني أجلس وأضحك مع الغير،

فلن أشغل قلبي بحُبّ أحد.

عندما يرى أحدهم أنَّ الشمس قد غربت،

فحينذاك يُنير المصباح(315).

قلت لنفسي: «إنَّه يقصد أنَّ الليل قد حل، والشمس قد غربت، لكنَّني أرى أنَّها لم تغرُب، فالشمس موجودة في مكانها الصحيح».

قال أحدهم للآخر: «هل فلان أهل؟».

أجاب: «والده كان أهلًا، لقد تمَّ تعليمه».

قال: «لستُ أسأل عن أبيه، بل أسأل عنه هو».

قال : «كان والده أهلًا للغاية».

قال: «ألا تسمع ما أقول؟».

قال: «أنت الذي لا يسمع. أنا أسمع. لستُ أطرش، أعلمُ عمَّا تسأل».

عُد، كي تكون أكثر ممَّا كنت.

إذا لم تكن من قبل، فسوف تكون الآن.

أنت النفس والدنيا في زمن الحرب.

فكّر ماذا سوف تكون في زمن السلم(316). ٢٣٣- ٣٤

١٣٢

كان الشيخ «حامد» يشرح الكفر والإيمان اليوم. كنت أنظر إليه وأرى أنَّه لن يشم رائحة الإيمان والكفر لمئات السنين، لو أنَّه فهم كلَّ ذلك، لاقتضَت الحكمة واللباقة أن يكتم ذلك في حضور درويش.

قلتَ إنَّني كنتُ أرى كلماتي ذاتها.

إنَّ كلامي لا يذهب إلى أيِّ مكان إلى أن أرى الآخر، رُبّما سيقوله على نحو أفضل وأكمل. قال الصوفي: «إن وجدتُ طعامًا أفضل منك، فقد سلمتَ مني وسلمتُ منك، وإلَّا فأنت في متناول يدي». ثمّ يُخبِّئ الخبز في كمّه.

تكتمْ على «ذهابك، ذهبك، ومذهبك».

قال رسول الله: «**من يكتم سرّه يملك شأنه**». نعم ولكن هناك عبد، ولماذا ينبغي أن أقول هذا بالسر؟ إنّ مولانا «شمس الدين التبريزي»، رفع الله ذكره، يقول: «مَن يُفشي سرّه يملك شأنه»، ولكن أين يُوجد عبد كهذا؟

إلى متى ستظل تتحدّث يا عزيزي،

عن ذاك الذي لا تراه؟ ١٩١- ٩٢

١٣٣

قال **مولانا** عدة مرات إنَّه أكثر رحمة مني. إنَّه سعيد في ثمالته. عندما يسقط أحدهم في مياه عميقة، أو في النار، أو في الجحيم، فإنَّه يضع يده تحت خدّه، ويُحدّق فيه. إنَّه لا يقفز إلى الماء أو إلى النار، فقط يُحدّق.

أنا أيضًا أُحدّق، ولكن أُمسكه من ذيله: «أنت أيضًا يا أخي، لا تسقط! تعال معنا. عليك أن تُحدّق أنت الآخر». إنَّ إمساكه من ذيله وإبعاده، خارج هذه الأحاديث.

هناك حديث يقول: «لو أنَّ الأموات كشفوا بعضًا من ذلك....».

فرفع رأسه. فتقول: «لكنَّك كنتَ ميتًا».

يقول: «ماذا كان ذلك النَّفس الذي نفخه داخلي الملاك «إسرافيل»؟ ماذا كان قوله: «**نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**»»الحجر ٢٩؟

قال: «لم يكن شيئًا».

قال: ألم يكن؟ حسنًا، سوف أموت مجددًا، لقد سقطتُ».

سلام الله عليك، رحمة الله عليك. ٧٧٤- ٧٥

١٣٤

لم أكن أتذكر رأسي ولحيتي، وأنا أقرب إليَّ من أيِّ أحد آخر. كيف

يجدر بي أن أكون مدركًا لك؟ كنتَ تتخيّل أشياء، وكنتَ مضطربًا بخيالاتك نفسها. كان الخيال يُولد من الخيال ويُصبح صاحبًا للآخر، ثم آخر وآخر.

قُل ثلاث مراتٍ: «اِرحل أيها الخيال!» ، إذا لم يذهب فاذهب أنت.

عندما تخشى تناول شيء أو فعل شيء، لا تأكله ولا تفعله. ٢٦٧

١٣٥

رفاقنا يُحمِّسون أنفسهم بالحشيش. ذلك وهم من الشيطان. حتى أوهام الملائكة ليست شيئًا عظيمًا هنا ـ فما بالك بأوهام الشيطان، لم نكن لنرضى بالملاك نفسه، فما بالك بأوهام الملاك. في النهاية، ما هو الشيطان، حتى تكون له تخيلات؟ لماذا لا يملك رفاقنا حقًا تذوقًا لدنيانا النقية اللامحدودة؟ أمَّا الحشيش فهو يجعل الناس مخدّرين ولا يفهمون شيئًا.

اعترض قائلًا: «إنَّ القرآن يُحرّم الخمر، لكنه لا يُحرّم الحشيش».

قلتُ: «لقد كان لكلِّ آية مناسبة، فتتنزل. في زمن النبي، لم يكن الصحابة يتعاطون هذا الحشيش.

لو فعلوا، لأمر بقتلهم.

نزلَت كلُّ آية حسب ما يلزم وبمناسبة. عندما رتّل الصحابة القرآن بصوت عال أمام الرسول، شعر بالانزعاج، فنزلَت آية على روحه المباركة: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ**

النَّبِيِّ»»»الحجرات ٢». ٧٤- ٧٥

١٣٦

يُمكنك أن تُجيبه بكلماته نفسها: كيف تقول أنَّ **مولانا** يملك روعة ونورًا وجاذبية؟ أعني أنَّه عندما يُؤمن بشيء، يقتدي به ويتبعه دون وجه حق، فمن أيِّ نوع هذه الروعة والنور؟

تقول إنَّ خمسين وليًا فذًا يجب أن يمشوا في ركب **مولانا**. أعني كيف لهم أن يقتدوا برجل أعمى؟

تقول إنَّ للأولياء أَمارات. من تكون أنت كي تعرف أَمارات الأولياء؟

عندما يُصبح شخص عاجزًا، يظهر من عجزه ذاك إمَّا النور أو الظلمة. أصبح إبليس معتمًا بسبب العجز، في حين أصبحَت الملائكة متألقة. إنَّ المعجزة تفعل الشيء ذاته، وكذلك إشارات الرب. عندما تُصبح عاجزة، فإنَّها تُخضِع نفسها.

يقول: «عندما يقع ناظري على رجل لأول مرة، أُميّزه»، ولكنَّه يرتكب خطًا جسيمًا هو وأمثاله. إنَّ ما وجدوه، وما يُعولون عليه، وما يجعلهم سعداء وثملين ـ هي نظرة شيطانية متقدة. على المرء أن يتعمّق ويتجاوز ذلك لأنَّه هوى. ٨١- ٨٢

١٣٧

كان أحد رجال القبائل ممَّن وثق بهم الملك العادل يتنازع مع بغَّال بالفارسية: «إنَّ هذا الحمار لا يمشي جيدًا، فهو لا ينفكُّ يقع على

وجهه، ذاك اليوم أريتني حمارًا جيدًا، ولكنَّك أعطيتَ الحمير الجيدة للآخرين».

قال له الناس: «أيُّها الشيخ خاطبه بالعربية، إنَّه لا يفهم الفارسية».

توقف لبرهة ليستجمع الكلمات العربية، ابتعد البغَّال أكثر، صرخ الشيخ قبل أن ينسى المفردات العربية: «يا بغَّال!».

فالتفت إليه قائلًا: «ماذا تُريد؟».

قال: «غدًا، أنا حمار جيد».

قال: «واليوم أيضًا يا شيخ!».

بسبب الحسد، أراد الفقهاء أن يُصلّوا العشاء معه. ثمّ تبين للملك العادل أنَّه لم يكن يعرف الفاتحة، بدؤوا يروون له القصص إلى أن يدخل وقت الصلاة، أدرك ما كانوا يفعلون. التفت إلى الملك العادل وقال: هل تعلم كيف يتحرّك اللقلق؟

قال الملك العادل: «كلا، لا أعلم».

غمز للخادم ليُحضر له حذاءه، قفز ورفع قدمًا، ثمّ توقف، ثمَّ رفع الأُخرى، وهكذا انصرف. ٦١١- ١٢

١٣٨

قال: «إنَّ العيش في هذه الدنيا مُفضَّل على الذهاب إلى الآخرة».

قلتُ: «لماذا؟».

قال: «لأنَّه يُرشد جماعة من الناس ويتلقّى الأجر من الله».

قلتُ: «نعم، لم يكن يعرف الرسول الإرشاد وثواب الله، ولذلك قال: «بل الرفيق الأعلى!»».

قال: «أنت تجلس هكذا في السوق، ولكن يبدو أنَّك تُريد إحراق السوق».

قلتُ: «أيها المغفل، أنت الذي يحترق. يتمّ حرقك الآن. هذا هو الاحتراق، أنت تحترق، ولن يبقى منك شيء».

نعم، هناك فئة من بين الأولياء يسقطون في النار الظاهرة ولا يحترقون. هناك فئة خفية، وكلُّ شيء منهم مخفي. ٦١٤

١٣٩

قلتُ للجماعة الذين يعتقدون بك: «لقد خلقكم الله محظوظين، بمجيء مثل هؤلاء الأشخاص إليكم، وأنتم تعلمون قيمة خدمتكم لهم. عندما يخلق الله شخصًا محظوظًا، يُظهر قمره أمامه، ويدخل القمر من عتبة بيته».

حقًا سوف أضع الشريعة على درب الحُبّ

كي لا يدوسها الجاهل بقدمه.

إنَّ صحبة الغافلين مؤذية للغاية، وهي حرام. إنَّ صحبة الجاهلين حرام، طعامهم حرام.

إنَّ الطعام الحرام من الجاهل لن ينزل في حلقي. لو أكلتُ طعامه لكان كحجر المقلاع يدخل منزل صانع الزجاج الممتلئ بالأوعية والأواني الزجاجية حتى السقف.

إنَّ كلَّ ذنب من ذنوبك مغفور

عدا ابتعادك عني(317). ١٨٨

١٤٠

يقع مسلم في حُبّ شاب كافر ويُظهر احتياجه له. يقول الشاب النصراني: «أنا كافر وأنت مسلم. لا يُمكن أن يحدث هذا. اِعتنق ديني». أصبح كافرًا هو الآخر. بعد ذلك كيف يجب أن يدعوه، مسلم أم كافر؟

كذلك العكس: يقع كافر في حُبّ شاب مسلم يُشبه القمر. يقول: إذا كنتَ تُريدني، فأنا مسلم، لماذا لا تُصبح مسلمًا»، فيُصبح مسلمًا، وإذا رفض أحدهم مناداته بالمسلم، فهو فاسق. بدلًا من ذلك، إنَّ كلّ مَن يدعوه فاسقًا، يكون هو نفسه فاسق.

لماذا يتمّ ذكر هذا؟ حاليًا، إنَّ هذه الدنيا حسناء وهي كافرة. عندما ترى الدنيا عبد الله تقع في حبه، وتُصبح مسلمة، تُصبح آخرة. «**أسلم شيطاني على يدي**». **ما قيمة دار ثمينة بالنسبة إلى رجل غني!**

عندما تقول النفس: «سوف أُصبح مسلمةً بالتدريج، سوف أُصبح صالحةً»، فذلك خداع واضح، ذلك أشبه بالبحث عن الانفصال. لقد أصبحَت ضعيفة ولا تملك خيارًا آخر، لقد بدأَت في التصنع.

ماذا تقول عن حقيقة أنَّ الجميع يتفق على أنَّ «**النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**» «الفجر ٢٧» أفضل وأسمى من **النفس اللوامة**، إذن، لماذا أقسم سبحانه بالنفس اللوامة؟ «**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**» «القيامة ٢». لماذا لم يُقسم سبحانه بالأفضل؟ لأنَّه لم يشأ كشفه من خلال ذكره، بل أبقاه مخفيًا بسبب سموه وعظمته. بالطريقة نفسها يقول أحدهم: «أيها الملك، أُقسم بالتراب تحت قدميك!»، على الرغم من أنَّ نفسه أسمى.

تمَّ إعطاء إجابة أُخرى في تفسير هذه الآية «**وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**» «الإنسان ٣١».

كان ذلك الشيخ في «تبريز» يقول: «ما هذا الذي يقولونه في موكب الجنازة ـ **سبحان الحيّ الذي لا يموت!** يظنُّون أنَّهم يتكلّمون عن الله العظيم. إنَّ الله أعظم بكثير من أن يذكروا اسمه مع الموت! إنَّما هم يخاطبون الميت. المعنى: لقد أتيتَ إلى حياة لن تموت فيها قط».

عندما يطلع الفجر، سوف نلتقي سويًا،

أيُّ نعمة ـ لا ينيرها الزمن!

يقول: «الإسلام ضروري!»، في الواقع، هو لا يعرف شيئًا من الإسلام، ولا حتى عن صورة الإسلام، يقول إنَّ كلام فلان وفلان قاسٍ. لشهر وشهرين، اِستَمعَ إلى حقيقة ذلك الكلام، ولم يلتقط عبيره، على الأقل لكونه يقول بسذاجة: «لقد أنعم الله علي بأمر عظيم. لقد تلقيتُ

من الله أمرًا عظيمًا لم يُدركه الأولون ولا الآخرون».

أمَّا أنا فأقول: «لقد أنعم الله علي بأمر بسيط وأنا مستأنس تمامًا بهذا الأمر بحيث لا أستطيع أن أشغل نفسي بك. تقول إنَّ سبحانه أنعم عليك بأمر عظيم، إلَّا أنَّك لا تُقدّم أيَّ دليل على ذلك. أمَّا أنا فأقول أنَّه أنعم عليّ بأمر بسيط، وأنا أُظهر الدليل».

يقول **لمولانا**: «أُحبّك وأُحبّ الآخرين من أجلك»، ويستشهد من شعر «مجنون ليلى»:

أحبُّ لحُبِّها السود،

حتى أُحبُّ لحبِّها سودَ الكلابِ

أخبرني إن كنتَ تتحدّث عن أحد غير مولانا «شمس الدين تبريزي». إذا كنتَ تُحبني من أجله، فذلك حتى أفضل وسيجعلني أسعد ممَّا لو كنتَ تُحبّه من أجلي.

ما هذا الذي تقوله، أنَّ ما سوى المحبوب يُصبح محبوبًا باعتباره تابعًا للمحبوب؟ كيف يحدث هذا؟ إلَّا عندما يكون المحبوب راضيًا عن اتخاذ الآخر تابعًا له.

قال: «كان للدرويش خرقة تتحدّث إليه، وكان معتادًا على استشارة خرقته، ويطلب منها التحدث إليه».

قلتُ: «ليس من سنن الله أن يحمل غير البشر على التحدّث، ما لم تُثبته سنن سلطة ليست موضع شك. من أجل معجزات الأنبياء.

فضلًا عن ذلك، كيف لك، أنت الإنسان، ألا تملك حديثًا؟ ليس لديك حديث عقلاني إلَّا حكايات النساء العجائز والشعر العربي. حسنًا، أين حديثك الخاص بك؟

قال إنَّ هناك فقر فوق فقر، وهناك مشيخة فوق المشيخة، وهناك قطب فوق قطب، وهناك كذا وكذا. أردتُ أن أقول: «لقد حَولتَ الفقر إلى لا شيء. لقد وضعتَ هذا العبد الفقير خلف هؤلاء الشيوخ الذين لا يفقهون شيئًا، هكذا فإنَّ عظيم هذه الدنيا وسيدها وسيّد بني آدم ـ **لأنَّ آدم و كلّ مَن تحته يقفون تحت رايتي، ولا فخر، أنا أفصح العرب والعجم ولا فخر، الفقر مفخرتي** ـ ما شأنك أنت بهذا الفقر؟ ماذا تُريد من هذا الفقر كي تضعه خلف كونك شيخًا؟»، ولكن لم أقُل شيئًا. كانت الإجابة عليه هي الصمت.

قال: «لو كانوا أشواكًا لكان لزامًا إحراقهم».

قلتُ: «لكان ذلك إتباعًا لنوح، وليس لمحمد. قال نوح: «**رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**» «نوح ٦»، مًا «محمد» فقال: «**اللهم اِهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون**».

هؤلاء الناس الذين يدخلون خلوة لأربعين يومًا هم أتباع «موسى»، ولم يتذوّقوا معنى إتباع محمد. بعيدون تمامًا! ليس لديهم إتباع لـ «محمد» وفقًا لأحكامه، بل لديهم نفحة من إتباع «موسى»، وقد رضوا به.

يقول: «إنَّ الولي منعزل، والجميع ينظر إلى هذه الدنيا. أعني أنه لا أحد يُرافقه جيئة وذهابًا، كأنَّهم ينظرون إلى ملك يذهب وحده راكبًا أو ينظرون إلى قائد الشرطة باحترام وهو يسير مع عصبته من أمامه

وخلفه.

١٤١

إنَّ بيت الكون يُظهر جسد الإنسان، وجسد الإنسان يُظهر العالم الآخر.

قال رجل أصلع لآخر أصلع: «أعطني العلاج».

فردّ الأصلع: «لو كنتُ أملك العلاج لعالجتُ رأسي».

يقول أحدهم : «يا ربِّ اِفعل هذا! يا ربِّ اِفعل ذاك!». يُشبه هذا بالضبط قوله: «أيها الملك، اِرفع ذلك الوعاء وأحضره إلى هنا!» لقد جعل من الملك خادمه الخاص! يأمره: اِفعل هذا ولا تفعل ذاك!».

قال الرسول: لكن ما الذي بيدي فعله؟ أنا الرسول. أُوحي إليه «**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**» «القصص ٥٦». إنَّها مغالطة. ٢٦٦

١٤٢

كان هناك واعظ يُشجّع الناس على الزواج، وكان يتلو الأحاديث. كان يُشجّع النساء من أعلى منبره على طلب الأزواج، كان يحثُّ المتزوجين على التوسط بين طالبي الزواج كي يُتمموا الزواج، وراح يتلو الأحاديث.

تحدّث كثيرًا إلى أن وقف أحدهم وقال: «**إنَّ الصوفي هو ابن اللحظة**. أنا غريب هنا، و ينبغي أن اتخذ زوجة».

توجّه الواعظ إلى النساء وقال: أيتها النسوة، هل بينكنّ مَن تتمنى ذلك؟».

قالوا إنَّ إحداهن تتمنى. قال إنَّ عليها أن تقف وتتقدّم. وقفَت وتقدّمت إليه. قال: اكشفي عن وجهك حتى يتمكّن من رؤيتك، فمن سنة النبي أن ينظر إليها مرة قبل الزواج.

كشفَت عن وجهها، قال: «اِنظُر أيها الشاب».

قال: «لقد نظرتُ».

قال: «هل هي مناسبة؟»

قال: «نعم».

قال الواعظ: «سيدتي، ماذا تملكين من متاع هذه الدنيا؟».

قالت: «لدي حمار صغير يحمل الماء، وأحيانًا يأخذ القمح إلى الطاحون، أو يسحب الحطب. أكسب القليل من الأجر على عمله».

قال الواعظ: يبدو هذا الشاب ابن سيد ذي نسب. لا يُمكن أن يكون سائق حمار. هل هناك أُخرى؟».

قالوا نعم. تقدّمَت للأمام بالطريقة نفسها، أظهرت وجهها، قال الشاب: «إنَّها مقبولة».

قال: «ماذا تملك؟».

قال أحدهم: لديها بقرة، تقوم أحيانًا بسحب الماء، تحرث الأرض أحيانًا، وتُدير العجلة أحيانًا، وتكسب بعضًا من أتعابها».

قال: «إنَّ لهذا الشاب كرامة، ولا يناسبه قيادة البقرة. هل هناك أحد آخر؟».

قالوا نعم. قال: «فلتتقدم وتكشف عن وجهها»، فأظهرت نفسها.

قال: «ماذا الذي تملكه من جهاز العروس ومن متاع الدنيا؟».

قال أحدهم: لديها بستان».

التفت الواعظ للشاب وقال: «الآن لديك خيار، اختر من بينهن الأكثر قبولًا».

بدأ الشاب يهرش أذنه. قال الواعظ: «أسرع وقل أيهنَّ تُريد!».

قال: «ما أريده هو الجلوس على الحمار، وقيادة البقرة، والذهاب إلى البستان».

قال: «نعم، ولكنَّك لست جيدًا كفاية لتُعطى الثلاثة». ١٥٧- ٥٨

١٤٣

كانت نصيحتي لـ «بهاء الدين(318)» ثلاثة أشياء كي يجد الطريق إلى المعنى، ويُبقي على صفاته حميدة. لو أنَّه يملَك مئة ألف درهم

عليه التصدق بها فورًا.

لو أنَّ فاسقًا خطا بضعة خطوات ظاهرة في اتجاه المروءة، فإنَّ ذلك لن يذهب سدى. في النهاية سوف يأخذ ذلك بيده، فما بالك بابن الشيخ، الذي مشى تلك المسافة على قدميه وهو يحمل هكذا إيمان، مسيرة شهرين(319). لن يذهب ذلك هباء.

على أيِّ حال، أعطيته هذه النصائح الثلاث: أولًا، لا تكذب، ثانيًا، إنَّه يأكل العشبة الضارة(320) ولكنَّ الشرط هو الاستقامة، ينبغي ألَّا يتعاطاها. ثالثًا: خالط الرفاق قليلًا.

بالنسبة إلى الكذب، فذلك أسوأ الخطايا، **«هل يكذب المؤمن؟»**.

قال : «لا يكذب».

فكيف لي أن أكذب؟ خاصة في الأحلام. إنَّ مجال الأحلام مليء بالأخطار. لكنَّني قلتُ إنِّي سوف أعلِّم **الطريق**.

يصل أحدهم وهو على الطريق إلى نهر عميق، مياهه سريعة وعميقة. إذا دخل فسيغرق، وإذا قفز سيسقط وسط الماء. يجب إزالة مصدر ثقله **«فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ»** «البقرة ٥٤»، تمامًا كما قتل «إبراهيم» تلك الطيور الأربعة(321). إنّ الطيور الأربعة نفسها التي عادَت إلى الحياة مُجددًا، ولكن هنا في هذه الحالة الطيور الأربعة نفسها لن تعود إلى الحياة. بالأحرى سوف تعود إلى الحياة بطريقة أُخرى، حيث أن رحلة الأولياء تكون من خلال هذه الطيور الأربعة. لقد قُتلت الطيور الأربعة وعادت مجددًا إلى الحياة(322).

هنا تنفتح الكلمات، يُفتح باب: إنَّ ما لديّ من **مولانا** يكفيني ولثلاثة أشخاص إضافيين. على افتراض أنَّها لم تكن من **مولانا**، لكان من الرفاق مَن يقول: «بما أنَّك بعيد عن **مولانا**، كُن معنا، ولكنَّ جانب الفتح هو شأنك، لذلك قد يحصل فتح ما».

هناك شيء آخر: ما الفوارق الموجودة بين مَن يعيش من خلال نفسه، ومَن يعيش من خلال قلبه، وذاك الذي يعيش من خلال ربه! لا مناص. بالطبع، الطريق هو كالتالي: «**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**» «المزمل ٢٠».

أعني، ما المتطلبات التي يُمكن أن تكون لدى الله؟

«يا موسى، كنتُ جائعًا ولم تطعمني، يا موسى عندما أتيتُ بابك ماذا فعلت؟».

أجاب: «يا رب، إنَّ هذا لا يليق بك».

قال : «يا موسى، لو أني أتيتُ بابك....؟».

ظلَّ موسى يقول: «كيف لهذا أن يحدث؟»، وظلّ يُجيبه: «لو حصل، ماذا كنتَ لتفعل؟».

في النهاية قال: «أنا جائع جدًا، توقّف عن المناقشة، اِذهب وحضّر الطعام فأنا قادم غدًا».

قام «موسى» بتحضير الطعام. نظر في الصباح وكان كلُّ شيء جاهزًا، باستثناء عدم وجود الكثير من الماء. وصل أحد الدراويش:

«شيئًا لله ـ أعطني بعض الخبز».

قال «موسى»: «أهلًا»، ثمَّ وضع وعاءين في يديه، «هلّا أحضرت ماءً؟».

أجاب الدرويش: «سأخدمك ألف خدمة»، وأُحضر الماء. أعطاه موسى بعض الخبز. شكره الدرويش وذهب.

عانى موسى الكثير في سبيل الله. كيف ذلك؟ كان لموسى معرفة حقيقية بعلوم الكيمياء، حيث أُمر بكتابة التوراة بالذهب. تأخّر الوقت، وبقي موسى ينتظر. وزّع موسى الطعام على جيرانه، وبقي في حيرة طوال الوقت. ما السرّ في ذلك؟ رُبّما كان السرّ يكمن في أن يحصل كلُّ هؤلاء الناس على بعض العطاء. أو الإخلاص في حدّ ذاته، أي أنني حقيقة فعلتُ ما **طلبه**؟».

أخيرًا، حان وقت التوسع، فسأل: «وعدتني ولم تأتِ؟».

قال: «أتيتُ، ولكنَّك لم تُعطني الخبز حتى أمرتني بإحضار وعائين من الماء». ١٠١- ٣

١٤٤

كلّ متخمي الدنيا جائعون إلى الوصل معك!

أبطال الدنيا يرتعدون من خوف الفراق معك!

أمام عينيك، ماذا لدى الغزلان لتتباهى به؟

آه، لقد قيَّدت بخصلات شعرك أقدام جميع أسود الدنيا!(323)

رُبّما لا يعرف من ألّف هذا، شيئًا عن هذا الحال، رُبّما يكون مزارعًا، قرويًا، شخصًا لا يعرف الشعر ولا النثر. لقد كان «سنائي» و«نظامي» و«خاقاني» و«العطّار» مَن لهم حظ من ذاك الكلام.

إنَّ الجبن طعام الفهد(324). هل لأسدٍ أن يأكل الجبن؟ إنَّه يأكل قلب وكبد فريسته. لكلٍّ طعامه.

علمتُ أنَّه كان سمًّا، ولكن تذوقته ولم يُؤذني أبدًا. جعلني أتعرّق قليلًا، ومرّ ذلك. كما حدث في قصة «عمر»، شرب كأسًا مليئًا بالسمّ و لم يُؤذه على الإطلاق. ٦٥٥

١٤٥

من وجهة نظري، لو أنَّ أحدهم رمى عباءته في أثناء «سما(325)»، لا يستطيع استعادتها حتى لو كانت تُساوي ألف لؤلؤة. وإلا، في تلك الـ «سما» وفي ذلك الحال، يكون قد غُبن، سيكون الأمر هكذا: «خُيِّل إليّ أنَّ هذا الطَّعم يعدل استعادة العباءة، ولذلك تخليّتُ عنه. الآن وأنا أنظر مجددًا، لقد خُدعت، لم يكن الأمر يستحقّ».

يجد بعض الناس هذه الكلام مرًا. لو عضّوا بشدة على تلك المرارة لظهرَت الحلاوة. عندما يضحك أحد في خضم المرارة، فهذا لأنَّ عينه على حلاوة العاقبة.

إنَّ معنى «الصبر»(326) هو أن تكون عينك على نهاية العمل، ومعنى «الجزع» هو ألّا يبلغ بصرك نهاية العمل.

إنَّ الأول في الصف سيكون الإنسان

الذي يعرف أنَّ كلَّ شيء سيكون على ما يُرام في النهاية.

سأل البغل الجمل(327): «كيف يحدث أنَّني عادة ما أقع على رأسي وأنت نادرًا ما تقع على رأسك؟».

أجاب الجمل: «عندما أقف في أول الطريق، أنظر إلى نهايته، لأنَّ رأسي مرتفع، وطموحي عالي، وعينيَّ ثاقبتين، أنظر تارة إلى نهاية الطريق، وتارة أمام قدمي».

المقصود من الجمل هو الشيخ ذو النظرة الكاملة. ستُصبح أكثر قربًا منه بسرقة ميزات شخصيته.

لا ريب أنَّك كلَّما جالست أحدهم وكنت معه، سوف تتخلّق بطباعه. بمَن كنتَ تُحدّق حتى أتاك كلُّ هذا الضيق؟ إذا نظرتَ إلى العشب الأخضر والأزهار، ستأتي النضارة. إنَّ الجليس يسحبك إلى عالمه الخاص، ولذلك فإنَّ تلاوة القرآن تُنقّي القلب، لأنَّها تُذكّرك بالأنبياء وحالهم، تجتمع صورة الرسل في روحك، وتُصبح جليستها. ١٠٨- ٩

١٤٦

قال البغل للجمل: أنت نادرًا ما تقع على رأسك، كيف ذاك؟»

قال: «لأن لدي ثلاثة نقاط تفوّق، وهذا التفوق لا يسمح لي بالوقوع على وجهي، أولًا كبر حجم جسمي وارتفاع قامتي، ثانيًا نظري الثاقب، أنظر من قمة التلة إلى قعر الوادي فأرى كلَّ شيء، المرتفع

والمنخفض. أخيرًا أنا ابن شرعي، أنت غير شرعي».

اعترف البغل أمام الجمل، وزالت عدم شرعيته. كانت عدم شرعيته هي الإنكار. إنَّ اللاشرعية ليست صفة متأصلة. ٢٧٢

١٤٧

دعنا نروي النكات، لأنَّ **مولانا** رجل **الحق**. يجب أن يتكلّم المرء أمام **مولانا** بكلام كيِّس. ألا ترى؟ حتى الآن كنا نتكلّم عن الحُبّ. أمام أهل هذه الدنيا، ينبغي أن يتكلّم المرء عن الخوف.

مثلًا، أنت تروي قصة هذين الرجلين الذي وضع أحدهما حزام الذهب حول وسطه، والآخر كان ينتظره حتى ينام كي يتمكّن من ضربه، ولكن كان نومه خفيفًا ، فلم يفُز عليه. كان شخصًا طبعه اليقظة، وإلَّا لما استطاع حمل نفسه على البقاء على أهبة الاستعداد.

عندما وصلوا إلى آخر محطة في الطريق، كان يائسًا وقال: «إنّ الرجل يقظ. لو حاولتُ ضربه وهو منتبه فقد يكون اتخذ بعض الاحتياطات. حسنًا، سأستسلم، سأُمازحه».

قال: «سيدي، لماذا لا تنام؟».

قال: «لماذا أنام؟».

قال: «كي أتمكّن من ضرب رأسك بحجر، أضربك على رأسك، وآخذ ذهبك».

قال: «هل تقول الحقيقة؟ الآن أستطيع النوم بقلب مطمئن».

في هذه اللحظة، هناك شخص نائم وسط طريق خطر. جاء أحد عباد الله ليُوقظه، ولكنّ ذلك النائم يرتبط من خلال نومه بذلك الشخص. إذا أخبرتك صفات هذا النائم سوف تيأس من نفسك، لن أخبرك، إلَّا إذا يئست. لا تيأس، لأنه هناك أمل. ١٣٢- ٣٣

١٤٨

هل أنت مشغول بشيء آخر؟ حسنًا، مهما كان الأمر لا تتحوَّل عني، لا تتركني. مهما كان الحال الذي أنت فيه، أعطِ ما تملكه. إذا لم تكن تملك أيَّ شيء، بادر إلى الحصول عليه. عندما تفعل شيئًا مثل دعوة الرفاق، اِدخِر لي القليل. قرش، قرشان، من أجل القرض الذين تُدين لي به، لأنَّ **الوعد دَين**.

«**إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**»»الإسراء ٣٤»، بالنسبة إلى العهد مع الله، كيف سيكون الأمر؟ بالطريقة نفسها، خبئ حصة من كلِّ شيء من أجل ذاك القرض الذي مني، حتى لو كان قرشًا واحدًا، إلى أن يحين ذلك الوقت الذي سوف يأتيك فيه فجأة فتحٌ من الغيب. عندها ستكون انتهيتَ من كلِّ هذا. بالطريقة نفسها، لا تضعني جانبًا فجأة وتنساني.

على سبيل المثال، يأمر الذهن بشيء وتأمر الغريزة بشيء مناقض، كأنَّ السيد يقول: «أحضِر المخلل»، فيقول العبد: «كلا، أُحضِر الحلويات، الحلويات أفضل»، هذا غير مناسب. يجب أن يقول أولًا «أُحضِر ما أمر به السيد. في الحقيقة إنَّ كلَّ ما يأمر به السيد حلو المذاق». يقول السيد : «أنا ذاهب إلى مكان كذا».

يقول العبد: « **الله معك**، أنا لست آتيًا».

«لماذا لستَ قادمًا؟».

«سوف آتي عندما يحين وقت المجيء، الآن، لديّ عذر».

إنَّ هذا غير لائق، إن هذا يُعلِّم المعارضة. ينبغي على المرء أن يتعلّم الاتفاق في هذا الدرب، وليس المعارضة، أو بالأحرى، تُعلّمني المعارضة، أُعلّمك الاتفاق. بعبارة أُخرى، أنت تُعلّمني الترفع، وأنا أُعلّمك الحاجة.

كذلك، قال فقيه لعازف العود: «سأُعلّمك جزء ياسين، وأنت تُعلّمني العزف على العود». «**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**» «التوبة ١١١» هو هذا. هُم يعطونه الزائف والعابر، وهو سبحانه يُعطيهم الموجود.

في هذه الطائفة، ناقل القصة هو الله(328)، يقول: «إنَّ فلانًا ـ الذي تطلب منّا وتتشفع من أجله ـ وتُريد له الثراء والارتقاء، يقول عنك كذا وكذا؟». ١١٦- ١٧

١٤٩

يقول المعتزلة: «لو كان الكلام قديمًا، لاستلزم ذلك قدم الدنيا». إنَّ هذا ليس طريق مجادلة المعتزلة. إنَّه طريق الانكسار، الفناء، العجز، ونبذ الحسد والعداوة. عندما يُكشف لك سرّ، يجب أن تُعبّر عن امتنانك لذلك.

هل أسرد معنى الامتنان بالنفاق أم بالصدق؟

سبحان الله ـ لا تيأس! تكون الرؤية من خلال الصفاء والنور الصافي، وأنت متوجه إلى العدل، الراحة، والسكينة. مرّت المعاناة، انجلت العتمة.

على الرغم من أنّني نادرًا ما أتيتُ، إلّا أنّني كنتُ دائمًا هنا، **مولانا** يعلم. كنتُ مُنشغلًا بالتضرّع ليل نهار. إنَّ معاناة قلبي لم تسمح لي برؤيتك في تلك الحال، الآن وقد انتهى ذلك الحال على خير، يجب عليّ القدوم إليك الآن، فأنت «أفضل الناس، أولئك الذين يُقدّمون المنفعة للناس». إنَّ وجودك سوف يبقى ويستمرُّ بين الناس لسنوات كثيرة. أنت ذاهب نحو شباب لن تعرف الشيخوخة إليه سبيلًا. سوف تزداد شبابًا كلَّ يوم.

أفضل الناس، أنفعهم للناس، إذا لم يعرف الشخص ما هو الخير، فكيف له أن يفعل خيرًا؟ وبما أنَّهم لا يعرفون ما السنوات وما العمر، فلماذا يتمنون لبعضهم سنوات حياة مديدة؟

لو أنَّ درهمًا واحدًا من مالِكَ ذهب إلى صاحب قلب(329)، فهو أفضل من ألف درهم تذهب إلى صاحب نفس. لا أستطيع شرح هذا لك، لأنَّ نفسك تحيا وتتحرّك. لو تكلّمتُ أنا، سترُدُّ علي ببعض الكلام وسوف أقطع علاقتي بك. ١٢٦- ٢٧

١٥٠

كان يشتكي كثيرًا من ولده، نطق لساني بقول: «إنَّ عاقبته ستكون صالحة، إنَّه طفل، إنَّه يفعل ما يفعل بسبب الطفولة، وليس بسبب جوهره. مثلما يكون العنب والمشمش غير الناضج مرًّا وحامضًا. بسبب الفجاجة وعدم نضج العنب، وليس بسبب جوهره. هناك نوع

آخر من العنب الفجّ والذي تكون حموضته أصيلة، من النوع صعب النضوج، وهو لا يُصبح حلو المذاق، إلّا إذا وضع تحت الشمس».
٣٠٢

١٥١

جاء ذاك الشخص وقال: «اعذرني، لم نطبخ شيئًا اليوم».

قلت: «ماذا أفعل بشيء أنت طبخته؟ أنت الذي يجب أن يُطبخ؟».

قال: «كيف أُصبح مطبوخًا؟».

قلتُ: «أيُّ نوع من المريدين أنت إذا لم تفهم تلميحاتي؟».

قال: «لو أنَّ فهم التلميحات والتعابير لا يتلوَّن، لما اختلف علماء المسلمين، ولفهموا معنى واحدًا من النصوص».

قلتُ: «كيف يمكن لعلماء المسلمين أن يتصفوا بالازدواجية والخلاف؟ أن ترى وجهتي النظر وأن تكون شغوفًا هو عملك. لو أنَّ «أبو حنيفة» رأى «الشافعي» لعانق رأسه وقبّل عينيه، كيف لعباد الله أن يُخالفوا الله؟ كيف للخلاف أن يكون ممكنًا؟ أنت يا من ترى الخلاف، ضحِّ بنفسك كي تتحرر من الازدواجية».

قال: «متى سأتحرر من قصة التضحية؟».

قلتُ: «ضحِّ بنفسك وستتحرر من قصة التضحية. إنَّ ذكر «الله أكبر(330)» في الصلاة يعني التضحية بالنفس. متى يكون «الله

أكبر»؟ طالما أنَّ الغرور والوجود موجودان في داخلك، يجب أن تقول «الله أكبر»، ويجب أن تنوي التضحية. إلى متى ستبقى تحمل الصنم تحت ذراعك وتأتي إلى الصلاة؟ تقول: «**الله أكبر**»، بينما تحمل ذلك الصنم بقوة تحت ذراعك مثل المنافقين». ٣٠٣- ٤

١٥٢

كان «**مولانا**» يقول: «»أرى أشجارًا وبساتين، وبحرًا من الماء الصافي العذب الذي يُنعش الروح. إنّ الماء رقراق وعذب إلى درجة أنه ليس هناك كلمات تصفه. إنّ الأشجار ليست كذلك، فجذورها في المستوى الأدنى، بينما أفرعها تمتدُّ أبعد من شجرة سدرة المنتهى(331)، بظلها الوارف وأعشابها حلوة الطعم.

لكنَّهم لا يرون شيئًا، بسبب حبهم للزعامة والقيادة. ٧١٠

١٥٣

يجب أن تتشبث بالجذر. دعك من النواح من أجل الثياب، الخبز، والعداوة: «إنَّهم ينظرون إليّ باحتقار» أو «إنَّ فلانًا قد أصبح غريبًا عني»، وجميع الفروع الأُخرى. انتحِب من أجل الجذر، اِجلس آسفًا من أجل الجذر، اِمتعض، اِشتكِ. وسترى أنَّ تلك الأفرع ستأتي إليك وتنطرح عند قدميك. كلُّ الزعامة والسيادة والقيادة، وكلُّ مَن هم على رأس جميع ميادين التعليم، سيأتون ويضعون وجوههم على الأرض أمامك، ولن تُلقي لهم بالًا. مهما دفعتهم بعيدًا، لن يذهبوا. إلا أنك إذا تشبثتَ بالفرع سيذهب الجذر بعيدًا ولن تحظى بالفرع.

أُريد إسداء نصيحة ولكني أسديتُ النصيحة عدة مرات. سمع

بعضها بسرور في حين أزعجه بعضها.

إنَّ حقيقة أنَّه انزعج تأتي إليّ وتصدمني. قلتُ: «عندما لا يُمكن إسداء النصيحة، يجدر بي البدء بالابتهال مثل النساء المسنَّات والعجزة، بأن يلتفتوا إلى ذلك دون كلام مني.

أنت تبكي على كلِّ فرع. بالطريقة نفسها، جثا ذاك الشاب أمام قدميّ وهو يقول: «لقد تركتُ بيتي وعائلتي بحثًا عن فلان. لم أكن قادرًا على فعل شيء. كلُّ ما أتوقّعه هو أن أُحيّيه لمرة واحدة فيردّ تحيّتي. بعدها سوف أعود إلى الديار، أو أن يرمقني بنظرة منه».

قلتُ: «لن أفعل شيئًا ممَّا طلبتَ. لماذا لا تكون أنت مَن يأتي الآلاف مثله إليك ويربطون أحزمتهم في خدمتك؟».

قال: «ماذا عليّ أن أفعل؟».

قلتُ: ليكن انتماؤك إلى ذاك الذي هو الجذر والغاية، جذر كلِّ الجذور وغاية كلِّ الغايات، وليس الجذر الذي سوف يُصبح فرعًا يومًا ما. كُن جادًا في طلب ذلك. مهما كان ما يشغل بالك ويُبعدك عن الهدف، اِعتبر ذلك أمرًا جللًا. إذا كنتَ تأخذ مسألة تداركه باستخفاف، فهذا يعني أنَّك استهنتَ بذلك الهدف». ١٨١- ٨٢

---

(300) قال أحدهم. يُخبرنا «الرومي» بهذه النادرة في المثنوي III ١٣٧٦-٧٩.

ويستخلص عبرة: «إنَّ «انتزاعها» هذا هو الأسئلة والإجابات، إنَّ معاناة الدين ليس لها اهتمام بذلك. بعبارة أُخرى لا يُطيق المحبّ صبرًا على النقاش والجدال.

(301) كان الحجر «هنديًّا» أكثر. يبدو أنَّ حكاية شمس قد ألهمت غزليات الرومي #D ١١٥٩:

الحبُّ نفس, لكنَّ حبك نفس أكبر.

اللّطف يشفي, لكن لطفك يشفي أكثر.

كُفْرُ ضفائرك الكافرة

بات إيمانًا أكثر من الإيمان.

سهل أن نعهد بالروح إلى الحبُّ,

وإلى حبّك أسهل بكثير.

الكلُّ ضيوف على مائدة لطفك,

لكن ابن هذا العبد فهو أكثر من ضيف.

من دونك الكلّ مرتبك,

لكنّني حتى أكثر فوضويّة وارتباكًا.

حبك هو مَعين التوفيق اللانهائي,

لكن الوصل بجمالك أكثر من مَعين.

إنَّ نصل مهند الفراق حاد,

لكنَّ نصل مهند الحب أحدُّ.

كلّ قلبٍ يطير خلفك بأربعة أجنحة,

لكنَّ لقلبي مئة جناح وهو أكثر من طيَّار.

قد تكون رؤيتك زهيدة في مقابل مئة نفس,

في مقابل نصف نفسي، هي أكثر زهدًا.

على الرغم من دوران هذه العجلة السماوية بسرعة,

تدور عجلة أفلاك الحبّ أسرع.

الكلّ خائف من فلك الحبّ,

لكن ذاك الفلك أكثر خوفًا من ألم قلبك.

شمس تبريز! ألهمني

لعلي فيك أدرك العجائب أكثر.

(302) كان موسى فرعونيًا أكثر من فرعون. قارن هذه الأبيات للرومي مثنوي III ٩٦٤-٦٥:

كان مكر فرعون العنيد حية

فاقت مكر ملوك الدنيا.

لكنَّ أحدهم كان فرعونًا أكثر ممَّا بدا عليه

والتهمه هو ومكره.

(303) إبراهيم أدهم. من أجل رواية الرومي عن قصة تخليه عن مملكته, انظر مثنوي IV ٧٢٦ff, ٨٢٩ff.

(304) الفتى الذي كان يقرع الطبل. يروي الرومي رواية أكثر تفصيلًا في مثنوي VI ٨٤٦ff.

(305) أن تسمِّي حذاء العالِم بالجوارب. لم يتم العثور على معنى هذا التعبير في القواميس التقليدية, لكن ذكر شيء من هذا القبيل كتعبير عامي حديث. عندما ينزعج أحدهم من حديثك على عكس المتوقع, تقول «ماذا حدث؟ هل سمَّيت جواربك حذاءً؟».

(306) أبو يزيد طاقوي. هكذا ورد في النص. «طاقوي» ربما تكون قراءة خاطئة لـ «بسطامي». لا يشير المحرر إلى «طاقوي» في الملاحظات أو في الفهرس, لكنَّ الفهرس لا يتضمن هذا المقطع بين المقاطع التي تذكر «أبو يزيد البسطامي». كما أنَّ هذا لا يتناسب مع روايات «البسطامي».

(307) ابن «نوح». إشارة إلى القصة التي تعود إلى سفر التكوين (٢٢/٩-٢٤), بحسب رواية «الكسائي», لدى رؤية أبيهما عاريًا ضحك «حام», في حين سارع «سام» إلى ستر والده.

(308) موسى. إشارة إلى قصة موسى مع قبس النار في القرآن الكريم «طه١٠» «النمل٧».

(309) مارولز. قد تكون هذه تشكيلة من الكرز, أو فاكهة أخرى مثل البرقوق, الكلمة غير موجودة في القواميس. يعتقد المحرر أنَّها قد تكون «خس», لكنَّ ذلك لا يناسب السياق ولا موسم الزراعة.

(310) العبد الهندي الذي تكلّم. إشارة مرجعية توسّع «الرومي» في هذه الحكاية في مثنوي II ٣٠٢٧ff.

(311) أرى بأنّك. البيت الثاني من أحد الرباعيّات وجد في # ٣٦٠. يقول البيت الأول: «طالما أنَّ شيئًا من كيانك لا يزال معك, لا تجلس مطمئنًا لأنَّ عبادة الأصنام لا تزال موجودة».

(312) مقولة الصوفي. أي مخاطبًا قطعة الخبز في كمه انظر ٢٢٧.٢.

(313) رؤية الحاكم. يشير «شمس» على الأرجح إلى الحديث (**إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء...**). يفرد الرومي بداية Fih ١ -٢ Ar ١٣-١٤ لشرح معناه.

(314) ترجمة فارسية لمقطع من القرآن الكريم «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ»»البقرة٧»

(315) رغم أني أجلس هنا: هناك نسخة من هذا البيت في الرباعيات#١٠٥٢.

(316) هذا البيت موجود كذلك في كتاب «مرصاد العباد» للرازي.

(317) يخبرنا «الغزالي» أنَّ هذا البيت تلاه صوت من عالم الغيب على «إبراهيم أدهم».

(318) بهاء الدين: «سلطان ولد» ابن «الرومي».

(319) مسير شهرين: إشارة إلى حقيقة انَّ «سلطان ولد» هو الذي خرج إلى حلب لإعادة «شمس» إلى «قونية. قارن٣-٢٢٣.

(320) هناك رواية موازية عند «الأفلكي»(٦٣٣) توضح أنَّ «العشبة» هي

الحشيش: «عندما جعل مولانا من «سلطان ولد» مريدًا عند «شمس الدين التبريزي» قال له الأخير: 'بهاء الدين, لا تتعاطَ الحشيش وإياك أن تنخرط في عمل قوم «لوط» لأنَّ الفعلين مخزيان كليهما وملامان في عين الله الكريم.

(321) إشارة إلى القرآن الكريم «البقرة٢٦٠». يقول مفسرو القرآن عموما أنَّ الطيور الأربعة هي الطاووس، الغراب، الديك، والنسر. وكثيرًا ما يفسرون الطيور على أنَّها إشارات إلى صفات شخصية مذمومة (يقول «ميبودي» أنَّ الطاووس هو الخيلاء، والغراب هو الجشع، والديك هو الشهوة، والنسر هو التمني. أمَّا السنائي (حديقة٧٢٤) فيعتبرها الحالات الأربع للطبيعة (حارة وباردة ورطبة وجافة)، ويخبرنا أنَّه يجب تحويلها إلى الإيمان والفكر والصدق والإرشاد. ويخصص «الرومي» ربع الجزء الخامس من «المثنوي». لتفسير هذه الآيّة القرآنية. يقول أنَّ الطيور الأربعة هي البطة (الجشع)، والغراب (التمني)، والطاووس (السمعة)، والديك (الشهوة).

(322) قتلت الطيور الأربعة وعادت إلى الحياة: هذا بالطبع إشارة إلى الفناء والعيش.

(323) رباعيات#١٤٢٢

(324) الجبن طعام النمر: قارن شعر «الرومي» «أنا لا آكل إلَّا الاكباد والقلوب, لأنَّني من نسل أسد, انا لست نمرًا منحطًا حتى آكل الجبن». كان يتم تدجين النمور بسهولة واستخدامها في الصيد وربّما كانت تكافأ بالجبن.

(325) إن رمى أحدهم عباءته: إنَّ اخذ العباءة الملقاة في أثناء «سما» كان عادة وافق عليها بعض الشيوخ مثل «شهاب الدين السهروردي». يشير «الرومي» في مؤلفاته إلى عدم استرجاعها.

(326) الصبر: نظرًا لأهميته على درب الله.

(327) *البغل يخاطب الجمل: ذكر «الرومي» هذه القصة مرتين في مؤلفاته.

(328) هنا رُبّما تلميح إلى القرآن الكريم «التحريم٣»(قارن٢-٢٥٤)

(329) صاحب قلب: تعبير قياسي لمن يعيش في معرفة الله, الدرويش الحقيقي.

«في قوله «صاحب نفس» يعني «شمس» بوضوح من لم يتجاوز مستويات النفس الدنيا والأنانية. يقول في أحد النصوص «لا يسمى الإنسان (صاحب روح) ولا (صاحب عقل) ـ فقط (صاحب قلب)». (مقالات٨٥٦).

(330) الله أكبر: قارن المقاطع(١٠٤/٢-١٠٥)

(331) شجرة تنمو في الفردوس الأعلى من الجنة حيث يقال أنَّ النبي حظي برؤية الله أثناء رحلة المعراج(النجم٣)

نقّادي

١٥٤

يقول: «إنَّ ابن فلان الفلاني قد أصبح من إتباع رجل من «تبريز»! وهل تتبع أرضُ «خرسان» أرضَ «تبريز»؟».

إنَّه يدّعي أنَّه صوفيّ وعفيف، ولكنَّه لا يملك الذكاء ليُدرك أنَّ الأرض لا تتوقّف على حسابات. لو كان لرجل من «استنبول» أن يملكه، لكان لزامًا على المكّيّ أن يتّبعه.

إنّ حبَّ الوطن من الإيمان. كيف أمكن أن يعني بها النبي مكة؟ تنتمي مكة إلى هذه الدنيا، ولكنَّ الإيمان لا يخصُّ هذه الدنيا. ذاك الذي هو جزء من الإيمان ليس جزءًا من الدنيا، فهو يأتي من الآخرة.

بدأ الإسلام غريبًا. بما أنَّ الإسلام غريب وآت من عالَمٍ آخر، فكيف أمكنه أن يعني بها «مكة»؟ عندما يقولون: «رُبّما كان يعني مكة»، فرُبّما كان يعني شيئًا آخر، وهو بالتأكيد كان يعني شيئًا آخر. ذلك «الوطن» هو وجود الله، وهو ما يعشقه ويطلبه المؤمن. ٧٣٦- ٣٧

١٥٥

إنَّ ما جعله يقول إنّ الناس من تبريز مغفلون هو أنَّه مغفّل. ما الذي رآه؟ بما أنَّه لم يرَ شيئًا ولا يعرف شيئًا، فلماذا إذًا يقول هذا الكلام؟ لقد كان هناك أناسٌ أنا أقلُّهم. لقد رموا محيطي تمامًا مثل حطام سفينة رسا على شاطئ البحر. أنا هكذا – فكيف كانوا هم! ٦٤١

١٥٦

الصياح من الديك والصباح من الله. أعني، إنّ هذا بالتحديد ما **قاله** عندما سأله موسى « ربي، ما فائدة ذلك؟ ففرعون لن يقبل».

قال: «لا تُحقّر ما لديك. أخبره!».

إنّ لله عبادًا يسمعون كلامه ويفهمونه بأنفسهم. ٢١٥

١٥٧

قالوا: «إنّ **مولانا** خالٍ من هذه الدنيا، ولكنّ **مولانا** شمس الدين ليس خاليًا من الدنيا(332)».

قال مولانا: هذا لأنّكم لا تُحبّون مولانا شمس الدين التبريزي. لو أحببتموه، لما بدا لكم راغبًا في شيء، ولما بدا لكم مكروهًا.

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ.

وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِئا

إنّ حبُّك الشيء يعمي ويُصمّ، أي عن نقائص الشيء المحبوب. عندما يبدأ أحدهم يرى النقائص، فاعلم أنَّ ذاك الحُبّ قد نقص. ألا ترى كيف تُحبّ الأم طفلها؟ إذا لوّث نفسه، فالأم بكلِّ رقتها وجمالها، لا تتوانى بنفسها، بل تقول: «أحسنت!».

إنَّ هذا الكلام عرضة للضعف. يقول **مولانا** شمس الدين التبريزي إنّ **مولانا** قد أعطى جوابه. الآن استمعوا إلي: يقوم أحدهم بربط حمار كسيح ويعلفه ليل نهار، فيقوم الحمار بالتبرز عليه. هذا أمر. أمَّا الآخر فهو شخص يمتطي حصانًا عربيًا يُنقذه من مئات الآلاف من المخاطر والمصائب وقطّاع الطرق ويُنجيه. حتى لو أنّ هذا الشخص لديه القبول من الجهة الأُخرى، فقد أثبت **الحق** ذلك له من خلال الدابة.

لا أريد أيَّ شيء على الإطلاق، أُريد فقط حاجة المحتاجين. «**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**» «التوبة ٦٠». فقط الحاجة، وليس صورتها وحسب، وإنَّما صورتها جنبًا إلى جنب مع معناها.

أولًا، الحاجة هي ألا تكون عابس الوجه ومنقبضًا أمام الشيخ. يا أستاذ متجهم! هل تُريد أن تُقرِّعني؟ هل تُريد أن تتعارك معي؟

قال: «كلا».

حسنًا. يكون الشخص عابسًا مع مَن يتسبب بالمتاعب، وضاحكًا مبتهجًا مع الآخرين. عندما يرى هذا الشخص، يُصبح عبوسًا، وعندما يرى ذاك، يبتسم. إن لم يبقَ له شيء من ذلك الأسى، حينها يُصبح سعيدًا بالكامل. وإن بقي منزعجًا، فتلك حرب يخوضها مع نفسه. ينظر إلى نفسه ويُصبح نكدًا، وينظر إلى أصدقائه فيبتسم.

إنّ معرفة هذا كمال(333)، وإنّ عدم معرفته هو كمال الكمال.

أُريد أن أُنادي أحدهم من أجل معناه، وأُريد معناه من أجل النداء.

١٠٠-١

١٥٨

عندما أكون مبتهجًا، حتى لو كانت الدنيا بأسرها مليئة بالحزن فلن يكون لذلك تأثير عليّ، وعندما أكون حزينًا، لا أترك حزن الآخرين يؤثر عليّ. ٣٠٣

١٥٩

يا حمار، يا حمار! يا كلب! يا جيفة! لا يُمكنك أن تُخبر شيئًا من ظاهري، فكيف يُمكنك أن تُخبر عن باطني؟ يا حمار، يا حمار! كلا، كلا، اِحتفظ بأيِّ معتقد يجعلك مُتحمّسًا، وابتعد عن أيِّ معتقد يجعلك فاترًا.

إنَّ الرجل العارف هو الذي يكون سعيدًا عند الحزن ومرحًا لحظة التعاسة. إنَّه يعلم أنَّ مراده محفوف بحرمانه من رغبته. ففي الحرمان يكمن الأمل في الحصول عليه، وفي الحصول عليه يكمن القلق من حصول الحرمان.

عندما يكون دَور الحمى، أكون مبتهجًا لأنَّ العافية آتية في اليوم التالي، وعندما يكون دور العافية، أكون مغتمًا شاكيًا من أنّ الحمى ستعود لي في اليوم التالي.

عندما تقول: «لو لم أتناول الطعام ذلك اليوم، لما عانيتُ اليوم». أنت الذي جلبتَ لنفسك هذه المعاناة. فالرجل العارف هو الذي يُخفي كلَّ شيء داخله، ذاك هو كماله. حينها يُصبح عظيمًا. ٦٤٠- ٤١

١٦٠

في البداية، تجنّب رسول الله الناس بشدة بسبب استئناسه الشديد بالله. ابتعد عن الصالح والطالح مخافة أن يُصبح قبول الناس حجابًا للحظة أو لساعة. في النهاية، عندما وصل إلى الكمال، كان قد تجاوز التأثر بقبول ثمانية عشر ألف دنيا(334) أو برفض أيٍّ كان. لقد اعتاد أن يقول «**إعرضوني على الناس!**»: «يا أصحابي، إعرضوني على الناس، فأنا نفسي لن آتي لأبيع، وكيف لي أن أُعاني الخسارة؟».

بما أن النبي محمد قال هذا، فانظر كيف يقول الله تعالى «**إعرضوني**» مئة مرة: **إجعلوني محبوبًا في قلوب عبادي. ذكروهم بعطاياي وإحساني، فالقلوب جُبلت على حُبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.** تقول النفس الأمارة بالسوء: «إنَّه يُقنعك بنفسه».

هذا هو السبب الذي جعل الكثير من الأكابر ضعفاء بسببي: «لقد ألزم نفسه بالفضة؟»، أنا لم أُلزم نفسي بالمال، بل ألزمتُ نفسي بجعل الحمار(335) يعبر فوق الجسر. إنَّهم الأكابر، الشيوخ. ماذا يسعني أن أفعل لهم؟ أنا أُريدك أنت لأنَّك هكذا. أُريد شخصًا محتاجًا، أُريد شخصًا جائعًا، وأُريد شخصًا عطشًا! من شدة رقته وجوده يطلب الماءُ الرقراقُ العطشانَ(336).

تمتلك النفس طبيعة المرأة(337). أو بالأحرى، المرأة في حدّ ذاتها لها طبيعة النفس. **شاوروهنَّ وخالفوهنَّ.** يا رسول الله، أنت أمرتنا أن نُشاورهنَّ، خاصةً في مسألة يكون فيها الربح والخسارة عامَّين. حسنًا، إن لم نجد رجلًا نُشاوره ووجدنا نسوة، ماذا علينا أن نفعل؟ قال: «شاورهنَّ، ومهما كان ما يقلنه، إفعلوا العكس». ٢٨٧

١٦١.

لن تكون المرأة شيخًا على الإطلاق.

قال: «نعم، سوف يبدو ذاك فاترًا».

قال: «لا أفهم. هل تعني بكلمة «فاتر» أنَّها تستطيع أن تقوم بالعمل، ولكن يُفضَّل أن يقوم به رجل؟ أم أنَّها لا تستطيع أن تقوم به على الإطلاق، سواء كان «فاترًا أم «حادًا»؟

لو تصرّفَت عائشة أو فاطمة كشيخين، لفقدتُ إيماني بالرسول، ولكنَّهما لم تفعلا ذلك. إذا أفسح الله المجال للمرأة، تبقى صامتة ومتحجبة كما كانت. يجب على المرأة أن تلزم عملها ومغزلها. ٥٦-٧٥٥

١٦٢

إنّ الأفضل أن تبقى المرأة خلف مغزلها في زاوية الدار، مشغولةً بخدمة مَن يعتني بها. ٦٦٨

١٦٣

كذلك، سأل أحدهم صديقي عني: «هل هو فقيه أم فقير؟».

أجاب قائلًا: « فقيه وفقير».

قال: « إذًا كيف يحدث أنه يتكلّم فقط عن الفقه؟».

أجابه: «لأنّ فقره ليس من النوع الظاهر بحيث يستطيع أن يتكلّم عنه مع هذه المجموعة. سوف يكون من المؤسف التحدّث عنه أمام هؤلاء الناس. إنَّه يُخرج الكلام من باب العلم، ويقول الأسرار من باب العلم وفي ستار العلم، عسى ألّا تُقال كلماته هو».

أمَّا بالنسبة لما هو «دنيوي»، يعلم **مولانا** أنَّ في هذه المدينة رجل هام يتمنّى أن يراني. حتى هذا اليوم، لو أمرته، لوصلني منه قبل هذا المساء من الذهب ما يعدل ما يملكه أغنى واحد بين الحاضرين منكم في هذا المجلس. أنا لا أطلب علمًا ولا معرفة ولا متاع الدنيا. إنَّ كلَّ ما أُلزمكم به هو من أجل مصلحتكم العليا. إذا حدّثكم أحدهم حديث الدراويش، أنصتوا موقنين. لا تستمعوا له بطريقة أخرى. إذا استمعتم لما يقوله، لا تكونوا منكرين. إذا أصبحتم منكرين فعلًا، فإنَّ شكليات الاستغفار السخيفة هذه سوف تكون بلا جدوى. ينجّسون أنفسهم ألف مرة، ومن ثمّ يُبرزون بطونهم: «**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**» «الأعراف ٢٣»، طهرنا صدورنا». كلا، فذاك يحتاج إلى نصير ومعين. ٣٢٦- ٢٧

١٦٤

لا أريد شيئًا من أيِّ أحد لأغراض دنيوية، وإنَّما فقط من أجل الإتباع ـ كان النبي يقبل الهدية.

إذا كنتَ تملك مئة ألف درهم ودينار، قلعة مليئة بالذهب، ووهبتني إياها، فإذا نظرتُ إلى وجهك ولم أرَ فيه نورًا وفي صدرك حاجة، فذاك الذهب يُساوي عندي تلة من الروث.

بالنسبة إلي يكفيني مولانا، إن كان لي أيُّ رغبات. تذكّر هذا، لأنَّك

تقرأ صفحاتك أنت. اِقرأ كذلك شيئًا من صفحة الصاحب. من شأن ذلك أن يفيدك، فكلُّ هذه المعاناة هي لأنّك تقرأ صفحتك أنت ولا تقرأ شيئًا من صفحة الصاحب. ينشأ الخيال من العلم والمعرفة، ولكن بعد ذلك الخيال ثمَّة علم ومعرفة آخرين، ولذاك العلم والمعرفة خيال آخر، ويطول هذا.

هناك طريق آخر أقصر لا يُوجد فيه أيٌّ من ذاك، ولكنَّ ذلك الطريق أُطلق عليه كذلك اسم سيء. ينبغي أن يكون له اسم آخر. لقد أرسى قاعدة جيدة: يومٌ تحترق، ويوم لا. هذه قاعدة جيدة لمن لم يرغب يومًا بأمور دنيوية. إنه لم ينحرف تفكيره أبدًا نحو الأمور الدنيوية ولم يُعرها بالًا، ولكن الآن بسببي أصبح لديه مئة حسرة: « يا ليتني كنتُ آلافًا حتى أُضحّي بنفسي! خسارة!».

كذلك، لو أنّ شخصًا ملأ المخازن والغرف بالدُّخن وتناثرت حبة واحدة، لماذا لا يتخلّى قلبه عنها؟

لقد قيلَ مئات المرات: « للأسف، يا ليت الأمير حيٌّ، ليته ما زال على قيد الحياة، علَّه يهبنا شيئًا عظيمًا كقرية!». لتمنى أن أطلب شيئًا منه. ٧٣١- ٣٢

١٦٥

كلُّكم مذنبون. قلتم إنَّ مولانا خالٍ من هذه الدنيا، ولكنّ مولانا شمس الدين التبريزي مشغولٌ بجمع الأشياء. مرحى لهذا التوبيخ! مرحى لهذا الحرمان!

لو لم يغفر لكم هذا الشخص، فسأسأل الله:» هل قالها أم لا؟».

سوف **يقول**:» هل تغفر له أم أهتمّ به **أنا**؟».

فأقول:» ماذا تشاء **أنت**؟ إنّ مشيئتي من مشيئتك».

سيقول لي: «من جهتي الأمر أكبر مئة مرة!».

باختصار، سوف يكون النقاش طويلًا. إن كان هناك غفران هذه المرة، وتكرر ذلك مرة أُخرى، فلن يستفيدوا منه ثانية أبدًا، وعند البعث لن يروني، خاصة في الجنة. لولا تلك الدراهم القليلة، لغادرتُ هذا المكان عاريًا وحافيًا. عندها، كيف سيكون حالكم؟ لن يكون هنالك أيُّ أمل بعودتي. ٧٩- ٨٠

١٦٦

درهم واحد في يد رجلٍ مخلص وصادق أفضل من مئة درهم تُعطيها لهم، لأنّ ذلك الدرهم الواحد سيذهب في سبيل الخير. «**وَأَقْرِضُوا اللَّهَ**» «المزمل ٢٠». عندما قال إنَّ **لله يدًا** كانت الأمور تتعلّق بالقول: «**إنَّ الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل**».

إنَّ درهمًا في يد مَن وجَّه وجهه لخدمة ذلك الرجل أفضل كذلك، لأنَّه هو الآخر سوف يصرفه في سبيل الخير. إنّ الخير عبد من عباد الله. الخير هو الله، والله هو الخير. ٢٠٠

١٦٧

عندما يسبني أحدهم، يُسعدني ذلك، إلَّا أنَّني أنزعج عندما يمدحني أحدهم. فالمديح يجب ألَّا يأتي بعده نكران وإلَّا فهذا المديح نفاق،

والمنافق أسوأ من الكافر: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» «النساء ١٤٥». ٣١٩

١٦٨

كان هناك شيخ في بغداد جالسًا في خلوة من أربعين يومًا. كان ذلك في الليلة التي تسبق احتفال رأس السنة(338). في الخلوة، سمع صوتًا من غير هذه الدنيا: «لقد أعطيناك نَفخة عيسى(339). اِخرج وقدِّمها للناس».

فكّر الشيخ: «أتساءل ما المقصود من هذا النداء. إنَّه اختبار، ولكن ما الذي يُريده؟».

أتى الصوت مرةً أُخرى ولكن برهبةٍ أشد: «دع هذه الوساوس! اِخرج! توجّه إلى الجموع! لقد أعطيناك نفخة عيسى».

كان يُريد أن يُفكّر في هذا مع مراقبة لعلّ المقصود يتضح له. في المرة الثالثة، أتته صرخة مرعبة للغاية: «لقد أعطيناك نفخة عيسى. اِذهب دون تردد أو تأجيل!».

خرج الشيخ، وكان ذلك في يوم الاحتفال، واستقرَّ بين الحشود في بغداد. رأى بائع حلوى وقد صنع طيورًا صغيرة من حلوى السكر وكان يُنادي: «حلوى السنة الجديدة!».

قال الشيخ: «والله، سوف أختبرها». وقف الناس متسائلين عمَّا كان يفعله الشيخ، إذ لم يكن لدى الشيخ رغبة في الحلوى. أخذ الشيخ واحدة منها من الطبق ووضعها على كفّه. نفخ على الطير قائلًا «أَنِّي

أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ» «آل عمران ٤٩». في الحال، تحوّلَت الحلوى إلى طائر من لحم ودم وجناحين وطار بعيدًا.

اِجتمع الناس حوله في اللحظة. جعل بعض تلك الطيور تطير بعيدًا. إلَّا أنَّ الشيخ شعر بالضيق بسبب تجمع الناس الذين سجدوا أمامه وأظهروا دهشتهم. خرج إلى الصحراء فخرجوا وراءه، ومهما حاول صدّهم بالقول: «لديّ عمل أقوم به في خلوة»، بالطبع واصلوا المسير وراءه.

قال الشيخ: «ربي، أيُّ كرامة كانت تلك؟ لقد قيّدَتني وجعلتني عاجزًا؟».

أتاه الإلهام قائلًا: «اِفعل شيئًا يجعلهم يذهبون».

قام الشيخ بإصدار ريح، فنظروا إلى بعضهم البعض وأطرقوا رؤوسهم ناكرين لما فعل وذهبوا بعيدًا. بقي شخص واحد لم يرد الذهاب. أراد الشيخ أن يقول له: «لماذا لم تقتدِ بالمجموعة؟»، ولكن وبسبب توهّج نور حاجة هذا الشخص وإشراق إيمانه، شعر الشيخ بالخجل، أو بالأحرى شعر بالمهابة. مع ذلك، قال تلك الكلمات بقسوة.

أجابه: « أنا لم آتِ بسبب الريح الأولى كي أذهب بسبب الريح الثانية. في رأيي، هذه الريح أفضل من تلك، لأنَّ هذه الريح جعلت ذاتك المباركة ترتاح، أمَّا تلك فسببت لك الألم والإزعاج». ٢٤٣- ٤٥

١٦٩

يا مُعلّمي، الدار دارك، لا تذهب. سأذهب ممتنًّا.

إنَّ أولئك الذين يُعادون أولياء الله يتوهمون أنَّهم يُسيئون إليهم، وهذا خطأ. إنَّما يفعلون خيرًا، فهم يجعلون قلوبهم فاترة تجاههم. إنّ الأولياء هم مَن يُبددون حزن الدنيا، وودَّهم واهتمامهم بالشخص هو عبئهم، وعندما يفعل ذاك الشخص ما يقطع حبل الود فكأنَّ جبل قاف قد أُزيح عنهم.

من أجل ذلك، هم لا يستطيعون التصرف بعدوانية، فمن شأن العدوانية من جانبهم أن تجعل جبل قاف أكثر رسوخًا على رقبته وكتفيه، ومن أجل زيادة هذا من طرفهم، أعني أنَّهم رُبّما يقومون بشيء قد يزيد في اللطف المُحبّ، فيُبدد هو حتى المزيد من حزنهم، ولكنَّهم حينها سيضعون عنه عبء اللطف المُحبّ وعبء أفكاره. تلك راحة لنفسه. ٣١٥- ١٦

١٧٠

حسنًا لنكُن منصفين: مَن يستطيع العيش هكذا؟ إن أظهرتَ التواضع لأحدهم، يهرب، ومن ثمَّ يُصبح عدوك. كيف يُمكن أن يكون إيذاؤك لنفسك نافعًا لأيٍّ كان؟ تعال الآن، هذا الأمر يجب أن يُرفض.

هناك قصة الملك الذي كان يمتطي حصانًا عربيًا، مارًا قاصدًا وجهة ما. في هذا الطريق، مرَّ فجأة بإحدى القرى، كانت الكلاب تنبح من كلِّ جانب. كيف لهذا أن يُؤذي الملك؟ على العكس. إنَّه يُفيده. يمضي مسرعًا، وبهذا يصل إلى وجهته أسرع. يتبول الكلاب في الخلاء. إلا أنَّه يقول بدافع من الرحمة: «كلَّما علا صوتكم بالنباح، استفدتُ أكثر. ومع ذلك، سوف أدع مصلحتي الخاصة جانبًا بحيث لا أصل أسرع». ٦٥٩- ٦٠

١٧١

عندما تُخالف الشيخ، فأنت كالعبد الذي يقتل نفسه إثر شجار مع سيده. «هيه، لماذا تقتل نفسك إثر شجار؟».

يقول مُجيبًا: «كي يتكبّد سيدي الخسارة». ٢٧٤

١٧٢

لقد أتوا واشتكوا أمام القاضي بهاء: «قال عنك فلان الفلاني الدرويش أنَّك مسكين».

غضب القاضي وقال لأحد مساعديه: «حسنًا، لنذهب ونرى».

عندما أتى قال:» كيف لك أن تتكلّم عنا بازدراء».

قلتُ: «ما الذي قلتُه أنا؟».

قال: «قلتَ إنَّه مسكين».

فقلتُ له: «حسنًا، ذاك هو ما يُتمم العمل. بكلِّ ذاك الجلال، توسّل محمد من **الحضرة: اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني مع زمرة المساكين!**». ٢٦٣

١٧٣

كان لديّ أمل، إن كان هناك حديث بين أولئك الذين ينتقدونني،

أو أولئك الذين يتوهمون أمورًا عني، بينما يتردد البعض بشأني: «أتساءل إن كان هذا ما يقوله الأصدقاء أو ذاك ما يقوله المنتقدون، فأيُّهما عليَّ أن أقبل؟». لقد كانوا في انتظار سماع شيء يجعلهم يُفضّلون أحد الرأيين على الآخر. كان أملي أنَّك قد تقول بعض الكلمات الطيبة أمام هؤلاء الناس، ولكنَّك لم تقُل شيئًا. كان يجدر بك أن تقول شيئًا على الفور، ولهذا تركتُك وقطعتُ صحبتي معك، كان الدرويش منزعجًا منك. إنّ مثل هذه الكلمات كانت لتُعطيهم مكسبًا، لأنَّهم لا يفهمون أنَّك تتجنبهم حبًا بي. إنَّهم يعزون ذلك إلى الملل والضعف وأمور أُخرى.

عندما يخطر في بالك أمر «تُفكّر»: «إذا قلتُ شيئًا، ستكون النتيجة خسارة كذا وكذا». أيّ كان ما خطر في بالك يجب ألَّا تحتفظ به لنفسك. يجب أن تُسارع إلى إطلاع صاحبك. ٦١٠

١٧٤.

كي أرى عينيّ الصديق مرة واحدة، يجب أن أرى عينيّ العدو مئة مرة.

البارحة، وضعتُ خيالك أمامي ورحتُ أُناقش: «لماذا لا تردُّ على هؤلاء الناس بوضوح وصراحة؟».

قال خيالك: «أخجل أمامهم، ولا أُريدهم أن ينزعجوا».

رحتُ أجيبك. طال النقاش. ما الذي بقي ولم نتحدّث عنه بعد؟ كلا. ما الذي قلناه حقًا؟ في الحقيقة، لم نقُل شيئًا. أعني أنَّنا تكلّمنا فيما يخصُّ النقص، ولم نقُل شيئًا عن حديثنا نحن. ١٨٧

١٧٥

باختصار، أنا أطلب أن أكون مع محمد فقط في التآخي. أنا على درب الأخوة، لأنَّ وراءه شخص آخر. في النهاية، فإنَّ الله لم يرحل. أحيانًا أذكر عظمته في سبيل إظهار الاحترام والتبجيل، وليس لأنَّ ذلك مطلوب. إنَّ مقام **هو الحق** أعلى بكثير من مقام **أنا الحق**.

إذا لم يُعرف هذا، فسيُعرف ذاك لأنَّ قدميّ صداقتنا معلقتان في الهواء. لماذا لا تقول صراحة مَن هو الذي كان يتكلّم عنه بسوء؟ أحضِر هذا الشخص إلى هنا لعلَّه يقول ذلك في حضوري. كي تُريح قلوبهم، مخافة أن ينزعجوا أو يتأذوا، رحتَ تلوك تلك الكلمات: «حتى لو تكلّم بسوء، أنا راض». لقد أكَّدتَ الكلام السيئ عني!

في النتيجة، كيف له أن يتحدّث بسوء عن الخير الصرف؟ إنّ لله عباد هم شرٌ صِرف، وكلُّ ما يقولونه سيئ.

إنَّ الله **هو** الذي لا يتكلّم بل يحمل **بقدرته** الجميع على الكلام، حتى ولو كان جمادًا. اِفترض أنَّ الجميع وافق على أنَّ الله هو مَن يتكلم بكلام وأصوات. أقول: «يلزم إله آخر **يحمله** على الكلام، لأنَّ «الله» هو القوي الذي يحمل كلَّ الأشياء على الكلام، ولكنَّه لا يقول شيئًا بالكلمات».

في النتيجة، قال النبي: «**تخلّقوا بأخلاق الله!**». في خُلق الله هناك الشدة واللطف. لا طعم إن كان اللطف هو كلُّ شيء: «**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**» « الفتح ٢٩» ٢٤٢ – ٤٣

١٧٦

اليوم، على سبيل المثال، كان **مولانا** ينصح الأصحاب ويُحدّثهم عن صفاتي، فشعروا بالتعاطف. قال **مولانا**: «عندما تنظرون إلى هذا القدر الضئيل من الحرمان والقسوة الذي تجدونه من السيد شمس الدين التبريزي «رفع الله ذكره»، فإنَّ مجلسي و تعاطفكم سوف يختفيان عنكم.، سوف ينشر ذئب الشيطان من جديد الثلج في عين لحظتكم».

قال الأصحاب لأنفسهم: «كلا، فلنذهب ونطلب المغفرة من السيد شمس الدين التبريزي ونعرض خدماتنا. بعد ذلك، لن نحيد عن هذا».

جاؤوا إلى باب الدار ولم يُسمح لهم بالدخول. على الفور، اختفى كلُّ ذلك التعاطف. إنَّ السبب في عدم السماح لهم بالدخول، هو ما كنتُ أُفكّر فيه في قرارة نفسي: «هذه ليس زريبة بحيث يستطيع أحدهم الدخول إليها متى شاء بقليل من الندم، ثمَّ يُغادرها بقليل من الفتور والمعاناة والضيق».

في النتيجة، اِنظُر إلى ذلك العظيم الذي يخصُّ أحمد غزالي(340). كانت الجريمة ببساطة أنَّه أرسل إليه كتبًا من أجل وقف لوم الناس: «عليك أحيانًا أن تقتبس من هذا الكتاب، الأمر الذي من شأنه ردع ألسنة الناقدين». لم يسمح لأخيه بدخول الزاوية «خانقاه». تقول إحدى الروايات أنَّه أمره بالسفر لسبع سنوات، وتقول رواية أُخرى لخمسة عشر. كان يقول: «هل هذه زريبة تدخلها ما إن يغلبك الحال؟».

أعني بهذا ليس عندي رغبة في هؤلاء الأصحاب. أولًا، أنا لا أنال أيَّ علم منكم. على العكس، تستوعبون كلماتي جيدًا عندما تجعلون أنفسكم حاضرين بالكامل من خلال الحاجة، وعندما تُفرّغون أنفسكم

من علمكم أنتم. حتى حينها، قد لا تفقهون كلماتي. ٣٢٥- ٢٦

١٧٧

قبل أن يأتي الوعد، ماذا سيفعل؟ سوف يفعل تمامًا كما فعلوا بي بسبب افتقارهم للتمييز. إلا أنَّني سعيد. كيف لا أكون سعيدًا؟ لم يُنكرني أحد يومًا، إلَّا وكان هناك قرابة مئة ألف مَلَك يعترفون بي. لم يقسُ عليَّ أحد يومًا ويسبني، إلَّا وأثنى عليَّ الله ألف مرة مقابل تلك الشتائم. لم يُجافني أحدهم يومًا ويبتعد عني، إلَّا ومنحنى الرب ألف قرب وعطية. كما لم أُسد النصيحة لأحد يومًا ورفض كلامي، إلَّا وأتتني مئة ألف من أرواح المُخلصين والمُقرّبين مطأطئةً رؤوسها. ٣١٧

١٧٨

«**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**» «العنكبوت ٦٩». إنَّها مقلوبة من حيث الترتيب(341).

أجلسني صاحب الدار هنا. لا مكان لضيف متطفل. قال محمود لعياض: «اِجلس هنا». هل تستطيع أن تُعارض عياض؟ هل يعترض أحدٌ على ما يُريده الملك.

قال الملك: «بما أنَّني **أنا**، فقد قتل مئة رجل مليح كي يتعلّموا الدرس».

أصبح **قزويني** كبير المفتشين. لقد قتل والدته(342) ليعلَم الملحدون أنه ليس لهم أيُّ اعتبار.

أعني، كان هناك منشد ذو صوت سيء. قال له أحدهم: «ألا تسمع صوتك؟». حسنًا، ألا تسمع شرحي؟ هذا ليس من صاحب الدار وإنَّما من مكان آخر. ألم تُفكّر في كيفية دخولي إلى هذه الدار؟ أو حقيقة أنَّه عرَّفني على زوجته؟ وهو الذي يغار إذا نظر «جبريل» إليها؟ ولكنَّه يجلس أمامي كالطفل الجالس أمام أبيه وهو يُطعمه قطعة من الخبز(343).

ألا ترون هذه القوة؟ سوف أُروّضهم جميعًا بحيث تحتارون في أمركم. بما أنَّني صادق مع شخص واحد فسأكون صادقًا مع الكلّ.

بالطريقة نفسها، عندما يشهد **محمد** مرة، فإنَّ ذلك يعدل شهادة اثنين، والسبب كان أنَّ **محمدًا** شهد في قضية، قالوا: «نحتاج شاهدًا آخر كي يكون لدينا شاهدان».

قال ذو اليدين:» كنتُ شاهدًا كذلك في هذه القضية».

بعد أن أُصدر الحكم وغادر الجميع، قال له الرسول: «أعلم أنَّك لم تكن شاهدًا على هذه القضية، كيف أمكنك أن تكون شاهدًا؟».

قال: «يا رسول الله، هنالك آلاف الأشياء الغيبية، من أحوال بداية ونهاية الدنيا والتي لا أُحيط بها علمًا، وقد أحطتُ بحقيقتها من كلامك. لقد قبلتُها وشهدتُ عليها. أفلا تكون صادقًا في هكذا أمر هيِّن؟». ٦٦٠- ٦١

(332) مولانا خالٍ. قارن ٣- ١٦٥.

(333) إنّ معرفة هذا كمال. يبدو أنَّه لم يتمّ تدوين ما تعود عليه كلمة «ذلك». رُبّما كان في ذهن شمس ذلك المبدأ المُستمد من مقولة «أبي بكر» التي غالبًا ما يتمّ الاستشهاد بها: «العجز عن الإدراك إدراك». بعبارة أُخرى, إنَّ معرفة الله هي إدراك، ولكنّ إدراك أنَّ المرء لا يعرف الله حقيقةً، والله دائمًا «أكبر» هي المعرفة الحقيقية. كثيرًا ما يستشهد ابن عربي بمقولة «أبي بكر» «انظر فهرس SPK, SDG».

(334) ثمانية عشر ألف دنيا. كثيرًا ما تذكر النصوص هذا التعبير, بقصد الإشارة إلى كلّ ما خلقه الله. للاطلاع على بعض من الأهمية المعطاة للرقم ثمانية عشر في الطريقة المولوية، إنظُر كتاب «**لغز الأرقام**» لـ «شيمل» ٢٢٢-٢٣».

(335) حمار: يُمثّل الحمار حسب كتابات الرومي النفس الحيوانية أو النفس الأمارة بالسوء.

(336) ينوح الظمآن, «أيها الماء العذب!»

ينوح الماء كذلك «أين الشارب؟»

هذا الظمأ في أرواحنا هو ما يجذب ذاك الماء،

نحن منه وهو منا.

(337) للنفس طبيعة المرأة. قارن بيت الرومي: «إعتبر نفسك امرأة، بل أسوأ من امرأة, حيث أنَّ المرأة جزء، بينما النفس هي الشر الكامل»»المثنوي II ٢٢٧٢». فيما يخصُّ النفس باعتبارها امرأة, إنظُر SPL١٦٣-٦٩, موراتا «تاو» pp ٢٣٦ ff.

(338) احتفال رأس السنة. عيد النيروز, احتفال قبل الإسلام يُحدد بداية العام الشمسي الجديد «أول يوم في الربيع». لا يزال إلى يومنا الاحتفال الأهمّ في السنة في

إيران.

(339) نفخة عيسى. إشارة إلى الكلمات القرآنية المستشهد بها لاحقًا في المقطع.

(340) «أحمد الغزالي». إنظُر ٢- ٢١١.

(341) إنَّها مقلوبة من حيث الترتيب. يشرح شمس المعنى في ٢- ٢٣٦.

(342) قتل والدته. فيما يبدو أنَّ نساء «قزوين» سمعتهن غير طيبة «في الفكاهة الفارسية المعاصرة, رجال قزوين عرضة للنكات». يروي «الرومي» حكاية ذات صلة، جاعلًا خطيئة الأم جليَّة في المثنوي II ٧٧٦-٨٠.

(343) يجلس أمامي كالطفل. قارن ٣- ٦١.

خشونتي مع الأصحاب

١٧٩.

إنَّه حريص على أن يبقى عبده عزيزًا. إن ارتديتُ أحيانًا ملابس رديئة، فذاك خياري أنا. أمَّا تجاهي، فإنَّ الله لطف على لطف وكرم على كرم، ولكن لديَّ لطف أحيانًا وشدة أحيانًا، فأنا أملُّ من اللطف. ٧٤٠

١٨٠

يحظى أهل الله بالمزيد من هذا التجلّي والرؤية في أثناء «**سما**». فقد خرجوا من وجودهم هم، كما تُخرجهم «**سما**» من عوالم أُخرى، فيصلون إلى لقاء **الحق**.

باختصار، هناك «**سما**» محرَّمة. في الحقيقة، لقد تكرَّم بالقول إنَّها محرَّمة.

إنَّ «سما» كتلك كفر. إنَّ يدًا تُرفع دون ذاك الحال لا ريب ستُعذَّب في نار جهنم، وإنَّ يدًا تُرفع مع ذلك الحال لا ريب ستصل إلى الجنة.

هناك «سما» حلال، ألا وهي «سما» أهل التنسُّك وأنواع رياضة الزهد، والتي تحملهم على البكاء والرقة. هناك «سما» واجبة، ألا وهي «سما» أهل الأحوال، لأنَّها عون لهم في حياتهم.

إذا كان واحد من أهل «سما» يُؤدّي «سما» في الشرق(344)،

سيكون هناك صاحب «سما» آخر يُؤدّي «سما» في الغرب، وسوف يكونان مُدركَين لحال بعضهما.

قال أحدهم: «إنّ مولانا هو اللطف ذاته، أمَّا مولانا شمس الدين فلديه الصفتان كلاهما، اللطف والشدة».

قال فلان الفلاني: «حسنًا، الجميع كذلك»، ثمّ راح يُقدّم شرحًا، فقال: «أردتُ أن أرفض كلماته، لا أن أحطَّ من قدركم».

أيُّها الأحمق! كانت تلك كلماتي، فلماذا تقوم بتفسيرها؟ أيُّ عذرٍ تستطيع تقديمه؟ لقد وصفني بصفات الله، الذي لديه الشدة واللطف في آن واحد. تلك لم تكن كلماته ولا القرآن ولا **الحديث**.كانت تلك كلماتي تمرُّ على لسانه. كيف خطر لك أن تقول إنّ الجميع يملك ذلك؟ كيف يُمكن للشدة واللطف اللتين تُنسبان إليّ أن تُنسبا للجميع؟

إذن، بفكر وأدب كهذا، يُريدون الوصول إلى أبي يزيد وجُنيد و شبلي خلال يومين والشرب من الكأس نفسها! لو تمّ شرح أعمال أولئك الشيوخ لهم بالكامل، لخسروا عقولهم دون أن يكونوا قد فعلوا أيَّ شيء، بل لمجرد السماع عنهم.

إلَّا أنَّه، ومع كلِّ ذلك، عندما مات حُجب عن الله(345). مرَّ درويش بقبره فقال: « يا إلهي! بقي حجاب واحد بين هذا الرجل والله!».كان هذا حقيقة بسبب سماحة ذلك الدرويش. اِسأل درويشًا آخر. ٧٣- ٧٤

إنَّ معظم خواص الله ذوو كرامات محجوبة. إنَّها لا تظهر للجميع، لأنَّهم هم أنفسهم محجوبون. هناك أمور لا أجرؤ على ذكرها، وقد قيل ثلثها.

إنَّهم يُصرّون على قول إنَّ فلانًا وعلانًا هو اللطف ذاته. إنَّه لطف صرف. إنَّهم يتوهمون أنَّ الكمال يكمن في ذاك، ولكنَّه ليس كذلك. إنَّ ذاك الذي هو لطف بالكامل، ناقصٌ. لا يليق أبدًا نسبة تلك الصفة إلى الله، بل ينبغي أن يكون **كلُّه** لطف. أنتم بذلك تنفون صفة الشدة. بالأحرى، لا بدَّ أن تكون الصفتان معًا، اللطف والشدة، ولكن تُوضع كلَّ واحدة في موضعها. يتمتع الإنسان الجاهل بالصفتين كلتيهما، اللطف والشدة، ولكن في غير موضعهما، بحكم الهوى والجهل.

قال فلان الفلاني إنّ هذا يُنسب حقًّا إلى الجميع، الشدة تجاه الأعداء واللطف تجاه الأصحاب، ولكن لا يميز الكلّ أصحابه من أعداءه. لو كان الجميع يُميّز أصحابه، لما **قال**: «**لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**» «الممتحنة ١»، ولما **قال**: «**إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**»»التغابن ١٤»، ولما قال: «**هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ**» «آل عمران ١١٩».

هناك أيضًا كلام أمير المؤمنين علي: «**أحبب حبيبك هونًا عسى أن يكون مبغضك يومًا ما وأبغض مبغضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما**».

«**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً**» «الممتحنة ٧».

كي تعرف الفارق بين العدو والصديق،

ستحتاج أن تعيش حياتك مرة أُخرى.

فكثير هم الأعداء بوجوه أصدقاء،

وأنت في حاجة إلى صديق صدوق.

إذن «ستحتاج أن تعيش حياتك مرة أُخرى»، هي من أجل الشخص الذي لم يمت من أول وجود ليجد الوجود الجديد. إنَّ الذي وجد حياة ثانية: «**فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**» «النحل ٩٧»، يرى بالنور الإلهي. إنَّه يُميِّز العدو ويُميِّز الصديق، وتُوضع شدته في موضعها، ويُوضع لطفه في موضعه. إنَّ شدته مناسبة، وكذلك هو لطفه، على الرغم من أنَّهما في الحقيقة يرجعان إلى الأمر ذاته. ٦١٥- ١٦

١٨٢

لقد شهدتم مولدًا واحدًا وحسب. تتشارك جميع الحيوانات معكم في هذا المولد. لو كان لكم هذا المولد الوحيد، لما تميزتم عنهم. لا أحد يخطو على بساط **الرحيم**، ويصعد إلى العالم السماوي إلا إذا كان قد وُلِد مرتين. ٦٧٩

١٨٣

أنا لستُ ممَّن يخرجون للقاء أحدهم. إن غضب أحدهم وهرب، فسأهرب عشر مرات أكثر منه. لو ألقى الله عليّ السلام، لما رددتُ. بعد المرة العاشرة، كنتُ لأقول: «وعليكم»، سوف أتظاهر بالصمم.

الآن، لا بأس، يجب أن أقف. اِغضبْ وسأغضب. ٢٧٣

١٨٤

في بعض الأحيان، سأمرُّ ولن أُلقي عليهم السلام على الأصحاب، وليس هذا لإزعاجهم.

دعوني أقول هذا أيضًا: هم لا يعرفون ما أظنه بهم. لو علموا مدى الصفاء وطهارة القلب والتوفيق الذي أطلبه لهم، لوهبوني حياتهم. أنا لا أُفكّر بسوء قط. فبماذا يُفكّر ذهن خال من الشيطان ومن الوساوس؟ لم يدخل الشيطان هذا القلب أبدًا، وطالما كان المَلَك فيه دائمًا. قال الله: «لقد جعلتُ هذه دار رحمتي، فكونوا مهذبين كفاية وغادروا».

في النتيجة، فإنَّ التفكير ثلاثة أصناف، تفكير هو منزل الشيطان على الدوام، وتفكير آخر هو منزل للشيطان وللمَلَك معًا، أحيانًا يُغادر المَلَك فيدخل الشيطان، وأحيانًا يدخل الملك ويطرد الشيطان خارجًا. لا يزال هناك تفكير آخر وهو خاص بالمَلَك، فلا يدخله الشيطان أبدًا. ٢١١- ١٢

١٨٥

أجل، بقيَت جماعة واحد في شك، وبقيَت أُخرى على يقين.

أنت تقول إنّ هذه مرتبة جماعة ما، دخل الحلاج في شك، وكان هناك فئة بين شكّ ويقين. **أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، أرواح المؤمنين في حواصل طير بيض، وأرواح الأطفال في حواصل العصافير، وأرواح الكافرين في حواصل طير سود.**

بالنسبة إلى الخواص فإنّ «سما» حلال، لأنَّ لهم قلوبًا سليمةً. إنّ **الحُبّ في الله والكره في الله** هما في القلب السليم.

إن بلغت مناداتي بالاسم إلى كافر عمره مئة عام، فسيُصبح مؤمنًا، وإن بلغَت مؤمنًا، فسيُصبح وليًا، وفي النهاية، سيدخل الجنة.

أعني، أنَّك رأيتَ الواقعة: في منامك قلتُ لك إنّه عندما وصل قلبي إلى قلبه، وصل إلى ذلك الحال. إنّ أمامه الكثير من الوقائع. في النهاية، سيمضي كمسلم، ويمضي بسلامة(346). ٧٧- ٧٨

١٨٦

أنَّ مصاحبة أهل الدنيا هو النار. لا بُدَّ من وجود إبراهيم إذا كان لهذه النار ألا تحرق.

أضرم النمرود(347) نارًا في الظاهر، وأضرم إبراهيم نارًا هو الآخر: «فلنرَ مَن ستحرق النار. أيُّها النمرود، أنت مآل الشدة وأنا مآل الرحمة. دعنا نرى مَن سيحترق في النهاية».

قال: «رحمتي سبقت غضبي».

قال ابراهيم: «إن كانت الأسبقية معروفة، فلِماذا يلزم هذا الاختبار؟».

قال: «كلا، يجب أن يتمّ هذا الإجراء».

قال إبراهيم: «بسم الله».

قال:»إنَّ قدم الرحمة شديدة على الشدة. إذًا، فالرحمة شديدة مع الشدة».

قال: « هل الشدة على تلك الشاكلة؟».

أجل، سوف يُلاقي الأصدقاء الكثير من الابتلاءات. فإذا تصرّفتَ هكذا مع صديقك، فكيف ستتصرّف مع عدوك؟

أردى صديقه ثم ذهب ليرى كيف سيكون حاله. إنّ حاله معلوم لدى ذاك الذي رماه. ١٠٩- ١٠

١٨٧

عندما أُحبّ أحدهم فإنّني أُظهر الجفاء. إذا تقبّل ذلك، أتعلّق به مثل الفتات. أعني أنّك إذا تصرّفتَ بلطف مع طفل ذي خمسة أعوام(348)، سيُؤمن بك ويُحبّك. إنَّ الجفاء هو الذي يقوم بالعمل». ٢١٩

١٨٨

لو أنّهم أعطوني ذلك الولد، لربيته بحيث لا يرغب في هذا ولا ذاك، سيقول كلُّ من يراه أنّه ملَك وليس بشرًا.

لو طلب مني لوزًا، لصفعته على وجهه: «ماذا! هل أنت جائع؟ كُل خبزًا! وإلّا، فلا تقُل كلامًا فارغًا». هذا يُشبه ما يحدث عندما تتبرز

قطة وتتسبب بتلويث، فيضربونها ويفركون وجهها بما خلّفته.

إنَّ طعام الناس هو الخبز، ومن وقت لآخر الحساء مع اللحم، وما تبقى فألعاب. هل أدعه ينشأ على الألعاب؟ عندما يكبُر، سيتعلم حينها وحده. قُل له: «اِذهب والعَب بالألعاب».

سأربيه خلال مدة وجيزة ليكون معجزة. لن يموت ولن يمرض ولن يضع لقمة في فمه دون إذن، وإلَّا لدخلت أصبع في فمه وأخرجتُ اللقمة، والسبب هو أنَّه إذا نشأ على إشباع النفس، فالنصيحة هنا لن تُجدي نفعًا، إلَّا إذا قتلته، أو أوسعته ضربًا حتى يموت.

إنَّ هدفي من هذه الخشونة هو أن أرى أين تظهر نفسه. نعم، هناك وقت تغضُّ فيه الطرف عن هراء طفل، وليس من أجل تعليمه الأدب، وإنما من أجل ضراوة نفسه. هناك بالتحديد سأتدخّل قائلًا: «كفى! أدِّب نفسك أنت، لا تقتل الطفل!». ٢٣٤- ٣٥

١٨٩

ما هذا الحزن الذي أنا فيه؟ **فالحقُّ** لا يُخفي **سره** عن العبد. أيُّ سرٍّ **يُخفيه**؟ على كلِّ حال، إذا **باح** بأسرار هذه الدنيا في غلاف، فلا ضير. لهذا السبب قال النبي: «**أنا أعلم بأمور دينكم، وأنتم أعلم بأمور دنياكم**».ثمَّة سبب لذلك ولهذا أيضًا «**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**» «لقمان ٣٤».

كان ذاك الشيخ يقول: « الشيخ فلان الفلاني، «**بو لطيف**»، يتخطى الله بـ «بو»». بعبارة أُخرى، من أسماء الله «**اللطيف**» والشيخ يُدعى «بو لطيف». « يتجاوز الله بكلمة «بو»!

قلتُ: « اِدفع «بو» ذاك إلى عضو زوجتك وإلى عجيزة قوادها!». يا له من حمار! كان ينطق ببلاهته.

قال آخر: «كنتُ في سفينة، وظهرَت جوهرة كالشمس في وجه المحيط. نظرتُ إلى تلك الجوهرة، فكادت أن تخطف نور بصري، فغطيّتُ عينيَّ بيديَّ» .بعدها، تكلّم عن عجائب وغرائب المحيط.

قلتُ: «تبحث عن عجيبة؟ هل تُريد عجيبة؟ تعال وانظر إلى داخلي، وسترى عجبًا. لقد مضيتَ من أجل تجديد دنياك ودواخلك. تعال إلى التجديد في دنياي ودواخلي!».

ظنَّ آخر أنَّ حالي أصبح ناقصًا. قال لأصحابه: «إنَّه عدونا. هل رأيتم ماذا فعل بطموحي؟».

أنتَ أيُّها المرأة الصغيرة، ماذا تعرف عن الطموح؟ اِذهب وتوضأ وأدِّ صلاتك وتُب. قُل: «كنتُ كافرًا وآمنتُ. لقد تخطيّتُ الكفر؟».اشترِ بعض القطن ومغزلًا واجلِس واغزل عليه! مَن أنت؟ يتمنى أقوى الرجال أن يضعوا وعائين من ماء عند بابي! ١٨٣- ٨٤

١٩٠

لو ضربني غريب مئة مرة بفردة حذاء، لما قلتُ شيئًا، ولكن لو كان شخصًا مميزًا، فسأُمزّقه بأسناني من أجل رأس شعرة.

هؤلاء الآخرون تناقلوا على ألسنتهم قصة الحلاج، مع أنّ الوحيدين الذين ستُعجبهم هذه القصة هم الذين يعيشون الحال نفسه.

يقولون إنَّه عندما تمّ إعدامه، أمر عمداء الشريعة أهل بغداد برجمه. رجمه الجميع بحجر يُلائم مقلاعًا. ألزموا أصدقائه بذلك أيضًا، ولم يكن أمامهم خيار آخر، فرجموه بباقات الزهر بدلًا من الحجارة.على الفور، بدأ بالنواح. سألَت النظرة التي أدركَت ذاك الحال متعجبة: «أنت لم تنُح من كلِّ تلك الحجارة، فلماذا نحتَ عندما رجموك بباقات الزهر؟»، فقال: «ألا تعلمون أنَّ قسوة الأصحاب صعبة؟». ٢٥٢-٥٣

١٩١

إذا تكلم هذا المسيحي مئة يوم، لن أمَلَّ. عندما يُصبح أحدهم مُملًا ومُكابرًا، أحرقه، لأنَّ الاستئناس يكمن في الاحتراق. أُدمِّره لأنَّ الأبنية تظهر بعد الحطام.

إنَّه يعرف الكثير والكثير من العلوم، ولكنَّه لا يعرف شيئًا عن صلاح عمله هو، فهو يفعل شيئًا ويتوهّم أنّ سبيل تحصيل الصلاح هو عمله هو. لقد وقع على الفتحة الخطأ. إنَّه يقرأ: «**أنعشني برائحة الجنة**»(349) فيما ينظف شرجه. لقد جاء بالدعاء الصحيح، ولكن عند الفتحة الخطأ. ٣٠٩

١٩٢

جميعهم يعشقون هذه الكلمة: «أحسنت»! يقتلون أنفسهم من أجل «أحسنت». ٦٢٢

١٩٣

إنّ جميعهم هم هذه الدنيا. إنهم يعيشون في هذه الدنيا. هل رأيتَ كيف كان جالسًا ذاك اليوم، محطمًا بالكامل، لأنّه لم يُصبح النائب وتمّ عزله، وكيف يجلس اليوم؟ الملابس التي يرتديها! **أرى أنّ طول الأمد قد نُسي**. ذلك الجاحد الصغير هو المنسيّ، ذات مرة سوف أذهب بعزم وثبات، علّه يرى الهيبة الإلهية. سوف يتداعى حاله ذاك. لن يبقى أيُّ انجذاب ولا واقعة ولا مراقبة ولا كلمات ولا حال. كلّ ذلك سيُسلب. ٦٩٢- ٩٣

١٩٤

حتى الأكابر والمثاليين الذين من أجلهم حبا الله هذه الدنيا وجودها، لديهم هم كذلك حجب. إلّا أنّهم من وقت لآخر يبوحون بالأسرار مع الله كيلا يصلوا إلى الهلاك. إنّهم لا يملكون هذا الحجاب في أيِّ وقت آخر.

أبوح بالأسرار ولكن لا أبوح **بالكلام**.أعجَبَ من هؤلاء الأكابر، لأنّ **الكلام** نفسه ظهر من الأكابر. لم يكن أبو يزيد واحدًا منهم. فهؤلاء هم الأنبياء والرسل. كما لو أنّهم ثملوا من **الكلام** وفقدوا قدرتهم على السمع(350). لن تفعل مئة ألف خابيةٍ من الخمر ما يفعله **كلام** رب العالمين.

إنّ العارفين بالقرآن هم أنفسهم في ضيق إلى أقصى الحدود. إنّ أول مَن أصبح عارفًا **بالكلام** لم يكُن حتى مدركًا لوجود القرآن في هذه الدنيا. إذا مرّ أحدهم بالقرآن بعد أن يكون قد عرف **الكلام**، فلن يكون في ضيق، لأنّه وجد الرحابة قبل أن يجد القرآن.

إنّه يعرف كيف يُفسّر القرآن. بالتالي كلمات الشاعر:

قلت لليلي: «**خيِّم**،

فقمري قد خلد إلى **النوم**».

بكلمة «الليل» هو يعني الحجاب الذي بينهما وبين الناس، أو الحجاب الذي بينه وبين معشوقه، إن كان هناك حجاب بينهما.

قال أحدهم: «يا رسول الله، بسبب الظلمة والفتور، لم يقدر ذلك البدوي المنافق على النطق بصفة نبوتك»، فأجاب قائلًا: «يجب ألَّا تدَعوا البدو كلَّهم يكونوا حُجُبًا. هل يحجبكم بدوي؟».
فقال: «يا رسول الله، إنَّه منكِر وعدوّ».

قال: «حسنًا الآن، ماذا يُفيده لومكم؟ إنَّما قد تستطيعون كشف الغطاء عن رأسه بكلمة **الصدق**. ضعوه في الهواء، علَّ ذلك يُفيده».

قلتُ لليلي: «خيِّم»

إنَّ ما يحجب تلميذنا الصغير ذاك، هو العمل نصف المنجز. ذلك هو ليله، على الرغم من **الواحد** الغيور، وهو بيننا. **أستغفر الله**، أصرخ، **والحمد لله**، على الرغم من أنني أصرخ، فهو يطير. ٩٤- ٩٥

١٩٥

إنَّ السبب في التكلم بخشونة عند الإجابة هو عسى أن يخرج الجفاء من الداخل فلا يزداد. **ذاك الذي يُعذِّب دون أن يكون قد عُذِّب هو شخص أبله**. مع ذلك، فإنّ قوة التسامح والحلم مثالية، ولا شأن لي بالمعاناة. فوجودي لا يبقى، والمعاناة تأتي من الوجود. إنَّ وجودي

عامر بالسعادة، فلماذا أحمل المعاناة الخارجية على عاتقي؟ أصدُّها بجواب ولعنة، وأرميها خارج الدار. ٢٦٨- ٦٩

١٩٦

هل رأيت علاء الدين(351)، كيف هدَّدته خلف الستارة؟

قلتُ: «إنَّ معطفك موجود في الحجرة».

قال: «سأطلب من التاجر أن يحضره لي».

قلتُ: «كلا، لقد منعته من دخول الحجرة وإزعاجي، فهي المكان الذي اخترته من أجل خلوتي واعتكافي. أُضايق التاجر قائلًا: ‹ لماذا أتيتَ؟ لا تدخل ثانية!».

أتت تلك المرأة لجلب الماء، فقلتُ لها: «تعالي عندما أطلب منك ذلك. أو خذي ذلك القرش فهو ما تُريدين، ولكن لا تأتي إلى هنا حتى أطلب منك، رُبّما أكون خالعًا ثيابي أو مرتديها. «ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ» «النور ٥٨». «وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» «الحجرات ٥». ١٩٨

١٩٧.

قلتُ: «ليس من شأن حلاوة الإيمان أن تأتي ثمّ تذهب».

رأيتُ أنَّ «زين صدقة» قد أصبح مضطربًا مثل حصان عدا متجهًا نحو الصحراء وضلَّ طريقه.إنَّ هذا الصديق عماد، على الأقل، أفضل

منه. فهو يعرف الفرق بين النحوي وعالِم اللغة.

كان حفيد شهاب الدين سهروردي يقول لي: **«أن تحتار يعني أن تُظهر الحُبّ»**.

فقلتُ: «ليس في حالتك، يا أخا الزانية؟»(352) ٨٢- ٨٣

١٩٨

ينال البعض الفتح في الذهاب، وينال البعض الفتح في الإياب. اِحذر وانظُر بعناية: هل الفتح لديك في الذهاب أم الإياب؟

اِحذر، لن يضعوا الوصال معه بين الأيدي.

لن يحصل السكران على الحليب من كأس الشريعة.

عندما يجلس أهل التجريد سويًا

لا يُعطون رشفة واحدة إلى عبَّاد النفس(353).

عندما راح عماد يبكي أثناء قراءته لرسالة ناصر، أردتُه أن ينظر إليّ لعلّي أبكي أنا الآخر، لأنَّه بدا أنَّه كان يبكي بداعي الرحمة والشفقة، ولكنَّه كان يبكي بسبب حُبّه الكبير للمنزلة. ١٣٨

١٩٩

اِفهم ما أقوله! عندما أفكر في المثالب، أغضب. فلماذا عليك أن

تستحضر غضبي؟ لماذا عليك أن تدخل في غضبي؟ أنا غاية في التواضع مع المحتاجين المُخلصين، وغاية في الغرور والتكبر مع الآخرين.

يتكلمون دائمًا عن جنيد وأبي يزيد. عندما أتكلم، فإنَّ جنيد وأبا يزيد والحديث عنهما، يبدوان للقلب فاترين وعديمي الطعم. هذا أشبه بمن يأكل قطعة سكر نبات، والتي هي السكر الأنقى والأفضل، فيبدو له طعم دبس العنب المُركّز حامضًا. «أتمنى لو كان طعم دبس العنب حلوًا. إنّ دبس العنب البعلبكي ذاك جيد حقًا، عندما تنزل أصبعك فيه، تخرج معها أوقية كاملة».

أمَّا ذاك الأستاذ سراج الدين(354)، فقد أمضى حياته كلَّها متسائلًا عمَّا إذا كانت حوضه بمقاس أربعًا في أربع قد تلوّث. ٢٧٥

.٢٠٠

عليك أن تكتسب تلك النزعة عندما تكون صغيرًا، وبهذا تستطيع أن تُقبلَ إلى العمل سريعًا. يُمكن تقويم الفرع الغض دون استخدام النار. ما إن تُجففه النار حتى يصعب ذلك. عليك أن ترتدي حذاءك عندما يكون رطبًا، وبهذا تأخذ قدمك مكانها فلا تنزعج، كما يحدث عندما يكون جافًا.

قال: «إنَّ إزعاج الناس وجعلهم يشعرون بالفتور لا يُؤدي إلى ذلك، اِغرس الرضا وليس النفور».

قلتُ: « إن لم أختبره، فلن يعلم مَن هو. ألم تر هؤلاء الأشخاص الذين أظهروا الإيمان والتضحية بالنفس، ما إن بدأتُ في اختبارهم

قليلًا، هل رأيتَ إيمانهم؟ لقد عرَّيتهم أمامك، رأيتَهم عاريين. يدّعي أحدهم المحبة من صميم روحه، ولكن إن طلبتَ منه درهمًا واحدًا يفقد عقله وتذهب نفسه ويضيع رشده! لقد اختبرتهم علَّهم يرون جانبًا من أنفسهم. راحوا يشتمونني قائلين إنَّ هذا الشخص جعل كلَّ أولئك الذين يُؤمنون بك فاترين.

قلتُ: «لم يكن هو مَن فعل ذلك، وإنَّما غيرة الله على وجوده. **فهو** لا يُريد للناس أن يطَّلِعُوا عليه، إنَّ علامة **لا أحد يعرفهم سواي** موجودة على جبهته. فكيف يُمكن لكم أن تروه؟ إنَّه ما يزال في نظر الله، وإذا دخلتَ في نظر الله، فستراه. كيف يُمكن للخلق أن يُدركوا الخالق؟ كيف لهم أن **يروه**؟ كذلك هو الحال بالنسبة إلى مَن هو في **نظره**؟».

«رائعة هي طريقة تداعيهم! تمامًا كما تتداعى أجزاء شيء مترابط. لكلٍّ منهم حال ما. للواعظ على رأس منبره حال، ولقارئ القرآن على مقعده حال، وللمستمع حال، وللشيخ حال، وللمريد حال، وللمُعلّم حال، وللمعشوق حال. **لا إله إلا الله.** مرحى للضلال والعمى الذي لا يُدرك أنَّه أعمى! أنا لستُ واحدًا من أولئك، ولكنَّني مطَّلع عليهم».

«هناك مجموعة أُخرى ترى وتعلم أنَّها ترى.هم أنفسهم يعرفون مَن هم».

«إلى متى سوف تبقى تتكلّم عن ذاك الذي لا تراه، أيُّها المُحبّ؟».

قال: «لكن أنا والدك وأنت ولدي».

قلتُ: «هل تراني مغفلًا أمامك حتى تعتقد أنَّك والدي؟ عندما يكون **محمد** موجودًا، كيف **لآدم** أن يُباري؟». ٣٠٦- ٧

٢٠١

اِنظُر إلى مَن يُشعُّ وجهه بنور الإيمان، الخالي من النفاق، النور الذي لا يطفئه ولا يُنقصه أيُّ اختبار. ذاك مختلف عن النور والذوق الذي يُصبح خافتًا دون أدنى اختبار.

كان هناك شخص يتظاهر أنَّه صديقي ويدّعي أنَّه مريدي. كان يأتي ليقول: «لديّ نفس واحدة، ولا أعلم إن كانت في جسدك أم في جسدي».

كي أختبره قلتُ له يومًا: «أنت تملك بعض المال، اِعثر لي على زوجة حسناء، إن أرادوا ثلاثمئة، أعطهم أربعمئة». تبخّر على الفور. ٢٩٠- ٩١

٢٠٢.

ما الحزن الذي لديّ؟ هناك أهل الدنيا وأهل الآخرة وأهل **الحق**. إنَّ «شبلي» من أهل الآخرة، **ومولانا** من أهل **الحقّ**.

ليلة البارحة، رحتُ أُفكّر في أصدقائي واحدًا واحدًا، إيمان كلَّ واحد منهم، وحاجة كلَّ واحد منهم وفهمه، لقد وصل فلان الفلان. «لماذا ينبغي أن يكون هكذا؟» شعرتُ بالأسف لأجله، فهو واحد منا. إنَّه حقًا كذلك.

أنت سعيد القلب لأنَّك واحد منا، ولهذا السبب حيَّيتك. في البداية أفعل أمرًا كذاك، ثمَّ أُسلِّم. في البداية، أستدعي صلاح الشخص ثمّ أسأل.

لقد قلتُها ألف مرة: عندما أُحبّ شخصًا أتصرّف معه بجفاء، وعند أيّ زلة صغيرة، أُعاقبه مئة ألف عقوبة، أمّا بالنسبة إلى الآخرين، فلا أُحاسبهم ولو كانت ذنوبهم كالجبل.

عندما يتم طرد أحدهم إلى الصحراء، يكون ذلك بسبب الإعراض. أُظهر له الاهتمام وأقوم بخدمته لأنّه غريب وبعيد. ألا تُلاحظ الشوط البعيد الذي أقطعه في تعظيم وملاطفة أولئك الذين لا يستحقّون حمل حذائك القديم؟ ألا ترى أنّني أتغاضى عن آلاف الأفعال السيئة التي تبدر منهم؟ ألا ترى أنَّ جميع ابتلاءات الأنبياء والأولياء لم تكن إلّا لأنّهم خاصته؟ ٧٥٩

٢٠٣

ذلك هو الفارق بيني وبين الأكابر، وهو أنَّ ما في باطني هو تمامًا ما في ظاهري. لقد حباني الله ذلك كي أُجالس الغرباء والأصدقاء وهذا أفضل حتى. عندما يجد أحدهم فائدة من طريقة مخصصة، فإنَّه يأخذ هذه الطريقة على محمل الجد.

عندما يكون أحدهم محتارًا في عمله يحسن به أن يبدأ من جديد.

بعبارة أُخرى، عليه أن يعتمد ذلكَ الطريقَ المجرَّب، ويكون صادقًا في الصحبة. عليه ألّا يتوهم أنّ صاحبه جاهل وغبي.

سمع أبو بكر الشهابي عن شهرة جحا. ذات يوم التقيا دون أن يعرف أحدهما الآخر. سرق كلاهما من شخص واحد، حماره وأمتعته وملابسه. من شدة الحزن الذي تملك هذا الشخص، قام بتعليق طبل

صغير حول رقبته وراح ينقر عليه: «كي لا يسرقوني أنا الآخر» فسرقا طبله.

بعد ذلك، وكمنافسة بينهما، أظهر كلُّ واحد منهما موهبته، وفي كلِّ مرة يُظهر أحدهما مهارة في الاحتيال، يُظهر الآخر مهارة تطغى على الأولى. ذات يوم قال: «يا مَن تملك كلَّ هذه المهارة، مَن تكون؟».

فقال: «جحا».

قال: «ها، تقول الصدق!».

بالطريقة نفسها، حدث أن تقابل درويشان من أصحاب القلوب. يُبدي أحدهما التوقير للآخر لأنَّه يعلم أنَّه توصّل إلى العديد من الغايات عبر ذلك الطريق. إنّ الآخر مُدرك لما يفعله الأول. يبدأ معاملته بجفاء لأنَّه يعلم أنَّ طريق السعادة هو في الصبر على الجفاء، وهو يرى ويُدرك طريق السعادة بوضوح أكبر من إدراكه لقرص الشمس. ١٥٥- ٥٦

٢٠٤

لن أضعك في القلب وإلَّا ستُجرح،

لن أحفظك في العين وإلَّا ستبتئس.

سأمنحك مكانًا في الروح، لا في القلب ولا في العينين،

وستغدو صاحبي إلى آخر نفَس(355).

تنظر الشدة إلى اللطف بعينيها هي فلا ترى إلَّا الشدة. عندما يُسمّي عبد الله هذا أحدهم «كافرًا»، فهو يعني أنَّك تنتمي **إليه** وأنَّني أنتمي **إليه**، ولكنك رمز **شدته** وأنا رمز لطفه، والأسبقية للطف. لقد تجاوز حقيقة أنَّ الله شديد وانضمّ إلى اللطف، والذي له طعم آخر.

بعبارة أُخرى، لا يضع النبي في مجتمعه شيئًا غير موجود فيه، ولكنَّه يُلقى تميمة ما على ما هو محجوب كي يُرفع الحجاب عنه. إنَّ لبَّ كلام النبي كلِّه هو: «اِقتنِ مرآة». ٩٣

٢٠٥

ليس للمرآة انحراف نزعة. لو سجدتَ لها مئة مرة، «فهناك عيب واحد في وجهه، أَخفِه عنه لأنَّه صديقي»، سوف تُجيبك بلسان حالها: «لا ريب ذاك أمر مستحيل».

قال: «حسنًا يا صديق،تطلب مني أن أُناولك المرآة كي تنظر إليها. لا عذر لي، ولا أستطيع أن أكسر كلامك. كنتُ أقول في قرارة نفسي: «بالتأكيد سوف أُقدّم الأعذار ولن أُريه المرآة». لأنَّني لو قلتُ أنَّ هناك عيب في وجهك، فلن تتحمّل ذلك، ولو قلتُ لك إنَّ المرآة مخطئة، فسيكون ذاك أسوأ. مع ذلك، فإنّ الحُبّ يمنعني من أُقدّم حجَّة. أقول: «سوف أُعطيك المرآة الآن، ولكن لو رأيتَ عيبًا في الوجه الذي في المرآة، لا تحسب أنَّه من المرآة. اِعلم أنَّ هذا طارئ على المرآة، واعلَم أنَّه انعكاسك أنت، وإن لم تُلقِ الخطأ على نفسك، حسنًا، على الأقل ألقِه عليَّ، بما أنَّني صاحب المرآة، لا تُلقه على المرآة».

فقال: «قبلتُ، أُقسم لك. أحضِر المرآة فقد فرغ صبري»، ومع ذلك، فهو لم يهَب قلبه.

قال: «يا مُعلّم، اِعذرني في هذا». رُبّما يُريد أن يضع هذا العهد جانبًا، لأنَّ عمل المرآة دقيق. إلَّا أنَّ الحُبّ لم يسمح بذلك.

قال: «أُجدد لك العهد ثانية».

فقال: «إنَّ العهد والوعد هو أنَّه أيّ كان العيب الذي تراه، فعليك ألَّا ترمي المرآة على الأرض وألَّا تكسر عينها، على الرغم من أنَّ عينها لا تُكسر».

فقال: «حاشا لي! إطلاقًا! لن أُجرّب ذلك ولن أُفكّر فيه أبدًا. لن أتوهم أيَّ عيب في المرآة. والآن أعطنيها كي ترى أدبي ووفائي».

قال: «إن كسرتَها، فإنَّ ثمن عينها كذا وكذا، والغرامة كذا وكذا». جعله يُقسم على هذا، ومع ذلك، عندما ناوله المرآة، هرب على الفور. حدَّث نفسه: «إن كانت مرآة جيدة، فلماذا يهرب؟».

كان على وشك أن يكسرها. باختصار، عندما وضعها أمام وجهه. لقد رأى صورة بشعة جدًا فأراد أن يرميها على الأرض: «لقد جعل كبدي يمتلئ دمًا بسبب هذا؟» ثمّ تذكّر الغرامة والعِوض والمال والأيمان التي أدّاها». قال: «لولا العهد المشهود والمال، لأسعدتُ نفسي وأريتُه ما الذي ينبغي فعله». كان يقول هذا، والمرآة تُوبّخه بلسان حالها: «ألا ترى ما الذي فعلتُه بك، وما الذي فعلتَه بي؟».

إنَّه في هذه اللحظة يُحبُّ نفسه، ويُعطي عذرًا للمرآة. إن كان يُحبَّ نفسه فسيُصدُّ عن نفسه، وإن أحبَّ المرآة، فلن يُصدَّ عن أيٍّ منهما.

إنَّ المرآة هي الله ذاته، ولكنَّه يفترض أنَّ المرآة هي شخص آخر. على أيِّ حال، مثلما يميل إلى المرآة، فإنَّ المرآة تميل إليه. بسبب ميل المرآة إليه فهو يميل إلى المرآة. أو أنَّه العكس. «إن كسرتَ المرآة ، فقد **كسرتني، نا مع المُنكسر**».

خلاصة القول، من المستحيل أن تميل المرآة وتبقى حذرة. بالطريقة نفسها، عندما يميل المكيال أو الميزان إلى الله، إن قلتَ له مئة مرة: «أيها الميزان قوِّم هذا الاعوجاج»، فلن يميل إلَّا إلى الله، حتى لو أقبلتَ عليه وسجدتَ له مئتي سنة. ٦٩- ٧١

٢٠٦

إنَّ الجِراب الصوفي كبير. يُناقش الجوهرة قائلًا: «أنا أكبر من الجراب القطني!».

تقول الجوهرة: «فلنسأل المجنون، لا العاقل».

كان المجنون قد سمع بوجود لؤلؤة.سوف يقول: «حتى وإن ملأتَ الأكياس ذهبًا، فلن يعرفوا ثمن الجوهرة، فالجوهرة سوف تُنبئ بثمنها هي».

يقول العاقل: «هذا مجنون، فالجوهرة الفريدة لن تُقدَّر بثمن». ٧٦٣- ٦٤

٢٠٧

إنّ اتهام ذلك الشيخ الصغير ذا اللحية الكبيرة يُشبه نقاش الكيس

الصوفي مع الجوهرة، وأيُّ نوع من الصوف ذلك؟ صوف ملوَّث نتن. أنا لن أدحضه بإفادتي أنا، ولن أُلوث كلماتي به. سأدحضه بكلماته، تلك الكذبة بهذه.

بدأ عيسى الكلام مباشرةً، وبدأ محمد الكلام بعد أربعين سنة(356)، وليس بسبب النقصان، وإنَّما بسبب الكمال، فقد كان محمد هو المحبوب. يقولون للعبد: «مَن أنت؟»، فيُجيبهم: «**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ**» «مريم ٣٠»، ولكن لا أحد يقول للسلطان: «مَن أنت؟».

إنَّ من يُفكّر بالنقصان فهو إنَّما يقرأ صفحته. إنَّه لا يقرأ صفحة صديقه، فلو قرأ سطرًا واحدًا من صفحة صديقه، لما قال شيئًا عن هذه الأمور. إنَّه يقرأ صفحته هو وحدها. في صفحته هذه، كلُّ ما هو مكتوب معوجّ ومنحرف ومُظلم وباطل. فهو يُكوّن تصوّرًا عن نفسه ويُثير شكوكًا. لقد نحت نفسه وجعلها كالوثن، وبات الآن عبدًا لها وعاجزًا أمامها.

إنَّ هذه الأعياد، كتلك الأوثان، تقول: «أيُّها الجاهلون بأنفسكم! أنتم تطلبون البركة منا، فيما نحن أنفسنا نأمل أن تنظروا إلينا، كي يكفَّ النهار عن كونه نهارًا، والساعة عن كونها زمنًا، والجمادات عن كونها جمادًا(357). ٩٨- ٩٩

٢٠٨

«في هذه الأيام، يتوجّب على الإنسان أن يتعبّد، لأنَّ الله ينظر في هذه الأيام إلى عباده، أمَّا في الأيام الأُخرى فهو لا ينظر إليهم ولا يراهم هكذا»، هذا ما يقوله هؤلاء الناس. أعني أنَّه ما دام الله موجودًا فهو يرى، إنَّه يرى ويسمع. كيف يُمكنك أن تقول **إنَّه** يرى في

رمضان، ولذلك لا تُرتكب المعاصي، وفي شعبان هو يرى، ثمّ يمتنع عن ذلك(358)، وعندما يأتي شوال، أشغل نفسك بالفجور والفساد. أنت تقول بلسان حالك: «لقد ذهب، ولم يعُد الله يرانا، وهو لا يُريد أن يعرف شيئًا.من الآن حتى رمضان القادم، تعالوا وأحضِروا معكم الألعاب والخمر علَّنا نُمتّع أنفسنا». ٧٦٨- ٦٩

٢٠٩

نظرتُ إلى أحدهم فأشار إليّ. قلتُ له: «رُبّما تُصبح مسلمًا ألف مرة، ولكن سيبقى معك شيء من ذلك الكفر، وإلّا لماذا تنظر إليّ بعين عجزك؟».

كان هناك شيخ حاضر، فراح يُسدي إليَّ النصيحة: «خاطِب الناس على قدر استطاعتهم، وكُن لطيفًا معهم بقدر طهارتهم واتحادهم».

قلتُ: «أنت مُحقّ، ولكنّي لا أستطيع أن أُعطيك جوابًا، لأنّك نصحتني، وأنا لا أرى لديك القدرة على تلقي الإجابة». ٢٧٩- ٨٠

٢١٠

عندما ترى أنَّ الشيخ فظٌّ، اِلزمه والتجأ إليه، وحينها قد تحلو. إنَّ نضوجك مرتبط بتلك الغيوم، فالعنب والفواكه تنضج تحت الغيوم.

هناك إنسان ولي بلا علم. يقول هذا الرجل: «توكلتُ على الله». إنَّه لا يملك العلم من أجل تمييز موضع التوكل. في النتيجة «اِربط ساق الناقة وتوكّل على الله»(359).

ألم يكن لدى الرسول توكل عندما بذل جهدًا في الصراع؟ ألم يكن عارفًا؟ ألم يكن عالِمًا؟ ألم يكن وليًا؟ ١٩٩- ٢٠٠

٢١١

إنّ أولئك الذين يهربون من الجفاء هم كالنحويّ الذي سقط في ممرّ عميق ممتلئ بالوحل فجاء أحدهم وقال له: **«أعطني يدك»**، ولكن بنطق غير سليم. انزعج النحوي وقال: **«اِمضِ. فأنت لستَ من قومي»**.

جاء آخر وقال الشيء نفسه، فانزعج مجددًا وقال: **«اِمضِ! أنت لستَ من قومي»**.

أتى الناس واحدًا تلو الآخر، كان يُلاحظ التشوهات البسيطة في اللفظ، ولكنه لم يُلاحظ أنَّه باق في القذارة. بقي فيها طوال الليل حتى الصباح، وهو في أسفل مكب النفايات، لم يكن ليُمسك بيد أحد أو أن يُعطي يده لأحد. عندما طلع النهار، أتى أحدهم وقال: **« يا أبا عمر، لقد سقطتَ في الأوساخ!»**.

فقال له النحوي: **«خُذ يدي. فأنت من قومي!»**. أعطى يده للرجل الذي لم يكن قويًا، عندما قام بسحبه، وقع كلاهما، فبدآ في الضحك على حالهما.

في تلك اللحظة، ذُهل الناس وقالوا: «لماذا يضحكان وهما في هذا الحال؟ هذا ليس مكانًا للضحك».

قد يعيش أحدهم حالًا لدى سماعه صوتًا ما، لأنَّ هذا الصوت شبيه

بصوت فلان الفلاني. إلَّا أنَّه لا يُدرك مطلقًا حقيقة الصوت. يعيش أحدهم الحال بسبب الموافقة، ولكنَّه يجهل ما هي الموافقة.

ذات يوم، سمع نحويّ مُغنيًا يُغنّي «**في كلِّ بهجةٍ ونورًا!**»، فمزّق هذا النحوي ثيابه وبدأ يصرخ. فتجمّع حوله كلُّ مَن في المجلس. بقي القاضي متحيرًا من أمره: «لم يكن هذا الرجل ممَّن يعيشون أحوالًا أبدًا».

خُيِّل للمغني أنَّ الرجل أحبَّ القصيدة، فراح يُغنيها ثانية، فاستمر النحوي بالصراخ وهو يُشير نحو الناس قائلًا: «أنصِتوا يا مُسلمين!».

ظنوا أنَّه قد سمع صوتًا رائعًا من الغيب: «إنَّه يُحاول أن يُوقظنا!».

عندما أزف النهار وانتهى كلُّ شيء، كان النحوي قد مزق ثيابه إربًا ورماها بعيدًا وأصبح عاريًا. اجتمع الناس حوله ونثروا الماء وماء الورد عليه. عندما هدأ، أخذه القاضي من يده وأحضره إلى مكان منعزل. وقال: «أستحلفك بنفسي وسرّي قُل الصدق! كيف غشيك هذا الحال؟».

قال: «ولِمَ لا يغشاني حال؟ لمَ لا يغشاني ألف حال؟ من زمن آدم إلى زمن نوح، ومن زمن إبراهيم إلى زمن محمد، كان حرف الجر «في» يجعل الأسماء تأتي في حالة الجرّ، ولكنَّه الآن فقط جعلها تأتي في حالة النصب!».

حسنًا، بما أنَّ الجميع يعيش الحال إلى هذه الدرجة، ولكلٍّ غايته الفاسدة، ماذا لو أنَّهم بذلوا تلك القوة من أجل الغاية الباقية الروحانية الأبدية، كيف سيكون طعم ذلك؟ تلك القوة هي رأس مال المرء. **مَن**

يشتري ما لا يحتاجه، فقد باعَ ما يحتاجه.

كان في عينيّ شخص ما رطوبة ورمل. قال له أحدهم: «عليك أن تُعالج ذلك».

فانفجر قائلًا: «أنا مشغول في ترقيع حذائي القديم. سيدي، إنني أرتدي هذا الحذاء القديم في الحمّام، فهو كلُّ ما يعنيني».

فقال ذلك الرجل: «كلا، فالأمر الآخر هو الذي ينفع». ١٥٦- ٥٧

٢١٢

أخذ فأرٌ بزمام جمل وراح يمشي(360). كان الجمل، الحزين بسبب عصيانه لسيده، منصاعًا للفأر، بسبب الشجار مع سيده. توهّم الفأر أنَّ السبب هو قوة يده. لمح الجملَ بريق هذا الوهم فقال لنفسه: «سوف أُريك».

عندما وصلا إلى الماء، توقف الفأر فقال الجمل: «ما الذي تسبب في هذا التوقّف؟»

قال الفأر: «ثمَّ تدفق لتيار عظيم من الماء».

قال الجمل: «دعني أرى مدى عمق الماء. تنحَّ جانبًا».

وضع الجمل قوائمه في الماء ومشى بضع خطوات ثم عاد. قال: «هيا بنا فالمياه ضحلة، فهي تصل حتى الركبتين فقط».

قال الفأر: «نعم، ولكن من ركبة إلى ركبة...»

فقال: «هل أنت نادم؟ لا تكن وقحًا إلى هذه الدرجة، وإن كنتَ كذلك، فكُن مع مَن ركبتاه كركبتيك».

قال: «أنا نادم، ولكن خُذ بيدي». برك الجمل وقال: «تعال، اعتلِ سنامي، سواء كان جدولًا أو نهر «باكتراس»، حتى وإن كان المحيط، سأسبح. أنا لا أخاف».

حسنًا، إنَّ هذا الجمل مقارنة مع «عوج بن عناق» هو ذاته: « من ركبة إلى ركبة». إنَّ «عوج» هذا لم يُغرقه طوفان نوح، فماء المحيط وصل حتى ركبتيه، ثمَّ قتله موسى.

كما أنَّه كان لدى «عوج بن عناق» الميزة نفسها، «من ركبة إلى ركبة»، قبل آدم وقبل بني آدم روحًا وقلبًا، كلا، بل بني آدم ماءً وطينًا، خصوصًا ذاك الذي من أجله قيل: «**خطوتان ووصل**». تلك هي الخطوة **المحمدية**، خطوة إلى الآخرة والخطوة الثانية إلى الرب. أمَّا أنا وأنت، فلو خطونا مئة خطوة فلن نبلغ أبعد من حافة الأريكة.

وُعدَ العبد بالبعث بعد الموت وبالجنة، علَّه يفوز برؤية الله. عندما يرى الكلّ في هذه الدنيا، كم سيرى من عجائب وغرائب! وكم سيجد من مسرَّات! عندما لا يرى أحدهم هذه الأمور، وإنَّما يرى العرَّاف ويُؤمن بصدقه، فأيُّ تذوق سيجد بمجرد افتراضه ذلك الصدق! إنَّ هذا التذوق هو بالتحديد مجاملته وسؤاله. إنَّ المجاملة الظاهرة هي أمر شائع عند اليهود والمسيحيين والمسلمين. لدى كلٍّ منا هذه المجاملة الظاهرة، ونخدع بعضنا بها، إلَّا أنَّ إبداء المجاملة يدوم فقط حتى حافة القبر.

الآن، أنا غاضب ومجاف للأصدقاء عساهم يكفّون عن التعويل على السؤال والمجاملة الظاهرين. يقولون بلسان حالهم: «اللطف مع الغرباء والجفاء مع المعارف؟».

بلسان حالي أُجيب: «ألا ترون لطف الصحبة؟ إنَّه مع الأصدقاء وهو يدوم إلى الأبد». لقد بلغَت حدًا أنه لو كان الأنبياء المرسلين أحياء، لتمنوا بكلِّ جلالهم، لو كانوا أصحابهم: «واشوقاه إلى الجلوس معهم لحظة واحدة!»(361). إنَّ ذلك الجفاء هو من أجل أن يُصبح الصديق مؤتمنا على الصدق، وعسى أن يترك النفاق نزعته، لأنه ليس لدى عبد الله نفاق في تكوينه.

يُريد بكلِّ طريقة ممكنة أن يقول الصدق بحيث لا يجد خصمه ذا التفكير السيئ سبيلًا إلى تأويله، وبحيث يعرف حقيقة الحال.

إنه يتمتع بلطف ورحمة كبيرين، وهما لا يسمحان له بإخفاء حقيقة الحال. بعدئذ قد يجد ذلك الشخص الراحة والنجاة. ١٣٤- ٣٦

٢١٣

كان ينتقد وعظ الشيخ بقوله: «أيُّ نوع من الوعظ كان ذاك؟ يُغنّي لحنين أو ثلاثة من المنبر ويهزُّ وركيه. لماذا لا يعظ نفسه؟ لماذا لا يُكلِّم أولاده: «اِحذَر، لا تفعل ذلك!»، لماذا لا يُخبر زوجته أن تحترز؟».

إنَّ مولانا نفسه في منأى عن الوعظ. بأمر الله، وبآلاف الشفاعات والمناشدات، دقَّها وجلَّها، يقول ما يقوله. إنَّ وعظ الشيخ يُحرِّك الحجر.

إذا قالوا لطبيب: «أنت تُعالج هذا المريض، لماذا لم تُعالج والدك الذي مات؟ لماذا لم تُعالج طفلك؟». أو يقولون **لمحمد**: «لماذا لم تُخرج عمّك أبا لهب من الظلمة؟».

سوف يُجيبهم: «هناك أمراض لا يُمكن علاجها(362). من الجهل أن يُشغل بها الطبيب نفسه، وهناك أمراض يُمكن علاجها، وليس من الرحمة في شيء ترك هؤلاء يهلكون.

يزرع أحدهم شيئًا ما في التربة، فيقولون له: «لماذا لا تزرع الأرض حول دارك؟».

«لأنّها مالحة. ليس بالأمر المستحسن».

إنَّ كلماتي تلك لا تُؤذي البتة، بل على العكس، فيها مئة فائدة وفائدة، ولكن هل هناك فائدة في الدنيا إلَّا ويُحرم منها بعض الناس؟ إذا وجد المصريون أنَّ مياه النيل(363) تحوّلَت دمًا، لا يُمكن انتقاد النيل. إن بدا صوت داوود بشعًا للمنكِر، فالعيب ليس في صوته.

شعاع الشمس لا يُؤذيه أن يُصيب مُنكِرًا حاسدًا عميًّا عن نوره.

إذا لم تبدُ كلماتي الآن بالطريقة التي تُعجبك، لا تهرب من هذا الحال. اِحترم كلامي علَّك تلقى الاحترام. عندها تكون قد أكّدتَ الادعاءات التي ادعيتها بالإيمان والتصديق، وتكون قد شهدتَ على رؤيتك أنت ورؤية آبائك. في المقابل، إن كنتَ فظًّا وتصرّفتَ معي بازدراء، فستكون أنت الجدير بالازدراء، فقد شهدتَ بذلك على عماك وزيفك. عندها يتمّ التعامي عن الخدمة والاحترام اللذين انبريتَ لهما

سابقًا، وتكون قد أضللتَ الآخرين: «إنَّه يستحقُّ الازدراء، فلماذا يُبجّلونه؟».

أخشى أنَّك في هذه الساعة غافل عن أذيَّة الفراق. تنام قرير العين في ظلال اللطف. إن فعلت ما يمنع اللطف، لن ترى هذا الحال في أحلامك. ولن ترى الشيخ في أحلامك. لا تستطيع أن ترى الشيخ إلا باختيار الشيخ، سواء كان في النوم أو اليقظة.

إنَّ كلَّ مَن يرجو وحسب سوف يتعفن، أعني الرجاء الذي يمنع عن اتخاذ الأسباب الثانوية. إنَّه مثل خَصيٍّ يرجو أن يرزقه الله بذرية. قارن ذاك بشاب مكتمل الرجولة وله زوجة شابة. كيف يُمكن أن تُقارن هذا الرجاء بذاك؟ تُصبح مخصيًا وجبانًا نتيجة انقطاعك عن لطف الشيخ.

واأسفاه على مريض ينصبُّ جلُّ شأنه على «تلاوة» يس!(364) بعبارة أُخرى، يجد نكهة من الشيخ عندما يكون الشيخ مرائيًا له ويتحدّث بكلام عذب ولطيف. عندها سيفرح غير مدرك أنَّ هذا ما ينبغي أن يخشاه. إذا تحدّث الملك بتهور وخشونة، فلا خوف. إنَّه ببساطة يقول كلامًا يُلائم ويُناسب حال منصبه كملك.

إذا رأيت أنياب الليث بارزةً(365)فلا تظنَّنّ أنَّ الليث يبتسمُ

عليك أن تخشى الملوك عندما يعاملونك باحترام! ١٥١- ٥٣

٢١٤

أقْبل ملك مع ألف صيحة «أفسحوا طريقًا!». ظهر مُتشرّد متحدثًا

بخشونة. وقف في الطريق وراح يشتم الملك. وصل الملك، إلَّا أنَّه لم يقُل شيئًا لأيٍّ كان. لو أنَّه قال شيئًا لأيٍّ كان لقطعوه إربًا. استدار قائلًا: «فلنذهب من ذاك الطريق».

قالوا، «لماذا، يا مولاي؟».

قال الملك، «قلبي يودُّ هذا».

ضدّ مَن يتصرّف بقسوة؟ ضدّ مُتشرّد؟ هل هو مُتشرّد في الأصل حتى يتعارك مع متشرد؟ يبطش الملوك بأولئك الذين رفعوا رؤوسهم بكبرياء ـ فرعون، نمرود. «**لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**» «آل عمران ١٨٦».

٢١٥

تفرَّق السلطان محمود عن الجيش وكان جائعًا للغاية، قال لطحان: «السلام عليكم! ألديك ما آكله؟».

ردَّ قائلًا: «طبعًا». همَّ بإحضار الطعام، متعجبًا من أين أتت كلُّ هذه البدانة: «الآن، لا يُوجد سوى الخبز. هل ستأكل ذاك؟».

قال الملك، «أحضره».

ساوره الندم وهو في طريقه لإحضاره. فعاد وقال: «كنا لنأكله نحن أيضًا لو وُجد. لا يُوجد خبز، ولكن هناك طحين. هل ستأكل ذاك؟».

قال، «أحضره أيّ كان».

ذهب، وهو يُحدّث نفسه: «يا للعار. يمتلك ذاك الرجل الأحمق بطنًا متدليًا. عاد قائلًا: «بالكاد ثمَّة طحين». عاد ثانية وقال: «إنَّه ممزوج بالدخن». عاد مرة أُخرى: «وعدْنا الأيتام به». بالمختصر، في النهاية جلب قشرًا وهزَّه في وجه الملك: «هذا كلُّ ما تبقى، كي تُصدّقني. خُيِّل إلي أنَّ هناك شيئًا».

تأذَّت عينا الملك. جلس على حافة جدول الماء، مُغطيًا عينيه بيديه مطولًا، تلك العينان الجميلتان. وما إلى ذلك.

انطلق، فرأى ولدًا صغيرًا، تركيًا، فقال له: «هل لديك ما آكله؟».

أجاب: «لديّ، ولكن هل هذه طريقة للسؤال؟ قُل: «السلام عليكم. هل تقبل ضيفًا؟».

قال: «والله، إنَّه مُحق». شدَّ اللجام وعاد: «السلام عليكم».

«وعليكم السلام».

«هل تقبل ضيفًا؟»

«اِنضمّ إلي»، أحضر بسرعة معجنات، حليب، جبنة، وأطعمة أُخرى.

أكل. ثم قال: «خُذ هذا الخاتم، لأنَّ لي حظوة لدى الملك، وبهذا الخاتم سوف تحصل على شيء جيد من الملك. إذا لم يُعطك هو، سأُعطيك أنا».

لما رأى الخاتم الجميل قال: «هذا عطف. أنا لم أذبح خروفًا. ماذا فعلتُ؟».

كلَّما فكّر الملك في أمره، رأى جميل صنعه، وزادت قيمته عنده. في النهاية وصل الملك إلى جيشه.

جاء الطفل وقدّم الخاتم، وخروا كلُّهم سجدًا. أحضروا الطفل. رأى أنَّ الملوك والأمراء مصطفين على جانب، وجنودًا خيّالة وملوكًا على الجانب المقابل. كان ينظر حوله، مُتسائلًا أيُّهم كان الأمير. رأى الملك بتلك الهيئة، فقال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله!**». مجددًا، نظر إليهم جميعًا، وقال: «آه! هل هذا هو الملك؟ آه، ما الذي فعلته!». تكلَّم الملك. فقال: «والله، إنَّه الملك!».

أمر أن يقوم على خدمته أربعون عبدًا ذوي أحزمة ذهبية، ولك أن تُقدِّر من هذا ما بقية الجوائز.

قال الملك: «أحضروا ذاك الطحان الأحمق إلى هنا حتى أجعل قلبه يتجمّد».

اِنطلق مئة رجل مدرّع. كان قد أخبرهم أين تقع القرية. راحوا يبحثون في المكان، إثر وصولهم إلى سفح الجبل في تلك النواحي، قال أحدهم: «تلك هي»، فأجابوه: «نعم، تلك هي».

قال الطحان الأحمق: «ها قد أتوا». هرب وأغلق الباب. قام الجنود بطرق الباب. بقي ساكتًا: «أنا ميّت».

«كيف تكون ميّتًا إن كنتَ تتكلم؟».

«كلا، هذا نفسي الأخير، أنا ميّت».

«قُم!».

لم ينهض، فكسروا الباب. دخلوا: «اِنهض! إنَّ الملك يستدعيك».

قال: «يا سادة! ماذا عليّ أن أفعل مع الملك؟ أنا مُجرّد طحّان. إن كان لدى الملك قمح، فليجلبه، سأطحنه له».

«هيا اِنهض! إنّ الملك يستدعيك!».

«لكنَّني أصنع طحينً جيدًا».

«اِنهض، لا تتكلم كثيرًا».

«سأعطيكم طحينًا، سأعطيكم خبزًا، سأعطيكم معجنات ولبنًا رائبًا». قبل هذا، لم يكن ليُعطي أيَّ شيء للسلطان، والآن يُريد أن يُعطي مئة رجل!

«اِنهض! لماذا تتحدث بكلام فارغ؟». لم ينهض، فقاموا بربط حبل حول عنقه وجروه منه.

في البلاط الملكي، كان يتلفَّت متوقعًا رؤية كبير الخدم. طبعًا، لم يجد أحدًا كذاك، بل السلطان فقط. راح يقول: «آه، لو كان لي ألف رأس لما فررتُ بواحد منها!».

قال الملك: «يا ولد! أحضرتك لأنَّ خاتمي سقط في المرحاض. أخرجه منه!».

قال: «أنا في خدمتك».

قال الملك خفية: «عندما يدخل، أغلقوا الباب بإحكام ولا تفتحوه لثلاثة أيام، علَّه يُكابد أسى الجوع». كان ذاك الصاحب التعِس معتادًا على تناول خمس «مُنَّات» من الخبز في اليوم، ولديه معدة جشعة كجهنم. لثلاثة أيام بقي في ذلك المكان النتن، ولا شيء يأكله، فأعدَّ نفسه للموت.

بعد ثلاثة أيام، قال: «أحضروه!».

«اِنهض! اِخرُج!».

قال: «ماذا تُريدون الآن؟ لم يتبقَّ لي إلَّا نفس واحد. دعوني أموت!».

قالوا: «يا ولد، هل تظنُّ أنَّنا سندعك تموت مرّة واحدة؟».

راح يقول: «يا للويل، يا ويلي!».

أحضَروه. قال الملك: «يا ولد، هل يُمكن أن تأكل الأرز العادي؟».

قال: «آه، نعم!».

قال: «أنا كذلك، لو كان لدينا أيٌّ منه. هل يُمكن أن تأكل حساء

الكمون مع قصب السكر؟».

قال: «نعم.»

«هل يُمكن أن تأكل الأرز المطبوخ مع الحليب والسكر؟».

قال: «نعم، كيف يُمكن ألَّا آكل هذا؟».

قال: «كنَّا لنأكله نحن أيضًا، لو كان لدينا أيٌّ منه». ظلَّ يسرد أنواع الطعام.

قال: «مولاي، هيا اقتلني!».

حالما أصبح بائسًا ومثيرًا للشفقة إلى أبعد حد، بلغ لطف الملك مبلغه، وقد جعله تأثير هذا اللطف يتذكّر هذا الشعر:

إذا كُنْت تُجزي الذنبَ مِنِّي بمِثْلِه

فَمَا الفَرق بَينِي وبَيْنك؟

بدأ يضحك. أمر بأن يُعطى ألف درهم، وثوب شرف، وأرسله بسعادة في سبيله. ثمَّ أمرهم أن يستدعوه مجددًا. ركضوا خلفه وطلبوا منه أن يعود. حدَّث نفسه: «آه، جعلني أشعر بالأمان حتى يضع يده علي على نحو أسوأ حتى». قال: «الآن خُذ ذهبي وأعطني حياتي».

قالوا: «تعال، استجب للطلب هنا».

قال الملك: «عدني وحدد شرطًا، أنَّه إذا منعك جشع حلقك من إعطاء شيء لأحدهم، على الأقل لا تهز ذلك القشر الناعم للدقيق في وجهه، لأنَّك أعميتني».

شعر الطحان بالخزي وبكى كثيرًا. وعد أنَّه لن يمنع الموجود، ولن ينظر إلى أيِّ ضيف باحتقار. ٦٣٠- ٣٣

---

(344) سما في الشرق. قارن الفقرة ١.٩.

(345) عندما مات حُجب. إشارة إلى أبي يزيد «اِنظُر ٢- ٢٠٧».

(346) بسلامة. يُشير شمس إلى المعنى الجذر لكلمة «مسلم». أن يكون المرء بلا شائبة, نقي, آمن, مطمئن.

(347) النمرود. قصة إلقاء النمرود لإبراهيم في النار المشار إليها في القرآن في «الأنبياء ٦٨-٦٩» «العنكبوت ٢٤» «اِنظُر الكسائي ١٢٨- ٥٠». يروي «الرومي» قصة عنه في المثنوي VI ٤٧٩٧-٨٦٩».

(348) طفل ذي خمسة أعوام. قارن ١- ١٨

(349) أنشقني رائحة الجنة. هذا جزء من الدعاء الذي يُقال عند الاستنشاق أثناء الوضوء. يروي «الرومي» النادرة، ويُقدّم النصوص الصحيحة للقراءة في المثنوي VI ٤٧٩٧-٨٦٩.

(350) ثملوا من الكلام. قارن مناقشة «الرومي» لآثار كلام الله في Fih٨١-٨٢/ Arb٩٣-٩٤.

(351) علاء الدين. لا بُدّ وأنّه الابن الثاني للرومي, لا سيّما أنّه تحدّث إليه من «وراء الستار»، وذلك في داخل المنزل حيث لا يُؤذن إلّا لأفراد الأسرة. يعتقد المحرر أنّ المقطع هام لأنّه يُؤكّد الإفادات عن عداء شمس لعلاء الدين. يقترح «سيباه سالار» أحد كُتاب السيرة أنّ «علاء الدين» والذي كان وسيمًا وخلوقًا، وكان مفتونًا ب»كيميا» زوجة شمس الشابة. مُنح شمس غرفة في بيت «مولانا» وكان يُعامل كفرد من أفراد العائلة. بحسب «سيباه سالار» يبدو أنّ «علاء الدين» استغل الوضع لاستراق النظر إلى «كيميا» حينما عاد إلى الدار من أجل زيارة والديه. نصحه شمس أن يدخل إلى الدار كضيف، لا أن يدخل ببساطة, بل أن يُعلم الناس وهو في الخارج أنّه على وشك الدخول، وبذلك تستطيع أيّ امرأة لا تودُّ أن يراها أن تذهب إلى غرفة أُخرى، أو تُغطي نفسها على نحو لائق. شعر علاء بالإهانة من هذه النصيحة وأخبر باقي أفراد حلقة الرومي بالأمر, فانتهزوا الفرصة من أجل تأجيج المزيد من العداوة تجاه شمس. انظر مقالات ٥٠٨-٩. عن علاء الدين والتلميح الذي قدمته بعض التقارير اللاحقة إلى تورطه في مقتل شمس اِنظُر RPP١٨٥-٨٧ .

(352) أخو الزانية. بحسب أفلكي «١٢٥» كان الرومي يستخدم هذا اللعن عندما يكون غاضبًا. قارن Fih 88: «يقول هؤلاء الناس, «رأينا شمس الدين التبريزي, يا سيدي, لقد رأيناه!» يا أخو الزانية! متي سبق لك أن رأيته؟ يعجز أحدهم عن رؤية الجمل على سطح الدار، ثُمّ يقول 'رأيت خرم الإبرة وأدخلتُ فيه الخيط!». يميل مترجمو الرومي إلى التحشُّم عند التعامل مع مقطع من هذا النوع. يترجم «اربيري» «Arb 100» هذا التعبير في هذه المقطع إلى «أحمق» ويترجمه «ثاكستون» «Signs 92» إلى «ثلة من الحمقى».

(353) اِحذر, لن يضعوا. انظر الملاحظة حول ٣- ٨٥.

(354) سراج الدين. من الواضح أنّه كان فقيهًا من النوع الذي يفني عمره في تفاصيل الشرع «قارن ٢- ١٣٧». بافتراض أن بركة مساحتها أربعًا في أربع سوف تكون أقرب ما يكون للحد الأدنى من شروط الطهارة «اِنظُر ٣ - ١١» من أجل أن يحرص المرء على وجود ما يكفي من الماء فيها على الدوام.

(355) لن أضعك. الرباعيات # 1926.

(356) عيسى, محمد. إشارة إلى تكلّم «عيسى» في المهد، وتلقي «محمد» الوحي في سنّ الأربعين.

(357) كي يكفّ النهار عن كونه نهارًا. يبدو أنّ شمس يُشير إلى دور الإنسان كخليفة لله. في تعاليم الرومي وآخرين فإنّ البشر هم الوسيلة التي من خلالها يعود كلّ شيء إلى خالقه. بينما يتكشّف سرهم الداخلي ويرتقون نحو الله, تصل الجمادات على الحياة، ويصل الأحياء إلى الوعي، ويصل الواعون إلى الوعي الذاتي, ويصل الواعون بذواتهم إلى الوعي بالله. إنظُر72-82 SPL.

(358) رمضان. الذنوب تُفسد الصيام كما يُفسده الطعام والشراب. وعليه كثيرًا ما يتحدّث الوعاظ كما لو كان الامتناع على ارتكاب الذنوب أمر يخصُّ هذا الشهر. يُعدُّ شعبان شهرًا ذا قداسة خاصة كذلك.

(359) إربط ساق الناقة. إشارة إلى الحديث «إعقلها وتوكّل». حسب ما يُعيد سلطان ولد رواية القصة, فإنّ النبي قال تلك الكلمات إلى البدوي الذي هربت ناقته بعدما أهمل ربطها, متوكلًا على الله بدلًا من ذلك «مقالات ٥١٠». يستشهد «الرومي» بهذا الحديث في المثنوي I 913.

(360) أخذ فأر بزمام. يقصُّ الرومي القصة في المثنوي II ٣٤٣٦ ff.

(361) وا شوقاه إلى الجلوس. الترجمة الفارسية للحديث «وا شوقاه».

(362) هناك أمراض لا يمكن علاجها. يتوسّع الرومي في هذه النقطة في المثنوي III ٢٩٠٩ ff.

(363) ماء النيل. يُعلّق الرومي على هذه العلامة من علامات نبوة موسى في المثنوي IV ٣٤٣١ff.

(364) يس. يُعتقد أنَّ للسورة رقم ٣٦ من القرآن الكريم بركة خاصة.

(365) إذا رأيت نيوب الليث. قارن المثنوي I ٣٠٣٩-٤٠.

عودتي من حلب

٢١٦

منذ أن غادرتُ مدينتي، لم أرَ شيخًا قط.

يليق بمولانا أن يكون شيخًا لو أراد. مع ذلك، فهو لا يمنح الخرقة. عندما يأتون ويفرضون أنفسهم عليه: «أعطني الخرقة! قصَّ شعري!»، ويتمُّ إجباره على القيام بهذا فهذا أمر، في حين أنَّه أمر مختلف تمامًا أن يقول أحدهم: «تعال، كُن مُريدي!».

في الواقع، ليس لدى الشيخ أبو بكر عُرف إعطاء الخرقة.

لم أرَ شيخي أنا. إنَّه هناك، ولكنَّني خرجتُ من مدينتي بحثًا عنه، ولم أجده بعد. مع ذلك لا تخلو الدنيا من شيخ.

يقول إنَّ الشيخ يعطي خرقة دون أن يدري الشخص بذلك.

يُعطي المملكة، ويمضي.

لم أرَ شيخي أنا، ولا حتى بهذا القدر: مَن تستطيع أن تقتبس أمامه فلا ينزعج، وحتى إذا انزعج فممَّن يقتبس. أنا الآخر لم أرَ أحدًا كهذا. من مقام التحلي بهذه الصفة إلى مقام كونك شيخًا، رحلة مئة ألف عام.

أنا الآخر لم أجد ذلك. إلَّا أنَّني وجدت **مولانا** بهذه السِمة. كانت

حقيقة عودتي من حلب إلى صحبته معتمدة على هذه السِمة. لو أنَّهم قالوا لي: «خرج والدك من القبر ويتمنى رؤيتك. أتى إلى «تل باشر»(366) فقط ليراك، ثمّ يموت من جديد، تعال لرؤيته». لقلتُ لهم: «أخبروه أن يموت. ماذا أستطيع أن أفعل؟». لم أكُن لأُغادر حلب. فقط بسبب ذلك أتيتُ حقًا. ٧٥٦

.٢١٧

ما الذي يُمكن أن يُقال عن دمشق؟ لو لم يكن الأمر من أجل مولانا، لما رغبت في العودة من حلب. لو حملتَ لي خبر خروج أبي من القبر وعودته إلى «ملاطيا»، قائلًا: «تعال لرؤيتي، بعدها نذهب إلى دمشق»، لما ذهبتُ حتمًا. إلَّا أنَّني كنت سأذهب إلى دمشق. ما همّني إن كانت مزدهرة أو خاوية على عروشها؟ على الأقل سوف يكون ذاك المكان موجودًا، ذاك المسجد الجامع(367).

نعم، بالنسبة إلى جنس البشر، ثمَّة ألفة بمعية الآخرين.

أمَّا بالنسبة إلى الأصل، فهم لم يبالغوا حين قالوا أنَّ «الجنّة إمَّا دمشق أو فوقها تمامًا»(368).

إنَّهم يكتبون هذه السطور للباحثين المؤهلين، وليس للنسَّاجين. لا بُدَّ لها من أن تكون مضبوطة بالشكل حتى أفهمها، فلا أفهم دون التشكيل. ١٦٨- ٦٩

.٢١٨

إنَّ القرآن كلُّه أوامر ونواهي. يقول مَن هو أهل للخطاب: «سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا» «البقرة ٢٨٥». وإلّا فسيقول: «سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا»»البقرة ٩٣» ـ ليس بلسانه وإنّما بلسان حاله. أمّا إذا طبّق الأمر، فهو يقولها من خلال وضعها موضع التنفيذ. حتى لو قال: «عَصَيْنَا» بصوت عالٍ فإنّ ذلك لا يهمُّ بعد أن قال: «أَطَعْنَا» من خلال تنفيذ الأمر. هذا هو التفسير.

إنّ التفسير هو شغلك. إنّ معظم كلامك من هذا النوع. لماذا تكون مرتبكًا حيال ذلك؟ أسرع. قُل: «نعم، هكذا هو الحال». إنّ روحي مُعذّبة، إنّها متلونة، فساعة كهذا وساعة كذاك.

أودُّ بعضًا من كباب زهراء. إنها تُعدُّ كبابًا جيّدًا، طازجًا وممتازًا ومليئًا بالنداوة. لماذا تُعدُّ «كيرا « الكباب جافًا على نحو سيء للغاية؟ إنَّ طعام زهراء جيّد، أمّا «كيرا» فليس عندها طعام. لدى زهراء طعام، لديها كباب، وهي تغسل الثياب.

أتذكّر أنّني في حلب، كنتُ أقول إنّني أتمنى لو كنتَ هناك. عندما كنتُ آكل، كنتُ لأعطيك بعضًا منه كذلك. إنّها مدينة مُذهلة، حلب، المنازل، الشوارع. كنتُ أنظر حولي بسعادة، أُشاهد قمم الأبراج المحصّنة. نظرتُ إلى الأسفل، رأيت دنيا وخندق ماء. ٣٤٠

٢١٩

في حلب كم هي الأدعية التي دعوتُها من أجلك في نزل القوافل ذاك حيث أقمتُ! لم يكن صوابًا أن أُظهر وجهي للناس عندما لم تكن أنت موجودًا. كان يجب أن أُشغل نفسي بعمل ما، أو أنصرف إلى زاوية «خانقاه».

أعني، إنَّ ما أصنعه وأبنيه في عشرين يومًا، تدكُّه وتحطمه في غمضة عين. لم يحتسب أيٌّ منها في العمل. كان ذلك كلُّه دمارًا للعمل، فتعود إليّ المعاناة. لقد رأيتَ ما يجلبه التدريب حقًا، ولكنّي كنتُ قد بدأتُ. إنَّ عمل الفقير لا يذهب سدى. هل رأيت مقدار النور الذي وجدتَه في اليوم الأول؟ لو أنَّه دام، فكّر كيف كان له أن يكون مع حلول الآن! إذن، لن يُحتسب أيٌّ من ذلك في العمل.

إنَّ الذهاب إلى دمشق لم يكن عملك، بل عملي. بأيِّ تعجّب ينظر **مولانا** إليّ!

قال: «إنَّه يطلب الله في شخص مثلي. إنَّ إيماني به قد ازداد».

قلتُ: «إنَّ ما قاله بدايةً خطأ. أنا لا أطلب الله فيه، بل أطلبه في الله». ٧٦٦

٢٢٠

كُن نزيهًا لعلَّ النزاهة توصلك إلى مكان ما. إنَّ الحفاظ على الصحّة أسهل من طلبها. إنَّ حفظ المرء نفسه من الذنب أسهل من التوبة. عندما تُبتلى بالمرض بعد هجر الامتناع، سوف تبدأ تتحلّى بالمزيد من الصبر وتبدأ تقول: «لماذا لم أكن أتحلّى بهذا القدر من الصبر من قبل؟ إنَّ هذا القدر من الصبر هو لا شيء».

إن استطعتَ، تصرّف كما لو أنّني لستُ مضطرًا للسفر من أجل عملك ومصلحتك، لعل العمل يُنجز من خلال الرحلة التي قمتُ بها. سوف يكون ذلك جيدًا. لستُ في موضع يسمح لي أن آمرك بالسفر. سوف آخذ السفر على عاتقي لعلَّه يُصلح عملك، فالفراق يطهو المرء.

في الفراق تقول: «لم يكن ذاك الكمّ من الأوامر والنواهي شيئًا. لماذا لم أقُم بها؟ كان ذاك أمرًا سهلًا مقارنة مع صعوبة الفراق».

ما لم أكُن أقوله، كنتُ أتحدث بنفاق وأرقب أذهان الطرفين كليهما. كنتُ أتحدّث بالألغاز. كان يجدر بي أن أكون صريحًا. ما قيمة ذاك العمل؟ من أجل مصلحتك سوف أقوم بخمسين رحلة. إنَّ الغاية من رحلاتي هي إنجاز العمل. وإلَّا ما الفارق بالنسبة إليّ إن كانت الأناضول أو سوريا؟ إن كنتُ عند الكعبة أو في اسطنبول، لا فارق، ولكن، لا ريب أنَّ المسألة هي أنَّ الفراق يطهو ويصقل.

حسنًا، هل الذي يُطهى ويُصقل من خلال الوصل أفضل، أم الذي يطهوه الفراق ويصقله؟ كيف يُمكن لمَن يطهوه الوصل، ومَن عيناه مفتوحتين أن يُقارن بذاك الواقف خارجًا متسائلًا متى سوف يُسمح له بالدخول في الستار؟ كيف له أن يُشبه مَن اتخذ مسكنًا في الستار؟
١٦٣- ٦٤

٢٢١.

قالوا للصوفي: «هل تُريد صفعة نقدًا أم دينارًا قَرضًا؟».

قال: «اِضرب وارحل».

هناك نعمة في الرحيل. لقد خشي الألم والندم على زوال النعمة.
٧٦٠

٢٢٢.

أجاب: «نعم، إنَّهم لا يطمئنون ولا يتقبّلون طريق الطمأنينة».

قال: «عندما تُبعد الكلام عن نفسك، تُسدي النصيحة للآخرين، وتنسى نفسك، ما نفع ذلك سوى الفُرقة؟».

قال: «نعم، إنَّهم يُبعدون الكلام عن أنفسهم وينصحون الآخرين، ولا ينصحون أنفسهم».

لماذا ابتعدتَ عني بحيث تضطر إلى القول: «في النهاية ندمتُ على ذلك، لماذا ذهبتُ؟». أنا الآخر يجب أن ابتعد عنك بالقدر نفسه من أجل توبيخك. لقد نَدِمتَ إلى هذه الدرجة. كيف أمكنني أن أدّعي أنَّه كان بيننا وصل دَرَنُه أحلى من ذهب الآخرين. أنت لا تعلم قيمة هذا الوصل، ولذلك فأنت تحتاج إلى توبيخ. ٦٧٨- ٧٩

٢٢٣

عندما يزعم أيٌّ كان أنَّه صديقي، أُعنِّفه ولو من أجل رأس شعرة. أنا لا أُعنّف عدوًا قط، حتى لو لعنني. إن كنتَ تقول هذا الكلام، فذاك سيء. لو قاله آخر، مهما كان ما يودُّ قوله، سأتقبّل ما يُريد أيّ كان، وكيفما كان بالنسبة إليه. إنَّها القصة نفسها. إن لم يأتِ إلي، لن يكون رجلًا، ولكن لو ذهبتُ أنا إليه، لكنتُ شاذًا.

لن أذهب سيرًا على الأقدام. سوف أطلب عشرين درهمًا من هذا الأخ وأقول أنَّني ذاهب إلى «أكسراي». سوف يُعطيني إياهم، كما أنَّ هناك أصدقاء آخرين كذلك. إحدى نِعَم الجيب الفارغ هي أنَّهم أخذوني إلى مصر.

في تلك المرة رأوا: هل كان مولانا سعيدًا يومًا منذ يوم رحيلي؟ ومنذ يوم عودتي، عِشتُ بطريقة مختلفة، بحيث يعدل كلُّ يوم في هذه الصحبة سنة من تلك الصحبة.

كلَّما زاد الوصل أصبح الفراق أصعب وأشق.

عندما أتيتَ إلى حلب(369) هل رأيتَ أيَّ تغيير في لوني؟ وحتى لو حدث ذلك بعد مئة سنة، لكان الأمر ذاته. كان صعبًا وبغيضًا للغاية بالنسبة إليّ بحيث يكون من القبيح التحدّث عنه. كان سارًا من نواحٍ أُخرى. إلا أنَّ البغض هيمن باستثناء هذا الجانب. وأنا فضّلت **مولانا**.

٧٧٢- ٧٣

---

(366) «تل باشر». اسم قلعة في ضواحي حلب.

(367) المسجد الجامع. رُبّما يقصد شمس المسجد «الأموي» أحد أقدم وأشهر المساجد في العالم الإسلامي.

(368) الجنة دمشق. كان «ابن جبير «تُوفي ١٢١٧», والمؤلف لقصة رحلة شهيرة, مفتونًا بجمال المدينة. يقول في وصفها: «كم هم محقون أولئك الذين قالوا عنها «لو كانت الجنة على الأرض لكانت دمشق بلا ريب، وإذا كانت في السماء فإنَّ هذه المدينة تُضاهيها بهاءً وتُعادلها جمالًا». يُكرِّس الرومي غزلية من أربعة عشر بيتًا لهذه المدينة «D # ١٤٩٣». حسب أفلكي, فقد نظمها في الطريق إلى «دمشق» عندما ذهب إليها بحثًا عن شمس بعد اختفاءه الثاني. تبدأ «أنا عاشق لدمشق ومفتون ومجنون بها, لقد أضعت روحي وهام قلبي في دمشق»، ويقول في بيت آخر: «دمشق هي جنة الرؤية في هذه الدنيا, أنا في انتظار رؤية الجمال في دمشق»، ويقول البيت الأخير: «لو كان مُعلّمي شمس الحق من «تبريز» موجودًا هناك, سوف أكون سيد «دمشق» ..... يا لي من سيد لدمشق!».

(369) عندما أتيتَ إلى حلب. من المفترض أنَّ المخاطب هو «سلطان ولد».

فهرس ومعجم الألفاظ الصعبة

الوضوء. طقس نظافة تحضيرًا للصلاة.

أبو بكر «الصديق» صاحب النبي وأول خليفة للمسلمين.

أبو بكر، الشيخ اِنظُر الملاحظة ٢- ١٥٦.

أبو بكر ربابي «عازف الربابة»، مخادع ومحتال يُضرب به المثل. يقرن الرومي بينه وبين جحا كلص في البيت التالي: يا بلية كلِّ روح، يا نشَّال كلِّ جحا ـ لقد سرقتَ الربابة من يد أبو بكر الربابي». إلَّا أنَّ الرومي يُلمّح أيضًا إلى روايات تُقدّمه كوَليٍّ لم يتكلّم لسبع سنوات.

أبو حنيفة. «تُوفي ٧٦٧» أُطلق اسمه على مذهب الفقه الحنفي.

أبو هريرة. صاحب النبي.

أبو لهب، عمّ النبي وأحد ألد أعداءه «خُلد في سورة المسد من القرآن، التي تتكلم عن عاقبته السيئة».

أبو الحسن خرقاني «تُوفي ١٠٣٣». شيخ صوفي.

أبو نجيب. انظر الملاحظة حول ٣- ٤٥

أبو سعيد. على الأرجح هو أبو سعيد أبي الخير»تُوفي ١٠٤٩».

أبو يزيد البسطامي «تُوفي٨٧٤أو٨٧٧»، شيخ صوفي عرف جيدًا وبشكل خاص بعبارة التعجّب الوجدانية «سبحاني ما أعظم شأني».

أبو يزيد طاقوي. **إنظُر** الملاحظة حول ٣- ١١٤ .

آدم، زلة آدم، إبن آدم «آدمي»، **إنظُر** انسان، آدمي.

الآخرة، **إنظُر** الدنيا.

أحمد، النبي محمد.

أحمد الزنديق، **انظر** الملاحظة حول ٢- ٢١٠

عائشة، إحدى زوجات النبي، بنت أبي بكر.

أخلطي، غير معروف.

أخسيكاتي، أثير الدين.

أكسراي، غاية الطريق، **إنظُر** الملاحظة حول ٢- ٣٢

علاء، غير معروف.

علاء الدين، الابن الثاني للرومي. إنظُر الملاحظة حول ٣- ١٩٦

علي، ابن عم النبي وصهره ورابع خلفاء المسلمين، إشتهر بمناقبه كمحارب، ومُعلّم الأسرار المُقدّسة.

أَلِف، أول الأحرف الأبجدية العربية، غالبًا ما تُستخدم كرمز لأول مخلوقات الله «أي الروح، كما تُسمّى العقل الكوني والقلم الأعلى. يلي **الألف** أحرف الباء، التاء، الثاء، الجيم، والدال.

الزكاة ٢،٦٧، ٣،٦٨، ١٤٣. صدقة ٢،٢٣، ٧١، ٢٠٥، ٩١، ٩٩، ١٤٩، ١٥٦، ١٦٦

أمين قماز، غير معروف، ورد ذكره مرة واحدة.

أمين الدين، من المحتمل أن يكون أمين قماز ذاته. ويُمكن أن يكون أمين الدين ميكائيل، الذي كان نائبًا للسلطان بين ١٢٥٩-١٢٧٧، والذي كانت زوجته من أنصار مولانا.

أناضول، حرفيًا «روما» الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

واقعة. رؤية حقيقية، عادة ما تحدث في اليقظة. إنَّ المعنى الحرفي للكلمة هو ظهور، حدث، حادثة. يأتي الاستعمال الفني من الآية القرآنية في سورة الواقعة «**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ. لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ**» نزلت الآية لتُشير إلى يوم الحساب أو الموت، عندما تسقط الحجب ويرى الناس الأشياء على حقيقتها.

شهوة. رغبات النفس الحيوانية، خاصة الشهوة الجنسية. اِقترن هذا المصطلح في علم النفس الإسلامي بمفهوم «الانفعال» و«الغضب». يُسمّي الغزالي الشهوة والغضب خنزير النفس وكلبها. لكلٍّ منهما دور مناسب يُؤديه، ولكن ينبغي إبقاؤهما تحت رقابة العقل. يستخدم العديد من المؤلفين كلمة «شهوة» بالتبادل مع كلمة «هوى» غير أنَّ شمس يُميّز بينهما.

أرشد، معلم صوفي في قونية. يعتقد محرر النص أنه هو رشيد الدين نفسه.

أسد. معاصر لم يعترف له شمس بالمكانة الرفيعة، وحسب أفلكي فقد عاش في «سيفاس».

زهد. بحرفية أكثر «الانصراف عن»، تحويل نظر المرء عن الدنيا والتركيز على الآخرة. غالبًا ما يُقارن الرومي والصوفيون الآخرين بين الزهاد الذين يعمدون إلى زج أنفسهم في انضباط صارم في إنكار الذات، والمحبين المنغمسين في **المحبوب** بحيث لا يُفكّرون في النفس.

الأشعري، أبو الحسن. أُطلق اسمه على الأشعرية، التي تُمثّل التيار الرئيس لعلم العقيدة السني.

آسيا، زوجة فرعون. تُعتبر هي ومريم أكثر نساء ما قبل الإسلام تقوى. فقد ذُكرت في القرآن «التحريم ١١».

طموح «همة». قدرة النفس على التركيز على غاية الطريق. كما جاء على لسان الرومي: «يطير الطائر بجناحيه، أمَّا المؤمن فيطير بطموحه».

أثير الدين أبهري. «تُوفي ١٢٦٤ تلميذ فخر الرازي وفيلسوف بارز.

فريد الدين العطار. تُوفي «١٢٢١» أعظم أسلاف الرومي باعتباره شاعر صوفي فارسي، اشتُهر بكتاب **منطق الطير**.

جذب. اجتذاب الله للنفس تُقارن بـ «السلوك». حسب قول صوفي مبكر: «جذبة واحدة من الله تعدل كلَّ الأعمال الصالحة للجنّ والإنس».

صفة، عالم الصفات. أي وصف، ميزة، سمة. تسمية مناسبة لله، عادة ما تُستخدم كمرادف لـ «اسم». تتم مقارنة الصفات أو الأسماء مع **الذات**. والتي هي الله في حدّ ذاته، والذي يسمو على الأسماء والألقاب.

ابن سينا. «تُوفي ١٠٣٧» أعظم الفلاسفة المسلمين.

أوحد. ربما يكون أوحد الدين كرماني «تُوفي ١٢٣٨»، كان أحيانًا صاحبًا لابن عربي وهو مُؤلف للعديد من الرباعيات الفارسية. اشتُهر بعادة النظر إلى الفتية لرؤية انعكاس **المحبوب**. إنَّ أفلكي «٦١٦»، هو المصدر للحكاية المشهورة عن لقاء شمس بأوحد الدين في بغداد وانتقاده لعادته: حيث قال له «ماذا تفعل؟» فأجابه «أنا انظر إلى القمر في دلو الماء؟» قال شمس، «إذا لم يكن في رقبتك دمَّل، فلماذا لا تنظر إليه في السماء؟ ينبغي أن تجد طبيبًا يستطيع أن مداواتك».

عياض. «تُوفي ١٠٥٧» ٢،٦٩ ،١١٩ ،٣،١٧٨. عبد تركي، كان المفضل لدى السلطان محمود، وأحد كبار المسؤولين. كان حبهما مضربًا للمثل. يُخصص الرومي له عددًا من الحكايات في المثنوي.

عين القضاة همداني. تُوفي ١١٣١» . ٢- ٧٩. صوفي ذائع الصيت، أحد مريدي أحمد الغزالي، ومُؤلف لكتب بالعربية والفارسية.

باكتراس. ٣- ٢١٢نهر.

بدر زرير. ٢- ١٧٥ذُكر فقط في هذا المقطع.

بهاء. قاضي. ٣- ١٧٢غير معروف: ذُكر هذه المرة فقط.

بهاء الدين. **إنظُر** سلطان ولد.

بهاء ولد. ملاحظات ٢- ٢٣٤

اعتقاد. قناعة، العقيدة التي يُؤمن بها المرء. يستخدم شمس الكلمة عادة للإشارة إلى إخلاص المريد واعتقاده بشيخه.

مؤمن. شخص صاحب إيمان؛ مسلم حقيقي. **انظر** إيمان.

محبوب «معشوق». «١،٣١»، «٢،١١٨، ١١٩، ١٢٧، ١٦٠»، «٣،١٢، ٩١، ٢٠٠». المحبوب «الله» «٢،١٩٤، ١٩٩، ٢،٧، ٨٨، ١٠١، ١٠٢، ١٤٠»، «٣،١٥٤، ١٩٤». حبيب الله «٢،٢٤٩، ٤٤»، «٣، ٢٠٧».

كتاب الله. ٢،٨٨، ١٢٧. القرآن.

بو لطيف. ٣،١٨٩غير معروف.

بهلول. «توفي ٨١٦». ٢،٢٣٨. مهرج حكيم خلال زمن هارون الرشيد. يروي عنه الرومي نادرة في المثنوي II ff١٨٨٤.

بخاري، أبو إبراهيم مستملي. «تُوفي ١٠٤٢». ملاحظات ٢- ١١٩

هوى. نزوات النفس، الرياح الداخلية التي تعصف بالنفس في هذا الاتجاه أو ذاك، تتمّ مقارنتها بالعقل. ينتقد القرآن «صاحب الهوى» ويعتبر ذلك معادلًا لأسوأ الخطايا كلّها وهو الشرك «الفرقان ٤٣» «القصص ٥٠». إنَّ العقل قادر على تسخير الهوى والتحكّم به وتوجيهه نحو الخير.مثال ٣- ١٤٨». يأخذ شمس معنى الهوى الاعتيادي في عين الاعتبار، ولكنه يتكلّم أيضًا عن نوع آخر من الهوى والذي يُمكن أن يكون عقبة خطيرة أمام أولئك المتقدمين للغاية على الطريق إلى الله «مثال ٢- ١٥٦، ٣- ٩١».

أسباب. أسباب ثانوية. ٧٤،٢، ٧٧،٣، ٢١٣. أمور وأحداث، وظواهر العالم. تظهر الأسباب الثانوية حكمة **السبب الأول** ألا وهو الله. **انظر** SPL ٢١-٢٢

يقين. ١٢٢،٢العلم المدْرَك للحقيقة. **انظر** إدراك.

خُلُق. ملاحظات. الصفات البشرية الجيدة والسيئة؛ الفضائل والرذائل. من المحتمل ألَّا يُخالف شمس، إبن عربي عندما قال: إنَّ جوهر المسلك الصوفي هو «التحلي بصفات الله»، أي أن تصبح أهلًا لأسماء الله وصفاته، وذلك ممكن لأنَّ الله خلق الإنسان على صورته.

كرامات. عمل معجز يأتي به ولي؛ يختلف عن المعجزة التي يأتي بها النبي.

عذاب. إنزال العذاب، خاصة بعد الموت.

فتوَّات ٢٤،١.

حِلم.. كياسة ولطف ورحمة.

خرقة. ٢،٦٦، ١٠٠، ٣،٢١، ٢٣، ٤٤، ١٠١، ١٠٤، ٢١٦. الخرقة تتكلم ٢،٣٦، ٣،١٤٠. رداء كان يُمنح للمريدين كعلامة على الافتتاح، أو الاستخلاف، أو الإذن في البدء. إنَّ المعنى الحرفي للكلمة هو خرقة، أو رقعة، لأنَّ العباءة كانت تخاط تقليديًا من قطع قديمة من الثياب كعلامة على الفقر.

فاتر، فتور. ١،٢٢، ٤٧، ٢،١٢٦، ١٦٤، ٢٢٥، ٢٣٤، ٣،٥٦، ٦٤، ٧٠، ٧٧، ٨٧، ٩١، ١٦١، ١٩٤حار ٢،٣٧، ٩٥، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٣٣، ١٦٠، ٣،٨٥، ١١٤، ١٥٩

لون ١،٣١، ٥٠، ٢،٤، ١٠٠، ١٤٣، ١٩٩، ٢٣٠، ٣،٢٣، ٧٥، ٢٢٣. ملونة بلون واحد ١٤٢، ٢، ٣،٢٥٤. **انظر** تلوُّن.

صاحب. ٢،١٧٦، ٢٠٤، الصاحب بمعنى»الله» ١،٩، ٣٧، ٢،٢٠، ٢١، ٨٧، ١٥٧. الصاحب بمعنى المريد لشيخ ما أو رفيق على درب الله ٢،١٠١، ١٥٥، ١٥٩، ١٩٤، ٢٤٥، ٣،١، ١٩، ٣٧، ٥٧، ٦٠، ٦٣، ٦٦، ٧٣، ٧٤، ٨٥، ٩٩، ١٠٧و ١٣٥، ١٤٣، ١٤٨، ١٦٤، ١٧٣، ١٧٦. أو من التقى بالنبي شخصيًا ٢،٦٨، ٧٨، ١٢٤، ١٤٣، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٢، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٣،١٣٥الصحبة١،٢٠، ٤٧، ٢،٣، ٤٣، ٩٠، ١٢٩، ١٨٥، ٢٥٣، ٣،٢٦، ٤٤، ٥٦، ٧٠،٩١، ١٠٤، ١٢٨، ١٣٩، ١٧٣، ٢٠٣، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٣ .

موافقة. إتباع، والاتفاق مع شيء ما أو شخص ما، تُقارن بمعارضة.

طُبِخ، أنضجته نار الحُبّ، عكس فج. في بداية المثنوي "١١٨" يقول الرومي «ما من فج يعيش حال الناضج».

أدب. سلوك لائق. ارتبط في المفردات الصوفية، بالحكمة والمراقبة الحسنة لسنة النبي.

عهد، الاتفاق بين الله والبشر عند خلقهم. لقد ذكر في عدد من السور القرآنية، كما في «سورة يس ٦٠» «**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنِ اعْبُدُونِي...**».

جفاء. تقارن بـ لطف. إنَّ جفاء المحبوب «أو الشيخ» يُبقي المحب «أو المريد» على مسافة وفراق. يرتبط المصطلح بشدة بالصرامة والغضب.

رقص. **انظر** «سما».

موت. ١، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٤٧، ٢، ٥٤، ١٢٦، ١٤١، ١٧٤، ٢٠٦، ٣، ١٤٠. موت النفس ٢، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٨٤

بحث. تعني الكلمة العربية كلًّا من التحقيق والنقاش. تستخدم عادة للدراسة الجماعية وتأويل النصوص التي تجري في المدارس.

على نحو مخادع، مغالطة. تُلمح الكلمة إلى إيقاع الشخص في الخطأ. في الفلسفة، تملك الدلالة الفنية لكلمة سفسطائية. يستخدمها شمس للإشارة إلى العبارات الخاطئة، حتى لو كانت تثقيفًا للجاهل. قارن استخدامه لكلمة «نفاق».

قضاء. قضاء الله في خلقه.

خلاص. الخلاص من الخطيئة.

درويش. هي الكلمة الفارسية التي تُوازي كلمة «فقير» في اللغة العربية. يُمكن أن تعني الكلمة شخصًا فقيرًا أو متسولًا، ولكنها تقنيًا تعني مَن يسلك مسلك التصوف بنية تحقيق الفقر، كما أنَّها المقام الروحاني **لمحمد**. إنَّ المصدر القرآني لفكرة الفقر هذه هو «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**» «فاطر ١٥». إنَّ كون المرء درويشًا هو أن يعترف بفقره وانعدام قيمته أمام الله. إنَّ الدرويش المثالي بالنسبة إلى شمس والرومي قد فني في الله، فتكلّم الله من خلاله. يُشير شمس أحيانًا إلى نفسه بصيغة الغائب على أنَّه درويش.

فراغ. أن تكون خاليًا وحرًا.

ذو اليدين. «يستخدم كلا اليدين» أحد صحابة النبي واسمه الكامل موضع خلاف.

إلحاد، ملحد. انحراف عن التعاليم الصحيحة، مرادف تقريبي لكلمة بدعة. عادة ما يتمّ تطبيق الكلمة على أعداء المرء فيما يخصُّ علم الأصول. إلَّا أنَّ شمس يستخدمها أحيانًا للإشارة إلى بعض تعاليمه الخاصة التي ستكون موضع اتهام في أعين معظم الفقهاء.

تمييز. رؤية الأشياء كما هي من خلال نور الله.

مريد، تابع الشيخ.

انضباط «زهد» «أنواع من الرياضة». تدريب مضني على درب الله؛ مرادف تقريبي لكلمة مجاهدة.

تجلي. إظهار الله **ذاته** للطالب. كشف الحجاب.

فظاظة. ميزة غير مرغوبة. **إنظُر** لطف.

تجريد. التحرر وفكّ التعلق، من صفات النفس النقية، أو الفكر المتحقق، أو الروح المقدسة.

تفرقة. الابتعاد عن حضرة الله، تُقارن بجمع.

شُرْب. احتساء الخمر.

الثمالة. إنَّ السكْر والصحو هما حالان متناقضان يُمكن اختبارهما في الطريق إلى الله. في تحليل نموذجي، يُقال إنَّ الثمالة الأولى هي يقظة كلّ يوم، والتي تتطابق مع الغفلة عن الله. بعدها ينتقل الطلاب إلى صحو الالتزام بالشرع **والطريق**. في النهاية، يُصبحون سكارى من ذكر الله ونسيان الدنيا. أخيرًا يُحققون «الصحو بعد الثمالة» حيث يرون كلَّ شيء في مكانه الملائم. **إنظُر** ٢، ١٥٤-٥٦

أنانية. العيش في الهوى، أو أن تغلب عليه النفس الأمارة بالسوء.

خاص، خواص. أولياء الله المقربون، تُقارن بالعوام. **إنظُر** الحديث، «أهل القرآن. . . .»

لقاء. مستمد من القرآن، ينطبق المصطلح عمومًا على لقاء الله بعد

الموت. يستخدمه الصوفيون أيضًا كمعنى للعثور على الله في هذه الدنيا والعيش في **حضرته**.

إيرزيرم. مدينة.

ذات. ٢،٢٣٥، ٢٤٩، ٣،١٦٨. ذات الله ١،٣٥، ٣٦، ٢،١٤٢، ١٥٧، ١٨٤، ٢٢٤، ٢٥٠. الشيء نفسه، عكس صفة.

قديم. أبدي. **انظر** حَدَث.

تفسير. شرح معنى القرآن الكريم. غالبًا ما تُقارن بـ «التأويل،» وهي محاولة للبحث أكثر عمقًا في النصّ.

وجود، كيان. ١،١، ٢، ٤٩، ٢،٧٩، ٨٦، ١٠٠، ١٠٧، ١٣٠، ١٥٠، ١٩٦، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٤٤، ٣،١٥، ٢٣، ٥٢، ٧٥، ٨٧، ١٠٩، ١٥١، ١٩٥، ٢٠٠. وجود الله ٢،٩٩، ١٠٦، ٢٤٤. إنكار الوجود ٢،٩٦، ٩٧، ١٣٠، ١٨٣، ١٩٩، ٣،١٨٠، ١٨١، ١٩٥. بالمعنى الصارم ينتمي الوجود لله وحده. بالمعنى المرسل يدل الوجود على الله وعلى كلِّ ما سوى الله. إنَّ وهم الوجود على نحو مستقل عن الله هو جذر الجهل بالوضع الإنساني والمصدر الأساسي للمعاناة. يكمن العلاج في فناء الوجود المزيف وبقاء الوجود الحقيقي.

إيمان، صفة المؤمن. يُعرّف الإيمان تقنيًا أنَّه معرفة الحقيقة في القلب، ولفظها باللسان، ووضعها موضع التنفيذ بالجوارح. إنَّ الحقيقة التي هي موضوع الإيمان تشمل العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر. اِنظُر موراتا الرؤية ff٣٥.

فخر الدين، غير معروف.

فخر الدين الرازي «تُوفي ١٢٠٩» عالم في أصول الدين وفيلسوف، والذي أطلق عليه الجيل اللاحق لقب «شيخ المشككين». إنَّ رواية شمس «٢،٥١» عن كيفية استعراض فخر لعلمه أمام خوارزم شاه، تُلمّح إلى شيء من شهرته.

فقير. **انظر** درويش.

الفاتحة. أول سورة في القرآن، تُقرأ في كلِّ ركعة في الصلاة.

فاطمة. بنت النبي وزوجة علي.

فتوى، حكم شرعي. رأي الفقيه في مسألة معينة.

سعادة. على وجه التحديد سعادة الجنة. تُقارن بشقاء، بؤس الجحيم.

إتباع، اتخاذ النبي محمد كمرشد على طريق الله. غالبًا ما تُستخدم كلمات من الجذر نفسه في القرآن الكريم. يتمّ التعبير عن هذا المفهوم بوضوح في آية: «**قُلْ** [يا محمد] **إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**» «آل عمران٣١». إنَّ فكرة «سنَّة» النبي وعُرْفِه ودأبه ما هي إلَّا جزء من إتباع محمد. بالنسبة إلى شمس فإنَّ الإتباع هو السمة المفتاحية التي يجب أن يتمتع بها الطالب، إلَّا أنَّ السنة النبوية التي في ذهنه ليست مقتصرة على الأفعال المادية والأخلاقية، باعتبار أنَّها تشمل الأحوال والمقامات كذلك الأمر «مثال ٢،٧٤».

كرسي، آية الكرسي. إنظُر العرش.

حرام. ما تنصُّ الشريعة على عدم شرعيته. عكس «حلال» و«مباح».

صورة. ٤٩،١، ٧٣،٢، ١٠،٣. صورة الله ٤٢،٢. الجانب الظاهر من الشيء، عكس المعنى. إنَّ «أهل الصورة» يُدعون كذلك «أهل المعنى الظاهر» وهم العلماء الذين لا يرون إلَّا الأمور السطحية ولا يدخلون إلى البعد الروحاني للأمور ٢٤٦،٢

الفرنجة، القوات الصليبية.

صديق، صداقة. ١٨،١، ٢٨،٢، ٣٣،٦٢، ١٦٧، ٢١٤، ٢٢٩، ٢،٣، ١٢، ٦٧، ٧٢، ٨٠، ٨٤، ٩٩، ١١٥-١٩، ١٤٣، ١٥٧، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨١، ١٨٦، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢٣،٢٠٧. صديق الله ١١٦،٢. صديق بمعنى «الله» ٣٧،٢. تستخدم كلمة صديق كمرادف لكلمة صاحب، وولي، ومحبوب.

نظرة ١٥،٢، ٦٣، ٨٧، ١٠٥، ١٣٧، ١٩٦، ١٩٩، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢،٣، ٤٥، ٥٢، ٩١، ١٠٣، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٥٣، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٩. النظرة الكاملة ٤٧،٢، ١٤٥،٣.

لطف.١٢٧،٣ . وشدة ١٨،١، ٧٩،٢، ٨٩، ١٥٧، ٢٣٢، ٢٥٣، ٣،٣، ٨٨، ٥٣. إن اللطف رحمة، وطيبة، واهتمام. تُقسم الصفات الإلهية غالبًا إلى فئتين رئيسيتين: صفات اللطف وصفات الشدة، أو الرحمة والغضب، أو الجمال والجلال. إنَّ هذا التقسيم هو أمر أساسي في نظر كلٍّ من شمس والرومي. فهناك سلسلة كاملة من الميزات

والصور مرتبطة بالجانبين كليهما. ترتبط الطيبة، على سبيل المثال، بالملاك، العقل، الفردوس، النور، آدم، الولي، الوصل، الدين، المعنى، الأمل، الضحك، الشمالة، البهجة، الوفاء، السكَّر، الربيع، النهار والوردة. بينما ترتبط الشدة بنقائضها «الشيطان، الغرور، الجحيم، الظلمة، إبليس، الكفر، الفراق، عدم التدين، الصورة، الخوف، الدموع، الصحو، الحزن، الجفاء، الخل، الخريف، الليل، والأشواك».

غزالي، أبو حميد محمد «تُوفي ١١١١»، عالم أصول وصوفي ذائع الصيت. عُرف بكتبه العديدة **«إحياء علوم الدين»**. لقد أعاد كتابة هذا الكتاب بالفارسية بأسلوب أكثر شعبية وأسهل منالًا بعنوان **«كيمياء السعادة»**.

غزالي، أحمد «تُوفي ١١٢٣»، الأخ الأصغر لأبي حميد الغزالي. كتب أحمد كتبًا باللغتين العربية والفارسية أشتهر منها كتاب **«ساواني»** بالفارسية، وهو عرض تقليدي لحُبّ الله. عُرف بتدريسه لفترة من الزمن مكان أخيه في المدرسة النظامية في بغداد. من المستغرب تصوير شمس له على أنَّه أُمّي، الأمر الذي دفع المحرر إلى الاقتراح أنَّ هذا أحمد غزالي آخر.

غزالي، عمر، هو أخ غزالي الثالث، غير معروف من أيّ مصدر آخر.

معرفة. عارف، إنَّ كلمة معرفة هي غالبًا وببساطة مرادف لكلمة علم. لقد استخدمت، تقنيًا، بمعنى معرفة الله الحقيقية المباشرة، دون تعلم وسيط، إنَّها تُعادل كلمة كشف تقريبًا. إنَّ العارف هو العارف بالله، الشيخ الصوفي.

الله ٢،٦٥، ١٠٢، ١٠٢،٣، ١٧٤، ١٨٠. شذا الله ٢،٥٩، ٢١٩. تُصبح إلها ٢،١٧٥، ١٨٤. رؤية الله ٢،٣٦، ٨٤، ٨٦، ١٢٢، ١٨٤، ١٨٨. عدم تغيّر الله ١،٣١. دنيا الله ٢،١٨٧، ٢٣٤، ٣،٤. **إنظُر الحق**.

يأجوج، يُخبرنا القرآن أنَّ ذا القرنين «يُقال أحيانًا أنه الإسكندر الكبير» بنى جدارًا ليحجز قوم يأجوج ومأجوج الذين سوف يُطلق سراحهم في آخر الزمان. لمزيد من التفاصيل إنظُر الكسائي، هنا وهناك.

الأكابر. الشيوخ، الأولياء.

هداية. صفة مقدسة مُجسّدة في الأنبياء والكتب المقدسة، نقيضها «ضلال» يكون باديًا في إبليس وأتباعه.

الحديث. قول النبي محمد، تُشير الكلمة إلى المجموعة الكاملة للأقوال النبوية.

الحجّ. فريضة الحجّ إلى مكة.

حجَّاج أحد مريدي والد الرومي، بهاء ولد، قدم معه من «خراسان» إلى «الأناضول». يحكي الرومي طرفة عنه في Fih ٢٣٠

الحلاج. «تُوفي ٩٢٢» الشهيد المتصوف الشهير، قيل أنَّه أُعدم لقوله «أنا **الحق**».

حامد. شيخ، غير معروف.

هارون الرشيد، «حكم ٧٨٦ – ٨٠٩»، خليفة عباسي، اشتهر في الغرب بحكايا ألف ليلة وليلة.

هو. يعتبره البعض اسم الله الأعلى. باعتباره «اسم إشارة» يتم اتخاذه اسمًا للذات الإلهية، حيث لا يُمكن لأيِّ شيء إيجابي أن يُعبّر عنها «الاسم الذي يمكن تسميته ليس الاسم». يستخدم الرومي غالبًا الكلمة الفارسية «an» أي «ذاك» بالمعنى نفسه.

قلب. ١،٣٨ ، ٢،٢ ، ٨، ١٩، ٤٠، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٨٤، ٨٥، ١٢٠، ١٤٤، ١٥٧، ١٧٢-٧٨، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٧، ٣،٨ ، ٣٩، ٤٦، ٥٤، ٥٩، ٨٦، ١٢٠، ١٤٣، ١٤٥، ١٨٤. انكسار القلب ٢،١٧٦ ، ١٧٧، ٣،٨٨ ، ٢٠٥،١٤٩. صاحب القلب ٢،١٧٥ ، ٣،١٠٩ ، ١٤٩، ٢٠٣. دنيا القلب ٣،٥٢. القلب هو مركز الوعي الإنساني والذات، مكان معرفة الله. «صاحب القلب» ولي. انظر SPL، فهرس تحت كلمة قلب.

السماء. السماء الرابعة. السماء السابعة. السماء هي المناطق العليا من العالم الموجود؛ الأفلاك السماوية؛ ينبغي عدم الخلط بينها وبين جنة الفردوس.

غافل. من نسي الله.

زندقة. ٣،٧. **انظر** إلحاد.

الحور. الحور العين في الفردوس واللاتي ذُكرنَ في القرآن.

آل البيت، عائلة النبي «بالتحديد ابنته فاطمة، وزوجها علي،

وولديهما الحسن والحسين».

همام. من ذكره عدة مرات يتضح أنَّه ووالده كانا من جماعة الرومي.

إنسان، آدمي. ٢،١٩٤-٩٨. غاية الإنسان ١٣،٢. الإنسان كعالم مصغر٢،٩٦، ١٧٥، ١٩٤-٩٨، ٣،٥٢، ١٤١

تواضع. عدم التكلف، تصرف المرء مع الاعتراف بعيوبه.

نفاق. تُقارن بإخلاص. تُفهم إجمالًا بمعنى الالتزام الظاهر بالإسلام مصحوبًا بالرفض الباطن. يُعتبر أسوأ الانحطاط الأخلاقي، حيث يضع القرآن المنافقين في الدرك الأسفل من النار. من ناحية أكثر عمومًا، تعني «أن تُظهر بخلاف ما في قلبك». يتحدّث شمس غالبًا عن النفاق بالمعنى السلبي المعتاد ١- ٣٠لكنَّه يُعطي الكلمة كذلك انعطافًا إيجابيًا غير متوقع، قائلًا إنَّه ينبغي على الأنبياء والأولياء أن يكونوا منافقين كي يُرشدوا الناس إلى الطريق القويم «٣،٦٧، ٦٩». في ضوء هذا الفهم، يبدو المصطلح شبيهًا بالمفهوم البوذي Upaya.

إبليس، الاسم الشخصي للشيطان.

ابن عباس، أحد صحابة النبي الذي نقل عنه الكثير من الأحاديث.

ابن عربي، محي الدين محمد بن علي، أعظم معلمي نظرية التصوف. وُلد في «مرسية» في الأندلس، عاش في دمشق منذ ١٢٢٣حتى وفاته في ١٢٤٠. وفقًا لأحد أوائل الروايات غير الموثقة، فقد التقى معه الرومي في شبابه. قد يكون الشيخ محمد نفسه وقد لا يكون. «اِنظُر المقدمة».

ابن مسعود، أحد صحابة النبي المعروفين.

إبراهيم، شيخ. أحد المُشاركين في النقاشات مع شمس، كان قد عرف شمس قبل مجيئه إلى قونية. يقول الرومي عنه، «إنَّ الشيخ إبراهيم درويش لطيف. عندما أراه، أتذكّر أصدقائي. لقد كان لمولانا شمس الدين عاطفة كبيرة تجاهه. لقد اعتاد أن يقول «شيخي إبراهيم» ناسبًا إياه إلى نفسه». رُبّما يكون هو ذاته قطب الدين إبراهيم، أحد مريدي والد الرومي الذي أصبح لاحقًا مقربًا من شمس «أفلكي ٦٣٢».

إبراهيم أدهم «تُوفي ٧٧٦أو ٧٩٠». الصوفي الشهير الذي قيل أنَّه تخلّى عن عرش «بلخ» من أجل دخول الطريق.

صنم، وثن.

إدريس، الاسم القرآني للنبي «أنوش»، اعتُبر عادة أنه «هيرميس» ذاته.

إخوان الصفا. من أوائل المدارس الفلسفية ذات ميول قوية تجاه الأفلاطونية الجديدة والفيثاغورثية.

عماد، مُعلّم صوفي في «قونية» وأحد مريدي أوحد الدين كرماني. لم يكن رأي شمس جيدًا عنه. إلَّا أنَّه يمكن أن يكون هناك آخرون يحملون الاسم نفسه في النص.

عماد الدين، من المحتمل أن يكون عماد نفسه.

خيال، تخيل. ٢،١٥ ، ٦٧، ٩٤، ١٠٠، ١٠٥، ١١٣، ١٥٩، ٢٢٥، ٣،٣٩ ، ٥٣، ٥٤، ١٠١، ١٠٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٦٤. يأخذ شمس المصطلح إجمالًا بالمعنى السلبي، إلَّا أنَّه في بعض المناسبات يُقرُّ بدوره الإيجابي ٢- ١١٣.

إمام، الشخص الذي يقود الصلاة.

تقليد. إتباع معتقدات الآخرين دون معرفة المرء لحقيقة نفسه، عكس تحقيق.

حلول. فكرة حلول الله في نفس إنسانية والتي طالما تمّ انتقادها في الفكر الإسلامي.

بدعة، تعليم أو ممارسة يتمّ تقديمها على أنَّها إسلامية، ولكنها لا تستند إلى القرآن أو السنة.

إلهام، معرفة العالم الروحاني، أو إلهام من الله. عمومًا، ولكن ليس دائمًا، يتميّز الإلهام عن الوحي، فالرسالة يتلقّاها الأنبياء فقط.

فكر «عقل» ١،٣٣، ٣٨، ٤١، ٤٧، ٢،١-٣، ٨، ١٤، ٢٢، ٧٢، ١٠٧، ١٠٩، ١٨٧، ٣،٤١، ٦٢، ٨٨، ١٠٢، ١٤٨، ١٨٠ محفوظ ٢،٤٥. عقل دنيوي ٢،٣، ٢٧. الحقيقة الفكرية «معقول» ١،٣٦، ٢،٢٧، ٤٥، ٥٤. عاقل ١،٤١، ٢،٥٩، ١١٩، ٣،٧٣، ٩٣، ١٠٢. إنَّ العقل هو ميزة النفس البشرية والذي يُميّزها عن النفس الحيوانية. يُستخدم هذا المصطلح عادة بالمعنى الإيجابي، للدلالة على قوة العقل التي تفرق بين الحقيقة والزيف، الصحيح من الخطأ. تُقارن عادة مع الهوى. إنَّ العقل في الفلسفة الإسلامية هو إشعاع

النور الإلهي. في المقابل فإنَّ النفس هي العقل الكامن الذي يحتاج أن يتحقق. تحمل الكلمة بالنسبة إلى كلٍّ من شمس والرومي معنى إيجابيًا، لكنَّها يمكن أن تعني عقلانية جافة، مجردة من حُبّ الله وخالية من البصيرة النافذة إلى طبيعة الأشياء. إنَّ «العقل الكلِّي» هو أول مخلوقات الله، والذي **خلق** من خلاله الكون. يتمّ تعريفه **بالقلم**، الذي يكتب أقدار المخلوقات جميعها على **اللوح**.

مصلحة. وسائل تحقيق الصلاح. أي عافية ونفع وصلاح النفس الإنسانية في هذه الدنيا والآخرة. **إنظُر** صلاح.

تأويل، تفسير معاني الكلمات، خاصة النصوص المقدسة. **إنظُر** تفسير.

سُكْر. **انظر** ثمالة.

ذكر، كلمة أو صيغة يتمّ من خلالها ذكر الله وتذكرّه، تكون إجمالًا اسم الله أو عبارة مثل «لا إله إلا الله». من الأمور التي يُوصي بها القرآن بشدة، وهو الممارسة الصوفية الأكثر نموذجية. اِنظُر **تصوّف**، الفصل ٥

باطن، عالم الباطن. عكس ظاهر. عالم الروح، والمعنى والقلب، في مقابل عالم الجسد، والصورة، والجوارح. على المرء من وجهة نظر شيوخ الصوفيين النموذجية أن يجد التوازن المناسب بين الباطن والظاهر، الإظهار وعدم الإظهار، المضمر والعلني. ينتقد شمس الفقهاء لتشديدهم الكبير على الظاهر، كما ينتقد مختلف الصوفيين وأشباه الصوفيين لأنَّهم يُشوّهون سمعة الظاهر باسم الباطن.

عز، القاضي، ربما هو عز الدين محمد رازي «تُوفي ١٢٥٨» الذي كان وزيرًا، ووفقًا لأفلكي، فقد بنى مسجدًا لمولانا.

عز الدين، غير معروف.

جلال الدين. هو الرومي على ما يبدو.

جلال الورقاني. **إنظُر** الملاحظة حول المقطع ٢- ٢٥١

جمال. غير معروف، رُبّما هو ذاته جمال الدين، ذكر في مقالات ٢٨٩

غيرة. يُبالغ الصوفيون في حقيقة أنَّ كلمة «غيرة» في العربية مستمدة من كلمة «غير» أي الآخرين. إنَّ غيرة الله هي **أنَّه** لا يُريد من عبده أن يتخذ إلهًا غيره، ولذلك **يُدمِّر** كلَّ ما يُمثل حجابًا **لحقيقته**، أي كلَّ «الآخرين». كما يُوضّح الرومي تمامًا، أنَّ لغيرة الله ميزتان مكملتان: إنَّها تمحو الآخرين، وتمنع الذين يأنسون بالآخرين من الوصول إليه.

جحا. مهرج ووغد يضرب به المثل. يروي الرومي قصصًا عنه في المثنوي. **إنظُر** أبو بكر ربابي.

جنيد، أحد أكبر مُعلّمي الصوفية الأوائل.

فقه، فقيه. هو علم يُعنى بتطبيق تعاليم القرآن والسنة على المواقف العملية في الحياة مثل علم الشرع. يتسم عمومًا أنَّه علم التعاليم الإسلامية الظاهرة، في مقابل التصوف والذي هو علم التعاليم

الإسلامية الباطنة. يُمثل «الفقهاء» و«الدراويش» نهجين مختلفين إلى حدّ ما في وضع القرآن والسنة موضع التطبيق، على الرغم من إمكانية جمع النهجين في شخص واحد. هناك أربع مدارس فقهية في الإسلام السني وكلّها تُعتبر صحيحة على حدّ سواء.

الكعبة، بيت الله في مكة.

قلندر. صوفي متجول. يستخدم الرومي وآخرين المصطلح للإشارة إلى شيخ عظيم لا يُلقي بالًا إلى أعراف الدنيا.

خانقاه، رباط الصوفيين.

خاقاني، شاعر فارسي توفي في أواخر القرن الثاني عشر.

خارقان. قرية.

الخيَّام. عمر «تُوفي بين ١١١٢و ١١٣٦» فيلسوف وعالم رياضيات، اشتُهر في الغرب إثر ترجمة «إدوارد فتزجيرالد» لرباعياته.

الخِضر. شخصية نبوية غامضة أُشير إليه في قصة قرآنية عن موسى والتي يروي شمس بعضًا منها في ٢- ١٣٣. قيل إنَّ الخضر شرب من ماء الحياة وهو يظهر للأولياء من حين لآخر.

خراسان. المنطقة الشرقية من إيران الكبرى، بما في ذلك مدينة بلخ مسقط رأس الرومي.

خوئي. شمس الدين «تُوفي ١٢٣٩أو ١٢٤٠» إنظُر الملاحظة حول

خوجاندي. انظر شمس خوجاندي.

خونجي. شمس الدين. ربما يكون ذاته شمس الدين الخوئي.

خواجاجي. أحد مُريدي والد مولانا، ذكره شمس بضع مرات.

خوارزم شاه، علاء الدين محمد «حكم بين ١٢٠٠ – ١٢٢٠». ملك أخضع معظم إيران وهُزم بدوره من قبل «جنكيز خان».

القبلة، اتجاه مكة المكرمة، حيث يتجه المسلمون أثناء تأدية الصلاة.

كيميا، زوجة شمس.

كيرا. السيدة كيرا زوجة الرومي الثانية.

علم. ١،٤٧، ٢،١٥ ، ١٨، ٢٦، ٢٧، ٦٧، ٩٤، ٩٧، ١٣٣، ٣،٤ ، ٣٥، ٧٣، ٩١، ١٢٠، ١٦٣، ١٧٦، ٢١٠. علم لدنّي ٢،١٩٢. علم الله ١،١، ٢،٢٢٤، ٢٤٩. علم منقول ٢،١٥٤.

قارون، رجل ثري من شعب موسى ابتلعته الأرض «القصص ٨١».

شرع. يُشير المصطلح بالمعنى الواسع إلى دين الإسلام. يُمكن أن يدل بمعنى أكثر تحديدًا على الشريعة أو تعاليم الدين الشرعية «في مقابل **الطريق والحق**، الأبعاد الأكثر باطنية».

ليلى، محبوبة مجنون ليلى. يُحتفى بقصة حبهم في الأشعار العربية والفارسية.

نور. ١١،١ ، ٣٨، ٤١، ٥٤،٢ ، ٨٣، ١٠١، ١٠٤، ١٤١، ١٥٩، ١٦١، ١٧١، ٢١٣، ٢،٣ ، ١٨، ٥٦، ٦٩، ١٤٩، ٢١٩. نور الله ٦٤،٢ ، ١١٤، ١٢٤، ١٥٧، ١٧٦، ١٨٤، ٥٢،٣ ، ٩١، ١٨١، ٢٠١. نور محمد ٨٦،٢ ، ١٤٥، ٦٢،٣. في مقابل النار ١٥٧،٢، ، ١٦٤، ٩٠،٣

صفاء. نقاء الذهن والقلب.

أسد. حيوان

مكان. ٤٢،٢، ١٩٩، ٢٣٩. حيز٩٣،٣

منطق، منطقي. كان المنطق علمًا يُدرَّس بشكل رئيسي من قِبل الفلاسفة وعلماء أصول الدين.

سدرة. شجرة.

عشق، محبة. ٩،١، ٣١، ٤١، ٥،٢، ١٠، ١٤، ٢٢، ٤٨، ٧١، ٧٨، ٧٩، ١٠١، ١٠٣، ١١٠، ١١٢-١٥، ١٢٩، ١٣٥، ١٦٠، ١٩٩، ٣٦،٣، ٤٤، ٥٢، ٧٦، ٧٩، ٩١، ١٤٠، ١٤٧، ١٥٧، ١٧٣، ١٨٥، ١٩٢، ٢٠٥. عشق الله ٢٩،٢، ٧١، ١١٠، ١٥٥، ٢٢٥، ٩٠،٣، ١٠٢. عشق المنصب ٤١،١، ١٥٢،٣، ١٩٨. عشق الدنيا ٣،٢، ١٢٧، ٧٦،٣، ١٥٢. رسالة عشق ٢٢٢،٢، عاشق ٥،١ ، ٦٨،٢ ، ٧٤، ١١٢، ٤٤،٣ ، ١٠١، ١٠٣. العشق كسمة

إلهية، يُحرّك الكون، ويستدعي الخلق والعودة إلى الله، التعددية وإعادة التوحيد اللاحقة. لقد خلق الله البشر حبًا بهم «كنتُ كنزًا دفينًا وأحببتُ أن أُعرف»، ويعود البشر إلى الله حبًا به. يُبيّن القرآن، كما يُشير الصوفيون غالبًا، تبادلية ومساواة بين الله والبشر فيما يتعلق بالحُبّ فقط: « **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**» «المائدة ٥٤».

المعري، أبو العلاء «تُوفي ١٠٥٧». شاعر عربي ذائع الصيت.

العالم الكبير. الكون ككل، عكس العالم المصغر أي الإنسان.

مدرسة. مكان لدراسة العلوم الدينية، خاصة الفقه وعلم الأصول. تُقارن أحيانًا مع خانقاه.

محمود، ملك الدولة الغزنوية الثالث والأقوى.

جلال. سمة مقدسة؛ عكس جَمَال.

الملك العادل. «حكم ١١٤٦-٧٤» « لقب محمود بن زنكي، أتابك سوريا، الذي حكم في دمشق.

إنسان. رجل. ١٥٩، ١٨٩، ٢٢٣. رجل الحق ٣،٢٠ ، ٧٥، ٩٠، ١٤٧، ١٨٠. هو الولي والشيخ الحقيقي. مروءة «رجولة» ٢،١٤٥ ، ١٨١، ٢١٢، ٢١٣، ٣،٥٩ ، ١١٧، ١٢١، ١٤٣

منصور حفظة. «تُوفي ١١٧٥» أبو منصور محمد بن أسد نيسابوري، فقيه شافعي. كان في الصوفية مريدًا لنجم الدين كوبرا.

مولانا «الرومي». ١، ٢٧ ، ٣٨، ٢، ٢٣ ، ٢٩، ٣٥، ٣٧، ٧٧، ٢١١، ٢٢٩، ٣، ٧ ١٠٢، ١٤٩، ١٥٧، ١٦٥. نقده ١، ٤٧؛ ٣، ٢٤؛ ٧٣، ١٠١؛ ١٠٥، ١٢٠، ١٣٦، ١٤٠؛ ١٥٣؛ ١٧٤، ١٧٥، ١٩٤؛ ٢١٩. مريدوه ٣، ٦٠ ، ٦٣، ٧٣، ٩١. التلمذة لديه ٣، ٥٢ ، ٥٩، ٦٠، ٦٧. أحلامه ٣، ١٨٥؛ حِلمه ٣، ١٢٧ ، ١٣٣، ١٨٠، ١٨١. غيرته ٣، ١٧٨ ، فضله ٣، ٨٣. ماله ٣، ٨٨ ٩٤. وعظه ٣، ٢١ ، ٣٥، ٦٤، ٧٥، ٢١٣. حاله ١، ٥٣ ، ٢، ١٥٥ ، ١٦٧، ١٩٢، ٣، ٢٢ ، ٥٥-٦٤، ٦٧، ٨٩، ٩١، ١٥٢، ٢١٦، ٢٢٣. كلامه ١٨٦، ١٨٧، ٣، ٢٩ ، ٣١، ٣٤، ٥٩، ١٠٩.

معنى. ١، ٢٦ ، ٣٨، ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٢، ١٧ ، ٢٠، ٥٠، ٥٦، ٦٨، ٨٠، ٨٣، ١٥٠، ١٨٩، ١٩٢، ٢٢٦، ٣، ١٧ ، ٢٣، ٣٣-٣٥، ١٠٩، ١٢٠، ١٤٣. المعنى والصورة ٢، ١٩٠، ١٩٢، ٢٢٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٣، ١٠ ، ١٥٧. المعنى الظاهر ٢، ١٥٧. عالم المعنى ٢، ٩٢ ، ١٠١. الحقيقة الباطنة لشيء ما. عكس الصورة والخطاب. يُستخدم الثنائي «الصورة/المعنى» عادةً كمرادفان لـ «الجسد/الروح» أو «الظاهر/الباطن». نادرًا ما يُشير ببساطة إلى «معنى» أو «مغزى» شيء أو كلام ما، وإنَّما يُشير إلى الحقيقة الروحانية الباطنة التي ترتبط وجوديًا بالموضوع أو الكلمة الظاهرين واللذين يفضيان إلى وجودها الخارجي.

رسول، نبي جاء بكتاب مقدس. إنَّ كلَّ رسول نبي، ولكن ليس كلُّ نبي رسول.

معجزة. عمل يقوم به النبي يخرق قوانين الطبيعة. **إنظُر** كرامات.

معراج، الصعود إلى الله. حسب الروايات التقليدية، أسرى جبريل

بمحمد من مكة إلى بيت المقدس، ثمَّ عرج به إلى السماء السابعة حتى سدرة المنتهى في الفردوس الأعلى. من تلك النقطة صعد وحده. تُوجز هذه الرحلة تنزيل القرآن من الله على يد جبريل، وتُمثّل النموذج الأساسي للطريق الروحاني.

لحظة. ترادف تقريبًا، كمصطلح تقني، كلمة «حال»، على الأخص الحال الذي يعيشه المرء في اللحظة الراهنة.

مفتي، العالِم الذي يُصدر الفتوى.

محمد، النبي. ٤١، ٥٢، ٢٨،٢ ، ٤٧، ٥٠، ٥٢، ٥٦-٧٠، ٧٢-٧٤، ٧٨، ٨٣، ١٣٧، ١٥٩، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٤٧، ٢٥٣، ٣٤،٣ ، ٤٤، ٦٢، ٦٩، ١٢١، ١٤٠، ١٦٠، ١٧٨، ٢٠٧، ٢١٠. تقليد النبي ٤٠،٢. بوجه بالأسرار ٦٩،٢ ، ١٩٢، ١٩٣، ٢٢٠. **انظر** إتباع.

محمد، الشيخ. من المحتمل أن يكون ابن عربي نفسه، **اِنظُر** المقدمة والملاحظة حول ٣- ٤٥

محمد غوياني، غير معروف. لا بُدَّ أنَّ شمس عرفه في كلٍّ من دمشق وقونية.

محمدي، يُنسب إلى محمد؛ التابع الحقيقي للنبي.

محمد. ولي عظيم. **انظر** إتباع.

معيد هروي. غير معروف؛ ذُكر مرة واحدة.

المعتزلة، مدرسة عقيدية مختصة بعلم أصول الدين أو علم الكلام. كانوا يُصرُّون بعكس الأشاعرة، على إيلاء العقل الأهمية الرئيسية.

ناصر. غير معروف.

طبيعة. العالم الأدنى، العالم الذي تُدركه الحواس، عكس الروح أو العقل. أمَّا **الطبع** ١٦٦،٢ ، ٢٥٣، ١٦٠،٣فهو سجية وطينة الشخص.

وجوب. إنَّ الحديث عن «وجوب» الله هو لغة قياسية في الدين والفلسفة الإسلامية. هذا يعني أنَّ الله لا يُمكن إلَّا أن يكون، وأنَّ الوجود بأسره يعتمد عليه على نحو مطلق. عادة ما تتمّ مقارنة «الواجب» بـ «الممتنع» أو «المحال» وهو ما لا يُمكن أن يكون مثل «شريك لله» و»الممكن» أو «الجائز»، الذي هو كلّ ما عدا الله. ليس للأشياء «المخلوقات» حق في الوجود، وهي تظهر بناء على هبة الوجود التي يهبها الله.

الحاجة. إدراك الانعدام أمام الله والإقرار بالاعتماد على الله. يتداخل معنى الكلمة مع معنى الحُبّ، والفقر والعطش والجوع. وهي عكس غرور المحبوب و «التكبر».

نفي. ٤٢،٢ ، ٩٧، ١١٤، ١٨٨، ٨١،٣. «سلب» ١٨١،٣

حادث. ذلك الذي يأتي إلى الوجود بعد أن كان غير موجود. عكس «قديم»، وهو الذي كان موجودًا دائمًا وسوف يبقى دائمًا، أو ذلك الذي يتجاوز الوجود المؤقت.

النمرود، ملك بابل الذي ألقى إبراهيم في النار.

نظامي. شاعر فارسي اشتهر بغرامياته الملحمية.

طاعة. التزام أحكام الشريعة، عكس معصية.

محو. إبادة، نكران الذات.

سبب، الظروف المحيطة بنزول سورة معينة من القرآن الكريم، وهو واحد من الكثير من العوامل التي تُؤخذ في الحسبان عند تأويل وتفسير القرآن.

عوج بن عناق، ملك باشان الذي ذكرت قامته العملاقة «لكن البشرية» في الإنجيل.

وحدانية. سواء باعتبارها صفة لله أو الأشياء.

فتح. كشف، إلهام، إدراك مباشر من الله. إن المرادفات العربية لهذا المصطلح هي فتوح «كما في عنوان مؤلفات ابن عربي «الفتوحات المكية»، والفتح «كما جاء في القرآن سورة الفتح ١».

مخالفة. التصرف عكس أوامر الله، أو النبي، أو الشيخ. عكس امتثال.

غير. أيَّ شيء عدا الله. بالنظر إلى أنَّ الله «**مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**» «الحديد ٤»، وأنَّه حاضر مع كلِّ شيء، فإنَّ حالة الآخرين ملتبسة. **إنظُر** غيرة.

ظاهر. **إنظُر** باطن. أهل الظاهر هم الحَرْفيُّون، الذين يعجزون عن رؤية ما وراء ظاهر الكتاب.

طريق. الطريق إلى الله، مرتبط إجمالًا بالصوفيين، ويُعتبر مكملًا للشريعة.

صراط. جسر فوق جهنم على الجميع اجتيازه بعد الموت، أرفع من الخيط وأحد من السيف. تستخدم الكلمة نفسها في فاتحة القرآن بمعنى طريق الدين الذي يقود إلى الله.

صُلْح ٤٧،١ ، ١٥٢،٢ ، ٩،٣ . والحرب ١٦١، ٢ ، ٢٥٣.

كمال. تمام، تحقق، إنجاز تمام الحال الإنساني، إكمال سمة بشرية معينة،أي مقام على طريق الله. إنَّ الكمال التام هو صفة الأنبياء والأولياء العظماء.

فرعون. العدو اللدود لموسى، ذُكر مرارًا في القرآن. يتمّ تصويره على أنَّه إنسان يُحاكي الشيطان إلى حدّ بعيد.

فلسفة، فيلسوف. الفلسفة تقليد فكري في الحضارة الإسلامية والذي ينظر إلى فكر أفلاطون وأرسطو كمرجع له. ينتقد شمس والرومي والعديد غيرهم ادعاء الفلاسفة فهم الواقع بطرق منطقية وحسب.

قطب، السلطة الروحية العليا في عصره، أعظم شيخ فى ذلك الزمان، المحور الذي يدور حوله العالم الخفي.

فقر. الطريق إلى الله، الكمال البشري. إنظُر درويش.

عمل ١٩،٢ ، ٧٠، ٣٥،٣. معاملة ٣،٢ ، ٢٧، ١٠،٣ ١١١، ١١٢، ١١٤، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨

جَبْر. عكس الإرادة الحرة والاختيار الحر. إنَّ الجبر هو فكرة أنَّ جميع الأعمال خاضعة لله، دون أيِّ دور للبشر. يربط شمس ذلك بالسُكْر والإخفاق في رؤية الأمور في نصابها. يُؤكّد الرومي غالبًا على الإرادة الحرة وينتقد هؤلاء الذين يُعوّلون كثيرًا على الجبر.

تكليف. حرفيًا بمعنى «إثقال». الواجبات، الالتزامات، والعبادات التي يُحددها الشرع.

حضور. ٤٧،٢ ، ٧٣، ٧٥، ١٠٨، ١٢٠، ١٦٧، ١٨٥، ١٩،٣ ، ٤٥، ١٢٠. أن تكون مع شيء ما، عكس غياب. تعني، تقنيًا، الانغماس الكامل في وعي الله: أن تكون حاضرًا مع الله هو أن تكون غائبًا عن النفس، وأن تكون حاضرًا مع النفس هو أن تكون غائبًا عن الله. «الحضرة» هي حقيقة الله أو القرب منه ١١٨،٢ ، ١٧٦، ١٨٨، ٢١٩، ٥٧،٣ ، ١٥٤، ١٧٢

نبي. ٣٢،١ ، ٣٦، ٤٠، ٤١، ٣٦،٢ ، ٤٣، ٤٦، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٨٤، ١٠٥، ١١٧، ١٣٣، ١٥٤، ١٨٥، ١٩١، ١٩٧، ٢١٩، ٢٤١، ١٢١،٣ ، ١٤٥، ١٩٤، ٢٠٤. نفاق النبي ٦٧،٣ ، ٦٩. شخص يعينه الله لينقل الإرشاد للناس. انظر ولي.

جبل قاف، جبل اسطوري قيل أنَّه يشمل الأرض.

قنوي، صدر الدين.

قشيري. مؤلف كتيب تعاليم التصوف شهير، المعروف بـ «الرسالة».

رابعة. «تُوفيَت ٨٠١» امرأة من أولياء الله المشهورين.

رمضان، الشهر التاسع من السنة القمرية، يكون الصيام خلاله إلزاميًا.

رشيد. غير معروف. من الممكن أن يكون هو رشيد الدين ذاته.

رشيد الدين، يبدو أنَّه فرد من حلقة الرومي.

نيء، خام. **انظر** طُبخ.

الحق. ١١٥،٢ ، ١٣٣، ١٤٢، ١٩٠، ٢٣٩، ٤٣،٣. رجل الحق ٣٩،٢ ، ١٥٤، ٢٠،٣ ، ٧٥، ١٤٧، ٢٠٢. دنيا الحق ٦٨،٢ ، ١١٥، ١٢٨، ١٩٢، ٢٧،٣ ، ٦٧. من معاني اسم الله الوارد في القرآن هذا الصدق. الصواب، الصلاح.

حقيقة. هي عمومًا جوهر الشيء، الشيء ذاته، أو الشيء كما هو معلوم لله. رُبّما تُشير الكلمة إلى الله ذاته، غاية الشريعة والطريق.

الدين. ٣،٢ ، ٣٧، ٤٢، ٦٩، ٧٤، ٨٤، ٩٨، ١٠٣، ١٣٥، ١٣٦، ٢١٢، ٢١٤، ٢٥١، ٤٠،٣ ٤٣، ٨٧، ١٤٠، ١٨٩. قطاع طرق الدين ٥٥،٢ ، ١٠١، ١٢٧،٣ ، ١٢٨. دين محمد ٥٥،٢ ، ٢١٢، ٢٤،٣ ، ١٢٩. دين العجائز ١٠٦،٢ ، ١٠٨، ١٠٩. عمومًا،

الطريق إلى الله الذي جاء به نبي واتبعه المجتمع. بدقة أكبر، هو أصول وفروع الإسلام. إنَّ أكثر العناصر أساسية في الدين هي التوحيد والعبادة. عرف النبي الإسلام كدين في ضوء ثلاثة أبعاد أساسية: الخضوع لله من خلال العمل الصحيح «إسلام»، الإيمان بالله من خلال فهم سليم «الإيمان»، وحُبّ الله من خلال تفضيل الحسن على البشع «الإحسان». **إنظُر** موراتا، **رؤية**.

تذكُّر. إنَّ هذه الكلمة الفارسية، كمصطلح تقني، تُرادف الكلمة العربية «ذِكْر». تمَّت ترجمتها هنا «ابتهال».

وحي. كلام الله الذي خاطب به النبي.

متشرد ٢- ١٨٣ شخص غير مبالٍ بالأعراف الاجتماعية ولكنه يمتثل باطنًا لقدوة النبوية. يكتب الرومي: «إن كنتَ متشردًا بالكامل، فاهرب من المجانين! اِفتح عين قلبك للنور الأبدي».

رستم. المحارب الأسطوري العظيم في «**شهنامة**» أي «كتاب الملوك» للفردوسي.

لبادة السرج «غاشية». علامة على المنزلة العليا، كانت تُوضع على صهوة الفرس عندما يترجل عنها الشخص. كان من واجب شخص ما من حاشيته أن يحملها.

حكيم. فيلسوف ورجل حكمة، طبيب. «الحكيم» هو سنائي، لُقب بهذا اللقب بسبب عميق علمه.

سعيد بن المسيب. «تُوفي ٧٠». زاهد وعالِم معروف جيدًا عاش

في المدينة «ليست بغداد كما يقول شمس ولا دمشق التي كانت مقرّ الخليفة في زمانه».

ساقي. حامل الكأس، الشخص الذي يصبُّ الخمر المقدس، والشيخ، والمحبوب.

صلاح الدين، مولانا. ٢- ٧٣صلاح الدين زركوب «تُوفي ١٢٥٨» أحد أصحاب الرومي المقربين. قيل أنَّ الرومي وشمس تقابلا في منزله عدة شهور بعد أول وصول لشمس إلى قونية.

الصلاة. صلاة شعائرية مفروضة خمس مرات في اليوم.

النجاة. العتق من النار.

سما. حرفياً «الاستماع». تُشير الكلمة إلى حلقات الموسيقى وإلقاء الشعر، والتي عادةً ما يُصاحبها الرقص، والهدف من ذلك هو الارتقاء بوعي المشاركين بالحضرة الإلهية. ظهرت «**سما**» من أهمية تلاوة القرآن والأسماء الإلهية، والتي هي أعمال يتمّ القيام بها بعناية كبيرة بالجمال والبراعة الموسيقية. طالما كان لـ «سما» حالة شرعية ملتبسة. فهي تتخذ عدة صور، البعض منها مدروس ومتقن مثل «رقصة الدراويش» التي نظمها سلطان ولد وتُنفذها **الطريقة المولوية** «، وفي الوقت الحاضر من قبل وزارة الثقافة التركية». يحتمل تكون «**سما**» التي ذكرها شمس أو لا تكون مشابهة للنسخة المنظومة.

سنائي. «تُوفي ١١٣١» أحد شعراء التصوف الأوائل، والذي يُدعى «الحكيم». يبدو أنّ شمس له رأي مختلط عنه، ففي بعض المواقف، يمدحه، بينما ينتقده في أُخرى.

ولاية. حال يكون فيه الشخص «وليًا» أو «صديقًا» لله، الشخص الذي يكون قريبًا من الله ومُنح سلطة خاصة على **خلقه**. كما يوضح شمس في ٢- ٨٩، أن يكون المرء وليًا هو أن يملك القدرة على التحكّم بأناه، وأن يرى الأشياء كما هي حقيقةً، ويتصرف بطريقة ملائمة. يُنظر إلى الأولياء على أنَّهم يقفون على أعلى درجة للكمال البشري بعد الأنبياء الذين اصطفاهم الله لأجل مهام محددة. حسب فِكر ابن عربي، فإنَّ كلَّ نبي ولي، لكن ليس كل ولي نبي. يُوافق شمس رُبّما على هذا، ولكن في ٢- ٢٠٠يتعجّب هو لماذا لم يُشر الله إلى الأنبياء صراحة على أنَّهم أولياء، ما عدا يحيى.

زنار. وهو حزام خاص يرتديه المسيحيون يُشير إلى وضعهم كغير مسلمين.

شيطان. تُستخدم الكلمة كمرادفة لكلمة إبليس واسم شامل، وفي هذه الحالة يُمكن أن يكون في صيغة الجمع، ويبقى له المعنى نفسه لكلمة «شيطان».

سيف زنجاني. لا شيء معروف عنه سوى ازدراء شمس له.

سيّد. في بعض المقاطع مثل ٤٧،٢ ، ١٥٦، ١٩٢، ١٠٥،٣يبدو أنَّها تشير إلى سيد برهان الدين محقق الترمذي، وهو أحد مريدي والد الرومي، والذي تولّى تدريب الرومي على التصوف عندما تُوفي والده. تُلمح مقاطع أخرى مثل ١- ٢٧ - ٤٦إلى أنَّ كلمة **سيّد** تُشير إلى شخص آخر.

عالِم. وهو أستاذ في واحد أو أكثر من العلوم، خاصة في الفقه.

خلوة. ١،٤٠، ٤٩، ٢،٩٤ ، ٢٤٤، ٣،٢٤ ، ٣٣، ٥٤، ٨٨. خلوة أربعين يومًا ٢،١٤٣ ، ١٤٥، ٢١٠، ٢١٢، ٣،٤٥ ٦٠، ٦٣، ١٤٠، ١٦٨، ١٩٦. أن تكون بمفردك. الجلوس بعزلة للتركيز على تهذيب وانضباط الطريق. على عكس معظم الصوفيين، يعتبر شمس تدريب وضع المريدين في خلوة لمدة أربعين يومًا بدعة، أو في أحسن الأحوال، عملًا تختص به جماعة موسى. إنّ الغاية عند معظم طرق التصوف، على أيِّ حال، هي أن تنال «الخلوة في الجلوة» وهي الخلوة مع الله وأنت تعيش في الوقت نفسه بين الناس.

سر. علم يُمنع عمَّن لا يستحق. التبصر في الأسرار الإلهية، صميم القلب /السريرة.

طلب. البحث عن الله «أو عن شيخ يكون المرشد إلى الله». في ضوء حقيقة طلبهم، يُثبت الطلَّاب أنّ المطلوب يطلبهم. كما في الحُبّ، حيث يسبق حُبّ الله للإنسان، فيُسبب حب الإنسان لله، كذلك فإنَّ رغبة الإنسان في الله قابلة للتفسير فقط بسبب رغبة الله في الإنسان.

النفس. ٣،١٠١ ، ١٠٧، ٢٠٧. نفي النفس ٢،١١٣

الحواس. حس. ٢،١٣ ، ٢٧. المحسوس ٢،٢٧ ، ٥٩، ١٦٦

فراق. بعدك وانفصالك عن محبوبك، عكس وصال. تُستخدم الكلمة للتعبير عن الموقف النمطي للإنسان إزاء الله وكذلك عن العلاقات الإنسانية.

إسرافيل. المَلَك الذي ينفخ في الصور يوم القيامة

عبْد. ١،١٧ ، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٢،٣٩ ٤٢، ٥٢، ٥٥، ٧٠، ٧٢، ٨٨، ١٠٢، ١١٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، ١٣٣، ١٥٤، ١٦٤، ١٧٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٢، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣١، ٣،٨ ، ٢٩، ٣٧، ٥٠، ٧٤، ٩٠، ٩١، ١١٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٤٠، ١٤٧، ١٥١، ١٦٦، ١٧٥، ٢٠٤، ٢١٢. عبد مخفيّ ١،٥٤ ، ٢،١٢٧ ، ١٩٢، ٢٠٩، ٣،٥ ، ٢٠، ٦٤، ١٣٨، ١٥٦، ١٨١. العبودية ٢،٧٠ ، ٧٧، ٧٨، ١٨٨، ٣،٤. عمومًا هو العبد مقابل الله. يستخدم شمس، مثل ابن عربي وآخرين، المصطلح للإشارة إلى الأنبياء والأولياء العظماء، أولئك الذين حققوا مقامهم الصحيح في الوجود. إنّ لقبي محمد الأساسيين هما «عبده ورسوله»، ويدعوه القرآن بكلمة «عبده» في الآيتين اللتين تشيران إلى المعراج «الإسراء ١» «النجم ١٠»، بالتالي يُلمّح إلى أنَّ العبودية هي الصفة الإنسانية التي تأخذ بيد الإنسان إلى حضرة الله. **إنظُر** خليفة.

خدمة. في التصوف، تعني الكلمة عمومًا تكريس المرء نفسه للشيخ، وأن يُصبح مُريدًا للشيخ.

شعبان. الشهر الثامن من السنة القمرية.

شابيستاري.. «تُوفي١٣٤٠» ملاحظات ٢- ١٠٩

الشافعي. «توفي٨٢٠» أطلق اسمه على إحدى المدارس الفقهية السنيَّة الأربع.

الشهادة. شهادة الإيمان: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

شمس الدين خوجندي. واعظ وشيعي.

شمس الدين التبريزي. لقاؤه الأول بمولانا. ارتباطه بمولانا، فراقه عن مولانا. هيبته. معرفة الناس له. أخوه. طفولته. أصحابه. نقد الآخرين له. نقده للآخرين. حواراته مع الآخرين، حواراته مع الغيب، أحلامه، ضعفه ومرضه، نفاقه ومكره، تعليماته، فقهه، عدم اتخاذه مريدين، عدم تعلمه، وعظه، شدته، شيخه، حاله، مهنته في التدريس، كفره، رأيه بالكفار، رؤاه، كلامه وأحاديثه، كلامه الذي يجب عدم تكراره.

شقيق البلخي. «تُوفي ٨٠٩» صوفي مشهور.

شرف الهواري. يتمّ ذكره هنا مرة واحدة، وفي مقطعين آخرين في **مقالات** حيث يتمّ تصويره على أنَّه رجل مُتعلّم يفتقر إلى علم حقيقي.

شريعة. الطريق إلى الله، تعاليم الإسلام الظاهرة والشعائرية والشرعية، تقارن بـ **الطريقة**، والتي هي التعاليم الباطنة والأعمال المرتبطة بالتصوف.

شريف با سخطة ٢- ١٨٧ غير معروف.

شوال. الشهر القمري العاشر.

شيخ. مشيخة. حرفيًا، رجل مُسنّ. عمومًا تعني معلم لعلم من العلوم، وخصوصًا، مُعلّم صوفي.

شبلي. «تُوفي ٩٤٥». أحد الصوفيين الأوائل العظماء، وهو من أصحاب جنيد.

شهاب الدين، شيخ. ربما يكون شهاب الدين أبو حفص عمر سهروردي «تُوفي ١٢٣٤» أُطلق اسمه على الطريقة السهروردية وهو مؤلف العمل التقليدي **عوارف المعارف**.

شهاب الدين، ابن ورقاني. كان والده رُبّما جلال الدين ورقاني، قاضي ومدير مدرسة دينية.

شهاب هروي. **إنظُر** المقدمة.

شهاب مقتول. «تُوفي ١١٩١». هو شهاب الدين سهروردي، مؤسس المدرسة التنويرية في الفلسفة.

شهاب سهروردي. هو إمّا شهاب مقتول أو الشيخ شهاب الدين «في ٢- ٥٠، يبدو أنَّ الاثنين قد ذُكرا بهذا الاسم».

شُعيب. نبي ذُكر عدة مرات في القرآن. تقترح رواية أفلكي أنَّه فقد بصره في الكِبر.

تشبيه. تأكيد أنّ المخلوقات هي نوعًا ما شبيهة بالله، عكس التنزيه.

إخلاص. صدق. العمل ابتغاء وجه الله فقط دون اعتبار للخلق «إلَّا بمقدار ما يأمرنا الله بأخذهم في الحسبان». عكس نفاق.

سراج. مدرّس في قونية، ورُبّما يكون هو سراج الدين نفسه المذكور في ٣- ١٩٨

سراج الدين. ١٧٤،٢ ، ١٩٨،٣. يبدو أنَّ الإشارتين لا تعودان إلى الشخص نفسه، قد يكون الثاني هو سراج.

نوم. يقظة. غفلة وتقصير في واجبات الإنسان تجاه الله.

نفس. ١٧،١ ،٣٢، ٤٧، ٤٨، ٣،٢ ٣٦، ٣٩، ٤٩، ٥٩، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٨١، ٨٩، ٩٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٤، ١٤٠، ١٥٠، ١٦٠، ١٦٨، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٥٣، ٧،٣ ، ١٣، ٤٨، ٦٧، ٩١، ١٠٥، ١٢١، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٠، ١٤٣، ١٦٠، ١٨٨. النفس اللوامة ١٠١،٣ ، ١٤٠. النفس الأمارة بالسوء ١٩،٢، ١٧٢، ٢٤٨، ١٦٠،٣. صاحب النفس ١٤٩،٣. مريد النفس ١٣٩،٢. النفس المطمئنة ١٩،٢ ، ١٠١،٣ ،١٤٠. التضحية بالنفس ١٢٠،٣ ١٥١. تُستخدم هذه الكلمة أحيانًا بالتبادل مع كلمة روح. عندما يستخدمها الرومي وشمس دون توصيف، يقصدان بها إجمالًا النفس الأنانية، والتي هي عكس العقل أو الروح. إنَّها هذه النفس الأنانية التي تُسمّى «النفس الأمارة بالسوء» بناء على القرآن «يوسف ٥٣». تتميز عن «النفس اللوامة» «القيامة ٢» وهي النفس التي تُدرك عيوبها، و»النفس المطمئنّة» «الفجر ٢٧»، وهي نفس الولي التي اندمجت في الروح وهي مطمئنة بالله.

كليم. لقب ثابت لموسى.

كلام. ٣،١ ، ١٤،٢ ، ١٧، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣٣، ٣٧، ٧٤، ١١٤، ١٨٥، ٢٤١، ٢٤٩، ١٨،٣ ، ٢٦، ٥٢، ١٤٩، ١٥٧. كلام الله ٤٥،١ ، ٩،٢ ، ٣٥، ٧٢، ١٠٢، ١٥٧، ١٨٦، ١٩٢، ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٥٣،٣ ، ١٧٥، ١٩٤. مجال الكلام ٤٩،١ ، ٥٠، ٣٣،٣. باعتباره صفة إلهية، فإنَّ الكلام هو تعبير الله عن ذاته

وتجليه من خلال النصوص المقدسة والخلق. كثيرًا ما يُسمّى القرآن ببساطة «كلام الله».

روح، روحاني. عكس جسد، فالروح هي البُعد الباطن الواعي للوجود وهو مرتبطة بنفخة الله، كما في الآية القرآنية «**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**» «الحجر ٢٩». دائمًا ما يتمّ تمييز الروح بوضوح عن الله نفسه «كما في ٢،٩٣ ، ٩٨، ١١٠». عند الرومي وشمس، تُعتبر الروح عادةً مستوى وجود أعلى من النفس «مثال ٢- ١٣٩».

حال. أهل الحال ٣،١٨٠. الدخول في حال ١،٤٨ ، ٢،٩٢ ، ١٤٠، ١٥١، ٣،٥ ، ٦٩، ١٠٥، ٢١١. الكلام بناء على الحال ٢،٣٥ ، ٦٩، ١٨٨، ٢٣٢. الوضع أو الحالة في اللحظة الآنية. كتعبير اصطلاحي، تعني هبةً روحانية عابرة يهبها الله، عكس «مقام» والذي هو حيازة دائمة للنفس وفضيلة متجذرة ونتيجة مجاهدة على الطريق. قد تُشير كلمة حال أيضًا إلى النشوة أو النورانية اللذين يغشيان الشخص خلال «سما»، أو بعض أنواع الأعمال الأُخرى. تُستخدم الكلمتان «حال» و»مقام» سويًا على نحو غير مضبوط، وفي تلك الحالة يُمكن التبديل بينهما. يعني التعبير الشائع «لسان الحال» الأفعال وردود الأفعال التي تُعبر عن حالة الشخص أو الشيء في أيِّ وقت، واللغة الصامتة للأشياء في حدّ ذاتها.

مقام. حرفيًا «مكان الإقامة» أو مكان القيام» **إنظُر** حال.

عزم. أولو العزم هم الأنبياء الأعلى مرتبة.

مجاهدة. بذل الجهد على طريق الله. إنَّ كلمة «جهاد» والتي تنشأ من الجذر نفسه، مكافئة نحويًا، ولكنَّها غالبًا ما تستعمل للصراع

العسكري الظاهر دفاعًا عن المجتمع.

بقاء. في اللغة الاصطلاحية عكس «فناء» بناء على الآية القرآنية «**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**» «الإنسان٢٦». إنَّ غاية الطريق الصوفي هي اختبار فناء الحدود البشرية وبقاء الصفات الإلهية الكامنة في السجيَّة الإنسانية الأصلية، التي خُلقت على صورة الله.

صوفي. تابع على طريق الله. درويش.

سليمان ترمذي. غير معروف، ذُكر مرة واحدة.

سلطان ولد. بهاء الدين بن الرومي. خلف والده كشيخ وكتب الكثير من الأشعار.

سنَّة. تعاليم وأعمال النبي «في مقابل القرآن، كلام الله». اِنظُر **إتباع**.

سنِّي. ملازم للاتجاه العام الإسلام «في مقابل الإسلام الشيعي».

سرماري. يعتقد المحرر أنَّ هذا يوسف من «سرماري» «منطقة بين تفليس وأخلاط» والذي كان صاحبًا لأوحد الدين كرماني.

لوح. سجل ما قبل الزمان للخلق وهو محفوظ عند الله، أو العالم الروحاني حيث كُتبت حقائق المخلوقات بالقلم الأعلى «العقل الأول» قبل أن تتجسّد في العالم.

ذوق، تذوق. كشف، حال، سرور.

تتار. المغول.

توحيد. التأكيد على وحدانية الله، عبارة «لا إله إلا الله».

امتحان. اختبارات يُخضع الشيخ المريدين لها لتأكيد إخلاصهم.

الأصول، الكلام. «متكلم، أصولي». علم الأصول هو علم يُعنى بالدفاع المنطقي للتعاليم القرآنية عن الله. الأشعرية والمعتزلة هما مدرستاه الأكثر شهرة.

عرش. عرش الله الرحيم. يشمل العرش كامل التكوين ويضع الله «قدميه» على الكرسي، الذي «**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**» «البقرة ٢٥٥». **العرش** يرتبط أحيانًا بالفلك الخالي من النجوم، **والكرسي** مرتبط بفلك النجوم الثابتة. حسب حديث دارج بين حلقات الصوفيين، فإنَّ قلب الإنسان هو عرش الله في العالم المصغر.

جمع. تركيز واضح على الله، العثور على الله في القلب. عكس تفرقة.

لسان الحال. **انظر** حال.

طائفة، قوم. يُسمى جنيد لدى الصوفيين بـ «شيخ الطائفة».

أمانة. عبء المسؤولية أمام الله التي قبل البشر حملها عند خلقهم. اِنظُر موراتا **الرؤية**.

توكّل، الثقة بالله. فضيلة محمودة للغاية في القرآن، وتُعتبر مقامًا

متقدمًا على **الطريق**.

طوسي. رُبّما يكون هذا العالم الشيعي أبو جعفر محمد بن حسن «تُوفي ١٠٦٨». مؤلف «التبيان» وهو تفسير مشهور للقرآن.

عمر. صحابي وثاني الخلفاء بعد أبو بكر.

كفر، كافر. هو غير المسلم. عكس «مؤمن». عادة ما يُؤول شمس الكلمة بمعنى إيجابي من خلال مقارنة الكافرين بمدَّعي الإسلام، أي المسلمين غير المخلصين أو الواقعين في شرك ظاهر، بهرج الدين مثال ١- ٤٣. بالتالي فالـ «مسلم» مشغول بظاهر الشريعة والطريق، أمَّا «الكافر» فمنشغل بتحقيق الحقائق الداخلية للإسلام والمجاهدة للوصال مع الحق. هكذا «كافر» يتخطى المعارضة بين الإيمان والكفر ويشمل الاثنين في داخله.

اتحاد. الوحدة مع الله.

غيب. العالم الروحاني الغائب عن إدراك الحواس، عكس «شهادة» أي العالم الملموس المحسوس.

كشف. إزاحة الحجب، معرفة الله بدون وساطة، فهم يتخطى الحواس والمنطق. إنَّ هذا المصطلح الشامل يضمُّ العديد من أنواع المعرفة المباشرة كالمعرفة والتذوق والشهود.

أويس القرني «تُوفي ٦٥٧». مشهور بكونه الصحابي الذي لم يلتقِ النبي شخصيًا. الصوفيون «الأويسيُّون» تمّت تسميتهم كذلك لأنَّهم تلقوا البداية دون وساطة شيخ متجسد.

تلوُّن. التغيُّر. عكس «تمكين» في المصطلحات الصوفية. الكلمة مشتقة من «لون»، يعني ضمنًا أن يستولي على المرء حال إثر حال دون ثبات أو جمع. يرى شمس أنَّه بمثابة إسلام المرء نفسه للسُّكْر.

حجاب. ستار، حاجز. كلُّ ما يُخفي وجه الله. يُقال عادة إنَّ الحجاب الأعظم هو نفس الإنسان. اِنظُر **تصوف**.

تحقيق، محقِّق. إنَّ المحقِّق هو مَن حقق الإدراك، أي أن يعرف المرء الحقائق بنفسه من خلال العثور عليها في داخل كيانه هو، وأن ترى الأمور على حقيقتها وتتصرّف بناء على ذلك، وهو مقام الأنبياء والأولياء العظماء. **إنظُر** تقليد.

خليفة. نائب الشيخ، ممثل الله على الأرض. يعود المصطلح إلى قصة خلق آدم في القرآن، والذي يدعوه الله خليفته «البقرة ٣٠». يتمّ تصوير الكمال البشري على أنَّه الجمع بين القبول بالعبودية أي الخضوع لله والقيام بأعباء الخلافة «التصرف نيابة عن الله». بعبارة أُخرى، العبد يفنى أمام الله والخليفة يبقى من خلال الله.

رؤية، انظُر. ملاحظات ٢،٨ ، ١٤. رؤية الله ٢،٣٦ ، ١١٥، ١٨٠، ٢٤٩، ٣،٥٦ ، ١٤٩، ١٨٠، ٢١٢. أهل الرؤية ٢،١٨٠ ، ٢١٢

وحيدي قدسي. ٢- ٢١٧. يعتقد المحرر أنَّه «أبو الحسن علي بن أحمد وحيدي نيسابوري. «تُوفي ١٠٧٥- ٧٦» من بين كتبه «البسيط» وهو تفسير مطول للقرآن، بالإضافة إلى شروحات متوسطة وقصيرة.

ورقاني. اِنظُر شهاب الدين.

مراقبة. مراقبة المرء الحذرة لأحواله الداخلية، تفكُّر.

سالك. مسافر على طريق الله.

خمر. ما يُسكِر، حب الله.

حكمة. انظر حكيم.

عالَم ١،٣٥، ٣٦، ٢،٦٠ ، ٩٦، ٩٩، ١٠١، ١٠٩، ١٣٥، ١٤١، ١٨١، ٣،٢-٤، ٨، ١٥، ٢١، ٢٤. العالم الرباني ٢،٩٣ ، ١٠٥. عالم الروح ٢،٩٣ ، ١١٣، ١٥٤. كلّ ما عدا الله. اِنظُر الحق، عالَم.

دنيا. أهل الدنيا. دنيوي. العالم الذي تدركه الحواس، عالم ما قبل الموت، تقارن بـ الآخرة وهي عالم ما بعد الموت، أو بـ العالم الروحاني.

عبادة. بالمعنى الاصطلاحي هي تأدية الفرائض والشعائر وما إلى هنالك، والتي تترتب على كون المرء عبدًا لله. بالمعنى الأوسع تُشير الكلمة إلى تجاوب الإنسان الصحيح مع حقيقة الله، والتي تتلخص في التوحيد. يُبيّن القرآن هذه النقطة بإعلانه أنَّ التوحيد والعبادة هما الرسالة الأساسية لكلِّ الأنبياء «الفرقان ٢٥». أمَّا العبادات فهي الأفعال الشعائرية التي تحددها الشريعة والطريقة.

الصلاح. استقامة أخلاقية وهي مصطلح قرآني مهم. عكس الفساد.

غضب. صفة الغضب الإلهية متلازمة مع الرحمة. أمَّا كصفة

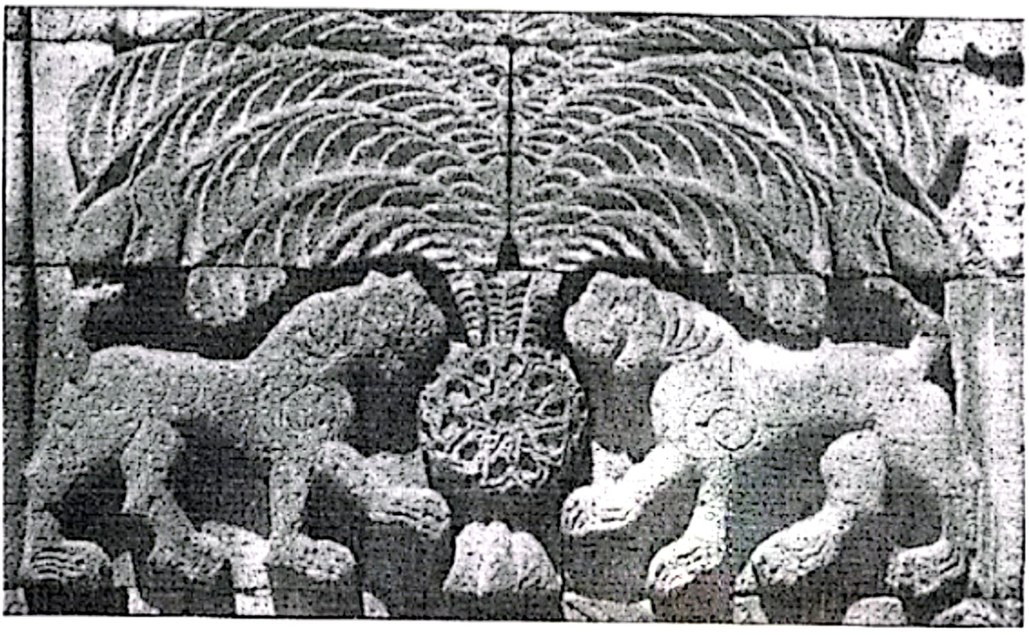
إنسانية فهي مقرونة غالبًا بالشهوة.

زاهد تبريزي. ربما يكون معين الدين محمد بن رمضان « تُوفي ١١٩٦» معروف أكثر على أنه «فقيه تبريزي».

زاهر، ملك «حكم ١١٨٦-١٢١٦» الحاكم الأيوبي لحلب.

زهراء. إحدى نساء أهل بيت الرومي. ذُكرَت مرة أُخرى، وكذلك فيما يتعلق بالطعام في **مقالات ٨٤٤**

زين صدقة. مريد لأوحد الدين كرماني، يظهر أنَّه خَلَفُه الأهم. درَّس في قونية وكان له الكثير من المريدات الإناث.



منحوتة على بوابة المدرسة الياقوتية في Erzurum «أرض روم» «١٣٠٨» تُمثِّل أسدين متقابلين على جانبي شجرة نخيل. تُمثّل النخلة شجرة الحياة ونبع الخلود في وسط الفردوس. الأسدان يرمزان إلى الملكين الحارسين للطريق، ويُمثلان الازدواجية التي ينبغي على المرء التغلّب عليها كي يتسنى له الدخول.

الناشر

أنا والرومي

«إنَّ براعة ويليام شيتيك في ترجمة مقالات شمس الدين التبريزي تنقل مُعلّم الرومي المحبوب من الظل إلى النور، وتُعيد شمس إلى مكانته المركزية التي يستحقها بجدارة. ينضمّ هذا العمل على الفور إلى القائمة القصيرة والتي لا غنى عنها للأعمال العلمية عن الرومي ومجتمعه. يُوصى به بشدّة لجميع الباحثين وتلاميذ التصوف والفلسفة الإسلامية والأدب الفارسي، وبالطبع لجموع المعجبين بالرومي».

آن ماري شيميل

«تخيّل أنّه يُمكنك الذهاب إلى مكان ما كلَّ صباح، لنقُل إلى زاوية خان قوافل تجار السكَّر لتسمع شمس الدين التبريزي يتحدّث عن حجاب القلب، طبيعة الاجتهاد، أو كيف تتخطى حال السؤال والجواب القلق. يُقدم لنا هذا الكتاب مدخلًا إلى ذاك الحضور المدهش. اذهب هناك ساعة كلَّ يوم؛ مهما استغرق ذلك، ثمَّ اقرأ أشعار الرومي واستشعر فتوح صداقتها فيك. بُوركت ويليام شيتيك».

كولمان باركس

ويليام شيتيك: أستاذ الدراسات الدينيّة في جامعة نيويورك الحكومية «ستوني بروك». مؤلف «طريق الحب الصوفي: التعاليم الروحيّة للرومي» وتسعة كتب أخرى، بما في ذلك «الطريق الصوفي للمعرفة»، «غيبيات خيال ابن عربي»، «الكشف الذاتي لله: مبادئ كونيات ابن عربي».

ISBN-13: 978-9953978734
9 789953 978734
دار الخيال
الكرمة
www.daralkhayal.com

ضياء
t.me/twinkling4